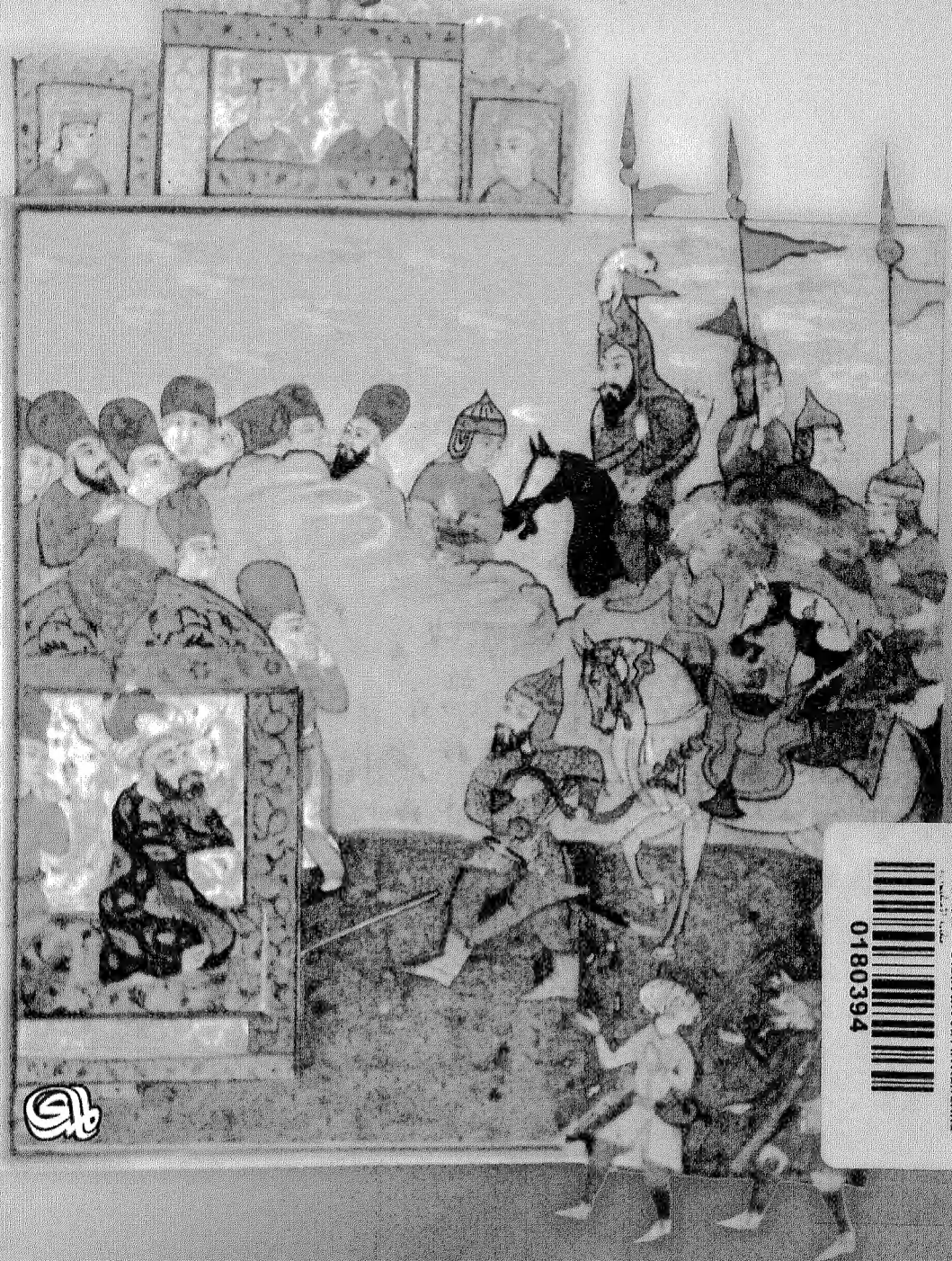


حسين قاسم العزيز

البياتكية

(الانتفاضة ضد الخلافة العباسية)



909.087

4927.1

عربي

البابكية



Author : Houseen Kasem Al Aziz
Title : AL Babikia
Al- Mada :P.C.
First Edition :year 2000
Copyright © Al- Mada

اسم المؤلف : حسين قاسم العزيز
عنوان الكتاب : البابكية
الناشر : المدي
الطبعة الأولى : سنة ٢٠٠٠
الحقوق محفوظة

دار مادي للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
تلفون : ٢٧٧٦٨٦٤ - ٢٢٢٢٢٧٥ - ٢٢٢٢٢٧٦ - فاكس : ٢٢٢٢٢٨٨

Al Mada Publishing Company F.K.A. Cyprus

Damascus - Syria , P.O.Box : 8272 or 7366 .

Tel: 2776864 - 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289

E - mail : al - madahouse @ net.sy ، البريد الالكتروني

All rights reserved. No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means ; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing, of the publisher.

حسين قاسم العزيز

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية

البابكية

مقدمة

دراسة مُوجزة للموضوع ولصادر البحث

البابكية أو انتفاضة الشعب الاذربيجاني ضد الخلافة العباسية حدث مهم لا في تاريخ القفقاس في القرون الوسطى فحسب ، وإنما في حياة الخلافة كلها . ولم تأت هذه الأهمية من طول المدة التي استغرقتها ولا من سعة الأراضي التي شملتها ولا من كونها خاتمة انتفاضات الحرّمية الجسام فقط ، وإنما أيضاً لما لها من آثار جسيمة في كيان الخلافة العباسية ، حيث زعزت ذلك الطود الشامخ ونخرته فتركته خاوياً عاجزاً عن أن يقف على قدميه أو يستعيد ما كان له من سابق عز وهيبة وجلال وسلطان ، فكانت الانتفاضة كزوبعة هوجاء مدمرة عصفت بشجرة باسقة مهيبة تركتها منخورة ضعيفة .

والخلافة العباسية وإن خرجت منتصرة من حروبها مع البابكيين ، لكنها فقدت عزها وهيبتها وجلالها حتى تجرأ الكندي المسيحي على التهكم بالعلماء المسلمين وفي قصر الخليفة المأمون بالذات ملوحاً بانهزام الجيوش العباسية أمام قوى بابك ، بل وتجراً الغلمان الأتراك على الخلفاء أنفسهم فيما بعد وكان نشوء واستقلال الامارات الاقطاعية في الأطراف هو أسلوب تطور الاقطاع ونمو اللامركزية نتيجة فقدان هيبة الخلافة وضعف السلطة المركزية . ولئن تعرضت الخلافة في السابق إلى انتفاضات وإرهابات ، إلا أن جلال السلطان وهيبة الخلافة لم يتعرضا لسوء ، أما من جراء

الانتفاضة البابكية فإن السوء شمل الخلفاء أنفسهم إذ أصبحوا العوبة بيد الأتراك ، الذين أصبحوا ذوي شأن نتيجة شعورهم بأهمية دورهم في القضاء على الانتفاضة . ولحق الضرر بالخلافة ذاتها حيث اقتطعت أجزاء من تلك الامبراطورية الواسعة لتتكون منها إمارات ذات كيانات اقطاعية وراثية مستقلة فعلياً وذات ارتباط ديني بالخلافة (حيث ظل الاعتراف بالخليفة العباسي أميراً للمؤمنين فقط . وكان نشوء هذه الإمارات أسلوباً لتطور الاقطاع ونمو اللامركزية) .

تناول موضوع الانتفاضة مؤرخو العصور الوسطى بأسلوب يتفاوت بين خفة التهجم عليها وحدته سواء من أدركها منهم أو من تلاهم ، وغالبيتهم تعرضوا لها بايجاز عدا الطبري ومن نقل عنه كابن الأثير وقد اختلفوا في الجوانب التي تطرقوا إليها فبعضهم تكلم عن الفعاليات الحربية وآخرون عن حياة بابك وغيرهم عن نشاط الحرمية وجلهم تطرقوا إلى موضوع الانتفاضة عرضاً إلا واقد بن عمرو التميمي الذي ألف كتاباً - كما يخبرنا ابن النديم^(١) - عن حياة بابك ، لكن هذا الكتاب لم يصل إلينا مع الأسف . ولقد تميزت كتابات مؤرخي العصور الوسطى بالطابع المعادي للانتفاضة لأن المؤرخين كانوا يكتبون ما يلائم أذواق الحكام والأمراء وذوي اليسار من الناس ، وهؤلاء هم الذين يكرمون الكتاب على مؤلفاتهم ، وكان لخوف المؤرخين من السلطة ولانحدارهم الطبقي ولعدم تعرفهم على الأساس الحقيقي لانتفاضات الجماهير - وذلك منتظر من مؤرخي تلك الحقبة - ولسيطرة الأوهام وتضليلات السلطة اقطاعية ، كان لكل ذلك أثر في موقفهم المعادي من الانتفاضات فكانوا يهتمونها بشتى النعوت والصفات الكريهة ويلحقون بها تهماً وأباطيل لكي يبرروا قساوة السلطة عند التنكيل والبطش والافناء بجماهير الشعب المنتفضة . وأقوى حجة دامغة وأكبر ذريعة تتخذ لستر الأعمال الوحشية ، هي اتهام المنتفضين بمقاومة الدين الإسلامي والعنصر العربي والأخلاق الفاضلة .

والعلماء البرجوازيون الحاذقون الحاقدون على الانتفاضات الجماهيرية كرروا اتهامات مؤرخي العصور الوسطى رغم ادراكهم أن تلك الروايات الضعيفة مدسوسة وهم يبرقعون نواياهم ببهجة علمية براقعة وذلك باستخدام أسانيد مؤرخي القرون الوسطى المعادية ، فتراهم يرددون فرية الاباحة ومشاعية الزوجات والليالي الماجنة وأطلقوا عليها الشيوعية (كذا) .

والملاحظ أنهم لا يهتمون بحال الشعوب وما تلاقيه من تعسف واستغلال فعندما يبحثون مواضيع الجزية والخراج والضرائب الأخرى يوجهون جل اهتمامهم إلى مسميات الضرائب وكميتها وتاريخ وضعها وتطورها ومقاديرها العامة والخاصة . ولكن ما هو تأثيرها في حياة الناس ؟ هل كانت مذلة مهينة ومرهقة ؟ . لقد قام المستشرقون الغربيون بأعمال عظيمة في إحياء المخطوطات العربية ونشرها وبذلوا جهوداً جبارة ، ولكن مع تلك الأعمال الجسيمة كانت تتسرب مفاهيم وآراء العلماء البرجوازيين في معاداة الحركات الجماهيرية ، ولقد بهرت أسماء لامعة مثل تولدكه وفلوكل وكريم وموللر وميور وغيرهم ، أنفاس بعض المؤلفين السوفييات فوقعوا في شباكه نتيجة اعتمادهم في دراساتهم على مؤلفات هؤلاء العلماء ، ولربما كان لجهل البعض منهم اللغة العربية عذر في اجترارهم للتهم التي استخلصها المستشرقون الغربيون من بعض مصادر القرون الوسطى ، ولا يخفى أن المصادر السننية وخاصة الحنبلية هي أشد المصادر عداء للفرق والمذاهب الإسلامية وغير الإسلامية على أساس أن السلطة كانت دائماً تحتضن المذهب السني بينما مصادر المعتزلة والخوارج والشيعة والاسماعيلية تعتبر مصادر فرق مناهضة للسلطة .

لقد دأب الكتاب الإيرانيون خطأ على اعتبار بابك ثائراً قومياً إيرانياً نادى بتحرير إيران وتخليصها من نير الاستعباد الأجنبي على أساس أن آذربيجان مقاطعة إيرانية وإن بابك والخرمية إيرانيون صرف^(٢) . وخير ما تلاحظ هذه الآراء لدى صديقي^(٣) وخليلي^(٤) ونفيسي^(٥) . وفات هؤلاء أن بابك عراقي الأصل (والده من المدائن) ومولده ومنشأه في آذربيجان (أمه آذربيجانية) والخرمية من أجناس مختلفة كالإيرانيين والديلمة والآذربيجانيين ومن غيرهم .

لم يعن - مع الأسف - بأمر هذه الانتفاضة المهمة عناية جديرة بحقها ، فليس هناك كتاب مخصص لها (وما عدا كتاب حياة بابك الذي ألفه واقد والذي لم يصل إلينا وما عدا كتيب صغير ألفه تومارا^(٦) ونبذة مختصرة في كتيب صغير ألفه يامبولسكي^(٧) ، وإنما هنالك أبحاث عرضية في بطون المصادر والمراجع والموسوعات وفي المجلات ، وإذا استثنينا جوزي^(٨) وتومارا ويامبولسكي وبونياتوف^(٩) ، فإن أكثر البحوث والمقالات خالية من التحليل العلمي النزيه ويكثر فيها التشويه ومسح الحقائق

وتنطلق من وجهة نظر معادية . فالأجل إكمال الصورة الحقيقية لواقع الانتفاضة ، بقدر ما هو متيسر من المصادر والمراجع ، وضعنا نصب أعيننا دراسة الانتفاضة وحياة قائدها من جوانب مختلفة بأسلوب علمي من وجهة نظر عربية لتضاف إلى أبحاث من وجهات نظر مختلفة ولا يمكن أن تكون هذه الدراسة كاملة ما لم يعثر على كتاب واقد بن عمرو التميمي وما يعثر عليه في المستقبل من مصادر تعود للمتفضين أو المعبرة عن وجهة نظرهم أو القربية إليهم^(١) .

إن أهم القضايا التي عاجلها البحث هي التالية :

١ - ما علاقة (البابكية) الخرمية بالمزدكية ؟ وهل هناك أهداف لدى المنتفضين لاعادة المجد الكسروي والديانة الزرادشتية ؟ أم أن الخرمية غطاء ايديولوجي لمعارضة الفلاحين الثورية ضد الاستغلال الاقطاعي في القرون الوسطى ؟ هل للقضية علاقة بمعالجة الأراضي ؟

٢ - هل للعوامل الاقتصادية من أثر في سوء معاملة العرب لأهل البلدان المفتوحة (أهل الذمة ، الموالي) واحتتار السلطة والارستقراطية العربية للشعوب المغلوبة ؟ وهل الشعوبية - بطابعها التقدمي في العصر الأموي حينما نادى الجماهير بالمساواة بين الشعوب ، وبطابعها الرجعي حينما تبنتها الارستقراطية الايرانية لتحقير شأن العرب القدماى بدافع من تعارض مصالحها مع مصالح الارستقراطية العربية حول النفوذ ، هل كانت الشعوبية رد فعل لتلك المعاملة ؟

٣ - ما علاقة احترام مركز المرأة الذي نادى به المزدكيون ومن ثم الخرميون بالإباحة والمجون والاستهتار ؟

٤ - مدى تطبيق البابكيين للأهداف التي سعى إليها الخرميون ؟ .

كانت الانتفاضة واحدة من أعظم انتفاضات الفلاحين الجماهيرية ، ولئن ساهمت فيها فئات أخرى مختلفة ، لأسباب تتعلق بها وبمجموع وضع الانتفاضة فإن ذلك لم يغير من طبيعتها كنضال طبقي ضد الاستغلال الاقطاعي وما يرتبط به من تسلط حكومي ، لأن غالبية المنتفضين هم من الفلاحين المرهقين بأوزار الاستغلال الاقطاعي والجور الحكومي معاً وقد رفعوا راية النضال بوجه السلطة والاقطاع معاً هادفين التحرر من ربقة عبودية الخنوع الاقطاعي والاستغلال الوحشي ومن الضرائب الجائرة واتخذوا تعاليم

الخرمية الدينية (التي هي فرقة دينية متطورة عن المزدكية في العهد الإسلامي) غطاء أيديولوجيا وسلاحاً فكرياً لانتفاضةهم الاقتصادية الاجتماعية بوجه الاقطاع والسلطة الممثلة لمصالحه فهي وان اتخذت الإطار الديني شكلاً لمعارضتها الثورية إلا أنها في مضمونها انتفاضة اقتصادية اجتماعية (من حيث الأهداف التي سعت إليها والقاعدة التي اعتمدت عليها) . وإن نكران طابعها الطبقي وتصوير مضمونها بالعنصرية والطائفية^(١١) والقومية^(١٢) يتناقض وأهدافها في التحرر من الجور الاقطاعي وفي تحسين أحوال المساهمين فيها معاشيا وفي احترام مركز المرأة المتدني . إن فرية إعادة المجد الساساني والدين الزرادشتي أريد بها إثارة المسلمين على المعدمين المنتفضين ولتشويه حقيقة الانتفاضة القائمة لأسباب اقتصادية واجتماعية والمعارضة أهدافها مع مصالح الارستقراطية الاقطاعية والسلطة . واليوم يحلو للكتاب البرجوازيين تكرار تلك المعزوفة لاختفاء طابع الانتفاضة الطبقي . ولكن جل الجهد المبذول يتلاشى أمام الحقائق الناصعة التي تبرز بين طيات المصادر لتعلن عن التعسف والجور والاستغلال .

لما كانت البابكية قد اتخذت تعاليم الخرمية إطاراً أيديولوجياً لنضالها فقد تحتمت الضرورة لدراسة القضايا الفلسفية والدينية لمعرفة تطور البابكية الخرمية عن المزدكية ، والإطلاع على الديانة الايرانية وما نجم عنها من حركات وفرق دينية مناهضة كالمناوية والمزدكية ، ولتمييز الزندقة عن الخرمية ، هذا بالإضافة إلى دراسة القضايا الاقتصادية لمعرفة تطور أساليب الانتاج وتأثيرها في تغيير العلاقات الاجتماعية ما ينجم عنها من أزمات وأثرها في التطور التاريخي للحركات الفكرية والاجتماعية . ومن الطبيعي أن الدراسات الماركسية-اللينينية التي قامت على التحليل العلمي الدقيق لحوادث التاريخ ، واستخلصت نتائج باهرة في تحديد الطابع الطبقي في النضال المستمر بين المستغلين والمستغلين في كل العهود وأوضحت الأشكال التي اتخذتها المعارضة الثورية ضد الإقطاع في القرون الوسطى والغطاء الأيديولوجي للحركات المناهضة . إن هذه الدراسات تعطي إمكانية جيدة لتفهم العلاقات الاجتماعية بصورة صحيحة وترشد إلى طبيعة التطور التاريخي وعمله الحقيقية وإلى تحديد طابع كل حركة أو انتفاضة أو ثورة كما وتفتح آفاقاً واسعة لتحليل الحوادث تحليلاً علمياً .

الفصل الأول

تحليل المصادر والمراجع
المبادئ الأيديولوجية
والحركة البائكية

لم ينصرف البحث إلى دراسة الفعاليات الحربية للانتفاضة فقط ، وإنما توسعت الدراسة لتشمل الظروف الاقتصادية والاجتماعية لجميع المساهمين في تلك الانتفاضة لمعرفة الدوافع الحقيقية ولما كانت الخرمية فرقة متطورة عن المزدكية تحتم دراسة المزدكية والمجتمع الذي نشأت فيه والديانة الزرادشتية التي ناهضتها المزدكية . لهذا امتد البحث من القرن الثاني الميلادي إلى القرن التاسع الميلادي ثم نظرة سريعة على القرون الثلاثة التي أعقبت نهاية الانتفاضة .

ودراسة هذه الحقبة الطويلة بمواضيعها المختلفة أوجبت ضرورة الاطلاع على مختلف أنواع المصادر التاريخية والدينية والفلسفية والاقتصادية . ولما كانت آذربيجان وأرمينيا قد احتلتا من قبل الرومان - البيزنطيين والساسانيين ومن ثم من قبل العرب فقد دخل تاريخ شعوب هذه البلدان ضمن تاريخ تلك الدول^(١٣) فكان علينا أن ندرس تاريخ الحروب الرومانية البيزنطية - الساسانية والفتوحات الإسلامية . ولما كانت مصادر ومراجع البحث كثيرة ومتشعبة فإننا سنقتصر الكلام على تلك التي عنت بأمور الانتفاضة مشيرين أحياناً إلى غيرها .

لا يخفى أن آذربيجان منقسمة إلى شمالية وجنوبية وأن الكلام إذ يدور الآن حول آذربيجان بصورة عامة فعند البحث لوحظت الأماكن حسب تقسيماتها الادارية بدقة .

لم تقتصر ميادين الانتفاضة على آذربيجان لوحدها بل امتدت رقعتها إلى الأجزاء الشرقية من أرمينيا وإلى الشمال الغربي من إيران لهذا كان من الضروري الاطلاع بقدر المستطاع على المصادر الايرانية والارمنية والسريانية لعمل موازنة بينها وبين المصادر الاسلامية وإن كانت لا تختلف عنها بطابعها المعادي للانتفاضة . مما لا يخفى

على أحد أن أقرب المصادر العربية إلى سلطة الخلافة هي المصادر السنية وهي المعبرة عن لسانها في أغلب الأحيان وأشد المؤرخين السنيين تعصباً ضد الفرق المناهضة هم الحنابلة أما مصادر الفرق الأخرى فأقل غلوا في تعصبها ضد المنتفضين على السلطة . وإذا خفف المؤرخ السني من حدة تهجمه على المنتفضين اتهم بالمروق عن فرقته .

كانت فترة الانتفاضة الطويلة مليئة بالحوادث الجسام والحروب المفزعة ولقد صور الشعراء تلك الأحداث والأماكن والأشخاص بروائع من الصور الشعرية الفنية ، ولئن كان الشعراء متملقين متزلقين للسلطة وإلى الحكام والقواد وصوروا الحوادث والانتصارات من وجهة نظر السلطة الحاكمة فإن تلك الأشعار التي تمتلئ بها دواوين الشعراء مليئة بأسماء الجبال والوديان والمعارك المهمة ولهذا درسنا دواوين الشعراء أبي تمام حبيب بن أوس الطائي^(١٤) ، والبحتري أبي عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى^(١٥) ، وعلي بن الجهم^(١٦) وغيرهم بالإضافة إلى مطالعة ديوان الحماسة^(١٧) فيما يخص الأشعار المتعلقة بانتفاضات أخرى ومطالعة كتب أدبية أخرى كالبيان والتبيين للجاحظ^(١٨) والكامل للمبرد^(١٩) والعقد الفريد لابن عبد ربه^(٢٠) والأغانى لأبي الفرج الأصبهاني^(٢١) ، وما تزرخ به بطون المصادر التاريخية المختلفة وقد جمعنا القصائد في ملحق الحقناه في آخر البحث .

تنقسم مصادر البحث إلى عربية وفارسية وأرمنية وسريانية . والعربية هي التي كتبت باللغة العربية سواء كان المؤرخون عرباً أم سواهم ، وأما الفارسية والأرمنية والسريانية فهي التي كتبت بلغات أهلها . ولما كان مؤرخو القرون الوسطى لا يعنون بالتاريخ لذاته ولما كانوا يلمون بمعارف عديدة - على الأغلب - فإنهم كانوا يحشرون مواضيع مختلفة مع المواد التاريخية كالفقه والأدب والفلسفة والفلك والتنجيم ، لهذا قلما تخلو المصادر من التنوع وهذا ما يخلق الصعوبة أحياناً في تحديد المصادر بالنسبة إلى موضوعاتها .

أ- المصادر العربية: وبصورة عامة يمكن تصنيفها إلى تاريخية ودينية وأدبية وجغرافية . والمصادر التاريخية هي التي تعنى بصورة أكثر بالحوادث التاريخية وأهم مؤرخي هذه المصادر حسب تسلسلهم الزمني :

ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، المعروف بابن

قتيبة ، ولد في عنفوان الانتفاضة البابكية (في عام ٢١٣ هـ أو ٢١٥ هـ / ٨٨٩ م) وهو إيراني الأصل مؤرخ وأديب ولكنه يعنى بالقضايا الأدبية أكثر من اهتمامه بالحوادث . ولهذا فإنه لم يرتب كتابه عيون الأخبار^(٢٢) على تسلسل الحوادث أما بقية كتبه كالمعارف^(٢٣) وأدب الكاتب^(٢٤) وأنساب العرب في كتاب المغرب وملوك الشام والحيرة^(٢٥) والشعر والشعراء^(٢٦) فتطغى عليها القضايا الأدبية ، وأما كتاب الإمامة والسياسة المنسوب إليه فمشكوك بأمرة وله كتاب «فضل العرب»^(٢٧) غير مطبوع أوضح فيه رده على الشعوبية وأنكر دعواهم للمساواة بين الشعوب واحتقرهم رغم إيرانيته ولربما لتوليه قضاء الدينور أثر في ذلك ثم عدل عن رأيه واعتبر جميع الشعوب متساوية .

البلاذري ، أبو العباس ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود توفي عام ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م وأصله على الأغلب من إيران مؤرخ البلاط العباسي كان يعتمد الدقة في اسناد الرواية ، وكتابه فتوح البلدان^(٢٨) ، لم يسر فيه وفق تسلسل الحوادث وإنما قسمه حسب البلدان والمقاطعات ، وهو حافل بتاريخ الفتوحات الإسلامية وصيغ الأمان ومقادير الضرائب ويتطرق إلى الخراج ويعدد الاقطاعات التي اقطعت في عهود مختلفة (كما في الصفحات ٣٤٦ - ٣٨٤) ويتكلم عن نزوح القبائل العربية واستيطانها في الأماكن الجديدة . ومع أنه من أقرب الناس عهداً إلى الانتفاضة حيث كانت في أيام شبابه فإنه لم يكتب عنها إلا تلميحاً . أما كتابه أنساب الاشراف^(٢٩) ، فاستفادتنا منه بالنسبة للانتفاضة محدودة .

الدينوري ، أبو حنيفة ، أحمد بن داود . (توفي عام ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) ختم الدينوري كتابه الأخبار الطوال^(٣٠) بوفاة الخليفة العباسي المعتصم ومع ذلك فإن الحوادث المذكورة عن الانتفاضة البابكية رغم الاخطاء والاختلافات فإنها مقتضبة وقليلة التحامل على قائد الانتفاضة وجماعته .

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الاخباري . (متوفى بعد ٢٩٢ هـ) . ألف كتابه التاريخ^(٣١) على التسلسل الزمني ويقول ليسترنج بان اليعقوبي انهى كتابه التاريخ في سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٤ م^(٣٢) وتنتهي حوادثه - كما أشار بونيياتوف - بسنوات ٨٧٢ - ٨٧٣ م^(٣٣) . وكتاب التاريخ اهتم

بالفتوح والضرائب وانتفاضات الشعوب ويحتوي على تفاصيل جديدة ومهمة عن ولاية
وعمال البريد والخراج في ارمينيا وأذربيجان وفيه ذكر عن حوادث الانتفاضة باقتضاب
وكمؤرخ شيعي لا يتحامل بشدة على معارضي السلطة . امتازت كتاباته بخفة تهجمها
على الانتفاضة وعلى بابك .

الطبري ، أبو جعفر ، محمد بن جرير بن زيد بن خالد بن كثير الأملي الأصل
(من طبرستان في شمال إيران) ولد بآمل أثناء الانتفاضة المازيارية وبعد سقوط البذ
مركز الانتفاضة البابكية بعامين (حيث ولد في عام ٢٢٤ هـ) وتوفي في عام ٣١٠
هـ^(٢٤) ويعتبر بعد أبي حنيفة الدينوري من أقل المؤرخين السنيين تحاملاً على بابك
ويمتاز كتابه ، تاريخ الرسل والملوك^(٢٥) الذي ألفه على السنين ، بكثرة تفاصيل حوادث
فعاليات الانتفاضة ولا سيما في أعوامها الأخيرة وهذا ما تنتقص إليه المصادر الأخرى
المعاصرة لتاريخ الطبري . لكن الطبري لم يهتم بالسنوات السابقة لمجيء بابك كما
وأنه غير دقيق في اختيار رواياته إذ يحشر الشيء ونقيضه ويأتي بالغث والسمين
ولكن رغم ذلك فإن بين طيات صفحات تأريخه الكثير من المعلومات المفيدة لا عن
تاريخ الانتفاضة البابكية والانتفاضات الخرمية فحسب بل وحتى تاريخ إيران في عهد
الأكاسرة وذلك لمعرفته اللغة الفارسية ومطالعة الخدائي^(٢٦) الذي ترجمه ابن المقفع
عن الفارسية ، وغيرها من الكتب المترجمة ، والطبري فقيه وأديب ومحدث ومؤرخ
وتلمس أثر ذلك في مؤلفاته المختلفة . (بدلاً عن الخدائي نامه كتب الباحث الهندي
خدابخش - الحضارة الإسلامية - ص ١٧٧ - ٨) خطأ : الشاهنامه .

المسعودي ، أبو الحسن ، علي بن الحسين بن علي الهذلي البغدادي متوفى ٣٤٦
هـ/ وكتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر^(٢٧) ذو أهمية تاريخية من ناحية أنه كان
يقرن الحوادث التاريخية بمشاهداته الشخصية وإن كان يصدق كل ما يسمع . وقد زار
مناطق الخرمية وشاهد طوائفهم وكتب ما شاء له خياله أن يكتب . أما الحوادث
التاريخية فإنه قلما يعنى بتدقيقها وكتبه في الحقيقة خليط بين الجغرافية والتاريخ
والأدب والأساطير كما في التنبيه والإشراف^(٢٨) وأخبار الزمان^(٢٩) . وفي كتابه مروج
الذهب أخبار وافية عن أسر بابك وجلبه إلى سامراء وإعدامه إلا أن طابع الارتباك
واضح عليها كما وأنها تخلو من التحامل على الانتفاضة وقائدها . ولا أعلم سر

إعجاب خدابخش الهندي بالمسعودي حتى اعتبره أعظم من الدينوري والبلاذري والطبري^(٤٠).

الأصبهاني ، أبو عبد الله ، حمزة بن الحسن ، إيراني متعصب ضد العرب ، ولد حوالي ٢٧٠ هـ وتوفي حوالي ٣٦٠ هـ صاحب كتاب تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء^(٤١) ، يعتقد محفوظ ، حسين علي ، أن هذه التسمية ناقصة ويجب أن تكون (تواريخ سني ملوك الأرض والأنبياء أولي الأمر)^(٤٢) . وقد أخطأ سمينوف -Simo NOV في تسمية الكتاب (في كتابته بالروسية)^(٤٣) . وكتاب تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء على صغره واختصاره له أهميته ، كما لاحظ لويس^(٤٤) ، لأن مؤلفه أطلع على مصادر إيرانية كثيرة وخاصة حول تاريخ الساسانيين .

ابن النديم ، أبو الفرج ، محمد بن اسحق الوراق البغدادي . ويعرف أيضاً بابن أبي يعقوب النديم ، توفي ٢٨٥ هـ / ٩٩٥ م . ويعتبر كتابه الفهرست^(٤٥) موسوعة علمية عني بكل أبواب المعرفة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي تكلم فيه عن لغات العالم المعروفة في زمانه وأسلوب كتابتها وعن الشرائع والنحو والأدب ويسمي كل باب مقالة وتنقسم هذه الأبواب إلى ٣٢ فرعاً ويسمي كل فرع فنا وقد احتوى هذا الكتاب على دراسات - وان لم تكن كاملة ومنظمة ودقيقة - مفيدة لا يمكن الاستغناء عنها . لقد خصص ابن النديم الباب التاسع للمذاهب والمعتقدات وفي الفرع الأول من هذا الباب تكلم عن المانوية والمزدكية والخرمية وعن بابك . لكن ابن النديم خلط بين المزدكية والخرمية حيث سمى المزدكية بالخرمية الأولى . وقد اعتمد قسم من المؤرخين والباحثين على كتابات ابن النديم كثيراً ويعتبر العالم الألماني فلوكل^(٤٦) أول من استخدم أقوال ابن النديم . لقد كتب ابن النديم عن حياة بابك منذ مولده حتى توليه قيادة الفرقة الخرمية وختمها بحفل زواج بابك من أرملة القائد السابق جاويدان ، أما بعد ذلك فقد لزم ابن النديم الصمت والسبب كما يبدو أنه اعتمد فقط على مصدر واحد (نسبه إلى واقد بن عمرو التميمي) ربما تنتهي معلوماته إلى هذا الحد . ورغم تحامل واقد فإن الرواية غنية بأحداث قلما تطرق إليها الآخرون وقد رسمت صورة لحالة الخرمية قبل تولي بابك قيادتها . انتهت حياة ابن النديم في نهاية القرن الرابع وقد اعتبرنا كتابات مؤرخي القرنين الثالث والرابع الهجري أهم المصادر لأنها أقرب

عهداً إلى حوادث الانتفاضة وهناك مصادر مهمة كثيرة رجعنا إليها تعود إلى أزمان متأخرة من أجل ضبط التواريخ والأسماء والمواقع وقد استفدنا كثيراً من كتاب العيون والحدائق وهو لمؤلف مجهول^(٤٧) ورغم صغره واختصاره (طبعت فصول منه ولا تزال الفصول الباقية غير مطبوعة) فهو يحتوي على معلومات دقيقة ، كما وأن كتاب الكامل في التاريخ^(٤٨) لابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري (١١٦٠ - ١٢٣٣م) غني بتفاصيل حوادث الانتفاضة وهو وإن اعتمد على سابقه إلا أن لديه تفاصيل إضافية عن الحوادث وعن أسر بابك ومحاكمة الافشين لم تكن موجودة لدى من سبقه من المؤرخين .

أما المصادر الدينية وهي التي تعنى بالأمور الفقهية والمالية والفرق الدينية فهي مهمة من ناحية دراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وإن كانت غير معبرة بصورة دقيقة عن واقع الحال لأن السلطة ما كانت تتقيد بما يفترضه رجال الدين وكان الفقهاء مختلفين حسب مذاهبهم ويحاولون التوفيق بين النصوص وبين رغبات السلطان ورغم ذلك فقد زدتنا كتبهم بمواد غزيرة عن الضرائب وكمياتها وأنواعها وعن الخراج والاقطاع ومعاملة أهل الذمة . لقد وجه ليون كيتاني Leone Ceatani^(٤٩) وبيكر G.H.Becker^(٥٠) وولهاوزن J.Wellhausen^(٥١) نقدهم الشديد إلى فقهاء المسلمين واعتبروهم مزورين لواقع الحال . وقد استنكر دننت تهجم هؤلاء على الفقهاء ويرى بأن الفقهاء والمؤرخين المسلمين كانوا يبذلون الجهد في محاولة رسم ما كان جارياً بالفعل في الولايات المختلفة^(٥٢) ، ويرى لوكيكارد بأنه لا يمكن أن يؤخذ بصورة موثوقة بأن السياسة التطبيقية قد اتبعت جداول الفقه بالتفصيل^(٥٣) . أهم المصادر الدينية التي تعنى بالأمور المالية هي . - كتاب الخراج^(٥٤) للقاضي أبي يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (١١٣ هـ / ٧٣١ م - ١٨٢ هـ - ٧٩٨ م) ، وكتاب الخراج^(٥٥) ليحيى بن ادم بن سليمان القرشي الأموي بالولاء (متوفى ٢٠٣) ، وكتاب الأموال^(٥٦) للقاسم بن سلام ، أبو عبيد (١٥٤ هـ - ٢٢٤ هـ) ، واختلاف الفقهاء^(٥٧) للطبري ، والأحكام السلطانية^(٥٨) للماوردي ، أبو الحسن ، علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م) ، وأما الكتب الدينية التي تعنى باختلاف الفرق الإسلامية وغيرها - وهذه مهمة بالنسبة لدراسة تاريخ الفرق الخرمية من ناحية منشئها وتطورها وأهم كتب الفقهاء والمتكلمين

التي تبحث في الفرق - هي مقالات المسلمين^(٥٩) للاشعري ، أبو الحسن ، علي بن اسماعيل ، (٢٦٠ هـ / ٨٧٤ م - ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م) ، وكتاب التنبيه والرد^(٦٠) للملطي ، أبو الحسين محمد بن أحمد (متوفى ٣٧٧ هـ / ٨٨٩ م) ، وكتاب الفرق بين الفرق^(٦١) للبغدادي ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله (متوفى ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) وهو من متكلمي الأشعرية وقد اعتمد على الأشعري كثيراً ويذكره دائماً بـ قال أستاذنا الجليل أبو الحسن... والبغدادي قليل العناية بتدقيق الحوادث والأماكن والأسماء وكتابه مفعم بالشتائم والردود المقذعة على الخرمية وبابك ولقد صدق الرازي ، فخر الدين إذ قال عنه إنه شديد التعصب على المخالفين ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح^(٦٢) . فإذا كان هذا حاله مع الفرق الإسلامية فكيف يا ترى يكون موقفه مع غيرها ؟ . لقد حشا كتابه بتهم وأباطيل ضد البابكية وهو الذي ابتدع رواية « الليلة الماجنة التي يطفئ فيها الخرميون النور ويتزنون النساء (كذا) » وظلت تتكرر هذه الفرية بعده . ولا يختلف عنه كثيراً الاسفراييني أبو المظفر ، محمد بن طاهر ، صاحب كتاب التبصير بالدين وتمييز الفرقة الناجية من فرق الهالكين^(٦٣) . ومن الكتب المهمة عن الفرق كتاب الملل والنحل^(٦٤) ، للشهرستاني ، أبو الفتح محمد ، بن عبد الكريم ولد ٤٦٩ هـ / ١٠٧٧ م وتوفي ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م ، وفيه أبحاث غزيرة عن المانوية والمزدكية ، إلا أن الشهرستاني قد أغفل أمر بابك نهائياً ويقول فلوكل إن الجميع كانوا ينتظرون منه أن يكتب عن بابك^(٦٥) ، والشهرستاني أخف لهجة في نقده للفرق من سابقه ومع ذلك فإن الرازي ، فخر الدين يتحفظ في الاعتماد على كتاب الملل والنحل ويقول بأن الشهرستاني كان متحاملاً على الفرق لأنه نقل معلوماته عن البغدادي الذي كان شديد التعصب على المخالفين^(٦٦) . ومن كتب الفرق أيضاً كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين^(٦٧) ، للرازي ، فخر الدين وهو مقتضب جداً . وكتاب تلبيس ابليس^(٦٨) لابن الجوزي ، أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمادي القرشي التيمي البكري ، الحنبلي (٥١٠ هـ - ٥٩٧ هـ) ، ويعتبر كتابه نقد العلم والعلماء أو كما هو مشهور تلبيس ابليس عبارة عن ردود مقذعة عنيفة على أصحاب الفرق والبدع وهو كحنبلي شديد الحقد على الفرق السنية الأخرى فما بالك بغيرها وكتابه يحتوي على حوادث مبتسرة هزيلة مخطوءة .

وأما المصادر الجغرافية فقد عنت بوصف البلدان وطرق المواصلات فيها وأبعاد المسافات بالفرسخ (الفرسخ = ٨ كيلومتر) بين المدن وثروات البلاد والضرائب المستحصلة وأحوال الناس ووصف معاشهم ولغاتهم وأسواقهم وعاداتهم وهي ذات مواضيع نافعة ولكثرتها سنكتفي بذكرها وأهمها كتاب البلدان^(٧٩) لليعقوبي ومختصر كتاب البلدان^(٨٠) لابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ألفه بعد ٩٠٢ م) ، وكتاب المسالك والممالك^(٨١) لابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (متوفى ٩١٣ م) ويمكن اعتبار كتاب الخراج وصناعة الكتابة^(٨٢) لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (متوفى ٣٣٧ هـ) من الكتب الجغرافية أيضاً وقد ألفه حوالي ٩٢٨ م^(٨٣) ، والرسالة الثانية^(٨٤) للخزرجي ، أبو دلف مسعر بن المهلهل ، الذي زار المناطق الشرقية وتحول في أرمينيا وآذربيجان في ٣٠ - ٤٠ القرن العاشر الميلادي وقد لاحظ بأن المحمرة من الخرمية يعقدون أعلامهم على جبل البذ^(٨٥) . في عام ٩٣٣ م كتب الاصطخري ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي كتابه مسالك الممالك^(٨٦) وقد نقله عن صور الأقاليم للبلخي وفي عام ٩٥١ م باشر ابن حوقل محمد العمل في مؤلف الاصطخري وأخرج كتابه المسالك والممالك^(٨٧) ، معتمداً على صور الأقاليم أيضاً . لقد أشرنا في حينه إلى كتب المسعودي التي هي أقرب إلى الجغرافية من التاريخ . وبين أعوام ٩٨٥ - ٩٩٧ م كتب المقدسي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر (ولد ٩٤٦ - وتوفي ١٠٠٠ م) كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم^(٨٨) وأعظم عمل جغرافي قام به الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ولد ٥٧٤/٥٧٥ هـ - ١١٧٩ م وتوفي ٦٢٦ هـ ١٢٢٩ م) حيث لخص معلومات البلاذري والطبري والجغرافيين السابقين وأضاف إليها مشاهداته الشخصية في كتابه معجم البلدان^(٨٩) . أما المصادر الأدبية التي ذكرت سابقاً فقد أفادتنا في عكس جوانب من الانتفاضة وفي دراسة الشعوبية .

ب - المصادر الفارسية: وهي التي كتبت بالفارسية وهذه قليلة ومتأخرة عن عهد الانتفاضة حيث كان القرنان الثالث والرابع عصر المؤلفات العربية وبعدها بدأت الترجمة والتأليف بالفارسية .

وقع بأيدينا مصدران أحدهما (سياست نامه ، أو سير الملوك)^(٩٠) ألف في نهاية

القرن الخامس الهجري (٤٨٥ هـ) والثاني (تاريخ طبرستان)^(٨١) ألف في بداية القرن السابع الهجري (٦١٣ هـ / ١٢١٦ م). ألف كتاب سياست نامه ، وزير السلجوقيين ألب أرسلان وملكشاه ، نظام الملك ، الخواجة أبو علي الحسن بن علي . وقد ترجم زاخودير هذا الكتاب ترجمة جيدة إلى اللغة الروسية^(٨٢) كما وأن هيوبرت دارك - Hu bert Dark قد اعتنى بطباعة السياسة نامه اعتناء جيداً^(٨٣) . يحتوي هذا الكتاب على مواضيع كثيرة خصصت للهراطقة (من الباطنية والخرمية والمزدكية) وتطرق إلى انتفاضات الخرمية ومنها البابكية وقد أشار إلى أن خرمية جرجان رفعوا أعلاماً حمراء (أي محمرة)^(٨٤) في عهد الخليفة المهدي . وقد اتهم الخرمية ، مكرراً أقوال سابقه ، بالمجون والاستهتار وهتك الأعراض . وفائدته تنحصر في ذكر تفاصيل الانتفاضة البابكية التي لم ترد عند الطبري وغيره من مؤرخي القرنين الثالث والرابع . وألف كتاب تاريخ طبرستان ، ابن أسفنديار بهاء الدين محمد بن حسن ، وقد طبع باعتناء عباس اقبال بمجلدين^(٨٥) وترجمه إلى الانكليزية عن نسخة محفوظة بالمتحف البريطاني - براون - Browne^(٨٦) وهو وإن كان من المصادر المتأخرة إلا أنه غني بحوادث طبرستان وخاصة انتفاضة المازيار وخرمية طبرستان ولو أنه يتوسع في خياله حتى تصبح الحوادث التاريخية قصصاً مسلية كما في قصة إفشاء المازيار إلى عبد الله بن طاهر سر مؤامرة الأفشين لتسميم الخليفة المعتصم حيث لعب خيال ابن أسفنديار فيها دوراً واسعاً ، إذ كيف تيسر للمازيار وهو في الأسر أن يعلم باليوم الذي سيقدم فيه الأفشين على الأمر ؟ وكيف يسمى المازيار الواثق والمتوكل وهما لما يسميا بهذين الاسمين بعد ؟ ولم يخف ابن أسفنديار عداؤه للمنتفضين قط .

ج - المصادر الأرمنية والسريانية: نظراً لامتداد رقعة الانتفاضة إلى الجزء الشرقي من أرمينيا ومساهمة قسم من الشعب الأرمني في الانتفاضة كان لزاماً علينا أن ندرس أحوال الشعب الأرمني وتاريخه في العهود السابقة وفي أيام الانتفاضة لمعرفة العوامل والدوافع التي أدت إلى مساهمة الأرمن بتلك الانتفاضة وفي غيرها والمصادر العربية غنية المواد حول أرمينيا وسكانها وخيراتها وولاتها وانتفاضاتها ولكن تلك المصادر تعكس انطباع المؤرخين العرب فقط . أن أهم المصادر الأرمنية التي استخدمت في البحث هي : تاريخ الخلفاء^(٨٧) لمؤلفه كيفوند . فارتابيد (المعلم) والذي عني بعرض

مآسي الشعب الأرمني وما قاساه من اضطهاد وظلم من بين مجمل تاريخ القفقاس منذ ٦٦١ م - ٧٨٨ م فقد وصف حرق الأمراء الأرض في كنيسة ناخجيفان من قبل الأمويين وتلاشي مقاومة أبناء الشعب بعد فقدان الأمراء الإقطاعيين الأرمن حيث وصف حالة الشعب البائس بأنهم أصبحوا كالأنعام المقدمة للذئاب وليس أمامهم إلا أن يلتجئوا بزفراتهم وآهاتهم إلى السماء (ص ٢٣ - ٢٤) . لقد أمدنا كيفوند بمعلومات عن فداحة الضرائب وحرق المدن وعن الانتفاضات في العهد الأموي وأوائل العهد العباسي . ويعتبر تاريخ أغوان^(٨٨) لمولفه كاكناكاتفاتسي ، موسيا من المصادر المهمة لا عن تاريخ أرمينيا فحسب ولكن عن القفقاس برمته ولا سيما القسم الثالث منه ويعطي هذا القسم معلومات طيبة عن بابك (أو بابان أو باب - كما تسميه المصادر الأرمنية) والحروب العديدة التي خاضها وكان يطلق عليه صفة الوحش والقاتل وجميع الصفات التي تنم عن عدائه لبابك ولجماعته وقد بين الصلات التي توطدت بين بابك وفاساك أمير سونيك وعن زواج بابك بابنة فاساك بعد وفاته وكان يعتبر بابك إيرانيا كأغلب المؤرخين الأرمن ، وقد أعطى تفصيلات عن سهل بن سنباط وعلاقته ببابك . وعلى قلة المعلومات التي يعطيها فاردان في كتابه التاريخ العام^(٨٩) فإنه لا يخفي حقه على بابك واتهمه بأنه ادعى الخلود وتصور بأنه إيراني من بغداد . وأما المؤرخ ميخائيل السرياني^(٩٠) ، والذي تحدث عن غزو بابك لأراضي أرمينيا ، فإنه يطلق على بابك ، كما يطلق عليه الأرمن لقب المهدي ، ولا بد وأن هذه التسمية تلتقي بصورة ما مع الفرضية الخاطئة التي أطلقها أبو حنيفة الدينوري من أن أصل بابك يعود إلى أبي مسلم ، وتنسج الروايات في الخيال على أن أحد أحفاد أبي مسلم سيكون المهدي المنتظر والذي سيأخذ بثأر جده . وتحت تأثير هذه الرواية وقع ولا بد المؤرخون الأرمن وميخائيل السرياني ، والمعلومات التي يعطيها ميخائيل عن غزو بابك لأراضي أرمينيا غير موضحة وإنما تتكلم بصورة عامة .

المراجع:

قدمت الدراسات الماركسية اللينينية الكلاسيكية ، التي قامت على أسس علمية وتحليل دقيقة لتاريخ البشرية ، استنتاجات عظيمة تسلط أضواء كاشفة على أحداث

الماضي وتنير السبيل للتوصل إلى حلول سليمة . وفي دراسة ينتظر منها أن تكون شاملة لانتفاضة فلاحية في القرون الوسطى لا غنى لها عن تلك الأبحاث الأصلية في دراسة التطور التاريخي للبشرية .

وكم كان هادياً لنا في دراسة مشكلة التملك الإقطاعي للأرض ، ذلك التحليل الرائع الذي دبحه انكلز ، ف . في رسالته التي بعث بها إلى رفيقه ماركس ، ك . (حزيران ١٨٥٣ م)^(٩١) يقول : « إن انعدام الملكية الخاصة للأرض يصبح مفتاحاً لفهم الشرق بأجمعه . وفي هذا يكمن أساس تاريخه السياسي والديني كله . ولكن لماذا لم تصل شعوب الشرق إلى مرحلة التملك الخاص للأرض بل ولا إلى التملك الإقطاعي ؟ يخيل إلي أن ذلك يفسر بشكل أساسي بالمناخ وبطبيعة الأرض وبصورة خاصة في منطقة الصحراء الكبرى التي تمتد من الصحارى عبر بلاد العرب ، الفرس ، الهند ، التتر حتى أعالي الجبال الآسيوية . إن الشرط الأول للزراعة هنا هو طريقة الارواء الصناعية وهو أما أن تقوم به الجماعة أو المحافظة أو الحكومة المركزية »^(٩٢) . وهذا ما أكدته ماركس ، ك . في بحثه الممتاز عن التملك البريطاني في الهند بقوله : « إن الظروف المناخية وطبيعة السطح... جعلت نظام الارواء الاصطناعي بالقنوات ومنشآت الري أساساً للزراعة في الشرق »^(٩٣) .

لماذا اتخذ البابكيون تعاليم الخرمية إطاراً أيديولوجياً لنضالهم ؟ هذا السؤال قد عثرنا على جوابه في مقولة انكلز في كتابه « الحرب الفلاحية في ألمانيا » ، والذي كان خير معين لنا في تفهم مشاكل فلاحى الشرق . يقول انكلز ، ف . « اتخذت المعارضة الثورية للاقطاع في القرون الوسطى أشكالاً مختلفة طبقاً لظروفها الزمنية ، بشكل متدينين ، بشكل هرطقة مكشوفة ، وبشكل انتفاضة مسلحة »^(٩٤) . لما كان الظلم والاستغلال والإرهاق مستمراً فلماذا كان الفلاحون لا ينتفضون دائماً ؟ ولماذا لا ينضمون بأجمعهم للانتفاضات ؟ هذان السؤالان المعقدان والذان توقف عليهما مصير الانتفاضة البابكية وجدنا تفسيرهما في مقولة انكلز ، ف . حيث أرجع احجام الفلاحين عن الانتفاضات إلى ما تغودوه من خنوع لأجيال عدة... الخ^(٩٥) .

في المراجع التي اتبعت الأسلوب العلمي في مناقشتها للأحداث التاريخية مواد غزيرة عن تاريخ ايران والقفقاس كأبحاث بيكولفسكايا في كتابها « مدن ايران في

مستهل القرون الوسطى»^(٩٦) ، وكتابها (بيزنطية وايران على مشارف القرن السادس والسابع)^(٩٧) ، ومقالها في كتاب تاريخ ايران من الأزمان القديمة إلى نهاية القرن الثامن عشر»^(٩٨) ، وإن كنا لا تتفق مع بعض آرائها ، والتي لا يتسع المجال لذكرها هنا ، حيث ادرجت في البحث ، فإن كتاباتها عن تاريخ ايران قبل الإسلام تتسم بالأصالة والجديّة ، ولا شك أن معالجة دياكانوف لمشكلة المرأة الايرانية والحركة المزدكية في كتابه (مختصر تاريخ ايران القديم)^(٩٩) قد أظهرت مبلغ العناية التي بذلها في مراجعة مختلف المصادر والمراجع والنصوص المهمة . ومن المواضيع التي اعتمدنا دراستها عن الحركة المزدكية مقال سمينوف ، ا . ا . في « مجلة مسائل التاريخ والدين والإلحاد »^(١٠٠) عن المزدكية وهو مقال ممتع رغم أن سمينوف يسمي الخرمية بالمزدكية الجديدة وهذه التسمية تجدها في كتاب « تاريخ القرون الوسطى »^(١٠١) أيضاً . وعلى الرغم من أن كتاب ايفانوف مختصر فإنه يحتوي بين دفتيه على حوادث متسلسلة تتسم بالتركيز والتحليل العلمي الدقيق ، وقد أفادنا بآرائه لا عن تاريخ ايران ما قبل الإسلام فحسب ، بل وحتى في دراسة الانتفاضات التي قامت في العهود الإسلامية ومنها الخرمية والبابكية . فقد حلل ببراعة سبب فشل الحركة المزدكية (أن الحركة المزدكية أضعفت بطروفها ، لأنها لم تستطع أن تعارض بنظام اجتماعي ، ذلك الذي ناهضته ، كائناً ما كان تقدماً ، وشملت فقط قسماً من السكان الكادحين - خاصة من أصل فارسي - مع ذلك هذه الحركة عزلت نفسها عن الحلفاء - جماهير الشعوب غير الايرانية المظلومة »^(١٠٢) . وقد لاحظ ايفانوف^(١٠٣) بصواب أن نجاح الخلافة في حروبها قد أعان الاقطاعيين على خيانة بابك ، هؤلاء الذين انضموا في البداية إلى المنتفضين^(١٠٤) .

ولا تخلو أعمال وأبحاث العلامة بارتولد والباحث كريمسكي والاستاذ الراحل بيلاييف ، وهي غزيرة ، من فوائد اعانتنا على تفهم أحوال شعوب ايران واذربيجان وارمينيا في العهد الإسلامي ، فقد لاحظ بيلاييف أن الانتفاضة المنظمة تحت شعارات الفرق الخرمية الدينية نشدت المساواة الاجتماعية وتعميم الملكية^(١٠٥) . ولا يقل قيمة عن ذلك كتاب زاخودير (تاريخ القرون الوسطى الشرقية « الخلافة والشرق الأدنى »)^(١٠٦) ، وكتاب « تاريخ بلدان الشرق الأجنبية في القرون الوسطى »^(١٠٧)

حيث فيهما أبحاث قيمة عن تاريخ بلدان الشرق الأوسط مدروسة على أضواء التحليل العلمي ومثلها أبحاث ياكوبفسكي في «تاريخ إيران منذ الأزمنة القديمة حتى نهاية القرن الثامن عشر» وفيه دراسات ضافية عن انتفاضات الخرمية والبابكية . وفي «العراق في حدود القرنين ٨ - ٩» وهي أعمال الدورة الأولى للمستعربين^(١٠٨) ، ومقاله الممتع عن انتفاضة المقتنع في مجلة الاستشراق السوفيتية «انتفاضة المقتنع ، حركة الناس المرتدين اردية بيضاء»^(١٠٩) .

وهناك دراسة متمعة لتاريخ القفقاس وردت في بداية كتاب تاريخ الاتحاد السوفيتي^(١١٠) وفيها تحليل المجتمع القفقاسي في العهود المختلفة من الرق والاقطاع وتشمل دراسة الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ومن الدراسات المهمة بحث الاستاذ بوليانسكي رغم أنه غير مختص بتاريخ الشرق الإسلامي ويجهل العربية فإنه قدم أبحاثاً اقتصادية لتاريخ هذه البلدان في القرون الوسطى في كتابه «التاريخ الاقتصادي للبلدان الأجنبية في عهد الاقطاع»^(١١١) ، إلا أن بوليانسكي ظل لا يفرق بين ضريبة الخراج وضريبة الجزية حتى نهاية العصر الأموي إذ اعتبر بوليانسكي خطأ الجزية ضريبة على الأرض والخراج ضريبة على الرأس . صحيح - كما لاحظ دنت^(١١٢) - أن الجزية أو الخراج يعنيان الضريبة بصورة عامة لو ذكرا مفردين ، ولكن في أواخر العهد الأموي تحدد مفهوم الضريبتين . ويعتقد بوليانسكي أن الفتح العربي سارع في تطوير الاقطاع ، ولكننا نرى العكس وهو أن الفتح العربي الذي أراد أن يفرض الارستقراطية القبلية قد جعل الاقطاع يسير بوتائر أبطأ . ومن أجل أن يبرهن على فضل العرب في انتشار التجارة وازدهارها في مختلف الربوع ، ضرب مثلاً على استعمال كلمة بازار ظانا بأنها عربية بينما هي ليست بعربية وكان الحري أن يذكر انتشار كلمة تعريف العربية وبقالية العربية .

لقد كتب الباحث الأرمني ليو مجلدات ضخمة عن تاريخ أرمينيا^(١١٣) تناول فيها لا تاريخ أرمينيا فحسب ، وإنما كل ما يتعلق بتاريخ أرمينيا من أحداث وصلات من قريب أو بعيد . ومن المؤسف أن تغلب العناية بالكمية على الدقة العلمية فتاريخ أرمينيا الذي كتبه ليو قليل التحليل ضعيفه ويسرد روايات مؤرخي القرون الوسطى على علاتها دونما تمحيص أو تدقيق أو تعليق ، بل ويردد مفترياتهم وأساطيرهم . فعلى

سبيل المثال لا الحصر كتب هذا الخلط العجيب عن منشأ الخُرُمِيَّة في آذربيجان وعن قيادتها حيث يذكر عن جاويدان أنه كان يدعى المهدي (لم تطلق عليه هذه التسمية إلا عند مؤرخي الأرمن حيث كانوا يطلقونها على قادة الخُرُمِيَّة في آذربيجان) ثم قتل وجاء من بعده هارون (المعروف لدى غالبية المصادر أن بابك تولى قيادة الخُرُمِيَّة بعد جاويدان) وقتل هارون وجاء من بعده بابك^(١١٤). ويعتبر ليو الانتفاضة البابكية إيرانية، شأنه شأن مؤرخي العصور الوسطى الأرمن (لكن الانتفاضة الفارسية لم تنل أي شيء من انتصار الامبراطور تيوفيل)^(١١٥)، كما وأنه يردد تهمة العلماء البرجوازيين عن مشاعية النساء لدى البابكيين ويبتكر لها مسميات فيسميها الشيوعية القديمة أو البدائية^(١١٦) (كذا). وفي محاضرة ألقاها الأكاديمي السوفيتي الأرمني مانانديان وطبعت بكراس باسم «الانتفاضات الشعبية في أرمينيا ضد السيطرة العربية»^(١١٧) يكرر تسمية الانتفاضة الآذربيجانية «بانتفاضة الفرق الفارسية»^(١١٨)، وأن بابك دعا نفسه بالمهدي^(١١٩) ويقول عن الانتفاضة أنها سعت إلى مشاعية الملكية والنساء وإلى الإطاحة بالحكم العربي وإقامة الامبراطورية الفارسية السابقة^(١٢٠).

كان المنتظر من كتاب يؤلفه الآذربيجانيون عن تاريخ بلادهم أن يكون ينبوعاً صافياً غزيراً بمعرفة أحوال البلاد وتاريخها دقيقاً في معلوماته ومتأكداً من صدق رواياته، ولكننا وجدنا والألم يحز في نفوسنا أن كتاب تاريخ آذربيجان^(١٢١) رغم العناية والجهود التي بذلت لإخراجه بحلة قشبية، جاء ثانوياً مبتسراً جزر المعلومات وغير دقيق حتى في تعيين موقع البذ - مركز وقلعة البابكيين - حيث جعلها «على منحدرات سبلان الشمالية»^(١٢٢) وهذا الجبل يقع إلى الشمال من اردبيل جنوب نهر قره سو بينما تقع البذ جنوب نهر أراكس (أرس) وشرق رافده كيرخسو، ويذكر عن وادي هشتادسر أنه يقع قرب مراغة^(١٢٣) بينما جبل وادي هشتادسر يقعان إلى الشرق من البذ، ويذكر بأن الخرميين تعاقبوا مع الجورجيين^(١٢٤) وليس هناك من مصدر أو مرجع واحد - سوى يامبولسكي - أشار إلى ذلك، كما وأنه يردد اتهام الخرميين بالمرحين والمبتهجين^(١٢٥).

من الأبحاث الطريفة عن معتقدات الأرمن الدينية والحركات الهرطقية التي ظهرت في أرمينيا أبحاث أمين. ن. أو. «مختصر دين ومعتقدات الأرمن الهرطقية»، ولا

تقل أهمية أبحاث العالم الروسي فازيليف المختص بشؤون بيزنطية^(١٢٦) وقد أمدنا بمعلومات طيبة عن الحروب البيزنطية - العباسية وأشار إلى إيواء الامبراطور تيوفيل لفلول الخرميين الذين التجأوا إليه بعد انكسارهم في معركة همذان ٢١٨ هـ ، وأشار إلى رسالة بابك إلى امبراطور بيزنطية التي يناشده فيها توجيه جيوشه لمحاربة المسلمين لتخفيف الضغط عليه ، وقد اعتمد الباحث الروسي المتدين فازيليف على روايات الطبري كثيراً . ومينورسكي V.Minorsky في مؤلفه القيم «دراسات في التاريخ القفقاسي» *Studies in Caucasian History* ^(١٢٧) تكلم عن حياة وعادات ولغات وتقاليد سكان بلاد القفقاس وقد أمدنا بمعلومات دقيقة عن اللهجات الأذرية والتالشية في آذربيجان وعن أحوال القاعدة التي اعتمدها بابك في نضاله ضد الخلافة^(١٢٨) وكذلك في تحقيقاته للمخطوطات التي نشرها (فصل من تاريخ الباب وشيرون - فصل باب الشادية من كتاب جامع الدول ، وحدود العالم Hudud Al-Alam)^(١٢٩) .

ترجم العالم الانكليزي سيل G.Sale القرآن إلى اللغة الانكليزية^(١٣٠) وكتب مقدمة في حوالي ١٣٢ صفحة ختمها بملاحظاته عن التاريخ الإسلامي وقد تطرق فيها إلى انتفاضات الخرمية في إيران وما وراء النهر وفي آذربيجان (١٢٩ - ١٣٠) وهو يعتمد على المسعودي وابن العبري^(١٣١) كثيراً وقد علل تسمية بابك بالخرمي والخرم دين (أما لأنه كان من المحل القريب من آذربيجان المعروف بـ خورم Khorrem أو لأنه سن دين المرح) ثم يقول بأنه لم يعثر على أي تعاليم بشر بها ولكن يقال بأنه لم يعلم بأي دين معروف في آسيا^(١٣٢) .

من الأبحاث الوصفية لجغرافية بلدان الخلافة الشرقية اعتمدنا على الكتاب القيم (أرض الخلافة الشرقية - The Land of the Eastern Caliphate, London, 1905) لمؤلفه ليسترانج ، كي Lestrangle Guy وقد استفدنا منه في التعرف على طبيعة أراضي إيران وآذربيجان ووصف جبالها وطرقها وفيه خرائط جيدة لتلك البلدان نقلنا بعضاً منها . لقد اعتمد ليسترانج على المصادر العربية وخاصة يعقوبي والمسعودي وبدرجة أساسية ياقوت الحموي . ولا يقل أهمية كتابه «بغداد (الطبعة الانكليزية - لندن ١٩٠٠ ، وترجمة كوركيس عواد باسم : «بغداد في عهد الخلافة

العباسية» ، بغداد ، ١٩٣٦) ، لدراسة الاقطاع والأنظمة المتبعة لجمع الضرائب المختلفة من جزية على النفس وخراج على الأرض وعشر على التجارة وعلى الأرض . ولدراسة معاملة أهل البلد المفتوح الموالي ممن أسلم منهم وأهل الذمة ممن بقي على دينه من أجل ذلك راجعنا أيضاً مؤلفات العلماء الغربيين والتي أولت المواضيع الأنفة الذكر العناية الجيدة من الدرس والتحصيل وأن كانت تنطلق من وجهة نظر معينة وأنها لم تعن بوقع الضرائب على السكان وتأثيرها فيهم بقدر ما اهتمت بالأسس القانونية والفقهية وجذور وتطور تلك الضرائب وتحديد مقاديرها وأهم المؤلفين الذين رجعنا إليهم فون كريم Alfred Von Kremer الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بالموثرات الأجنبية^(١٣٢)، Cultur- geschichte De Orients Untre Denghalifen, Wien, 1975 وترتون Tritton A.S. «أهل الذمة في الإسلام»^(١٣٤) - The Caliphate and Their Non-Muslim Subjects, London, 1930 ودنت («الجزية والإسلام» - النسخة الانكليزية والترجمة العربية) ، ولوكيكارد «الجزية الإسلامية في العهد الماضي» .

ويعتبر كتاب «إيران في عهد الساسانيين, Iran sous les Sassanides, Paris 1936^(١٣٥) مؤلفه كريستنسن ، آرثر Christensen A من المؤلفات النافعة والمراجع المعول عليها في تاريخ ايران لما قبل الإسلام . فقد بذل كريستنسن جهوداً مضية لأكثر من ثلاثين عاماً في التقصي والبحث المتواصل مشذباً ومضيفاً حتى أخرجه ملماً بدقائق الحوادث . وقد أمدتنا الدراسات التاريخية - الأدبية والفنية بأبحاث ومعلومات مفيدة رغم تحيزها ضد الانتفاضات الشعبية مثل دراسات كل من دوزي («موجز تاريخ الإسلام» ترجمه عن الفرنسية كيمنسكي ، بطرسبرغ ١٩٠٤) وميور Sir William Muir («الخلافة نهوضها ، انحطاطها وسقوطها» The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall^(١٣٦) ، الذي أشار إلى محاوره الكندي لعلماء المسلمين في قصر المأمون ، وقد قام ميور بترجمة تلك المحاوره إلى الانكليزية ونشرها باسم («محاوره الكندي» - The Apology of Al - Kindy^(١٣٧) ، ومولر («تاريخ الإسلام» ترجمته من الألمانية إلى الروسية مدنيكوف)^(١٣٨) ، وبالرغم من أن مولر سخر من تفسير فلوكل لكلمة خرم حسب

المعنى الفارسي بماجن ومستتهتر واعتبر ذلك لا يعدو كونه نكتة مدرسية^(١٣٩) ، فانه (مولر) لم يتورع عن اتهام « الشيوعيين - كذا حسب تعبيره - الذين قادهم بابل الفارسي » بالقساوة ومشاعية الزوجات^(١٤٠) ، وآرنولد . Arnold T.W . (« الخلافة » ، The Caliphate, Oxford, 1924) ، وبراون Browne, Edw (« تاريخ الأدب الإيراني من الفردوسي إلى سعدي » A Literary History of Persia from Firdaws to Sadi)^(١٤١) تناول فيه قسطاً من انتفاضات الخرمية معتمداً على الـ « سياست نامه » ، وتراث إيران The Legacy of Persia لنخبة من المستشرقين الانكليز ، لاحظنا فيه الديانة الفارسية ومحاكمة الافشين . حيدر بن كاؤوس ، ونيكلسون R. Nicholson « تاريخ الأدب العربي A Literary History of the Arabs^(١٤٢) ، وجب Gibb H.A.R الاحتلال العربي لآسيا الوسطى The Arab Conquest of Central Asia^(١٤٣) ودراسات عن المدنية في الإسلام Studies of the Civilisation of Islam^(١٤٤) وفيه فصل عن الشعوبية والزندقة (ص ٦٢ - ٧٢) . ويتحدث جب عن الصراع بين الشعوبية والعرب فيقول « كان الصراع في القرنين الثاني والثالث الهجري لا صراعاً بين مدرستين للأدب ولا حتى صراع القوميات السياسي ولكنه كان صراعاً من أجل تحقيق أهداف الحضارة الإسلامية » ، والعالم المجري كولدتسهير ، إجناس Goldziher I في كتابه (« الدراسات المحمدية » Mohammadanische Studien) وكتابه (« العقيدة والشريعة في الإسلام »)^(١٤٥) ، ترجمة علي حسن عبد القادر وآخرين - القاهرة - ١٩٤٦) ، والعالم الألماني بروكلمان Brockelmann « تاريخ الشعوب الإسلامية »^(١٤٦) ، وأستاذ الفارسية في جامعة كامبردج ليفي روبن Levy Reuben (« تركيب الإسلام الاجتماعي » The Social Structure of Islam)^(١٤٧) ، والباحث الهندي أمير علي Ameer Ali (مختصر تاريخ العرب » A Short History of the Saracens)^(١٤٨) ، وخبابخش الهندي « الحضارة الإسلامية »^(١٤٩) . إن مقالة مارغليوث Margoliouth في الموسوعة الإسلامية المختصرة Short Encyclopedia of Islam بعنوان « الخرمية »^(١٥٠) دلت على كثرة المصادر العربية التي رجع إليها بالإضافة إلى إشعار أبي تمام والبحثري ، إلا أنه لم يناقش رواياتها

كثيراً . ومن المراجع الغربية المهمة التي رجعنا إليها أبحاث المستشرق الانكليزي لويس برنارد Lewis «أصول الاسماعيلية» - The Origins of Ismailism (ترجمه إلى العربية جلو ، خليل أحمد والرجب ، جاسم محمد) (١٥١) . و«العرب في التاريخ» The Arabs in History, London, 1950 (١٥٢) . ولا تخلو أبحاث العالم لويس من بعض التحليلات الصائبة اقتبسنا منها ما يشابه الحالة في الانتفاضة الخرمية فقد نقلنا مقولته حول احترام مركز المرأة الاسماعيلية وموقف المسلمين من تلك الحرية حيث قال «أعتقد أننا يمكننا أن نرفض بدون تردد الرأي القائل بأن الاسماعيليين قد طبقوا شيوعية النساء . وتعلمنا الكتابات الدرزية بأن الاسماعيليين قد منحوا المرأة مركزاً سامياً وحرراً لم يمنحه إياها أهل السنة المعاصرون . وربما كانت هذه الحرية النسبية للنساء الاسماعيليات هي التي تمثلت لآعين أهل السنة دعاية محضة» (١٥٣) . لقد اعتمدنا هذا التحليل البارع في الرد على اتهام الخرميين والبابكيين بمشاعة الزوجات ، لكن أبحاث لويس مفعمة بوجهة النظر البرجوازية . من الكتب الشيقة التي امتازت بدقة التحليل العلمي الماركسي هو كتاب : نبذة عن تاريخ المادية في القرون الوسطى ، والمترجم إلى اللغة الروسية لمؤلفه الباحث من ألمانيا الديمقراطية هيرمان لي (١٥٤) ورغم أن لي قد عني كثيراً بالفلسفة والفلاسفة ، لكن تحاليله الرائعة قد ساعدتنا كثيراً في تفهم وتحليل قضايا مهمة بالنسبة للفتوحات والضرائب ومعاملة الشعوب المغلوبة وإن لم تتفق معه في بعضها .

دأب المؤلفون العرب ، إلا ما ندر ، على تتبع خطى الباحثين البرجوازيين في كتابة أبحاثهم ونظرتهم للحركات المناهضة للسلطة نتيجة دراساتهم الغربية وكثرة انتشار مؤلفات العلماء والباحثين الغربيين بلغاتها الأصلية والتي يجيدها الكثيرون أو المترجمة إلى العربية ، وقلما تظهر أبحاث تاريخية تتسم بالتحليل العلمي والمنزه عن التحزب والروح الشوفينية والطائفية . إن انتهاج الأسلوب اللاعلمي من قبل جمهرة من الباحثين العرب يعزى إلى تصديقهم روايات مؤرخي العصور الوسطى دون تمحيص أو تدقيق أو تعمق في معرفة مدى اتصال هذا المؤرخ أو ذاك بالسلطة وإلى أي فرقة أو مذهب ينتمي كما ويرجع إلى ضيق الأفق والانحدار الطبقي وتهيب الرجعية والرأي المتزمت ومحاباة السلطة البرجوازية الرجعية . ورغم كل ذلك يعثر الإنسان أحياناً على

كتابات نظيفة تعالج مواضيع حساسة بأسلوب منزه . إن أبحاث الأديب والمؤلف العراقي الألوسي عن الشعوبية في أثره الأدبي الرائع «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب»^(١٥٥) دلت على أصالة وتجرد ، وقد تتبع أثره المؤلف المصري أحمد أمين في بحثه عن الشعوبية في «ضحى الإسلام» ، ولا تخلو كتابات طه حسين ، التي تغلب عليه النزعة الأدبية رغم اعدادها لمواضيع تاريخية ، من لمسات إنسانية ومحاولات جريئة لمعالجة قضايا حساسة وسط مجتمع ديني متحمس كما يلاحظ ذلك في «الشيخان ، أبو بكر وعمر بن الخطاب» و «مرآة الإسلام» و «الفتنة الكبرى ، ١ - عثمان بن عفان ، ٢ - علي وبنوه»^(١٥٦) . إلا أن كتابات طه حسين يعوزها التحليل الدقيق وتوضيح الرأي فبين تلافيف المحسنات البنيانية يطوي فكرته بحيث يتعذر على القارئ البسيط إدراك مرامه . ولقد كان لرجي زيدان الفضل في توجيه الأنظار نحو الآثار الأدبية والتاريخية ويعتبر كتابه (تاريخ التمدن الإسلامي)^(١٥٧) من المراجع الأدبية والتاريخية التي يمكن رغم قدمها أن يعول عليها أحياناً ، وبجهود مضية أخرج رستم ، أسد كتابه (الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب)^(١٥٨) ، وقد اعتمدناه في مواضيع العلاقات العربية البيزنطية وانتفاضة توما الصقلي . وتمتاز كتابة حمزة عبد اللطيف (ابن المقفع)^(١٥٩) وعمر فروخ (ابن المقفع)^(١٦٠) بأبحاث طيبة .

إن الكتب الآتفة الذكر قد عكست لنا وجهة النظر العربية لأحداث القرون الوسطى ولا يمكن الاستغناء بأي حال من الأحوال عن وجهة نظر وانطباعات العرب المعاصرين عن أحداث الماضي سواء المنصفين انصاف المتحررين من قيود النظرة الضيقة أو الرجعيين أو التقدميين . يعتبر كتاب توما ، أميل (العرب والتطور التاريخي)^(١٦١) محاولة ناجحة في تحليل الحوادث التاريخية تحليلاً ماركسياً علمياً ولكن توما كان يحث الخطى مسرعاً من الماضي السحيق ليصل إلى تاريخنا الحالي بكتاب ليس بكثير الصفحات مما ترك وراءه فجوات واسعة لم يتطرق إليها . هذا إلى أننا لم نتفق معه في قوله (وخلال القرنين الأولين من قيام الامبراطورية العربية الإسلامية تحطم الاقطاع أو على الأصح إقطاع فارس وبيزنطة)^(١٦٢) فكيف تحطم الاقطاع ؟ لقد كان الاقطاع في بدء نموه إلا أن الفتح الإسلامي وما تلاه ومحاولة السلطة العربية فرض الارستقراطية القبلية قد جعل الاقطاع يسير بوتائر أبطأ .

يعتبر الباحث اللبناني المتأمر فيليب حتي ، من أكثر الكتاب العرب تسلياً للنهج الغربي ولا سيما في الولايات المتحدة . ويعتبر كتابه (تاريخ العرب ، موجز) (١٦٣) وكتابه (تاريخ العرب ، مطول) (١٦٤) ، الذي وضعه بالاشتراك مع جرجي ادورد ، وجبور ، جبرائيل) من الأبحاث التي تعكس وجهة النظر البرجوازية وقد اعتمد حتى على زيدان ، جرجي كثيراً . أما المراجع العربية التي اتسمت بشدة كراهيتها للحركات الشعبية وبشوفيتها وطائفيتها ، والتي رجعنا إليها في مواضيع مختلفة من التاريخ الاسلامي ، فتعود إلى مؤلفين من أقطار مختلفة مثل : العدوي ، ابراهيم أحمد (الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم) (١٦٥) وأحمد ، محمد حلمي محمد (الخلافة والدولة في العصر العباسي) (١٦٦) وشبلي ، أحمد (في قصور الخلفاء العباسيين) (١٦٧) وعبد العال ، محمد جابر (حركات الشيعة المتطرفين) (١٦٨) ، وشريف ، محمد بديع (الصراع بين الموالي والعرب) (١٦٩) هؤلاء أنكروا على الشعوب قيامها بوجه السلطة ورددوا مشاعية الزوجات واعتبروا المانوية والمزدكية والخرمية أقامت الشيوعية . وتعتبر كتابات الباحث المصري ، حسن ، ابراهيم حسن (تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) (١٧٠) ذات مستوى واطئ في التحليل وكذلك مؤلفات الخربوطلي ، علي حسني (تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي) (١٧١) و(الدولة العربية الإسلامية) (١٧٢) وكذلك مؤلف زيدان ، عبد الكريم (أحكام الذميين والمستأمنين) (١٧٣) وكراس الأنسة رحمة الله ، مليحة (معاملة أهل الذمة في العصورين الأموي والعباسي The Treatment of the Dhimmis) (١٧٤) والذي حاولت فيه أن تنكر الاضطهاد والإرهاق الذي كان يتلقاه أهل الذمة ، رغم اعتراف الفقهاء بذلك . من الأبحاث الاقتصادية التي يعتمد الرجوع إليها بحث الدوري ، عبد العزيز (تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري) (١٧٥) وبحث العلي ، صالح أحمد (التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري) (١٧٦) فإن أبحاثهما ذات أهمية وخاصة الفترة التي تناولها العلي .

أما المراجع التي كتبت عن الانتفاضة البابكية أو عن بابك ، سواء كانت الكتابة بصورة مستقلة أم ضمن مواضيع مؤلفاتهم لكن بصورة تفصيلية ، فمحدودة .

وأول من تطرق للموضوع العالم الألماني فلوكل ، غوستاف Flugel, G الذي

كتب بحثاً عن بابك في مجلة جمعية الاستشراق الألمانية تحت عنوان (بابك ، أصله ومبدأ مقاومته Babek, Seine Abstammung und Erstes Auftreten, ZDMG^(١٧٧)) تناول فيه نشأة الخرمية وأصل تكوينها وسبب تسميتها . والواجب الذي وضعه فلوكل نصب عينيه - كما يقول - أن يصف أظلم ناحية (أي نشأة الخرمية) أي بداية وأسس هذه الظاهرة ليهتدي بها وليعطي تقييماً صحيحاً لتلك الحوادث^(١٧٨) . لكن الحقيقة هي أن فلوكل سعى إلى التشهير بالحركة وطعنها ، فوصم أنصار بابك بـ (الفاقدين للأخلاق؟)^(١٧٩) وقال عن الخرمية أنها نشأت عن الكلمة الفارسية (خرم) وتعني مرح وخرمي تعني مستهتر^(١٨٠) ، وقال عنهم - مستخدماً أقوال ابن النديم (حيث قام هو بتحقيق ونشر الفهرست - كما ذكرنا -) - ولهم مشاركة في الحرم والأهل لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمتنع^(١٨١) . ولا مجال هنا لذكر المناقشات الدائرة حول مصطلح الخرمية^(١٨٢) والتهم التشهيرية ، فقد عاجلها البحث بصورة كافية . لقد استخدم كتاب كثيرون كلمات فلوكل في توجيه الطعن للحركة قاصدين التشهير بالشيوعية العلمية الحالية ، لأن هؤلاء الكتاب يعتبرون محاولات المزدكية والخرمية لمعالجة مشاكل الفلاحين وتوزيع الأرض المشاعية عليهم اعتبروها شيوعية (حسب مفاهيمهم) .

في عام ١٩١٣ صدرت الموسوعة الإسلامية باللغة الألمانية - Enzyklopaedie Des Islam^(١٨٣) - وفيها مقال عن بابك تحت عنوان (بابك رئيس الفرقة الخرمية Babek: Haupt Der Khurramiten sekte)^(١٨٤) ، ولقد اعتبر المقال الاسم معرباً عن بابك الإيرانية . والمقال قصير وقد اعتمد رواية ابن النديم عن نشأة بابك ورواية الطبري عن الحوادث ويشتمل على بعض الأخطاء والتي منها اعتباره تاريخ سقوط البذ يوم ١٨ رمضان ٢٢٢ هـ يصادف ٢٦ نيسان ٨٣٧ م^(١٨٥) ، بينما هو يصادف ٢٤ آب ٨٣٧ م . ثم يذكر المقال (وبالرغم من الأمان الذي أعطى لبابك فان المعتصم أمر بقتله وتعذيبه)^(١٨٦) والمعروف أن بابك رفض الأمان بشمم . في عام ١٩٢١ م ، نشر جوزي ، بندلي صليبه في باكو في مجلة أخبار جامعة باكو الحكومية ، مقالاً عن بابك باسم بابك والبايكية ، وهي أول محاولة لدراسة الموضوع بأسلوب علمي ، لكن المقال على قصره يحتوي على أخطاء تاريخية وعلمية ، فهو يعتبر خرمية

جرجان مازياريه^(١٨٧) وهو بهذا ينقل خطأ البغدادي ، أبو المنصور (الفرق بين الفرق) دوئماً تمحيص ، كما وأنه يطلق كثيراً وبصورة خاطئة تعابير علمية حديثة على أحداث قديمة فهو يصف المزدكية والخرمية بالشيوعية والحزب الشيوعي والتعاليم الشيوعية^(١٨٨)... الخ . ولم يحاول تصحيح أخطائه عند كتابته لموضوع بابك في كتابه (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام - باللغة العربية)^(١٨٩) .

في عام ١٩٣٦ م صدر في موسكو كتيب صغير تحت عنوان - (بابك) لمؤلفه تومارا ، وهذا أول مطبوع يظهر للوجود مخصص بصورة كاملة لبابك والانتفاضة البابكية ، ويعتبر الكتيب أكثر توفيقاً في تحاليله العلمية من أبحاث جوزي . يقول تومارا أنه لم يواجه مشاعية النساء طيلة تاريخ الحركة الخرمية بل وحتى القادة كانت لكل واحد منهم زوجة واحدة . ويقول بأن النساء الخرميات حررن من عبودية المنزل ونالت المرأة الاختيار الحر لزوجها^(١٩٠) .

لكن بحث تومارا عدا قصره قليل التحاليل ويحتوي على أخطاء تاريخية عاجلنا الكثير منها في البحث ونذكر البعض على سبيل المثال لا الحصر . يقول تومارا أن الخرميين الديالمة لم يعاونوا جيرانهم الأذربيجانيين^(١٩١) ، ويعلل ذلك بمقولة انكلز حول أحجام الفلاحين في العصور الوسطى عن الانتفاض نتيجة تعودهم الخضوع وإقلاهم في أماكن عديدة عن استعمال السلاح... الخ والواردة في بحثه عن الحرب الفلاحية في ألمانيا ص ٣١ . ولكن مقولة انكلز كمبدأ عام صحيحة غير أنها لا يمكن أن تستخدم لنكران حقيقة تاريخية حيث أشار كثير من المؤرخين إلى مساهمة الديالمة . ويذكر تومارا أن تيوفيل استأنف في عام ٨٣٦ م هجوماً على الجيوش العباسية ويقول بأن هذا الهجوم مع الهجمات السابقة لم يخفف الضغط عن بابك^(١٩٢) بينما تشير المصادر إلى رسالة بابك التي وجهها إلى امبراطور بيزنطة المتردد يحثه فيها على مهاجمة الحدود الإسلامية ويخبره بأن الخليفة أرسل إلى أذربيجان كل جيوشه حتى طبأه وخياطه ، ولكن الامبراطور الحاقد على كل انتفاضة شعبية لم يحرك ساكناً إلا في عام ٨٣٧ بعد اندحار الانتفاضة وسقوط البذ . ويردد تومارا معزوفة/ كلمة (الخرمية) تعني بالعربية أناساً مرحين ذوي حياة ماجنة^(١٩٣) . وفي أيام العدوان الفاشستي الهتلري الفاشم على أراضي الاتحاد السوفياتي عام ١٩٤١ م صدر في باكو كراس صغير بـ (٤٢ صفحة)

باسم انتفاضة بابك (نبذة مختصرة) لمؤلفه يامبولسكي اتسم بقلّة مناقشته للروايات المختلفة وعدم تعرضه لحوادث عديدة تتطلب الشرح والتفصيل حول مناقشة أصل بابك والحياة العامة للخرميين ، فإن البحث قد عالج مواضيع عديدة بتحليل علمية أوفر من سابقه ولو أنه على ما يظهر قد طالع نصوص المصادر العربية مترجمة إلى لغات أخرى وأنه أورد آراء دون أن يسندها إلى مصدر يذكر بأن المنتفضين اتحدوا مع إخوانهم الأرمن وال جورجيين^(١٩٤) . ولا نعلم من أين جاء بالجورجيين ؟ . ومن المؤسف أن يصور يامبولسكي بابكا بالفاتك حيث يردد تهمة مؤرخي العصور الوسطى ومفكرات العلماء البرجوازيين عنه فقد كتب عنه / أول شيء عمله بابك حينما أصبح على رأس الخرمية ، نظمهم للإبادة الجماعية لأنصار الخليفة العائشين في ذلك الوقت في آذربيجان/ ^(١٩٥) . أن بابك لم يأمر بالقتل الجماعي لأنصار الخلافة وإنما أمر بمهاجمة الحصون وتدميرها وأن وجود آلاف الأسرى في معسكره عند سقوط البذليني صفة الفتك الجماعي .

وفي نفس العام كتب ابراهيموف أطروحة عن نضال الشعب الأذربيجاني (باللغة الأذربيجانية) وفي عام ١٩٤٣ م أصدر ابراهيموف وتوكرجفسكي تحت عنوان (بسالة ورجولة الأذربيجانيين) ، وفي عام ١٩٤٤ م كتب ابراهيموف عن بابك وقد خصصت كتابات ابراهيموف لتمجيد خرمية آذربيجان .

كتب الدوري ، عبد العزيز في عام ١٩٤٥ بحثاً طريفاً عن بابك والانتفاضة الأذربيجانية وعن المازيار وقمر منكجور الفرغاني في آذربيجان وقد عالج المواضيع معالجة طيبة فاستخدم مصادر عديدة ، ولم يكن البحث مستقلاً وإنما كان متعلقاً بالخليفة المعتصم في كتابه (العصر العباسي الأول)^(١٩٦) وقد نهج الدوري نهجاً جديداً في بحثه لم يؤلف لدى الباحثين العراقيين ولكن الدوري ، وهو المتبع لخطى أساتذته المستشرقين الغربيين وقع في أخطاء رغم تظاهره باتباع الأسلوب العلمي فاستنتج أن أسباب الانتفاضة هي كره الشعب للحكم العربي ، واستخلص بأن أهداف البابكيين كانت مجرد محو الدين الإسلامي والقضاء على السلطان العربي لإعادة الدين المجوسي والمجد الساساني . ولم يتوان عن استخدام أقوال مؤرخي العصور الوسطى المعادية لإثبات وجهة نظره .

إن فرية إعادة المجد الساساني والدين الزرادشتي أو المجوسي ، التي أطلقها

مؤرخو القرون الوسطى ، أريد بها إثارة المسلمين على المعدمين المنتفضين ولتشويه حقيقة الانتفاضة القائمة لأسباب اقتصادية واجتماعية والمتعارضة أهدافها مع مصالح الارستقراطية الاقطاعية والسلطة . واليوم يحلو للكتاب البرجوازيين تكرار تلك المعزوفة لاختفاء طابع الانتفاضة الطبقي . ولكن جل الجهد المبذول يتلشى أمام الحقائق الناصعة التي تبرز بين طيات المصادر لتعلن عن التعسف والجور والاستغلال . إن نكران طابع الانتفاضة الطبقي وتصوير مضمونها بالعنصرية والطائفية والقومية يتناقض وأهدافها في التحرر من الجور الاقطاعي وفي تحسين أحوال المساهمين فيها معاشياً وفي احترام مركز المرأة المتدني . لقد انكر الدوري العامل الاقتصادي الذي حرك الشعوب للانتفاض . لذا ظل الدوري وهو المعجب بآراء المؤلف الايراني صديقي Sadighi G.H.^(١٨٧) يستخدم أقوال مؤرخي القرون الوسطى في حصر الانتفاضة في إطار العنصرية والطائفية وظل يكررها في مؤلفاته مثل (دراسات في العصور العباسية المتأخرة)^(١٨٨) و(مقدمة في صدر الإسلام)^(١٨٩) و(الجذور التاريخية للقومية العربية)^(٢٠٠) و(الجذور التاريخية للشعبوية)^(٢٠١) . ولقد اعتمد الدوري بعض آراء جوزي الخاطنة حيث وقع في أخطائه حول ما زيارية جرجان مثلاً .

صدر في عام ١٩٤٨ مقال في مجلة العالم الإسلامي The Muslim World للباحث الامريكي رايت Edwin Wright تضمن العديدين الأول والثاني من التسلسل الدوري الثامن والثلاثين بعنوان بابك البذي والأفشين خلال أعوام ٨١٦ - ٨٤١ Babek of Badhdh and al- Afshin during the Years 816-841^(٢٠٢) تناول البحث فيه انتفاضة بابك منذ نشأتها حتى اندحارها - في العدد الأول من المجلة ثم محاكمة الافشين وما تعلق بها من قضية المازيار - في العديدين الأول والثاني - وينقل رايت Wright روايات ابن النديم والمسعودي وغيرهما نقلاً يكاد أن يكون تاماً ، وهو قليل التعليق والمناقشة وأول من نبه إلى أن ابن النديم ينفرد بذكر بلال آباد كموطن لوالدة بابك ، حيث تذكر المصادر الأخرى موضعاً آخر^(٢٠٢) . ويعتقد رايت أن بابك دعا إلى المتعة والفرح لأن فلسفته (خرم) السرور^(٢٠٤) .

كتب العالم التشيكي ليرجي تسبيك في عام ١٩٥٢ م بحثاً في مجلة الشرق الجديد عن بابك/بابك الشخص الذي ارتعش أمامه الخلفاء , Babek, Irzi Ceipek,

Muz Pred Kterym Se- Trasli Chalifove, Novy Orient, Praha,

1952, S. 163-4. وفي عام ١٣٢٢ شمسي المصادف ١٩٥٤ م أصدر الكاتب والباحث الإيراني نفيسي ، سعيد ، كتيباً صغيراً عن بابك باسم بابك الخرمي (بابك خرم دين دولار آذربيجان ، تهرآن ١٣٢٢) وهو عبارة عن مقالاته السابقة ، وقد جمع نفيسي مقتسبات من مصادر مختلفة وهو كغالبية الايرانيين يعتبر بابك بطلاً قومياً إيرانياً وقد ترجم كتابه إلى الاذربيجانية باسم (اذربيجاني قهرماني بابك خرم دين ، باكو ١٩٦٠) وهي النسخة التي اعتمدنا عليها .

صدر في دمشق في عام ١٩٥٧ كتاب (في التاريخ العباسي ، الجزء الأول) لمؤلفه مصطفى شاكر وفيه بحث عن بابك ضمن الكلام عن الخليفة المعتصم . والمؤلف ترسم خطى الدوري في مؤلفه (العصر العباسي الأول) حتى كاد أن يكون (في التاريخ العباسي) صورة طبق الأصل من (العصر العباسي الأول) وإن حاول مصطفى . شاكر التخلص من النظرة الشوفينية والطائفية ، فقد وقع في نفس أخطاء الدوري .

في عام ١٩٥٨ م صدرت أعداد من مجلة بازمافيب Pazmaveb (وبازمافيب بالأرمنية تعني روايات عديدة) في البندقية بإيطاليا وفيها مقالات لـ (كورديان) ، حايك Kurian H. (باللغة الأرمنية) تحت عنوان بابك وسهل بن سنباط / صفحة من تاريخنا في القرن التاسع^(٢٠٥) وقد قسمت المقالات إلى ثلاثة أقسام ، القسم الأول عن بابك ، والقسم الثاني عن علاقة بابك بسهل بن سنباط والقسم الثالث عن عيسى بن اصفيفانوس ، وقد جمع فيها أقوال مؤرخي العصور الوسطى الأرمن والسريان . هذا بالإضافة إلى استخدام نصوص من الترجمة الانكليزية لحوادث ٨٢٣ - ٨٤٢ م من خلافة المعتصم من كتاب الطبري وقد قامت بهذه الترجمة آله مارتن في سنة ١٩٥١ م ، ولم يناقش كورديان Kurdian H. إلا في القليل النادر .

كتب بونيباتوف ، ضياء الدين موسايفيخ في عام ١٩٥٩ م مقالات عديدة نشرت تباعاً في مجلة أخبار اكاديمية العلوم الاذربيجانية السوفييتية المجلد الخامس عشر الاعداد الثاني والثالث والخامس والسابع والتاسع عن : منكجور ، مصطلح الخرمية ، محل وموقع مدينة وقلعة البذ ، بابك وبيزنطة ، ومعلومات جديدة عن موقع قلعة شاكي ، وكتب في عام ١٩٦١ مجدداً في نفس المجلة ، المجلد السابع عشر في

العدد الأول والرابع عن : كتاب تاريخ أغوان ، وعن مدينتي وقلعتي البذ وشاكي .
وقد اتسمت كتاباته بالتحليل الماركسي العميق ودلت على مبلغ الجهد المبذول في
التقصي والبحث بأناة وصبر وحيث مكنته معرفته للعديد من اللغات الأوروبية بالإضافة
إلى العربية والفارسية والتركية ولغته القومية الأذربيجانية والروسية ، مكنته من
الإحاطة بالمصادر المختلفة ، فجاءت مناقشاته للآراء المختلفة دقيقة ومتزنة . وفي عام
١٩٦٥ صدر كتابه : آذربيجان في القرون السابع - التاسع ^(٢٠٦) وجاء حافلاً
بالمعلومات وقد خصص الفصل الخامس (وهو الأخير) لحركة جماهير آذربيجان ضد
الخلافة ، تناول فيه بالتفصيل حياة بابك والفعاليات ومنشأ مصطلح الخرمية ، وقد تطرق
إلى كل صغيرة وكبيرة مسندة ومعززة بأقوال المؤرخين وقد الحق بالكتاب ملحقاً لما
ترجمه من نصرص مختلفة إلى اللغة الروسية .

صدرت في عام ١٩٦٠ طبعة جديدة للموسوعة الإسلامية (النسخة الانكليزية
The Encyclopedia of Islam, New Edition, V, 1, Leiden. Lon-
don, 1960, p. 844. وفيها مقال عن بابك ومن الطبيعي أن المقال لا يختلف
كثيراً عما كتب في النسخة الألمانية (١٩١٣م) سوى أنهم حاولوا تصحيح تاريخ
سقوط البذ فوقعوا في الخطأ مجدداً حيث ذكروا ٩ رمضان ٢٢٢ هـ / ١٤ آب ٨٢٧م
والصحيح هو ١٨ رمضان ٢٢٢ هـ / ٢٤ آب ٨٢٧م .

هوامش الفصل الأول

- (١) الفهرست - طبعة فلوكل - لبيزك ١٨٧١ - ٧٢ ج ١ ص ٢٤٣ . القاهرة - ص ٤٩٤ .
- (٢) لاحظ بونياتوف - آذربيجان في القرن السابع - التاسع ص ٣٥ - ٣٦ .
- (٣) G.H. Sadighi, Les Mouvements Religieux Iranien, Paris, 1938.
- (٤) خليلي ، عباس ، إيران وإسلام . طهران ، ١٣٣٦ (باللغة الفارسية) .
- (٥) نفيسي ، سعيد ، آذربيجان قهرماني بابك خرم دين (بالأذربيجانية) .
- (٦) تومارا ، م . بابك ، موسكو ، ١٩٣٦ .
- (٧) يامبولسكي ، ز . اي . ، انتفاضة بابك . باكو ، ١٩٤١ .
- (٨) جوزي ، بندلي صليبه ، بابك والبابكية ، أخبار الجامعة الباكوية الحكومية ، ثمة ١ ، باكو ، ١٩٢١ (باللغة الروسية) و «من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام» ، دار الروائع ، بيروت .
- (٩) مجموعة مقالات في مجلة أخبار أكاديمية علوم آذربيجان السوفييتية ، الأعداد ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦١ ، وآذربيجان في القرون السابع - التاسع ، باكو ، ١٩٦٥ م (باللغة الروسية) .
- (١٠) وحتى يثمر على تلك المصادر تظل دعوة الدكتور طه حسين تناشد المؤلفين (وأيسر ما يجب على المؤرخ المحقق أن يسمع أو يقرأ ما يتحدث به أو كتبه المنهزمون والمتنصرون جميعاً) - الشيخان - ص ٨ - ٩ .
- (١١) يصر الدوري ، عبد العزيز في مختلف كتبه على اعتبار الانتفاضة سبت لاجياء الدين المجوسي ولاعادة مجد ايران الساساني .
- (١٢) كما يصور ذلك بعض المؤلفين الايرانيين ولا شك أن الحركة القومية لم تكن معروفة بعد في القرون الوسطى .
- (١٣) تاريخ الاتحاد السوفييتي (بالروسية) ، القسم الأول ، موسكو ، ١٩٦١ ، ص ٤١ .
- (١٤) ديوان أبي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، وتحقيق محمد عبده عزام ، جزءان ، القاهرة .
- (١٥) ديوان البحتري ، طبعة هندية ١٣٢٩ هـ .
- (١٦) ديوان علي بن الجهم ، بتحقيق خليل مردم بك ، دمشق ١٩٤٩ م .
- (١٧) ديوان الحماسة ، مختصر شرح العلامة التبريزي ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- (١٨) البيان والتبيين ، بتحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٦٩ هـ .
- (١٩) طبعة لبيزك ، ١٨٦٤ م .
- (٢٠) بتحقيق محمد سعيد العريان ، ط ٢ ، ثمانية أجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
- (٢١) جزء ٢١ ، القاهرة ، ١٩٠٤ م .
- (٢٢) ٤ مجلدات طبعة كوتنكن ، ١٨٩٩ م ، والقاهرة ، ١٩٢٥ - ١٩٣٠ م .

- (٢٣) طبعة رغوتينغين ، ١٨٥٠ م ، والقاهرة ، ١٩٦٠ م .
- (٢٤) طبعة ليدن ، ١٩٠٠ م ، والقاهرة ، ١٢٠٠ هـ .
- (٢٥) طبعة كوتا ، ١٧٧٥ م .
- (٢٦) طبعة دي غويه ، ليدن ، ١٩٠٤ م .
- (٢٧) نقل عنه الألوسي ، محمود شكري ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، القاهرة ١٩٢٣ ، ج ١ ص ١٦٩ ، ١٧١ ، ونشره كرد علي ، محمد بأجمعه ضمن كتاب رسائل البلغاء .
- (٢٨) طبعة ليدن ١٨٦٦ م .
- (٢٩) ج ١ ، القاهرة ١٩٥٩ ، ج ٤ و ج ٥ ، القدس ١٩٣٦ ، ج ١١ ، باعثناء اهلوارث ، ليدن ١٨٨٣ م .
- (٣٠) باعثناء جورجاس ، ليدن ، ١٨٨٨ م ، ووضع فهارسه وقدم له كراتشكوفسكي في ليدن ، ١٩١٢ م .
- (٣١) جزءان ، طبعة ليدن ، ١٨٨٣ م ، طبعة ليدن ، ١٨٨٣ م ، ٣ أجزاء طبعة النجف ، ١٣٥٨ هـ .
- (٣٢) كي ليسترنج ، بغداد ، ص ٢٦٩ . Le Strange, Guy, Bagdad, London, 1900, P.269 .
- (٣٣) بونييناتوف ، آذربيجان في القرون السابع - التاسع ، باكو ، ١٩٦٥ ، ص ٨ (باللغة الروسية) .
- (٣٤) انظر ابن التديم ، الفهرست ، ص ٣٤٠ .
- (٣٥) طبعة دي غويه ، ليدن ، مطبعة بريل ١٨٧٩ - ١٨٨٥ م ، وطبع القاهرة بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - در المعارف ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- (٣٦) حول ذلك لاحظ دنت ، دانييل - الجزية والإسلام ، (الترجمة العربية) ص ٤٧ .
- Denet, Danel G..Conversation and the Poll Tax in Early Islam, Cobridge, 1950.
- (٣٧) طبعة القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- (٣٨) طبعة ليدن ، ١٨٩٣ .
- (٣٩) طبعة القاهرة ، ١٩٢٨ .
- (٤٠) خودابخش ، الحضارة الإسلامية ، ترجمة الخربوطلي ، علي حسني . القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ١٧٩ .
- (٤١) طبعة ليبزك ، ١٨٤٤ م ، وطبعة برلين ١٢٤٠ هـ / ١٩٢١ م .
- (٤٢) في مقالة عن الاصهاني حمزة بن الحسن . مجلة سومر - مجلد ١٩ - بغداد ، ١٩٦٣ ، ص ٨٥ - ٦ .
- (٤٣) فقد ذكر سميونوف اسم الكتاب تاريخ سنين ملوك الأرض والانبياء ، وهذا خطأ مطبعي كما نظن . لقد ذكر ذلك في مجلة مسائل التاريخ والدين والاحاد ، العدد ٣ لسنة ١٩٥٨ ص ٣٥٥ .
- (٤٤) لويس ، برنارد ، أصول الاسماعيلية ، ترجمة جلو ، خليل أحمد والرجب ، جاسم محمد ، القاهرة ، ص ٥٤ . The Origins of Ismailism, Bernard, Lewis
- (٤٥) طبعة ليبزك ، ١٨٧١ - ١٨٧٢ م وهي طبعة فلوكل ، وطبعة القاهرة ، مطبعة الرحمانية .
- (٤٦) حيث حقق وطبع كتاب الفهرست .
- Historia Chalifatus Al- Motasimi. C. Sandenbergh, Matthissen, Luduni (٤٧)
- Batvorum, E.J. Brilli, 1849 وهو كتيب صغير لا تتجاوز صفحاته ٧٥ صفحة من القطع الصغير لمؤلف مجهول يظن أنه من القرن الرابع الهجري والكتيب هو الجزء الثالث من تاريخ الخلفاء من كتاب العيون والحداث في أخبار الخلفاء .
- (٤٨) المطبعة الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٠١ هـ ، وطبعة القاهرة أيضاً ، ١٩٣١ - ١٩٤٠ .
- (٤٩) كابتاني ، ليون ، حوليات الإسلام ، ميلانو ، ١٩١٢ ج ٥ ص ٢٨٠ - ٥٢٢
- Leon Caetani, Annali Dell, Islam, Melano, 1912 V. pp. 280-532.
- انظر دنت ، دانييل ، الجزية والإسلام (مترجم) ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٣٣ .
- Daniel, G. Dannet, Conversation and the Poll Tax in Early Islam, P. 33.
- G.H. BECKER - Die Entstehung Von USR and Harag Land in Agypten (٥٠)
- "Islamstudien, 1 p. 219, Z.A.XVIII, 302-303

- انظر دنت ، الجزية والإسلام ، ص ٤١ .
- (٥١) J. Wellhausen, Das Arabische Reich und Sein sturz, Berlin, 1902 وقد ترجمت The Arab Kingdom, and its Fall, Calcutta, إلى الانكليزية Margaret Grahamweir 1927 وإلى العربية يوسف العش ، الدولة العربية وسقوطها ، دمشق سنة ١٩٥٦ ، وأيضاً محمد عبد الهادي أبو ريذة (تاريخ الدولة العربية إلى نهاية العصر الأموي) ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- انظر دنت ، الجزية والإسلام (مترجم) ، ص ٢٩ . وقد اعتمدنا النسخة التي ترجمها يوسف العش .
- (٥٢) الجزية والإسلام ، (مترجم) - ص ٤١ .
- (٥٣) لوكيكارد ، الضريبة الإسلامية ، ص ٧٢ .
- Frede Lokkegaard, Islamic Taxation in The Classic Period, Copenhagen, 1950.
- p.72.
- (٥٤) طبعة بولاق ، ١٣٠٣ هـ ، وطبعة القاهرة ، ١٣٨٢ هـ .
- (٥٥) طبعة القاهرة ، ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م وقد ترجم الكتاب إلى الانكليزية Ben Shemsh, Aharon باسم Taxation in Islam طبع ليدن ، ١٩٥٨ م ، وقدم له كويتن Goitein وذكر في مقدمته (أن كتاب أبي يوسف أعمال قضائية بينما كتاب يحيى إنما هو كتاب حديث) . إلا أن تسمية الكتاب وما احتواه من أمور مالية تدلان على أن الكتاب مخصص لمعالجة الأمور المالية وما الأحاديث المروية إلا لاثبات وجهات النظر .
- (٥٦) طبعة القاهرة ، ١٩٥٣ .
- (٥٧) نشره شاخت ، ليدن ، ١٩٣٣ م .
- (٥٨) القاهرة ، ١٩٦٠ م ، والأحكام السلطانية لأبي يعلى الخنبلي (٤٥٨ هـ) ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ .
- (٥٩) طبعة ريتز ، الاستانة ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ .
- (٦٠) القاهرة ، ١٩٤٩ م .
- (٦١) القاهرة .
- (٦٢) مقال لفخر الدين الرازي طبعه وعلق عليه بول كراوس Kraus, Paul, Les "Controverses" de Fakhr Al- Din Razi, B.I.E, VIX 205 F F und 212 F F. لاحظ - لويس - أصول الاسماعيلية (مترجم) - ص ٦٤ .
- (٦٣) القاهرة ، ١٩٤٠ م .
- (٦٤) طبعة القاهرة ، ٤٨ ، ١٩٤٩ م .
- (٦٥) مجلة جمعية الاستشراق الألمانية ، بابك ، ٥٣١ .
- Flugel, G., Babek, Seine Abstammung and Erstes Auftreten, ZDMG, 1869, S.
- 531.
- (٦٦) انظر الهامش ٦٢ .
- (٦٧) (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، ١٩٣٨ .
- (٦٨) القاهرة .
- (٦٩) نشره دي غويه ، ١٨٩٢ .
- (٧٠) ليدن ، ١٣٠٢ هـ .
- (٧١) ليدن ، ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م .
- (٧٢) ليدن ، ١٩٢٧ م .
- (٧٣) ليدن ، ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م .
- (٧٤) رسالة أبي دلف الثانية ، موسكو ، ١٩٦٠ .
- (٧٥) م . ن . (المصدر نفسه) ، ص ١٣ .
- (٧٦) باعثناء دي غويه ، ١٨٧٢ .

- (٧٧) ليدن ، ١٨٧٢ .
- (٧٨) باعثناء دي غويه ، ١٨٧٧ .
- (٧٩) بيروت ، ١٩٥٠ .
- (٨٠) طبعة باريس ، ١٨٩١ .
- (٨١) انظر عنه أعمال بارتولد ، القسم الأول ، موسكو ، ١٩٦٣ ، ص ٦٢٦ .
- (٨٢) موسكو ، ١٩٤٩ .
- (٨٣) طهران ، ١٩٦٢/١٣٤٠ م .
- (٨٤) النص الفارسي ، ص ٢٩٠ ، والترجمة الروسية ص ٢٢٤ .
- (٨٥) طهران ، ١٣٢٠ ش ، ١٩٤١ م .
- (٨٦) ليدن ، لندن ، ١٩٠٥ .
- (٨٧) ترجمه عن الأرمينية بيترمان ، سانتبترسبرغ ، ١٨٦٢ .
- (٨٨) توجد ترجمتان للكتاب من الأرمينية أحدها ترجمة باتكانوف ، ك إلى الروسية وقد اعتمد على نسخة شاخاتوني الخطية فقط ، والأخرى ترجمة داوست (J.F. Dowsett) إلى اللغة الانكليزية The History of the Caucasian Albanians, by Movses Dasxuranci, London, 1961.
- ويشمس بونياتوف ترجمة داوست لأنها اعتمدت على أكثر من ٤٠ نسخة خطية في مكتبات العالم ، بونياتوف ، اذربيجان في القرون السابع - التاسع ص ١٢ .
- (٨٩) التاريخ العام ، فاردان ، ترجمه من الأرمينية أمين ، ن . موسكو ١٨٦١ .
- (٩٠) Kurdian H. Papek e Sahlibn sunbat. Pazmaveb. Venice, 1959, p. 15 .
- (٩١) رسالة المجلد إلى ماركس ، حزيان ١٨٥٢ ، كارل ماركس وفريدريك المجلد ، الرسائل المختارة موسكو ، ١٩٥٢ ص ٥٧٤ .
- (٩٢) م . ن . ، ص ٧٤ - ٥ .
- (٩٢) كارل ماركس وفريدريك المجلد المؤلفات المجلد التاسع الطبعة الثانية ص ١٣٢ .
- (٩٤) انكلز الحرب الفلاحية في ألمانيا ، موسكو ، ١٩٥٢ ، ص ٣٤ .
- (٩٥) م . ن . ، ص ٣١ .
- (٩٦) موسكو ، ١٩٥٦ .
- (٩٧) موسكو - لينينغراد ، ١٩٦٤ .
- (٩٨) لينينغراد ، ١٩٥٨ .
- (٩٩) طبعة موسكو ، ١٩٦١ .
- (١٠٠) العدد ٥ ، موسكو ، ١٩٥٨ .
- (١٠١) لمؤلفه الاستاذ سمينوف ، ف . ف . موسكو ، ١٩٦١ .
- (١٠٢) موجز من تاريخ ايران القديم ، موسكو ، ١٩٥٢ .
- (١٠٣) م . ن . ، ص ٣٠ .
- (١٠٤) م . ن . ، ص ٤٠ .
- (١٠٥) تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٢١٦ .
- (١٠٦) موسكو ، ١٩٤٤ .
- (١٠٧) موسكو ، ١٩٥٧ .
- (١٠٨) موسكو - لينينغراد ، ١٩٤٨ .
- (١٠٩) موسكو - لينينغراد ، ١٩٤٨ .
- (١١٠) موسكو ، ١٩٦١ .
- (١١١) موسكو ، ١٩٥٤ .

- (١١٢) الجزية والإسلام .
- (١١٣) يرفان ، ١٩٤٧ .
- (١١٤) م . ن . ج ٢ ص ٤٢٧ .
- (١١٥) م . ن . ج ٢ ص ٤٣٦ .
- (١١٦) م . ن . ج ٢ ص ٤٣٧ .
- (١١٧) يرفان ، ١٩٣٩ .
- (١١٨) م . ن . ص ٢١ .
- (١١٩) م . ن . ص ٢١ .
- (١٢٠) م . ن . ص ٢١ .
- (١٢١) المجلد الأول ، باكو ، ١٩٥٨ .
- (١٢٢) م . ن . ص ١١٨ .
- (١٢٣) م . ن . ص ١٢٠ .
- (١٢٤) م . ن . ص ١٢٠ .
- (١٢٥) م . ن . ص ١١٧ .
- (١٢٦) لندن ١٩٥٣ ، وانظر مقاله الممتع عن اذربيجان في الموسوعة الاسلامية م ١ ، ص ١٨٨ .
- The Encyclopaedia of Islam V.1, p. 188.
- (١٢٧) دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١١٢-١١٣ .
- (١٢٨) حدود العالم The Regions of the World لندن ، ١٩٣٧ وقد قدم له بارتولد ونشره وترجمه بالانكليزية مينورسكي . وتوجد نسخة خطية لحدود العالم مع فهرس لبارتولد في مكتبة لينينغراد .
- (١٢٩) القرآن ، لندن ، ١٨٥٧ .
- The Koran, Commonly Called the Al- Coran of Mohammed.
- (١٣٠) ابن العبري ، غريغوريوس (م . ٦٧٤ هـ / ١٢٨٦ م) أبو الفرج ابن هارون ، تاريخ مختصر الدول ، طبعة أوكسفورد ، ١٦٦٣ وطبعة بيروت ١٨٩٠ م .
- (١٣١) سيل ، القرآن ، ص ١٣٠ .
- (١٣٢) تعريب الدكتور مصطفى طه بدر ، القاهرة ، ١٩٤٧ م . (لقد ترجم خدابخش كتاب فون كريبير من الألمانية إلى الانكليزية تحت عنوان (الحضارة الاسلامية) في الجزء الأول من كتابه المسمى Contributions to the History of Islamic Civilisation وعنه ترجم الدكتور مصطفى طه بدر إلى العربية .
- (١٣٣) ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
- (١٣٤) ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
- (١٣٥) ادنبره ، ١٩٢٤ .
- (١٣٦) لندن ، ١٨٨١ .
- (١٣٧) - (بيشبرغ) ، ١٨٩٥ .
- (١٣٨) ص ١٦٩ .
- (١٣٩) ص ١٩٥ .
- (١٤٠) ط ٢ لندن ، ١٩٢٠ .
- (١٤١) ترجمة محمد كفاي وجماعته ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
- (١٤٢) لندن ، ١٩٢٣ .
- (١٤٣) لندن ، ١٩٢٣ .
- (١٤٤) بوسطن ، ١٩٦٢ .

- (١٤٥) ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، بيروت ، ١٩٤٨ .
- (١٤٦) ط ٢ ، كامبردج ، ١٩٥٧ .
- (١٤٧) نيويورك ، ١٩٥٥ .
- (١٤٨) ترجمة علي حسني الخربوطلي ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .
- (١٤٩) ليدن/بريل ، ١٩٥٢ .
- (١٥٠) القاهرة ، ١٩٤٧ .
- (١٥١) ترجمة نبيه امين فارس ، بيروت .
- (١٥٢) أصول الاسماعيلية ، ص ٢٠٣ .
- (١٥٣) ترجمة كرلوتا ، ز ، ف . وساتس أي . أ . ، موسكو ، ١٩٦٢ .
- (١٥٤) تحقيق الأثري ، محمد بهجت ، القاهرة ، ١٩٢٣ .
- (١٥٥) القاهرة ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ .
- (١٥٦) ٥ أجزاء ، القاهرة ١٩٠٢ - ١٩٠٥ .
- (١٥٧) جزآن ، بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .
- (١٥٨) ط ٢ القاهرة ، ١٩٤٤ .
- (١٥٩) بيروت .
- (١٦٠) ترجمة من الانكليزية إلى العربية نقولا ، جبرا ، حيفا ، ١٩٦٢ .
- (١٦١) م . ن . ص ٣٦ .
- (١٦٢) ط ٢ بيروت ، ١٩٥٤ .
- (١٦٣) ط ٢ ، بيروت .
- (١٦٤) القاهرة ، ١٩٥٨ .
- (١٦٥) القاهرة ، ١٩٥٩ .
- (١٦٦) القاهرة .
- (١٦٧) القاهرة ١٩٥٤ .
- (١٦٨) القاهرة ، ١٩٥٤ .
- (١٦٩) القاهرة ، ١٩٥٣ .
- (١٧٠) القاهرة ، ١٩٥٩ .
- (١٧١) القاهرة ، ١٩٦٠ .
- (١٧٢) بغداد ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
- (١٧٣) بغداد ، ١٩٦٣ .
- (١٧٤) بغداد ، ١٩٤٨ .
- (١٧٥) بغداد ، ١٩٥٣ .
- (١٧٦) ص ٥٢١ - ٥٤٢ .
- (١٧٧) م . ن . ص ٥٢١ .
- (١٧٨) م . ن . ص ٥٢١ .
- (١٧٩) م . ن . هامش ص ٥٢١ .
- (١٨٠) م . ن . ص ٥٢١ .
- (١٨١) كتب بونياتوف ، ز . بحثاً قيماً ناقش فيه مصطلح الخرمية في مجلة أخبار الاكاديمية الاذربيجانية السوفيتية ، العدد ٣ لسنة ١٩٥٩ .
- (١٨٢) المجلد الأول ، ليدن - لايزك ، ١٩١٣ .
- (١٨٣) م . ن . ص ٥٦٨ - ٩ .

- (١٨٤) م . ن . ص ٥٦٩ .
 (١٨٥) م . ن . ص ٥٦٩ .
 (١٨٦) بابك والبابكية ، ص ٢٠٥ .
 (١٨٧) م . ن . ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
 (١٨٨) القدس ، ١٩٢٧ .
 (١٨٩) بابك ، ص ٢١ - ٢٢ .
 (١٩٠) م . ن . ص ٨٨ - ٩ .
 (١٩١) م . ن . ص ١١٨ .
 (١٩٢) م . ن . هامش ص ٧ .
 (١٩٣) انتفاضة بابك ، ص ١١ .
 (١٩٤) م . ن . ص ١٩ .
 (١٩٥) بغداد ، ١٩٤٥ .
 Les Mouvements Religieux Iraniens, Paris, 1937 (١٩٦)
 (١٩٧) بغداد ، ١٩٤٥ .
 (١٩٨) بغداد ، ١٩٤٩ .
 (١٩٩) بيروت ، ١٩٦٠ .
 (٢٠٠) بيروت ، ١٩٦٢ ، وقد كتبنا ردأ عليه في مقالنا (الشعوبية) في مجلة الغد العدد الثالث ، براغ .
 (٢٠١) مجلة الآداب اللبنانية العدد الثالث ، اذار ١٩٦٥ .
 (٢٠٢) عدد كانون الثاني ١٩٤٨ ، واشنطن .
 (٢٠٣) م . ن . ص ٤٩ .
 (٢٠٤) م . ن . ص ٤٩ .
 Kurdian H., Papek e Sahl Ibn Sunbat, Pazmaveb, Venice, 1958. (٢٠٥)
 (٢٠٦) باكو ، ١٦٥٠ م .

الفصل الثاني

**الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي
للبلدان الشرقية الخاضعة للنفوذ العباسي
(إيران - أذربيجان - أرمينيا)**

البابكية

انتفاضة الشعب الاذرييجاني ضد الخلافة العباسية

٢٠١ هـ / ٨١٦ م - ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م^(١)

قامت في بداية القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، انتفاضة واسعة في اذربيجان وفي القسم الشمالي الغربي من ايران وفي جزء من ارمينيا ، ضد الخلافة العباسية واستمرت حوالي (٢٠) عاماً ناضلت الشعوب فيها تحت قيادة الشاب الباسل بابك ، نضالاً مستميتاً من أجل الحرية .

ولم تكن الانتفاضة وليدة الصدفة وإنما لها جذورها التاريخية ، فهي كسائر انتفاضات الخرميين ، وليدة تراكمات أحقاد المستغلين من فلاحين وبقية شغيلة المدن وصغار المتكسبين ، من باعة وتجار ، الذين كانوا يعانون أيضاً ، كالفلاحين ، من شدة قساوة الاستغلال الاقطاعي والتعسف والجور الحكومي .

ولكي ندرك الأسباب الموضوعية للانتفاضة علينا أن ندرس تاريخ الحركات الخرمية التي هي فرقة متطورة عن المزدكية ، وندرس تاريخ وأحوال الشعوب المساهمة في الانتفاضة ، ولهذا فإننا سنعود القهقري ونتوغل في التاريخ ليتسنى لنا تتبع تطور كفاح هذه الشعوب ونضالاتها من أجل رفاهها وتحررها واستقلالها والدور التقدمي الذي لعبته في كفاحها ضد التسلط الأجنبي والاستغلال المحلي والأجنبي .

ويقينا أننا سنواكب ، في هذه الفترة الطويلة ، سير تطور وسائل وأساليب الانتاج وتغير العلاقات الانتاجية ، ومشاهدة اثر كل ذلك في بناء المجتمع وتكوينه

السياسي والاجتماعي وتشخيص الصراع الطبقي والمفاهيم التي تستغل في تلك الميادين ، حتى إذا بلغنا عصر الانتفاضة البابكية تيسر لنا تحديد العلاقة بين الحاكمين المتمثلة بسلطة الخلافة العباسية وبين المحكومين المتمثلة بالشعوب المحتلة .

لهذا سيتناول بحثنا في الفصل الثاني الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي لبلدان ايران ، آذربيجان وارمينيا في أواخر العهد الساساني وفي عهد الفتوحات الإسلامية ، أي الراشدي ثم في العهد الأموي وبداية العهد العباسي .

الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للبلدان الشرقية الخاضعة للنفوذ العباسي (ايران، آذربيجان، أرمينيا)؛

١ - الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي قبل الفتح الإسلامي؛

أ - في ايران؛

كانت ايران قبل الفتح الإسلامي امبراطورية تحكمها الارستقراطية الايرانية وعلى رأسها العائلة الساسانية ، ودينها الرسمي الزرادشتية ، وتركيبها الطبقي كان مجتمع العبيد ثم تحول إلى مجتمع للاقطاع . فلقد ورثت الامبراطورية الساسانية تقاليد ونظم امبراطورية العبيد السابقة حيث استمر مجتمع العبيد سائداً لفترة طويلة في العهد الساساني حيث كان التقسيم الطبقي للمجتمع الايراني هو الآتي : - السادة الارستقراطيون ملاك العبيد وهم الطبقة السائدة والحاكمة والمستغلة وعلى رأسهم السلالة الساسانية . والعبيد وهم الطبقة المسودة المضطهدة المستغلة ومعهم الفلاحون الأحرار المنضمون إلى مشاعيات (مزارع مشاعية) والذين كانت حريتهم وأراضيهم مهددة دوماً من قبل الارستقراطية ، وهنالك الرحالة المتجولون مع ماشيتهم في ربوع البلاد وهناك أيضاً كادحو المدن ، غير أن التناقض الطبقي الأساسي كان بين الارستقراطية والعبيد . ثم بدأت تختلق في رحم ذلك المجتمع - مجتمع العبيد - نواة المجتمع الجديد (مجتمع الاقطاع) وبرزت للوجود في أواخر العهد الساساني بواكير النظام الاقطاعي بعد أن بلغت التناقضات أشدها في نهايات عهد العبيد . يذكر الأستاط ايفانوف ، م . س . أنه (من أول الساسانيين حتى القرن الخامس كانت علاقات العبودية منتشرة على نطاق واسع وبصورة رئيسة بين سكان ايران الأحرار

وكذلك الارتباطات القبلية ، ولكن وسط السكان الأحرار نشأت عملية التمايز الطبقي فغالبيتهم تحولوا إلى طبقة الفلاحين التي بدأت تستغلها تدريجياً الارستقراطية الاقطاعية مالكة الأرض والارستقراطية مالكة العبيد وكبار رجال الدين والعسكريون^(٢) .

هناك وثائق وآثار نجد صداها في أدبيات ومصادر فارسية^(٣) عن ظهور الاقطاع وفي مصادر عربية كثيرة ، كالحوار بين الملك بهرام بن بهرام بن هرمز والمؤيد حول الضرائب^(٤) ، ومحاورة قباذ مع عجوز حول شريكها في البستان^(٥) ، وتنظيمات كسرى الأول - انوشروان - المالية^(٦) .

لقد أصبح التركيب الطبقي للمجتمع الإيراني في الفترة الأخيرة من الحكم الساساني هو الآتي : - السادة الارستقراطيون ملاك الأراضي ومعهم صغار الملاك - الدهاقين - وعلى رأس الجميع الأسرة الساسانية الحاكمة وكانوا جميعاً الطبقة السائدة (حكام الولايات وقادة الجيش والقضاة وكبار رجال الدين من هذه الطبقة فقط) المستغلة المضطهدة لابناء الشعب ، والطبقة الثانية طبقة الفلاحين المسودة المستغلة المضطهدة ومعهم سائر الشغيلة من كادحي ابناء الشعب والعبيد . وبالرغم من بقاء بعض ملاك العبيد فإن التناقض الطبقي الأساسي في العهد الأخير هو التناقض بين الملاك وبين الفلاحين .

لقد دفع الهبوط الاقتصادي ارستقراطيي - أشراف - إيران ، مالكي الاعداد الهائلة من العبيد ، إلى تشغيل عبيدهم في الزراعة ، ومنحهم قليل من الحرية ، فلقد أصبحت الزراعة أكثر مجالاً للكسب ، وهذا مما ساعد بصورة عامة على ظهور أزمة العبيد^(٧) وأدى إلى التحول إلى الاستغلال الجديد - الاستغلال الاقطاعي - .

غير أن النظام القديم - نظام العبودية - لم يختلف تماماً ، بل ظل سائراً نحو نهايته والفساد ينخر في كيانه ويرافقه خلفه - النظام الجديد (النظام الاقطاعي) محتلاً مواقعته التي انحسر عنها ، لقد كان نظام الرق يلفظ أنفاسه ، لأنه أصبح عائقاً للتقدم الاقتصادي ومسبباً للضعف للسادة ومالكي العبيد . وكان النظام الاقطاعي - وريث مجتمع العبيد - في بداية نشوئه وتطوره . وبسبب تداخل نظام الرق مع نظام الاقطاع ، يحاذر كثير من المؤرخين من تحديد صفة المجتمع الساساني^(٨) لأن النظام

القديم كان في نهايته والنظام الجديد في دور بدايته ولا سيما في العهود الأخيرة حيث استمرت علاقات العبودية في مناطق غير كثيرة من ايران مع نشوء ونمو العلاقات الاقطاعية . يعتبر لويس المجتمع السابق (للحركات الدينية الهرطقية) مجتمعاً اقطاعياً وقد (تحطم ذلك البناء الاقطاعي القديم) ، ولا شك أن لويس قد أخطأ في افتراضه أن المجتمع السابق لظهور الفرق الدينية المناهضة للزرادشتية مجتمع اقطاعي وقديم^(٩) . والخربوطلي في اعتماده على كرمير قد وقع في الخطأ نفسه^(١٠) .

لقد عانى الشعب الايراني طيلة عهود الرق الظلم والاستغلال الطبقي حيث مارس الارستقراطيون أبشع أنواع الاستغلال بارهاقهم جماهير الشعب بمختلف أنواع الأعمال الشاقة والاذلال وساقوا الجماهير بأعداد هائلة ، إلى الحروب ، التي كانت تقام سواء بين العائلات الارستقراطية الايرانية المتناحرة أو بين الامبراطوريتين الايرانية والرومانية ووريثتها البيزنطية . وفي ختام كل حرب ، يسوق السادة المنتصرون أعداداً هائلة من أسرى الحرب ليضيفوهم إلى عبيدهم .

ولما أصبح هؤلاء العبيد لا يدرون رباً لاسيادهم ، بدأ الأسياد يفكرون بوسائل جديدة للربح ، بدأوا يفكرون بامتلاك الأراضي الواسعة وكثيراً ما كان الأكاسرة - الملوك الساسانيون (يهبون الأراضي ويقطعونها للامراء وخاصتهم ومن لا ذبهم)^(١١) ، وتحول السادة ملاك العبيد إلى طبقة ملاك الأراضي وهكذا تحول الاستغلال الطبقي من العبيد إلى طبقة الفلاحين ، والذين بدأوا يفقدون حريتهم في زراعة الأراضي مشاعاً ، أي تغيرت العلاقات الانتاجية لتغير القوى المنتجة ، ولم يسلم العبيد - طبعاً - والرخل وكادحو المدن وبقية الساكنين في المدن من حرفيين وباعة وصغار التجار - من تحمل اوزار وظلم السادة الاقطاعيين ، وأصبح السادة أعداء لأقسام واسعة من جماهير الشعب . لقد أدى سلب الأراضي من الفلاحين وتسليمها إلى الاقطاعيين إلى تحطيم المشاعية وتردي أحوال الفلاحين ، لاسيما وأن الضريبة كانت تقع عليهم - على جماهير الشعب - وحدهم وكانوا ملزمين بدفع الضرائب إلى الحكومة وإلى السادة الاقطاعيين وكان يقوم بجبايتها الدهاقين^(١٢) . ونتيجة لهذه الأوضاع المزرية هاجر الفلاحون إلى أقاصي البلاد تاركين الأراضي لاسياد هرباً من الضرائب . ومهما تكن الأسطورة التي يرويها المسعودي عن محاورة الموبذ للملك عن فحوى كلام البوم فإن

في هذه الأسطورة تصويراً لاستيلاء الناس من توزيع الأراضي على المقربين من الملك (نعم أيها الملك عمدت إلى الضياع فانتزعتها من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الأموال فاقطعتها الحاشية والخدم وأهل البطالة وغيرهم)^(١٣) .

لقد كان للاستغلال الاقتصادي والارهاق الجسدي أثر في تنشيط المانوية والمزدكية - وهي حركات ومعارضات شعبية باطار ديني - بين جموع المستائين بسرعة وأصبحت الأخيرة - المزدكية - وهي حركة فلاحية ضخمة - أول احتجاج جماهير فلاحي إيران ضد الاستغلال ، فتذكر بيكوليفسكايا بأن مختلف جماعات الفلاحين^(١٤) ساهمت في الحركة المزدكية . وكانت جموع الشعب تعاني من قساوة وظلم الملوك^(١٥) ، واستغلال الارستقراطيين الفظيع . وكان الملوك يسندون الارستقراطيين ورجال الدين ، لينالوا تأييدهم ، فأغفوه من الضرائب (وألزموا الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتاب ومن كان في خدمة الملك)^(١٦) ويرى زاخودير : - ان إصلاحات كسرى الأول الفت بصورة رئيسة لصالح أشرف الفرس... ولهيئة عليا من تجار ومرابي المدينة المنحدرين بدرجة كبيرة من العسكريين السريان .^(١٧) ويرى زاخودير أيضاً : - ان هذه الإصلاحات عنت إقامة علاقات الانتاج القطاعية في ايران ، بعد سحق الحركة المزدكية ، فالفلاح المتحرر تحول إلى فلاح تابع^(١٨) .

وكانت الأراضي موزعة بين الأسر الارستقراطية والمعابد ورجال الدين وكان أوسعها للأسرة المالكة الساسانية . يروي ابن حوقل محاورة بين الملك قباذ وعجوز منعت طفلاً من تناول فاكهة من بستانها : - فسألها قباذ : لماذا ؟ فقالت العجوز لنا فيها وفي جميع الباغ (البستان) شريك غائب كريم ويقبح بالشريك الحاضر خيانة الشريك الغائب . قال قباذ : - ومن الشريك ؟ قالت : الملك قباذ له فيها قسمة^(١٩) .

لقد ارهقت جماهير الشعب بالضرائب الفادحة كالخراج والجزية وهدايا أعياد النوروز^(٢٠) والمهرجان^(٢١) وتشير المصادر إلى أن ضريبة الخراج على الأرض كانت حتى عهد أنو شروان بطريقة المقاسمة (عينية) ولكن قباذ حاول مسح الأراضي وتحديد الضريبة بالنقود ، تحت تأثير الحركة المزدكية غير أنه توفي قبل انجاز هذا العمل فتم في عهد خلفه أنو شروان الذي وضعت الضريبة في زمانه مقدرة بالنقود وهي كما وردت في الطبري : - وكان الذي وضعوا على كل جريب ارض من مزارع الحنطة

والشعير درهما وعلى كل جريب ارض كرم ثمانية دراهم وعلى كل جريب ارض رطاب^(٢٢) سبعة دراهم وعلى كل أربع نخلات فارسي درهماً وعلى كل ست نخلات دقل^(٢٣) مثل ذلك وعلى كل ستة أصول زيتون مثل ذلك^(٢٤) . ويرى ابن حوقل^(٢٥) والماوردي^(٢٦) وياقوت الحموي^(٢٧) ان المسح تم في عهد قبادز وانه هو الذي نظم الخراج ، وهم في ذلك مخطئون إذ ان تنظيم الخراج تم في عهد انوشروان وأصبح الخراج (مساحة) مقدراً بالنقود . يذكر الدينوري : - (قالوا وكانت ملوك الأعاجم يضعون على غلات الأرض شيئاً معروفاً من المقاسمات النصف والثلث والرابع والخمس إلى العشر على قدر قرب الضياع من المدن وعلى حسب الزكاء والريع فهم قبادز باسقاط ذلك ووضع الخراج فمات قبل أن يستتم المساحة فأمر كسرى أنوشروان باستتمامها فلما فرغ منها أمر الكتاب ففصلوها ووضعوا عليها الوضائع...) ^(٢٨) وبالرغم من أن هذا التنظيم المالي أخذ بعين الاعتبار وضعية الأرض وقربها وبعدها عن المدن عند تحديد مقدار الضريبة ، فإن هذا الأسلوب في الضريبة (مساحة) انفع للدولة من أسلوب (المقاسمة) الذي يعتمد على أخذ الحصة من المحصول الحقيقي ، ولهذا لا تتفق مع البروفسور سمينوف ف . ف . في قوله : - بأن انوشروان خرج بدروس من الحركة المزدكية ولهذا وجد من الضروري إعادة النظر في نظام جباية الأرض من أجل تلافي النواقص^(٢٩) . إن أهداف أنوشروان كانت زيادة واردات الدولة وحصر الضرائب بالفلاحين وبقية الكادحين وإعفاء الأرستقراطيين منها (واسقطها عن أهل البيوتات والمرازبة...) ^(٣٠) ، ولا يمكن أن تصدر عنه بوادر التساهل مع الشعب . إن تنظيمه للضرائب جاء تنمة لأعمال والده - الذي باشر المسح ولم يتمه كما يقول المسعودي^(٣١) .

وأما الجزية وهي على الرأس فيذكر الطبري : - (والزموا الناس الجزية... صيروها على طبقات اثني عشر درهماً وثمانية دراهم وستة دراهم وأربعة) ^(٣٢) وهناك ضرائب العشور على التجارة وعلى الحرف . والضرائب بصورة عامة كانت ثقيلة ومجحفة وكان الشعب يسام صنوف العذاب والانتهاك عند جبايتها^(٣٣) وبالإضافة إلى الضرائب المجحفة والجور الذي يرافق جبايتها فإن على جماهير الشعب القيام بأعمال شاقة وبالمجان (السخرة) وكانت توجه اليهم الاهانات والتحقير .

وكان للحروب اللصوصية التي تنشب بين الايرانيين والرومان^(٢٤) ومن ثم مع البيزنطيين ، آثارها السيئة في جماهير الفلاحين وسائر كادحي المدن ، حيث كانوا وقود تلك الحروب ، وكانوا العدة الجاهزة ، ومنهم كانت تجبى الضرائب الباهظة^(٢٥) لسد نفقات الحروب . وإذا حلت الهزيمة ببلادهم سيقوا عبيداً إلى بلاد الرومان - بيزنطة ، كما كان يساق إلى إيران اسرى الحرب من الرومان والبيزنطيين ، وجلهم تسلب حريتهم ويحولون إلى عبيد يعملون في مزارع (الأشراف) الارستقراطيين^(٢٦) .

إن المجتمع الايراني في العهد الساساني تحول من مجتمع العبيد إلى مجتمع الاقطاع وكان للحركة المزدكية أثر في ذلك ، وعنت تنظيمات انو شروان المالية نشوء العلاقات القطاعية وركزت نفوذ القطاعيين . وزعزت المزدكية الكيان الساساني ولهذا ساعدت شأنها شأن الحروب الايرانية البيزنطية (التي أوهنت الامبراطوريتين الايرانية والبيزنطية وزادت في نفور شعبيهما من تسلط الطبقة الحاكمة وجورها) على هدم صرح الامبراطورية الايرانية المتداعي ويسرت للعرب الفتوحات^(٢٧) .

ب - في آذربيجان وارمينيا

تعرف آذربيجان السوفييتية الحالية ، قديماً باسم البانيا^(٢٨) ، وأما مقاطعة آذربيجان الجنوبية ، أو الايرانية الحالية ، فتعرف باسم اتروباتينا^(٢٩) (آدورباداكان) وأخيراً آدربايكان^(٣٠) .

أما أرمينيا^(٣١) فتعرف بهذا الاسم منذ القدم ، ولكنها كانت تشمل على أراضي أوسع مما هي عليه الان حيث كانت تمتد إلى شمال نهر الفرات .

وكانت تسود بلاد آذربيجان وارمينيا العبودية (مجتمع العبيد) حتى القرن الرابع الميلادي^(٣٢) . وقد عانت بلاد القفقاس من الاستغلال الطبقي في عهد العبودية بالإضافة إلى أنها كانت مسرحاً للحروب الرومانية - الايرانية وكان أهل البلاد من جراء ذلك عرضة للقتل والسلب والنهب وكانوا تحت قبضة السادة ملاك العبيد والمغتصبين الأجانب غير أن تطور الزراعة واستخدام المعادن بكثرة ونمو التجارة - في القفقاس - أوجد الامكانات للانتقال إلى العهد الجديد - عهد الاقطاع - وذلك بخلق الأزمة لمجتمع العبيد ، عندما أصبح هنالك تعارض بين القوى المنتجة وبين العلاقات

الانتاجية . لقد اختلق في رحم مجتمع العبيد - نواة النظام الجديد - المجتمع الاقطاعي ، بنشوء السادة ملاك الأراضي - الاقطاعيين - وبظهور الفلاحين - الفاقدين لحريرتهم وأراضيهم وذلك لتطور الزراعة وخاصة زراعة الكروم في آذربيجان (الباني) وتطور الحرف وانتشار التجارة في أرمينيا^(٤٣) - خلق الظروف لنشوء المجتمع الاقطاعي ، فالسادة ملاك العبيد بدأوا يعيدون النظر في طرق ووسائل الانتاج (كما شاهدنا في ايران) وأخذوا يوجهون اهتمامهم نحو استثمار الأراضي في الزراعة فبدأوا يؤجرون أراضيهم للفلاحين وكذلك للعبيد ، وما أدى إلى تحول الاستغلال الطبقي من العبيد إلى الفلاحين . كان الأحرار في أرمينيا والبانيا يطلق عليهم (آزاتي) وغير الأحرار يطلق عليهم انازاتي^(٤٤) وقد ذكر اليعقوبي عن اشراف أرمينيا (...ثم كان الاشراف من أهل البلد يقال لهم الأحرار)^(٤٥) وذكر ياقوت (وسئل بعض علماء فارس عن الأحرار الذين بأرمينية لم سمو بذلك ؟ فقال هم الذين كانوا نبلاء بأرض أرمينية قبل أن تملكها الفرس ثم أن الفرس اعتقوهم لما ملكوا واقروهم على ولايتهم)^(٤٦) . ان استيلاء ملاك العبيد على الاراضي المزروعة والمراعي ومجاري المياه والقنوات وامتلاكهم لها قد خلق الظروف المناسبة لتطور المجتمع وانتقاله إلى طور جديد . ولكن نشوء ونمو الاقطاع في آذربيجان وأرمينيا رافقه استمرار بقايا مجتمع العبيد في أماكن ليست كثيرة غير أن الطابع العام للمجتمع أصبح اقطاعياً^(٤٧) . إن حب السيطرة والأنانية وحب الانفراد بالسلطة والاستقلال المحلي لدى الملاك الاقطاعيين وبتشجيع من الطامعين الروم والاييرانيين ، دفعهم إلى خيانة مصالح البلاد بقيامهم بالحروب للصوصية المهلكة فيما بينهم مما أدى إلى ضياع استقلال البلاد وأصبح تاريخ هذه البلاد ضمن تاريخ أم كثيرة^(٤٨) .

وأصبحت البلاد لأحقاب طويلة تابعة لايران وللرومان وبيزنطة ، فالطبري يذكر عن اردشير مؤسس الدولة الساسانية : - ثم سار من موضعه إلى همذان فاقتتحها وإلى الجبل وآذربيجان وأرمينية^(٤٩) . ويذكر حمزة الاصفهاني عن كسرى انوشروان : - واسكن في كل طرف قائداً يقطع من الجيش وأقطعهم من ما يلي ذلك الصقع ضياعاً وجعلها من بعدهم وقفا على أولادهم فقد صار نسل أولئك إلى هذا الوقت حفظة لارضاء الحائط^(٥٠) وفي الطبري صورة رسالة موجهة من كسرى انوشروان إلى فاذوسبان

آذربيجان هذا نصها : - من الملك كسرى بن قباد إلى واري بن النخيرجان فاذوسبان آذربيجان وارمينية وحيزها ودوبناوند وطبرستان وحيزها ومن مثله سلام...^(٥١) ، وفي ذلك إشارة واضحة لتبعية آذربيجان وارمينيا لايران في عهد انوشروان ، بينما كان ما يقارب خمس ارمينيا تحت سيطرة الروم منذ عهد شابور الثالث الذي عقد اتفاقية مع الامبراطور ثيودوسيوس^(٥٢) .

لقد ظلت بلاد القفقاس نهبا للغزاة الطامعين ومسرحاً للحروب للصوصية بينهم وكانت الحروب تلقى تشجيعاً من الأمراء الاقطاعيين وكبار رجال الدين من أجل تثبيت واستمرار استغلالهم لجماهير الشعب . لقد جلب الاحتلال الاجنبي والحروب المستمرة البؤس والشقاء وأحل الخراب والدمار بالبلاد بينما كسب السادة المحتلون وسرقوا كل خيرات البلاد . ولدينا خير صورة للنهب والاستيلاء والاثراء الفاحش على حساب الشعب المحتل يرويها نظام الملك عن قائد (سباهسالار) ولاء كسرى أنوشروان اقليم آذربيجان حيث يعدد ما لديه من النقود والأواني والمنقولات والحلي بما قيمته (٣,١٠٠,٠٠٠ دينار) ومن الخيل والبغال (٣٠ ألفاً) ومن الغنم (مانا ألف) ولديه (١٧٠٠ عبد تركي ورومي وحبشي) ولديه (١٤٠٠) جارية عدا الأملاك والعقارات والخانات في العراق وخراسان وفارس واذربيجان^(٥٣) فهذه الصورة وإن كانت ارقامها لا قيمة لها تاريخياً كما يقول كريستنسن^(٥٤) ، إلا أنها صورة تعبيرية عن ثراء الولاة الفاحش المتأتي من سرقة الشعوب .

لقد استغل الفاتحون بلاد القفقاس أبشع استغلال يعينهم في تنفيذ مآربهم الاقطاعيون والرومانيون ، ولكن عندما قلص الغزاة من سلطة الأشراف المحليين ، أوقف الأشراف (الاقطاعيون) مساندتهم للغزاة وانضموا إلى حركة التحرر الشعبي ضد المحتلين محاولين استغلال ذلك التذمر لاغراضهم^(٥٥) .

وهكذا نجد ، عندما التهبت في ٤٥٠ م انتفاضة شعبية في ارمينيا ، انضم اليها الاحرار (الأمراء الاقطاعيون - في ارمينيا)^(٥٦) ولقد انتشرت هذه الانتفاضة في جورجيا واذربيجان (الباني)^(٥٧) . ولكن ايران جددت سيادتها على القفقاس بسبب تنافس الامراء المحليين الذين حرموا البلاد من الاستقلال ومن استغلال الفرص السانحة للاستقلال وأصبحت البلاد مسرحاً للحوادث الدامية والنهب والسلب من قبل الامبراطوريتين المتخاصمتين على احتلال القفقاس ، ايران وبيزنطة ، ولقد التجأتا

أخيراً ، في نهاية القرن السادس إلى عقد اتفاقية بينهما لاقتسام القفقاس لتضعا حدا للحروب التي انهكت قواهما وأصبحتا ، ايران وبيزنطة - كما يقول العدوي - تثنان من الخور والانهاك كما بقيت قصة حروبهما معلقة فصولها عند هذا الحد إلى أن أتم الإسلام فصلها الأخير^(٥٨) .

لقد وهنت الدولتان وضعفتا وجلبتا البؤس والشقاء لشعبيهما ولشعوب البلدان المحتلة من قبلهما ، لقد عقدتا الاتفاقية لتنعما بسلب خيرات البلدان بهدوء وسلام ، ولكن ذلك السلام كان الهدوء الذي يسبق العاصفة فقد داهمت الامبراطوريتين قوى الإسلام الزاحفة واحتلت جيوش العرب الغازية بلاد ايران وتوابعها واحتلت الجيوش العربية توابع بيزنطة ، فأزالت من الوجود الامبراطورية الايرانية وقلصت نفوذ بيزنطة في الشرق الأدنى .

٢- الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في العهد الراشدي والأموي؛

في العهد الراشدي؛

تعرضت بلاد ايران وبلدان القفقاس لفتوحات العرب المسلمين في النصف الأول من القرن السابع .

وكان للحروب الدامية أثرها في تلك الربوع التي أصبحت ميداناً للحروب المستعرة بين العرب الفاتحين والامبراطوريتين المتداعيتين ، الايرانية والبيزنطية حيث كانت أولاهما تلفظ أنفاسها الأخيرة ، ولهذا حشدتا كل ما تستطيعان جمعه من الجيوش ، للابقاء على النظام المهترئ، والسلطة المتداعية . ولكن الضربات المتلاحقة للجيوش الغازية الفتية شجعت العرب على مواصلة الزحف للأجهزة على الجيوش المنهارة ومن أجل الحصول على المزيد من الانتصارات والاستحواذ على خيرات البلدان الغنية^(٥٩) .

وتم القضاء على الامبراطورية الايرانية الساسانية وتقلصت ممتلكات بيزنطة ، بل تهددت أراضيها الخاصة .

ولقد كان من نتائج هذه الحروب الدامية في بلدان ايران وآذربيجان وارمينيا أن

تخطمت السلطة الساسانية وزالت امبراطوريتها وانهارت بقايا نظام العبودية ، بسبب مقتل وهروب الكثير من الاشراف مالكي العبيد ، غير أن المجتمع ظل محتفظاً بالرقائق والذين ازداد عددهم من أسرى الحروب وأصبح العرب السادة الجدد ، وتحولت إيران من امبراطورية حاكمة إلى ممتلكات تابعة وأصبح أهلها الرعية وهم مادة المسلمين^(٦٠) وانتقلت تبعية اذربيجان من النفوذ الإيراني إلى الاستحواذ العربي ، وكذلك أصبحت أرمينيا تحت النفوذ العربي وانحسرت ظلال إيران وبيزنطة عن مواقعها السابقة وأصبح أهل البلدين الرعية^(٦١) .

لقد كانت لهذه الفتوحات بالرغم من السلب والدمار والهلاك والكوارث التي رافقتها ، فوائد في تحرير البلدان من بقايا قيود النظم والتقاليد العتيقة^(٦٢) والاستغلال الفظيع ومن بقايا مجتمع العبودية وفي التحرر من تقييدات ومضايقات الديانات المتعفنة الجامدة المتحجرة كاليهودية والمسيحية والزرادشتية وغيرها . ومن تسلط الامبراطوريات الجائرة وأدت هذه الفتوحات إلى نمو وازدهار التجارة^(٦٣) . ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أن الإسلام الذي رافق ظهوره وجود تحولات في المجتمع العربي وخاصة في الحجاز (ذكر انكلز ، فردريك : لقد ترافقت الانعطافات التاريخية مع تغيرات في الدين ، بقدر ما يجري الحديث هنا عن الأديان العالمية الثلاثة التي وجدت حتى الآن البوذية ، المسيحية والإسلام)^(٦٤) ، قد خلق شعوراً لدى الشعوب المضطهدة ، التي تقاسي الظلم والاستبداد والطغيان الحكومي والجور والاستغلال الاقطاعي ، بأن العرب قد يأتون بحلول لإنقاذها من أوضاعها المزرية^(٦٥) . ولكن الفاتحين العرب لم يقصروا أهدافهم التي ساروا من أجلها لفتوح البلدان على نشر الدين الإسلامي وإنما على أهداف أخرى وهي الاستحواذ على البلدان واستغلالها ، يقول كولد تسهير : وقد هش العرب للدين الجديد ورحبوا به على اعتبار أنه ذريعة لحركة الفتح هذه ، التي كانت تدعو إليها الضرورات الاقتصادية^(٦٦) . ولهذا فحتى تلك المكاسب ، التي سبق وأن ذكرناها كنتيجة للفتوحات ، سرعان ما فقدت رونقها وأهميتها بعد أن مارس الفاتحون أساليب الاستغلال بوحشية ولا سيما في العهد الأموي ، حيث بلغ الانتهاك أقصاه وأصبحت حالة الفلاحين وبقية كادحي المدن لا تطاق .

لقد تيسر احتلال ايران بعد احتلال العراق ، أما ارمينيا فقد زحفت إليها جيوش الخلافة العربية لأول مرة في سنة ٦٤٠م^(٦٧) واستولت على العاصمة دفين . وأما أذربيجان الايرانية فقد غزت سنة ٦٤٢ م . هذا في المراجع الاجنبية . أما المصادر العربية فعن اذربيجان السوفيتية وأرمينيا تذكر سنوات الغزو ١٨ هـ ، ٢٠ هـ ، ٢٢ هـ وحتى ٢٥ هـ . ويتراءى لي أن هذه حملات جيوش متعددة وامدادات كان الخلفاء يبعثونها لاختاد الانتفاضات .

دوافع الفتوحات:

لم يكن دافع الفتوحات فرض العقيدة أو نشر الديانة الاسلامية فقط ، كما يحلو للبعض حصر ذلك ، وإنما كان غرض الفتوحات هو الاستيلاء وفرض السيطرة والحصول على المغنم بالدرجة الأولى فالبلاد يري يذكر : - قالوا لما فرغ أبو بكر من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش إلى الشام فكتب إلى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع وأتوا المدينة من كل أوب فعقد ثلاثة ألوية^(٦٨) . ويروي أبو تمام شعراً لحكيم بن قبيصة الضبي :

فما جنة الفردوس هاجرت تبتغي ولكن دعاك الخبز أحسب والتمر^(٦٩)

كانت غالبية الجند ، من الجزيرة العربية القاحلة ، دفعتهم الحاجة للالتجاء إلى الجيش بعد تعذر الغزو في الجزيرة العربية لوجود سلطة حاكمة لها جيش ، - حيث أصبح الجيش ، الوسيلة الوحيدة للاكتساب والرفاء والغنى لابناء الصحراء الجرداء المقفرة ، وبعد أن قلت أهمية طرق القوافل التجارية المحاذية للبحر الأحمر^(٧٠) . ويشير كولد تسهير إلى أهمية المركز الاقتصادي لبلاد العرب في البواعت التي دفعت العرب بالقيام بالفتوحات^(٧١) . وقد أشار أيضاً : - ولم يكن هذا الفتح موجهاً نحو المثل الأعلى وحده ، لأن كنوز المدائن ودمشق والاسكندرية لم تسمح طبيعتها بايجاد ميول للزهد والتقشف^(٧٢) . وفي نفس المعنى كتب طه حسين : - ونحن نعلم أن العربي يفكر في الغنمة كلما فكر في الحرب^(٧٣) . وقد لاحظ بأن الحاجة المادية هي التي دفعت بالعرب لفتح الامصار وليست الاثرة الدينية والتعصب^(٧٤) ، ويشير الدوري إلى

أنه (من خطل الرأي أن نظن بأن هذه الفتوحات كانت لفرض العقيدة الدينية على الشعوب الأخرى بل كانت سبيلاً للعرب ليحققوا حياة أفضل وليتبوؤوا مكانة أسمى ولئن دخلت الشعوب الأخرى في الإسلام فإن ذلك كان عملاً ذاتياً تلقائياً وبصورة متدرجة . إن الفتوحات نشرت السيادة للعرب)^(٧٥) ، ورأي الدوري صحيح فقد انتشر الإسلام في إيران واذربيجان ببطء وكان الدافع لاعتناق الإسلام هو أمل الشعوب في التخلص من الضرائب الفادحة (وقد تحقق جزئياً) (الجزية فقط) ولمدة قصيرة أعادها الامويون) وتزلف الارستقراطيين المحليين للسادة الحكام .

١ - إيران في العهد الراشدي؛

لقد كان العهد الراشدي بالنسبة لإيران عهد حروب وغزو وفتوح ولم تهدأ الحالة إلا في فترة (الفتنة) الحروب الداخلية التي شملت أواخر أيام الخليفة عثمان بن عفان وطيلة أيام الخليفة علي بن أبي طالب . وتنعدم ، في المصادر العربية ، الدقة في ضبط تواريخ الفتوح فكل مؤرخ يذكر عن حادثة واحدة عدة تواريخ وقد يناقض بعضها البعض . فابن الاثير يذكر عن فتح قومس وجرجان وطبرستان مثلاً : - قيل كان فتحها سنة ثمان عشرة وقيل ثلاثين زمن عثمان^(٧٦) ثم يذكر نص العهد الذي أعطي إلى أهل بهرذان - من نفس المنطقة - (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى النعمان بن مقرن أهل ماه بهرذان أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم لا يُغيّرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنفعة ما أدوا الجزية إلى من وليهم على كل حال في ماله ونفسه على قدر طاقته وما أرشدوا ابن السبيل وأصلحو الطرق وقروا جنود المسلمين ممن مر بهم فأوى اليهم يوماً وليلة ووفوا ونصحوا فان غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة - وكتب في المحرم - تسعة عشر)^(٧٧) . على أن الثابت أن نهاية يزدجرد الثالث - آخر ملوك الساسانيين - واحتلال إيران قد تمت في عهد الخليفة الثالث عثمان .

والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو عن تأثير الفتح في التركيب الاجتماعي في إيران . مما لا شك فيه أن الفتح العربي لم يحدث تغييراً في التركيب الاجتماعي ، لأنه لم يمس طرق ووسائل وأسلوب الانتاج ولم يغيرها ولم تتغير تبعاً لذلك العلاقات

الانتاجية وقد أشار ياكوبفسكي إلى أن (الاحتلال العربي لم يجلب معه إلى إيران شكلاً اجتماعياً جديداً)^(٧٨) . لهذا لا يمكننا أن نتفق مع بارتولد في قوله : - (وأما في إيران وفي تركستان فقد أبطل الإسلام ، كما سنرى في الفصل الآتي نظام الطبقات القديم وامتلاك الأراضي الواسعة وحدث مثل هذا في بلاد الأرمن كذلك)^(٧٩) ، لأن الاقطاع ، الذي بدأ ينمو ويتطور في أواخر الحكم الساساني ، قد ظل هو النظام الاجتماعي السائد في إيران في العهد الإسلامي . ولو أن الاقطاع لم يسر بوتائر أسرع بل أبطأ في تطوره وذلك لأن العرب تسلطوا على الارستقراطيين المحليين مالكي الأراضي وجعلوهم دونهم وقللوا من امكانات توسيع نفوذهم ، ولهذا السبب أيضاً ، لا يمكننا أن نتفق مع بوليانسكي الذي يرى أن الاحتلال العربي كان سبباً في خلق الظروف لتطور الاقطاع . حيث كتب (على هذا المنوال وجدت الامكانات الاقتصادية والاجتماعية لاجل تطوير الاقطاع . وبصورة أوسع أصبحت الخلافة دولة اقطاعية . ومن أهم عواقب الاحتلال العربي خلق الظروف لتطوير الاقطاع)^(٨٠) ، اننا لا نستطيع أن نتفق مع بوليانسكي لان الاحتلال العربي أخر سير نمو الاقطاع وتطوره حتى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، لأن العرب أرادوا فرض نظام الارستقراطية القبلية (رؤساء - شيوخ القبائل) وهذه المحاولة وإن لم تنجح ولم تقض على الاقطاع غير أنها جعلت الاقطاع يسير بوتائر أبطأ . إن العرب لم يقضوا على الاقطاع بل ساعدوا على استمراره بمنح الأشخاص العاملين للدولة الإسلامية ، القطائع ، من الأراضي المفتوحة ، ولو أن هذه القطائع لم تكن لتكتمل فيها شروط التملك الاقطاعي للارض فقد ذكر بارتولد : - إلا أنها لم تكن تقطع هي والذين يعيشون عليها كما كان في أوروبا في القرون الوسطى وفي روسيا في القرن التاسع عشر بل كانت تقطع وحدها^(٨١) . وأما بقايا نظام العبودية فكانت تعاني التفسخ والانحسار قبيل الفتح لاشتداد تناقضات العبيد مع السادة عند نشوء الاقطاع ، وكان الفتح العربي عاملاً في الاجهاز على السادة ملاك العبيد - اشراف إيران - من قتل منهم أو هرب - ولكن المجتمع الإيراني احتفظ بالرقيق وأصبح السادة الآن العرب .

فالتابع العام المتميز للمجتمع الإيراني ابان وبعد الفتح العربي هو الاقطاع - حيث ظل المجتمع الاقطاعي الإيراني هو هو في العهد الراشدي لان الفتح العربي الإسلامي لم

يجر تغييرات طبقية بالاضافة إلى أنه لم يخفف من الضائقة الاقتصادية ولم يجر تبدلات في النظم المالية^(٨٢) .

ولهذا فإن آمال أبناء الشعوب التي وضعوها في تحسين أحوالهم ، على الفاتحين قد تلاشت ، لاسيما وقد أعاد الفاتحون للدهاقين^(٨٣) ما كان لهم من سابق اعتبار وواجبات ، حيث بدأوا ، كسابق عهدهم ، بجمع الضرائب من السكان . هكذا وجد أبناء الشعوب أن آمالهم قد بنيت على سراب من الوهم .

٢ - ايران في العهد الاموي :

عند انتقال السلطة للامويين - وهم ممثلو الارستقراطية القبلية العربية - حلت النكبة بجماهير الشعوب المحتلة ومنها الشعب الايراني . يذكر ايفانوف ، م . س . - وكانت هذه الفترة من أصعب الأوقات على سكان ايران ، حيث كانت ايران واحدة من أعظم الولايات المظلومة^(٨٤) . لقد مارس الامويون أبشع أنواع الاستغلال والاضطهاد وعاملوا الناس بازدراء واحتقار وزادوا كمية الضرائب وأخذوها ممن أعفوا من دفعها - بعد إسلامهم^(٨٥) - ووضعوا أختام الرصاص في أعناق الموالي وأهل الذمة من الفلاحين مكتوباً عليها أسماء محلاتهم لكي لا يهربوا من دفع الضرائب . وأعادوا الضرائب القديمة كضرائب أعياد النوروز والمهرجان والضرائب على الحرف والصناعات^(٨٦) ، وبدأوا بالاستحواذ على الأراضي ، حيث انتقلت ملكية اخصب الأراضي إلى الأسرة الحاكمة^(٨٧) ، وبهذا خلقت الظروف لنشأة أجنة التملك الفردي المكتملة فيها شروط التملك الاقطاعي والتي ستظهر في العصر العباسي - القرنين التاسع والعاشر - أما الاقطاع^(٨٨) فقد ظل يسير بوتائر أبطأ . وكان من جراء الحكم التعسفي الجائر والمبني على احتقار الشعوب ونهب خيراتها والمستند على المرازبة والدهاقين^(٨٩) - الذين كان عليهم جمع الضرائب من الشعب ، وطبيعي ، ما كانوا لينسوا أنفسهم في اغتنام الفرص للثراء على حساب الشعب - أن تدهورت الحالة وانهار اقتصاد البلاد وشلت جميع مرافق البلاد الاقتصادية ، وكان على دافع الضريبة البائس - كما يقول ولهاوزن - ولا ريب أن يدفع مبلغاً لا يقل عن قيمتها في عهد الساسانيين^(٩٠) . جاء في الكامل لابن الاثير : - وقال كعب الاشقري وقيل رجل من جعفي :

كل يوم يحوي قتيبة نهبا	ويزيد الأموال مالا جديداً
بأهلي قد ألبس التاج حتى	شاب منه مفارق كن سودا
دوخ الصفد بالكتائب حتى	ترك الصفد بالعراء قعوداً ^(٩١)
فوليد يبكي لفقد أبيه	وأب مـوجع يبكي الوليداً ^(٩٢)
كلما حل بلدة أو أتاها	تركت خيله بها أخذوداً ^(٩٣)

وهذا خير وصف للمصائب التي كانت تحيق بالشعوب من جراء الحروب التي كانت تشنها الخلافة على البلدان ، وإن كان الوصف على بلاد الصفد وليس على إيران . يعتبر جوزي ، . بندلي ، أن لبني أمية الفضل على الأمم المغلوبة وإن الاجراءات التعسفية إنما اضطر إليها الخلفاء المتأخرون لحاجتهم إلى الأموال^(٩٤) . ولكن الفضل الذي يعزوه جوزي إلى بني أمية إنما يجب أن يعود - كما شاهدنا سابقا - إلى الفتوحات في عهد الراشدين . يقول جوزي : - معاذ الله أن أنكر فضل بني أمية على الأمة العربية وبعض حسناتها على الأمم المغلوبة كالفرس مثلاً الذين ألغوا بينهم النظام القديم المبني على تفاوت الطبقات وساووا بينهم في الحقوق والواجبات^(٩٥) .

إن كتابات جوزي لا تخلو مع الأسف من أمثال هذه الأخطاء والتناقضات فالأمويون أعادوا ضرائب النوروز والمهرجان منذ أيام معاوية بن أبي سفيان^(٩٦) وفرضوا الجزية على من أسلم وهذه - كما يقول ابن سلام - من أعظم الأمور^(٩٧) ، وقد تسلطوا على الشعوب وأذاقوها مر العذاب ونهبوا خيرات البلدان وأغرقوا القارات بسيول من الدماء وساقوا الأحرار أسرى وباعوهم عبيدا ، متذرعين بأن تلك الحروب لله ، ولكنها في الحقيقة وكما عرفها ابن عبد العزيز - الخليفة الأموي - كانت للغنيمة^(٩٨) . وإذا نظرنا إلى الخلفاء جميعهم وجدناهم مطبقين سياسة البطش والغدر والنهب عدا عمر بن عبد العزيز الذي اعتبر شاذاً عن الخط العام ، إذ أن بعض محاولاته في التخفيف من وطأة الضرائب الثقيلة عن كاهل الأمم المغلوبة - بالرغم من عدائه لأهل الذمة - لم تنل رضا من تلاه من الخلفاء واعتبرت محاولته شذوذاً عن الخط العام لسياسة الأمويين المالية - لاحظ كتب يزيد بن عبد الملك إلى عمال عمر بن عبد العزيز في العقد الفريد^(٩٩) .

وقد كان من جراء الانتهاكات الفظيعة والاستغلال المهرق والاجراءات التعسفية أن انتفضت الجماهير الايرانية وانضمت إلى انتفاضات عديدة ، فانضموا إلى الخوارج الذين كانوا - كما قال عنهم بيلاييف ، ي . آ . : في طليعة الثورات الشعبية ضد الأمويين ممثلي الارستقراطية العربية^(١٠٠) ، ومعبرين عن أوسع الطبقات الغاضبة لسكان العراق وغرب ايران^(١٠١) ، وقد علل كولد تسهير انضمام الموالي إلى الخوارج (بسبب ميول الخوارج الديموقراطية وثورتهم على مظالم الامويين)^(١٠٢) وبذلك فتحوا الطريق كما يشير ولهاوزن ، : - فقبلوا الموالي في جماعتهم وحيشهم^(١٠٣) ، فانضموا إلى أنصار أبي مريم^(١٠٤) ، وأنصار أبي عبيد الله الماحوز^(١٠٥) ، ومع الخريت بن راشد الناجي^(١٠٦) ، ومع قطري بن الفجاءة^(١٠٧) الذي انفصلوا عنه عند جيرفت^(١٠٨) ، إلى عبد ربه^(١٠٩) ، وقد انضمت جموع غفيرة من الايرانيين إلى حركة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث^(١١٠) ، قائد الجيش الأموي في سجستان ، الذي استغل سخط الجيش من مواصلة الحرب في سجستان لتحقيق أغراضه الشخصية ولكن الحركة توسعت فشملت جموع الساخطين على الحكم الأموي وأعلنت محاربة الوالي القاسي المتعطش للدماء ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، (والي العراق في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد) ، وخلعت الخليفة عبد الملك بن مروان . « لم يعترفوا بخلافته في العراق » وأرغمت الجماهير ابن الأشعث على عدم المهادنة ومواصلة الحرب فقد ساهم الايرانيون في جيش ابن الأشعث ضد الجيش الأموي في العراق ، فالاساوره والسيابجة^(١١١) « قوى ايرانية تهادنت مع العرب عند الفتوح » التحقوا بجيش الطواويس^(١١٢) « جيش ابن الأشعث » . ويذكر الطبري بأن عدد الموالي بلغ مائة ألف في جيش عبد الرحمن عند دير الجماجم^(١١٣) ويعلل فون كريمر مساندة الموالي لابن الأشعث كرد فعل لفرض الجزية على الموالي بعد اسلامهم^(١١٤) ولاشك أن هذا العامل مباشر لسخط الموالي الذين تراكم لديهم السخط والغريب أن ولهاوزن لا يقر فون كريمر على رأيه هذا ، إذ يعتبر ولهاوزن مساهمة الموالي مع أسيادهم العرب كتقليد لواجبات المولى ، وبهذا ينكر ولهاوزن العامل الاقتصادي^(١١٥) . كما وساهم الموالي في ثورة الحارث بن سريج . وكان الحارث من المرجئة - وهم الموالون للسلطة الأموية - ولكن برغم كونه من المرجئة ، فإن الأوضاع المزرية والانتهاكات الفظيعة لابسطة الحقوق ، دفعت به لقيادة

ثورة تحت شعار إلغاء الجزية عن المسلمين الجدد واستلام العطاء كبقية المسلمين من العرب ، ورفع راية سوداء انضمت تحتها ، لا جموع الفلاحين المعدمين من بلاد الصغد وخراسان فحسب ، بل وحتى الدهاقين^(١١٦) في أمل استعادة سيطرتهم السابقة^(١١٧) مما اضطر السلطة الاموية لارسال خيرة جيوشها للقضاء عليها^(١١٨) . لقد ساهم الموالي في العديد من الانتفاضات الشيعية وغيرها ثم انخرطوا في صفوف الدعوة العباسية ويذكر الطبري أنه في سنة ١٠٠ هـ كان من بين الاثني عشر نقيباً اربعة من (الفرس) والبقية عرب^(١١٩) ، (ذكر الخربوطلي أن عددهم خمسة وهو ينفرد وحده بهذا الرقم)^(١٢٠) . وغالبية جيش ابي مسلم كما نعلم من الايرانيين . وكانت الجماهير المساهمة في الانتفاضات والثورات تنشد تحسين أوضاعها المزرية وظروفها الاقتصادية السيئة ورفع الحيف وانتهاك الحرمات عنها^(١٢١) . قال أبو الصيда صالح بن طريف - : وكان في الوفد الذي وصل إلى دمشق من خراسان - للخليفة عمر بن عبد العزيز - : عشرون ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يأخذون بالخراج؟^(١٢٢) .

وقال رجل من عبد القيس : أثناء حروب الحارث بن سريج ،

تولت قريش لذة العيش واتقت بنا كل فج من خراسان اغبرا
فليت قريش أصبحوا ذات ليلة يعومون في لج من البحر أخضرا^(١٢٣)

٣ - آذربيجان وارمينيا في العهد الراشدي؛

أدت الفتوحات العربية في آذربيجان وارمينيا إلى إزالة السلطة الايرانية والبيزنطية وأحلت محلها السلطة العربية ، وقد أشرنا إلى تضارب آراء المؤرخين العرب حول سني الفتح^(١٢٤) ، فالبلاذري يذكر الفتوح في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بقيادة حذيفة اليمان^(١٢٥) ثم بقيادة عتبة بن فرقد السلمي^(١٢٦) ثم يذكر غزوة للمغيرة بن شعبة سنة ٢٢ هـ ويروي بعد ذلك (أن المغيرة غزا آذربيجان سنة ٢٠ هـ ففتحها ثم انهم كفروا فغزاها الاشعث بن قيس^(١٢٧) ، وكذلك الطبري يذكر عن حوادث سنة ٢٢ هـ (ففيها فتحت آذربيجان)^(١٢٨) ثم يذكر رواية أخرى (قال كان فتح آذربيجان سنة ١٨ من

الهجرة بعد فتح همذان والري وجرجان^(١٢٩) وقد ورد في صيغة الامان الذي أعطي لأهل آذربيجان (..... وكتب سنة ١٨)^(١٣٠) وأما تاريخ الامان الذي أعطي لموقان فهو سنة ٢١ هـ^(١٣١) . لقد بينا أن هذا التضارب بين المؤرخين العرب يعزى إلى أنه لم تكن هناك حملة واحدة وإنما حملات عديدة نتيجة للانتفاضات العديدة التي قام بها سكان القفقاس . فالبلادري يذكر عن عتبة بن فرقد أنه واجه انتفاضات (وانتفضت عليه نواح فغزاها فظفر فغنم)^(١٣٢) ثم يذكر عن آذربيجان في حوادث سنة ٢٠ (ثم انهم كضروا فغزاها الاشعث بن قيس)^(١٣٣) ويذكر ابن تغري بردي عن حوادث سنة ٢٨ هـ (وفيها غزا الوليد بن عقبة آذربيجان)^(١٣٤) ويذكر أيضاً عن حوادث سنة ٢٩ هـ (وفيها نقصت آذربيجان فغزاها سعيد بن العاص حتى افتتحها ثانية)^(١٣٥) . وبرغم تلك الحملات والغزوات الدموية فإن الخلفاء العرب المواجهين مقاومة الجماهير الشعبية العنيدة لم يتيسر لهم تثبيت أقدامهم رأساً بصورة وطيدة وقد أدت تلك الحروب الى تمزيق الامراء الاقطاعيين المحليين واحلت محل الكثيرين منهم ارستقراطيي القبائل العربية الذين ورثوا بسرعة (التبعية الاقطاعية على الفلاحين)^(١٣٦) وانتقلت ملكية الاراضي إلى القبائل العربية النازحة بالإكراه أو الشراء أو الاجاء ، ذكر البلادري : - قال الحسين بن عمرو وأخبرني واقد أن العرب لما نزلت آذربيجان نزعت إليها عشائرها من المصريين والشام وغلب كل قوم على ما أمكنهم وابتاع بعضهم من العجم الارضين وأجنت اليهم القرى للخفارة ، فصار أهلها مزارعين لهم^(١٣٧) ، وقد حاول البلادري أن يلطف وقع هذا العمل فاستدرك بأن الأراضي التي أخذها المحاربون العرب من السكان الاصليين لم تعتبر ملكاً خاصاً للمحاربين . وقد اعتبر لوكيكارد ، تبرير البلادري هذا ليس أكثر من احتجاج متأخر على سلب المحاربين العرب لاراضي السكان المحليين^(*) . أما امراء ارمينيا وامراء كارتلي (القسم الشرقي من جمهورية جورجيا) فقد استطاعوا الحفاظ على مراكزهم ونفوذهم بدفع الضرائب^(١٣٨) . لقد كانت فترة العهد الراشدي في القفقاس فترة حروب احتلال^(١٣٩) وقمع انتفاضات جماهيرية واستحواذ اراض من الملاكين الاقطاعيين وانتقال ملكيتها إلى رؤساء القبائل (الارستقراطية القبلية) وكان

(*) الضريبة الإسلامية ، ص ٣٤ .

المجتمع يسوده نظام الاقطاع الناشئ الآخذ بالتطور (البطيء) وكان الاستغلال الاقطاعي لا يزال مقروناً باستغلال العبيد .

٤ - القفقاس في العهد الأموي؛

ساءت أحوال جماهير الشعب القفقاسي ، بعد انتقال السلطة إلى الأمويين . أكثر مما كانت عليه سابقاً ، وذلك لأن الأمويين مارسوا سياسة الشدة في تثبيت مركزهم في بلاد القفقاس فاغرقوا البلاد في بحار من الدماء وأحلوا البؤس والشقاء في تلك الربوع ، كما وأنهم استحوذوا على أخصب الأراضي وحولوها أملاكاً لهم ، يذكر البلاذري : - قال الحسين كانت ورثان قنطرة... فبناها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وأحيا أرضها وحصنها فصارت ضيعة له ثم قبضت مع ما قبض من ضياع بني أمية فصارت لام جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور... وكانت المراغة تدعى اقراهروذ وكان أهلها أجوؤها إلى مروان فابتنها وتآلف وكلاؤه الناس فكثروا فيها للتعزز وعمروها ثم انها قبضت مع ما قبض من ضياع بني أمية وصارت لبعض بنات الرشيد^(١٤٠) ، ونتيجة للاستحواذ والالغاء ظهر بسرعة ملاكون عظام من الارستقراطية العربية ولم يستغلوا الفلاحين المحليين فقط ولكن الآفاً كثيرة من الأسرى العبيد كذلك^(١٤١) . لكن ذلك التملك لم يكن شاملاً كل بلدان القفقاس ، فقد احتفظ غير قليل من أمراء أرمينيا بأراضيهم ، ولم تكتمل فيه شروط التملك الاقطاعي ، وكان من جراء تسلط الأمويين أن ساءت الأحوال الاقتصادية لبلدان القفقاس حيث أصابها التدهور والهبوط الاقتصادي وكان لاغتصاب الأراضي وفداحة الضرائب وسوء طرق جبايتها وإجبار الناس على دفع الضرائب نقوداً (من الفضة) بدلاً من المحاصيل ، كان لكل ذلك الأهمية في التدهور ، ولقد أصبح الفلاحون وهم غالبية السكان يواجهون منتهى الضيق والشدة^(١٤٢) ، ويصور ذلك المؤرخ الأرمني كيفوند بعد حرق الأحرار (الأمراء) الأرمن : - (بعد هذا عندما حرمت بلادنا من عوائل النخارايين (الأحرار - الأمراء الأرمن) أصبح سكانها كالأغنام أمام الذئاب)^(١٤٣) . ولقد استطاع جامعوا الضرائب العرب الاستيلاء تقريباً ، بمدة قصيرة على كل ذهب وفضة القفقاس بالإضافة إلى الهدايا من الخيول والبغال والملابس الفاخرة التي كان يقدمها الأمراء للوالي العربي^(١٤٤) ، الذي كما يصوره

كيفوند ١ - قبل كل شيء ، عند وصوله إلى أرمينيا عذب الكثيرين وبالاكره قادهم إلى التعاسة (١٤٥) .

لقد كان الطابع العام للمجتمع القفقاسي في ظل الحكم الأموي ، مجتمعاً اقطاعياً أخذاً بالتطور والنمو البطيء ، عن الاقطاع المبكر ، ولكن لم تكن كافية بعد أشكال تطورات التملك الاقطاعي ، لكن بذور (جنين) شروط التملك الاقطاعي قد ظهرت . لقد طبق في القفقاس الاستغلال الطبقي الاقطاعي كما واستغل العبيد استغلالاً واسعاً . إن الذي مكن للامويين استمرار بقائهم في القفقاس هو : أولاً : سياسة البطش والارهاب (كحرق الامراء في كنيسة ناخجيفان) (١٤٦) . ثانياً : حرمان الجماهير الشعبية من القيادة المخلصة الوفية لمصالح الشعب ، ثالثاً : تمزق البلاد وتنازع الامراء الاقطاعيين المحليين فيما بينهم . غير أن حكم البلاد كان شاقاً ، فقد جابه الامويون انتفاضات جماهيرية عارمة صاحبة تطلب اخمادها اراقة الغزير من الدماء وكان يصاحب اخماد الانتفاضات الجماهيرية ، عادة مجازر وحشية فظيعة ، فعندما التهبت في ٧٠٣ م الانتفاضة الجماهيرية في أرمينيا (بنفس الوقت قامت انتفاضة جماهيرية في أذربيجان) ضد والي الخليفة تم القضاء عليها ، خدع العرب حوالي (٨٠٠) اقطاعي من أمراء أرمينيا (١٤٧) وأذربيجان واقتادوهم إلى كنيسة في مدينة ناخجيفان وأغلقوا من دونهم الأبواب وأشعلوا النار بالكنيسة وأحرقوهم (١٤٨) .

إن أعمال القمع الوحشية وتقليص نفوذ الامراء الاقطاعيين دفع بهم إلى الانضمام إلى صفوف الشعب المقاوم آمليين توسيع نفوذهم والتخلص من ربطة الاجنبي . وهذا التحالف المؤقت لم يغير من طبيعة الصراع الطبقي في القفقاس فلقد كان الشعب القفقاسي ينتفض ضد السلطة العربية وضد الأمراء الاقطاعيين وحتى ضد رجال الدين . لان ابناء الشعب كانوا يقاسون من هؤلاء مجتمعين ، ولكن الأحوال قد ساءت في الفترة الأخيرة من الحكم الأموي لدرجة شمل السخط مختلف الفئات وكل الطبقات ، لهذا انضم الامراء إلى الثورات الشعبية . وفي ختام الحكم الأموي قامت (٧٤٨م ٧٥٠م) انتفاضة شعبية ضخمة يسرت ، بدورها ، للعباسيين الاجهاز على الحكم الأموي (١٤٩) .

٣- الاقطاع

نشأ في المجتمعات الايرانية القفقاسية ، كما مر بنا ، نظام جديد ، نتيجة عوامل اقتصادية ، هو نظام الاقطاع^(١٥٠) ، فلقد أدى تفاقم التناقضات ، في المجتمع العبودي ، بين القوى المنتجة وبين علاقات الانتاج (الاجتماعية) القائمة آنذ ، إلى الانتقال إلى الأسلوب الجديد (الاقطاعي) في الانتاج ، إن الذي يحدد الضرورة التاريخية لهذا الانتقال من الأسلوب العبودي إلى الأسلوب الاقطاعي هو طابع ومستوى تطور قوى الانتاج في المجتمع العبودي نفسه ، كما ويحتل الشكل الأعلى للصراع الطبقي ، الثورة الاجتماعية ، دوراً خاصاً كبيراً في التقدم الاجتماعي ، الثورة التي بنتيجتها يجري تنظيم النظام الاجتماعي القديم وتتم اشادة نظام اجتماعي جديد أكثر تقدمية . وكان نشوء الاقطاع في المجتمعات الايرانية - القفقاسية في فترة ما قبل الفتح العربي . إن نظام الاقطاع هذا لم تكن لتتوفر فيه شروط التملك الاقطاعي ، ولم يكن مشابهاً تماماً للاوروبي .

وقد أوضح انكلز - في رسالته إلى ماركس - إن السبب يعود إلى المناخ وطبيعة الأرض : « إن انعدام الملكية الخاصة للأرض يصبح مفتاحاً لفهم الشرق وفي هذا يكمن أساس تاريخه السياسي والديني كله . ولكن لماذا لم تصل شعوب الشرق إلى مرحلة التملك الاقطاعي ؟ يخيل إلي أن ذلك يفسر بشكل أساسي بالمناخ وبطبيعة الأرض وبصورة خاصة منطقة الصحراء الكبرى التي تمتد من الصحارى عبر بلاد العرب ، الفرس ، الهند ، التتر حتى أعالي الجبال الآسيوية . إن الشرط الأول للزراعة هنا هو طريقة الارواء الصناعية وهي إما أن تقوم به الجماعة أو المحافظة أو الحكومة المركزية »^(١٥١) .

لقد كان الاقطاع في بداية نشوئه وأخذاً بالتطور رويداً رويداً مختلاً الأماكن التي ينحسر عنها مجتمع الرق ، الأخذ بالانحلال نتيجة أزمتيه . ثم أخذ الاقطاع يتلکأ في نموه وتطوره نتيجة الفتوحات العربية وما تلاها من الحكم الراشدي والأموي وجزء من العهد العباسي الأول ، وذلك بسبب محاولة العرب فرض نظام الارستقراطية القبلية ، المألوف لديهم ، بنقل ملكيات واسعة من الأراضي المحتلة إلى رئاسة القبائل . وهذه

المحاولة لم تقض على نظام الاقطاع ، كما خيل لتوما^(١٥٢) ، ولكنها جعلته يسير بوتائر أبطأ ، وذلك : (١) لان السلطة العربية حاولت - كما قلنا - فرض الارستقراطية القبلية ونقل ملكية الأراضي المستحوذ عليها إلى القبائل بدلاً من الافراد ، وقد تيسر لها ذلك في بادئ الأمر لحد ما . (٢) انتقلت ملكية أراضي العائلة المالكة والدولة والارستقراطية المقاومة إلى الدولة (العربية) - الصوافي - وقد جرى اقطاع اقسام منها بعدئذ . (٣) أصبح المتعاقد مع الفلاحين في الأراضي المفتوحة (صلحاً) - حسب شروط الصلح (الأمان) - السلطة ، وبهذا أصبحت الضرائب مع ما يتبعها من التزامات منصوص عليها - واجبات مفروضة من الدولة . (٤) أصبح السيد المالك في الأراضي المحتلة (عنة) الدولة وليس الملاك السابقون ، وبهذا فإن الضرائب والواجبات الالزامية المتعلقة بها تقدم للسلطة ، وفي هذه الحالة تتطابق اجرة الأرض (أو الريع) مع الضريبة - كما يقول ماركس^(*) . (٥) قوة سلطة الخلافة المركزية وسكنى الملاكين في العاصمة أضعف إمكانية توسع نفوذ الملاك وتطوير ملكية الأرض لزمن ما ، ولكن لا يمكن التصور بأن الاقطاع الناشئ قد تلاشى أو غير موجود أو حرم من إمكانية تطوره . والملاحظ أن كارل ماركس يطلق على أسلوب الانتاج في آسيا في القرون الوسطى (أسلوب الانتاج الآسيوي) ، يطلق ذلك في مؤلفاته أحياناً ليبدل على وجود فروق بين النظام الاقطاعي في الشرق عن الغربي النموذجي . وفي مناقشة ممتعة لهذه الموضوعة عالج العلامة فاركه ذلك في الفصل الأخير من كتابه^(**) ، مبيناً أنه بالرغم من عدم توفر الامكانيات الواسعة لدراسة تاريخ الشرق لماركس كما كان متيسراً له ولرفيقه انكلز عن الغرب ، فإن ماركس كان مصيباً في هذه التسمية ليميز بين نظام الاقطاع الآسيوي والاوروبي النموذجي . لقد ورث العرب الفاتحون التبعية الاقطاعية على الفلاحين مما اضطرهم إلى أخذ الكثير من نظم المجتمع وشرائعه والاستعانة بموظفين أجانب^(١٥٣) ، ولهذا جاءت حلول العرب وطرق معالجتهم لقضية الأراضي وللضرائب وفي معاملة الناس ، في كثير من الأحوال ، مطابقة أو مشابهة لما هو متعارف عليه مع بعض التغييرات التي اقتضتها التطورات الزمنية ، فتلك الحلول والتنظيمات ليست

(*) كارل ماركس ، رأس المال ، م ٣ ، كارل ماركس وفريدريك انكلز ، المؤلفات ، م ٢٥ ، القسم الثاني ، ص ٣٥٤ .

(**) فاركه ، مختصرات حول مشاكل الاقتصاد السياسي الرأسمالي ، موسكو ١٩٦٥ ، ص ٣٥٨ - ٣٨٢ .

بساسانية أو بيزنطية بحتة ولا عربية صرف وإنما هي ساسانية أو بيزنطية بقالب عربي .

إن توزيع الأراضي ونقل ملكيتها إلى القبائل (الارستقراطية القبلية) واكمه توزيع الأراضي على الأفراد^(١٥٤) واستحواذ أفراد من الارستقراطية العربية على أراض واسعة وبهذا ساهم العرب في تكوين الملكيات الخاصة (لم تكتمل فيها شروط التملك الاقطاعي) بالإضافة إلى الملكيات العامة كأراضي الصوافي^(١٥٥) والحمى^(١٥٦) وباقي ممتلكات الدولة^(١٥٧) . ولهذا فإن الاقطاع وإن تلكأ في سيره إلا أن السلطة العربية ساهمت بنفس الوقت في تكوين الاملاك الخاصة التي سيكتمل فيها شرط التملك الاقطاعي في العهد العباسي - القرن التاسع والعاشر الميلادي - حيث أصبح الاقطاع فيها يعني حق التصرف بالأرض ومن عليها بعد إن كان الاقطاع يعني قبل القرن التاسع حق استئجار الأرض . إن الأراضي في العهدين الأموي والعباسي كانت تمنح للعاملين في الجيش والدولة وللمقربين للخلفاء كما وقد أقطعت للمقربين في عهد الفتوح^(١٥٨) . وتبع المصادر بذكر القطنع التي منحت من قبل النبي محمد ، سواء أراضي مفتوحة كخيبر^(١٥٩) والجرف والقناة^(١٦٠) (قرب المدينة) أو لم تفتح بعد كالتي منحت لتميم الداري^(١٦١) أو من قبل الخلفاء من بعده فأبو بكر^(١٦٢) وعمر بن الخطاب^(١٦٣) وعثمان^(١٦٤) وعلي بن أبي طالب^(١٦٥) قد أقطعوا الأراضي . ويعلل أبو يوسف ذلك بأنه «أعمر للبلاد وأكثر للخراج»^(١٦٦) وكانت هذه القطنع أغلبها تقتطع من أرض الصوافي ، والتي صادرتها السلطة العربية ، وتتكون الصوافي (من كل أرض كانت لكسرى أو لاهله أو لرجل قتل في الحرب أو لحق بأرض الحرب أو مغيض ماء أو دير بريد)^(١٦٧) (وردت دير بريد عند البلاذري محرفة (أو دير يزيد)^(١٦٨) وقد نقلها دنت عن البلاذري (دير يزيد)^(١٦٩) .

ويرى ولهاوزن بأن الرسول والخلفاء من بعده (أبو بكر وعمر) كانوا يعطون قسماً من أراضي الدولة على شكل قطنع Allod ليست عليها واجبات ولعلمهم كانوا لا يعطونها بصفة اقطاعيات^(١٧٠) Fiefs . إن مقولة ولهاوزن صحيحة ويؤيده فيها لويس الذي ذكر : وسمح للمسلمين بامتلاك الاراضي خارج بلاد العرب ومنحت

الدولة الكثيرين منهم أراضي تعرف باسم القطناع^(١٧١) . وكانت الصوافي تحت تصرف الدولة وقد توسع الخليفة عثمان بن عفان في تقسيمها على المقربين إليه مما أوغر صدور الناس عليه . أما في العصر الأموي فقد توسع التملك الفردي على حساب أملاك الدولة حتى شملت القطناع الحمى التي سلمت للقبائل العربية . وبسبب التوسعات في الأملاك الفردية في العهد الأموي اختلقت (بذور) شروط التملك الفردي الاقطاعي التي ستظهر في العصر العباسي ولا تخلو المصادر من ذكر القطناع التي وزعت في العصر الأموي .

وأما في العصر العباسي الأول فقد توسع الخلفاء في توزيع الأراضي على القواد ورجال الدولة المقربين إليهم ، حتى أن الطبري يعزو بناء الجانب الشرقي من بغداد -الرصافة- بسبب إقطاع القواد هناك^(١٧٢) .

وقد تصرف العرب حيال الأرض في وضع الضرائب عليها وتصنيفها حسب عائديتها وموقف أهلها عند الفتوح ، فالأراضي التي افتتحت صلحاً تترك بأيدي أهلها وتكون خراجية^(١٧٣) ويكون أهلها أهل ذمة^(١٧٤) ان لم يسلموا ، أما إذا أسلموا عند الفتح فتكون عشرية وتبقى بأيديهم^(١٧٥) . . وأما الأراضي التي تفتح عنوة فإذا أبقاها الخليفة بأيدي أهلها فتكون خراجية^(١٧٦) وإذا وزعها على الفاتحين فتصبح عشرية^(١٧٧) وكذلك إذا أوقفها لمصالح المسلمين^(١٧٨) وأما الأراضي التي تملك عفواً دون قتال ودون صلح ، لجلاء أهلها خوفاً ، فتصبح وقفاً وتكون خراجية وهي التي تدخل ضمن الفيه^(١٧٩) ، وأما الصوافي إذا قسمت بين الفاتحين فتكون عشرية^(١٨٠) وكذلك إذا أوقفت لمصالح المسلمين^(١٨١) أما إذا تركت بأيدي أهل البلد فتكون أرضاً خراجية والفرق بينها وبين الأرض الخراجية التي افتتحت صلحاً هو أن أصحاب الأراضي الصلحية يستطيعون بيع وإيجار أراضيهم^(١٨٢) أما في الأراضي المصادرة - الصوافي - فالفلاحون لا يملكون ذلك الحق لأن الأرض أصبحت للدولة^(١٨٣) - ملكاً عاماً .

وهناك طرق أخرى ، غير الاقطاع (المنح) ، حصل رجال الارستقراطية العربية بها على الأراضي ، ذلك عن طريق احياء الأرض الموات^(١٨٤) (أراضي مهملة أو مغمورة بالأحراش أو المياه) ، أو الشراء ، أو الاجاء^(١٨٥) ، لكن القطناع كانت أوسع وكان اقطاع الأرض على نوعين : ١ - اقطاع تملك ، ٢ - اقطاع إيجار .

علاقة السلطة العربية بملاك الأراضي

اختلف موقف ملاك الأراضي في ايران وفي القفقاس من جيوش الفتح ، فبعضهم قاوم وكان مصير غالبية المقاومين الهلاك والبقية وقعوا في الأسر فاسترقوا أو هربوا إلى بلاد أخرى وقد صودرت أملاك جميع المقاومين . وقسم هادن العرب واستسلم للفاتحين وعقد صغار الملاك اتفاقيات مع المحتلين نالوا بموجبها امتيازات حافظوا بها على مراكزهم المتزعزعة ، واستطاعوا الحصول على موافقة بجمع الضرائب من السكان وتسليمها للسلطة^(١٨٦) وبذلك يستطيعون تحرير انفسهم وأراضيهم من الضرائب^(١٨٧) ، ورفع مكانتهم الاجتماعية . وقد أشار بارتولد إلى أن هذه الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية التي نالها الدهاقين كانت عاملاً في رضى الدهاقين بزوال خطورتهم السياسية^(١٨٨) ولهذا استمر ملاك الأراضي باستغلال الفلاحين والعيبد المشتغلين في الزراعة استغلالاً طبقياً كالسابق - إلا أنهم لم يجدوا الفرصة لتوسيع نفوذهم - وكانت السلطة لا تتدخل في شؤونهم وأعمالهم الخاصة^(١٨٩) . لأن السلطة العربية سعت إلى تثبيت سلطانها بواسطة الملاك أصحاب الأراضي واعتمدت ، من أجل ذلك ، عليهم كثيراً ، فكان الملاك الأدوات الطيبة لتثبيت التسلط الأجنبي ، وكانا بعيدين عن التحسس بمشاكل بلادهم ومتقربين إلى السادة الحكام . وقد أشار ولهاوزن إلى أن دهاقين خراسان كانوا على استعداد حسن نحو والي أسد عبد الله القسري^(١٩٠) . ولهذا نجد عدم مساهمة الملاك في الانتفاضات التي كان ينضم إليها المستغلون من أبناء الشعوب سواء أكانت الانتفاضات خارجية أم شيعية أم قيادتها عربية أم تكون خاصة بأبناء الشعوب . ولم ينضم الارستقراطيون إلى الثورات والانتفاضات إلا بعد أن شملتهم مساوىء الاحتلال ، ولاسيما في أواخر العهد الأموي ، حيث ازدادت مضايقة السلطة لهم بازدياد تسلطها والذي كان يعيق توسع نفوذهم الاقطاعي على المستغلين ، وامتدت اليهم يد الاستغلال بالتنظيمات المالية المستحدثة وبعد أن زحف اليهم الملاك العرب للاستيلاء على أراضيهم حين ذاك انضم الكثيرون منهم إلى صفوف الشعب في ثوراته أملين طرد العرب واستعادة سابق نفوذهم الاقطاعي واستغلالهم الواسع للجماهير . أما الملاك العرب (الارستقراطية القبلية) فكانوا أصحاب الخطوة والنفوذ

لدى السلطة وكانوا يدفعون ضرائب بسيطة (العشر أو نصف العشر) وقد ذكر أبو يوسف : « فأما القطن فما كان منها سيحا فعلى العشر وما سقي منها بالدلو والقرب والساقية فعلى نصف العشر »^(١٩١) . وقد علل أبو يوسف ذلك : « لما يلزم صاحب الاقطاع من المؤونة ، في حفر الأنهار وبناء البيوت وعمل الأرض »^(١٩٢) . وكان الملاك العرب ينالون مساعدات مالية من الدولة عند استلامهم قطائع من الأرض ولاسيما الموت منها^(١٩٣) . وكان الكثير من الملاك من المقربين للخلفاء إن لم يكونوا من العائلة الحاكمة . وفي العصر العباسي ازداد اعتماد السلطة على الملاك المحليين والعرب ، فإزداد جور واستغلال الملاكين للفلاحين وزادت الهوة بين الارستقراطية المحلية وبين أبناء الشعب . وقد توسع العباسيون في اقطاع الأراضي للمقربين إليهم من الارستقراطية الأجنبية والعربية . وبدأ الاقطاع يسير في تطوره بوتائر أسرع وبدأت تبرز شيئاً فشيئاً الأملاك الاقطاعية وخاصة في نهاية القرن التاسع وكان من نتيجة التناقض بين الملاكين والفلاحين أن اتسمت الانتفاضات الجماهيرية بصفات الطبقة حيث ساهمت فيها جموع المستغلين وغالبيتهم من الفلاحين - ثورات وانتفاضات الخرميين - أما الارستقراطية (الثرية المترفة) المالكة للأراضي فكان أفرادها مع السلطة الحاكمة إلا قليلاً .

١ وضعية الفلاحين

شاهدنا كيف كانت وضعية الفلاحين سيئة في العهد الساساني ، وكيف كان للفلاحين أمل في تحسين أحوالهم عند تغير السلطة ، ولكن الاحتلال العربي وإن قضى على الكثير من الأشراف الإيرانيين (الارستقراطيين الإيرانيين) مالكي العبيد والأراضي الواسعة ، وأدى إلى إلغاء مراتب الناس الاجتماعية باعتبار أن الإيرانيين أصبحوا هيئة اجتماعية واحدة دون العرب السادة ، غير أن التقسيم الطبقي للمجتمع بقي هو هو حيث بقي هناك مستغلون وهم الملاك (المحليون - الدهاقين والعرب) ومستغلون وهم الفلاحون ومعهم العبيد (وقد ازداد عددهم بسبب الحروب) وشغيلة المدن والكسبة والرحل والصيادون . ولهذا بقي المستغلون يننون من الاستغلال الطبقي والتسلط الحكومي ، يضاف إلى ذلك الازدراء والتحقير والاعمال الاجبارية وإعالة المحتلين^(١٩٤) .

هذا في العهد الراشدي ، أما في العهد الأموي فقد حلت بجماهير الفلاحين الواسعة مختلف صنوف العذاب والاستغلال والاهانات (كان الأمويون يَحْتَقِرُونَ المهن - ومنها الزراعة) من قبل السادة ملاك الأراضي والذين جلهم كانوا من الأمويين^(١٩٥) أو من المقربين اليهم أو من رؤسائهم المحليين - الدهاقين ، الأحرار والأمرء - الذين تحالفوا مع السادة الجدد لاستغلال الفلاحين بأوحش الأساليب . لقد قاسى الفلاحون من الضرائب الفادحة (ازدادت نسبتها عما كانت عليه في العهد الساساني) حيث أعيدت الضرائب السابقة (هدايا النوروز والمهرجان)^(١٩٦) التي ألغيت لفترة ما^(١٩٧) ، والقساوة في تحصيلها ، وقاسوا من الاجحاف في الحقوق وعدم المساواة ومن السخرة في الأعمال الخاصة والعامة والتي منها العناية بالطرق والجسور والأسواق والإرشاد والضيافة^(١٩٨) - ضيافة أبناء السبيل ومن يمر بهم من جنود المسلمين ، وهذا ما كان مترتباً على أهل الذمة^(١٩٩) الذين كانت غالبيتهم تشتغل بالفلاحة^(٢٠٠) ، بل وحتى الموالي كانوا يسامون الخسف والهوان ، فقد ختمت على رقابهم بالرصاص وعلى أذرعهم أسماء قراهم ومواطن سكناهم لكي لا يتهربوا من الضرائب الفادحة ، وحتى إسلامهم لم ينجهم من جشع الولاة والحكام الأمويين للمال^(٢٠١) ، لكن دنت لا يتفق مع الرأي القائل « بأن السلطة هي التي أبقت ضريبة الرأس على من أسلم في خراسان » وإنما يرى بأن الوكلاء المحليين هم الذين عمدوا إلى ذلك خشية انتشار الاسلام الذي يهدد مصالحهم ، وإن نصر بن سيار عمد إلى أن يصحح هذا الوضع الخاطيء الذي ينطوي على الظلم^(٢٠٢) . ولكن المصادر تشير إلى صرخات الاحتجاج التي كانت تصل الولاة عن سوء الجباية ولهذا يمكننا أن نقول أن ما قام به نصر إنما هو تدارك متأخر للخطر الناجم عن الاحتجاج العام الصارخ على مظالم الأمويين المالية وليس كما تصور دنت ، الذي يحاول نكران العامل الاقتصادي الذي دفع الموالي للانضمام إلى الدعوة العباسية حيث ختم كتابه بقوله « وفي الختام لا بد أن يكون قد اتضح ها هنا أن من الخطل الكبير أن نفترض تفسيراً اقتصادياً للثورة العباسية ، فالفكرة التي تصورها فان فولتن Van Volten بأن سكان ايران كانوا ينوؤون تحت ثقل الضرائب الفادح وأنهم كانوا على استعداد للثورة عند أول بادرة - هذه الفكرة لا يمكن أن تصمد أمام ضوء البحث الدقيق . إن الموالي الذين كانوا يستغلون فإنما كان يستغلهم أبناء جلدتهم لا

العرب»^(٢٠٣) . ولا شك أنه بات معروفاً بأن السلطة العربية قد عهدت إلى الملاك المحليين بجمع الضرائب ، لذا فهذه الضرائب كانت تذهب إلى السلطة لا إلى الملاك وأن أبناء الشعب يدركون ذلك جيداً وقد كانت مجحفة . لهذا فإن نكران العامل الاقتصادي من قبل دنت وان برقع ببهرجة أضواء البحث الدقيق ، لا يمكن قبوله بأي حال من الأحوال . لقد كان من نتائج الضرائب الفاحشة أن تردت أحوال الفلاحين المعاشية لتردي أثمان المنتجات الزراعية ، بسبب تسرع المزارعين في بيع منتوجاتهم قبل نضوجها بأثمان بخسة لدفع الضريبة كما أوضح ذلك الخليفة عمر الثاني^(٢٠٤) ، ولفداحة الضرائب التي كان يدفعها الفلاحون فقد أصبحوا المستودع الثوري لكل الحركات والانتفاضات التي قامت بوجه الأمويين وكانوا التربة الحسنة التي ثمت فيها وترعرعت الفرقة الخرمية وإن لم يلعب الخرميون الدور المحرك للانتفاضات في العصر الأموي . لقد كان للأوضاع المزرية والانتهاكات الصريحة لحقوق الفلاحين الدور البارز في تحريكهم من أجل تحسين أحوالهم واسترداد حقوقهم ومن أجل ذلك ساهموا في الدعوة العباسية وكانوا عماد جيشها وخاصة الخراسانيون . غير أن العباسيين - وقد تطور الاقطاع نوعاً ما في عهدهم - تنكروا لمطالب الجماهير التي ساندتهم - لذلك لم يشعر فلاحو ايران بأي تبدل في وضعيتهم ، فقد عاد الاقطاعيون إلى سابق نفوذهم وعاد الضيق الاقتصادي وعادت الضرائب الفادحة ترهقهم^(٢٠٥) . وكذلك كان حال فلاحي آذربيجان وأرمينيا .

لقد اشتدت وطأة الاستغلال الاقطاعي على جماهير الفلاحين ، فأخذوا يتلمسون طريق الخلاص من الجور والظلم والاضطهاد ومن النهب والسلب الشرعي (الضرائب) فقام الفلاحون بانتفاضات عديدة (غالبيتها خرمية) شملت ايران وما وراء النهر وكانت تتجاوب أصداؤها في ربوع القفقاس . ولا غرابة أن يقوم أشد أنصار العباسيين - فلاحو ايران ، وخاصة فلاحو خراسان ، وهم الذين كانوا القاعدة الاجتماعية (للثورة) العباسية - بالانتفاضات ضد السلطة العباسية ، لأن العباسيين ، بطبيعة كونهم من طبقة ارسقراطية مستغلة متنفذة ، تنكروا لمصالح الفلاحين^(٢٠٦) ، فيذكر الدوري : «ولكن المثل الأعلى للمساواة والعدل ظل وهماً ، إذ لم يحقق العباسيون وعودهم ، فاستمر العسف والجور واستمرت الثورات . ففي سنة ١٢٣ هـ احتج شريك بن شيخ

المهري الثائر ببخارى ضد مظالم العباسيين قائلاً : « ما على هذا تبعنا آل محمد ، على أن نسفك الدماء ونعمل بغير الحق » ، وتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفاً « (٢٠٧) ، واستشهد الدوري ببیت من الشعر لأبي العطار الشاعر (٢٠٨) :

يا ليت جور بني مروان عاد لنا

يا ليت عدل بني العباس في النار (٢٠٩)

لقد امتاز العصر العباسي الأول بشدة الحركات الفلاحية ضد الجور الحكومي والاستغلال الاقطاعي ويعزو الدوري (٢١٠) السبب إلى العباسيين الذين « لم يعملوا ما يذكّر لتخفيف الضغط الاقتصادي والاجتماعي على جماهير الايرانيين فلم يرضخ هؤلاء لوضعهم » (٢١١) . ويعتبر لويس تلك الحركات التي قامت في إيران متنفساً للشعوب المغلوبة (٢١٢) . لقد كان لتطور الاقطاع وخاصة في نهاية العصر العباسي الأول ، السبب في بلورة الصفات الطبقية للنضال الجماهيري ضد الاستغلال حيث ساهمت الجماهير المستغلة بمفردها - في كثير من الأحيان - في الكفاح المسلح ضد الخلافة ، وكان الارستقراطيون - الملاك المحليون - دوماً مع السلطة .

الضرائب

تيسر لكسرى أنو شروان ، بعد سحق الحركة المزدكية ، وضع الضرائب الجائرة على عاتق الشعب وقد أعفى الطبقة الارستقراطية منها ، وكانت الضرائب مرهقة شاقة . وعند مجيء العرب - المقتقرين للتنظيمات المالية - أبقوا تلك النظم والتعاليم ولغة استعمالها وموظفيها (٢١٣) في بادئ بدء ، على حالها ، ثم أجريت تغييرات تطلبتها مقتضيات التطور الزمني ، لكن الأسس والكميات والمسميات على الأغلب سارت على النمط القديم . ولقد اقتضى في بعض الحالات ، ولاسيما في العهد الراشدي ، حذف أو إهمال بعض الضرائب نتيجة الدعاية الدينية . ولكن سرعان ما عادت ، كضرائب هدايا النوروز والمهرجان التي أبطلت . فلما جاء عثمان أعادها فضج الناس فاضطر إلى إلغاؤها (٢١٤) وأعيدت في زمن معاوية . ولهذا فإن مجيء العرب كفأحين لم يخفف من الضائقة الاقتصادية على الشعوب ولم ينقذها من جور الضرائب (٢١٥) حيث كانت تنظيمات العرب في جوهرها تطابق تنظيمات من سبقهم .

١- الخراج^(٢١٦)

ضريبة على الأرض ، وكانت لدى الساسانيين مقاسمة (عينية مقدرة بالنسبة إلى كمية المحصول) ثم جعلها أنو شروان مساحة (نقدية مقدرة بالنسبة إلى مساحة الأرض المزروعة ونوعية المحصول) ويسمي بعض الفقهاء النوع الأخير من الخراج «خراج الوظيفة»^(٢١٧) ، لكن الخراج ليس بوظيفة أو كراء (أجرة) للأرض وإنما هو ضريبة حكومية على الأرض ، وقد اقتبس العرب ، بعد فتح العراق ومسحه ، النظام الساساني في تحديد الضرائب ، كما اقتبسوا النظام البيزنطي في أماكن أخرى ، إلا أنه بالرغم من الاحتفاظ بالأسس والكميات والمسميات والموظفين ، فإن هنالك تفاوتاً في النسب والأشكال والطريقة وذلك راجع إلى الاختلاف في طبيعة الفتح وعائدية الأرض بالإضافة إلى طريقة الارواء والبعد والقرب من الأنهار والأماكن المعمورة كما وأن السلطة كانت تمارس مطلق الحق^(٢١٨) في التغييرات نتيجة استسلام^(٢١٩) أهل البلد المفتوح ، فلا يخفى أن هنالك اجراءات مختلفة قد اتخذت ولم يكن لأهل البلد حق الاعتراض عليها ، فقد ذكر الماوردي أن هنالك اختلافات في تقدير الضرائب (وضرب عمر رضي الله عنه على ناحية أخرى غيرها غير هذا القدر)^(٢٢٠) . ومن ملاحظة قوائم المؤرخين والفقهاء ومطابقتها مع الخراج في أيام الساسانيين نستنتج :

١ - أن الخراج في العهد الإسلامي أعلى من مثيله في العهد الساساني .
٢ - اختلاف المؤرخين والفقهاء (في مقدار الخراج وليس في الأسس)^(*) راجع ولا بد إلى أن تحديد الضريبة على الأراضي لم يكن واحداً فلما أحرق ديوان الخراج في معركة دير الجماجم (أيام ابن الأشعث ٨٢ هـ / نيسان ٧٠١ م) حصل الالتباس بعدئذ لدى المؤرخين .

٣ - الأرض الخراجية العامرة أو الغامرة تدفع قفيزاً ودرهما في السنة لمرة واحدة سواء زرعت أم لم تزرع^(٢٢١) .

٤ - هنالك أراض وضعت عليها ضرائب قطعية فيذكر أبو عبيد «وقالا لدهقان كل قرية ، على قريتك كذا وكذا فاذهبوا فتوزعوها . قال فكانوا يأخذون الدهقان

(*) يذكر لوكيكارد بأن الاختلاف بين قداماء الفقهاء ومحدثيهم ليس إختلافاً بالدرجات ، الضريبة الإسلامية ، ص ٧٢ .

بجميع ما على أهل قريته»^(٢٢٢). وقد أشار إلى هذه المقاطعات ابن حوقل واعتبرها صنفاً ثالثاً من أصناف الخراج وذكر بأنها تزيد ولا تنقص زرعاً أم لم تزرع تؤخذ بالعبارة^(٢٢٣). وفيما يلي مقارنة الضرائب الخراجية في العهدين الساساني والإسلامي حسب ما وردت لدى الفقهاء والمؤرخين :

ضريبة الخراج في العهد الإسلامي حسب المؤرخين العرب (٢٢٤)						الخراج في العهد الساساني	
المالدي	الطبري	ابن خردادبة	البلاذري	أبو عبيد	يحيى	أبو يوسف	الجرىب من الارض
درهم	قفيز	قفيز ودرهم	قفيز	قفيز ودرهم	قفيز ودرهم	درهم	المزروعة
١٠ دراهم	١٠ دراهم	٦ دراهم	١٠ دراهم	١٠ دراهم	١٠ دراهم	٨	عامر أو غامر
٥ دراهم	٥ دراهم	٦ دراهم	٥ دراهم	٥ دراهم	٥ دراهم	٧	الكروم (٢٢٢)
	قفيز ودرهم						الرطبة
	قفيز ودرهم						الارز
	قفيز ودرهم						السمسم
	قفيز ودرهم						البقول
	قفيز ودرهم						الرياحين
٨	١٠	٨		١٠	٥ أو ٨	٨	النخل
						١	اربع نخلات
						١	ست نخلات دقل
١٠				١٠			شجر ملتف
٦	(٢٢٢)		٦	٦	٠		قصب سكر
٤	قفيز ودرهم	٤	٤	٤	٤	١	الحنطة
٢	قفيز ودرهم		٣	٢	٢	١	الشعير
				١٢		١	زيتون

لقد اتخذ الفقهاء ما حصل بالعراق مقياساً لأحكامهم واجتهاداتهم . أما في إيران ، وكذلك في القفقاس ، فلم يؤخذ الخراج لحاله ولا الجزية لحالها ، وإنما فرضت عند الصلح مبالغ معينة تدفع كضريبة سنوية عامة . وكان الدهاقين مسؤولين عن جمعها ، ولهذا ترد الجزية أحياناً وأحياناً الخراج في صيغ الأمان لتدلا على الضريبة السنوية المقررة . ولم تكن كل الأراضي لتدفع ضريبة الخراج ، إذ أن هنالك أراضي وزعت على الفاتحين أو انتقلت ملكيتها للدولة أو للارستقراطيين العرب بطريق المنح (الاقطاع) أو بطريق الشراء أو ألجأها إليهم أصحابها ، وغالبية هذه الأراضي تخلصت

من ضريبة الخراج وأصبحت أراضي عشرية ، أي تدفع ضريبة العشر فقط ، كما وأن انتقال أصحاب الأراضي - في أواخر العهد الراشدي وأوائل العهد الأموي - إلى الإسلام قد أدى في بعض الأحيان إلى تخلص بعض الأراضي من ضريبة الخراج والاكتفاء بدفع العشر ، ولكن الأوامر صدرت في عهد عبد الملك بن مروان بإعادة الضريبة الخراجية على الأرض والجزية على المسلمين ، ثم أصدر عمر بن عبد العزيز أمراً أصبحت الأرض بموجبها ، من تاريخ ١٠٠ هـ ، تدفع ضريبة الخراج سواء كان صاحبها مسلماً أم غير مسلم^(٢٣٤) ، وأما ضريبة الجزية فتسقط بالإسلام ، وبما أن الضريبة في إيران لاتزال واحدة - كما هي الحال في القفقاس - فإن مفعول هذا الأمر لم يطبق بدقة ، ولهذا ظل المسلمون الجدد يدفعون الضريبة السابقة ، وخلق ذلك تدمراً عبرت عنه صيحة أبي الصيда صالح بن طريف للخليفة عمر بن عبد العزيز ، وفي تدبير لزيادة الضريبة عمد نصر بن سيار آخر وال أموي على خراسان ، إلى وضع تنظيم فصل فيه بين الضريبتين ، فحدد ضريبة الخراج على الأرض وتبقى حتى ولو أسلم أصحاب الأرض ، وضريبة على الرقاب (الجزية) وتسقط بالإسلام^(٢٣٥) (وحتى بعد هذا التقسيم للضريبة يخلط بوليانسكي بين الجزية والخراج)^(٢٣٦) .

لقد ظل الخراج في العهد الأموي مساحة على الأسس التي أقرها عمر بن الخطاب ولم يجر تغيير الخراج إلا في زمن العباسيين حيث بدأه أبو جعفر المنصور فجعله مقاسمة بالنصف^(٢٣٧) ثم أصبح ثلاثة أخماس (٥/٣) الحاصل للدولة^(٢٣٨) ثم عاد للنصف في زمن الرشيد^(٢٣٩) ثم أصبح (٥/٢) الحاصل في زمن المأمون^(٢٤٠) .

لقد كانت ضريبة الخراج ثقيلة تكره الفلاحين على بيع محاصيلهم قبل نضوجها لتسديد ما بذمتهم كما صرح بذلك عمر بن عبد العزيز^(٢٤١) ، وكان الفلاحون يهربون على الأغلب من قراهم ويلتجئون إلى المدن تهرباً من دفع الضرائب ، وقد أجبر الأمويون الهاربين من القرويين على العودة إلى قراهم وسجلوا أسماء أماكنهم على أختام الرصاص وعلقوها في رقابهم^(٢٤٢) . ولم تكن الضرائب المترتبة على الفلاحين مكروهة لفداحتها فقط ، ولكن لما كان يرافق جمعها من صنوف الاهانة والتعذيب حيث ذكر أبو يوسف « بلغني أنهم يقيمون أهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة »^(٢٤٣) ، وقد

ذكر الجهشيارى بأن أهل الخراج كانوا يعذبون بصنوف من العذاب من السباع والزنابير والسنائير^(٢٤٤). وكان عمال الدولة لا يكتفون بأخذ حصة الحكومة من الخراج وإنما ابتدعوا وسائل عديدة للابتزاز والنهب ترافق عملية استحصال ضريبة الخراج^(٢٤٥)، هذا بالإضافة إلى أن عمال بني أمية كانوا يخرصون الثمار (يقدرّون ما عليها) ويقدرّون الخراج حسب تخميناتهم وأكثر الأحيان تكون أكثر من الواقع، وقد عدد الدوري مساوئ جباية الخراج في العهد العباسي بما يلي:

- ١ - حزر ما في البيادر فتقدر بأكثر من محتوياتها .
- ٢ - جباية الضريبة قبل نضوج الزرع .
- ٣ - ضمان الخراج في منطقة ما من قبل أفراد يدفعون قدراً معيناً من المال وتطلق أيديهم في الجباية ، وكان أهل الخراج يعاملون معاملة قاسية^(٢٤٦) .
- لقد اضطّر اصحاب الأراضي تهرباً من الضرائب الفادحة ، إلى الجائها إلى كبار المتنفذين في العهدين الأموي والعباسي كما أشار إلى ذلك الجهشيارى^(٢٤٧) وابن حوقل^(٢٤٨) وغيرهم .

ونورد الآن بعض مقتبسات من قوائم الخراج في عهود مختلفة :

- ١ - قائمة الجهشيارى^(٢٤٩) :
 - ٢٨,٠٠٠,٠٠٠ درهم من خراسان
 - ١١,٠٠٠,٠٠٠ درهم من أصفهان
 - ١١,٨٠٠,٠٠٠ درهم في همدان ودستبي
 - ٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم في آذربيجان
 - ١٣,٠٠٠,٠٠٠ درهم من أرمينيا
- ٢ - قائمة ابن خرداذبه^(٢٥٠) :
 - ٤٤,٨٤٦,٠٠٠ درهم في خراسان
 - ٢,٠٠٠,٠٠٠ درهم في آذربيجان
 - ٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم في أرمينيا^(٢٥١)
- ٣ - قائمة قدامة بن جعفر^(٢٥٢) :
 - ٣,٠٠٠,٠٠٠ درهم خراج قم وقاشان

٢٠٠,٢٠٠,٠٠٠ درهم خراج الري
 ٤,٥٠٠,٠٠٠ درهم خراج آذربيجان
 ٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم خراج أرمينيا
 ٤ - قائمة ابن خلدون^(٢٥٢) ،
 ٢٨,٠٠٠,٠٠٠ درهم خراج خراسان^(٢٥٤)
 ٢٧,٠٠٠,٠٠٠ درهم خراج فارس
 ١٣,٠٠٠,٠٠٠ درهم خراج همذان
 ٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم خراج آذربيجان
 ١٣,٠٠٠,٠٠٠ درهم خراج أرمينيا^(٢٥٥)
 ٥ - قائمة «العلي»^(٢٥٦) . والجديد فيها ما نقله عن اليعقوبي لمقدار الخراج في عهد معاوية :

المنطقة	عهد معاوية ^(٢٥٧)	الرشيدي	المأمون	المتوكل	عن ابن خرداذبة	عن اليعقوبي	عن المقدسي
اصفهان ^(٢٥٨)	-	١١,٠	١٠,٥	١٦,٠	٧,٠	١٠,٠	-
خراسان	٣٠,٠	٢٨,٠	٢٨,٠	-	٣٧,٠	٤٠,٠	٤٤,٠

(إن الأرقام الصحيحة تمثل الملايين والكسور مئات الألوف من الدراهم) .

ومن نظرة أولية نلقيها على هذه المقتبسات نستخلص فداحة الضرائب - التي كان يدفعها أبناء شعوب إيران وأذربيجان - وكان ثقلها واقعاً على المعدمين - وغالبيتهم من الفلاحين - من مسلمين وذميين ، فكانت من العوامل الأساسية في إثارة الخرميين .

٢- الجزية^(٢٥٩) :

وضع العرب الفاتحون ضريبة الجزية على أبناء البلدان المغلوبة كرمز للمذلة والمهانة^(٢٦٠) « ... حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون... »^(٢٦١) ، وكمورد رزق ثابت وهي من أبواب الفيء^(٢٦٢) ، والجزية ضريبة على الرؤوس والخراج ضريبة على الأرض وقد حدد هذا المعنى الاصطلاحي في أواخر العهد الأموي^(٢٦٣) - في البلدان

الشرقية - أما في العراق فقد حددت الضريبتان منذ أمد بعيد . وقد وضعت الجزية - نظرياً - على الرجال من أهل الكتاب ، ولكن عملياً طبقت على غير المسلمين كافة وأصبح كل أبناء البلد المغلوب أهل ذمة سواء كانوا يهوداً أو مسيحيين أم صابئة أم عبدة أصنام أو أوثان أو نيران . قال أبو يوسف : وأما العجم فتقبل الجزية من أهل الكتاب منهم وعبدة الأوثان والنيران من الرجال منهم^(٢٦٤) وقد أثار قبول غير أهل الكتاب في عداد أهل الذمة مساجلات عنيفة بين الناس تعج كتب الفقهاء بذكرها^(٢٦٥) . ويرى حتي أن النظرية المادية هي التي قامت إذ ذاك مقام النظرية القرآنية^(٢٦٦) ، ويمكننا أن نضيف إلى قول حتي بأن النظرية ذاتها هي التي عطلت مفعول التقليد الذي يمنع أخذ الجزية من المسلمين حيث فرضها الأمويون على من أسلم - عدا عمر بن عبد العزيز - وأن قبول استلام الجزية من غير أهل الكتاب يدل على أن الضريبة غير مستحدثة وهي استمرار للضريبة الساسانية وإن اختلفت عنها في المقادير^(٢٦٧) . ومن الطبيعي أن يحدث التناقض - كما أشار إلى ذلك بيكر - بين النظرية والتطبيق^(٢٦٨) ، والحقيقة أن الحكام وهم يمثلون الطبقة السائدة في مجتمعهم كانوا لا يتورعون عن استغلال الشعوب بمختلف الوسائل ولهذا جاءت تطبيقاتهم للأمور مسايرة لأهوائهم لا كما يفسر الفقهاء بل وفي كثير من الأحيان كان الفقهاء يجتهدون في وضع أحكام جديدة وتفسيرات مستحدثة لإزالة التناقض بين النظرية الدينية وتطبيق الحكام ، ولهذا لا يمكن اعتبار المؤلفات الفقهية - كما نوه لوكيكارد - صورة حقيقية لشؤون الدولة^(*) .

لقد كانت الجزية ضريبة طبقية في العهد الساساني ، حيث فرضت على جماهير الشعب ، وأعفيت الأرستقراطية والفئة الحاكمة ومن التحق بخدمتها ، من دفعها . أما في العهد الإسلامي (فلا يمكن اعتبارها ضريبة طبقية لأن العرب اعتبروا جميع أبناء البلد المغلوب رعية ففرضوا الجزية على جميع المحتفظين بدينهم ، ولهذا أنف الأرستقراطيون من دفعها واحتجوا بأنهم كانوا معفيين منها في السابق وناشدوا العرب أعفاءهم منها . كما حصل في أصفهان . وقد أورد الطبري^(**) قولاً لشهربراز ملك الباب حينما خاطب عبد الرحمن بن ربيعة « فلا تذولنا بالجزية » .

(*) الضريبة الإسلامية ، ص ٧٢ .

(**) تاريخ الرسل ، م ١٠ ج ٥ ، ص ٢٦٦٤ .

وضريبة الجزية على غير المسلمين لا تشمل النساء والصبيان والمسنين والمعتوهين وتؤخذ بالسنة مرة وصنفت إلى ثلاثة أصناف باختلاف موارد الدافعين وأعمالهم وهي ٤٨ درهماً و ٢٤ درهماً و ١٢ درهماً كما فصل ذلك أبو يوسف ، فيؤخذ منهم على الطبقات على ما وصفت ، ثمانية وأربعون درهماً على الموسر مثل الصيرفي والبزاز وصاحب الضيعة والتاجر والمعالج الطبيب وكل من كان منهم بيده صناعة وتجارة يحترف بها أخذ من أهل كل صناعة وتجارة على قدر صناعتهم وتجارتهم ٤٨ درهماً على الموسر و ٢٤ على الوسط... واثنا عشر درهماً على العامل بيده مثل الخياط والصباغ والاسكاف والخراز ومن أشبههم^(٢٦٨) وهذا التحديد الفقهي لنسب المقادير كان عرضة للزيادة كما فعل عبد الملك بن مروان^(٢٧٠) .

وكان يلحق بضريبة الجزية فروع ملازمة لها فقد فرض على أهل الذمة تقديم الزيت والخل وإطعام من يمر بهم من المسلمين لمدة ثلاثة أيام^(٢٧١) ، وتقديم الهدايا في الأعياد . ولما كانت الجزية رمزاً للصغار والمهانة فكان يرافق جمعها صنوف الازدلال والتعذيب والازدراء^(٢٧٢) . وهرباً من ثقلها وسوء طرق جبايتها التجأ الذميون إلى الإسلام ولكن الأمويين فرضوها عليهم رغم إسلامهم^(٢٧٣) ، وكان ذلك من أقوى أسباب استياء الشعوب منهم .

٣- الضرائب الباقية:

فرض العرب على أبناء الشعوب المغلوبة ، إضافة إلى ضريبتَي الجزية والخراج ، ضرائب أخرى هي : ضرائب النكاح^(٢٧٤) وأجور الضرابين وأجور البيوت ورسوم العرائض^(٢٧٥) ، وهدايا الأعياد ، مثل عيد النوروز وهو عيد أول أيام الربيع^(٢٧٦) والمهرجان وهو عيد ابتداء أيام الشتاء^(٢٧٧) ، وهذه من أعياد الإيرانيين وكان الساسانيون يطالبون السكان بتقديم الهدايا فيهما وأبطلت بعد زوالهم وأعيدت في عهد الخليفة عثمان بن عفان ولما ضج الناس من إعادتها توقف الخليفة عن أخذها^(٢٧٨) ، وأعيدت في عهد معاوية ، والذي بلغت هدايا النوروز والمهرجان إليه (من منطقة السواد فقط) عشرة ملايين درهم^(٢٧٩) .

ومن الضرائب الأخرى أخماس المعادن والضرائب على الصادرات وضريبة الأسواق^(٢٨٠) وأعشار التجارة - ما كان يفرض من العشور على التجارة - ، وهي كما يجمع الفقهاء تختلف باختلاف جنسية التجار إذ كانت ١٠٪ على تجارات أهل الحرب (الأجانب) و ٥٪ على تجارات أهل الذمة و ٢,٥٪ على تجارات المسلمين^(٢٨١) ، وضرائب الأحداث - وهي الغرامات التي تأخذها الشرطة على الجنايات^(٢٨٢) - وبالإضافة إلى هذه الضرائب فإن عمال الدولة كانوا يتفننون في نهب وابتزاز أموال الشعب ويحبون لأنفسهم ما يعادل أو يفوق ما يجبونه للدولة . ولم يحاسبهم الخلفاء على سوء تصرفهم فقد ابتز عبد الرحمن بن زياد إبان إمارته على خراسان مبلغاً كان يكفي على حد ادعائه أن يعيش مائة سنة وينفق كل يوم ١٠٠٠ درهم^(٢٨٣) . ويذكر الأصفهاني ، أبو نعيم ، عن عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي « قدم أصفهان مطفناً للنيران من قبل معاوية وخرج منها إلى سجستان فأصاب أربعين ألف ألف (٤٠ مليون) »^(٢٨٤) . وكانت هذه الأساليب الدنيئة في نهب خيرات البلاد ، تجدد التشجيع من خلفاء بني أمية الذين كانوا يقاسمون ولاتهم فيما ينهبون . لذا ناء الشعب المحتل ، بجماهيره الواسعة ، من ثقل هذه الضرائب^(٢٨٥) ، ولم يقل ثقل الضرائب وسوء استعمال الجباة لطرق جبايتها في العهد العباسي كما كان عليه في العصر الأموي ، وقد أشار كرد علي ، « وأصبح العمال في الدولة العباسية صورة عجيبة من استنزاف الأموال »^(٢٨٦) .

هنالك قول لعمر بن عبد العزيز ، رواه البلاذري^(٢٨٧) وعنه يرويه أبو الفداء^(٢٨٨) ، مفاده أن وارد السواد قد هبط في زمن الحجاج بن يوسف من مئة مليون إلى أربعين مليون . لكننا نجد مؤرخين آخرين يرون أن جباية السواد كانت بمقادير أخرى ، فالبيهقي يذكر « ولم يحمل الحجاج من جميع العراق إلا خمسة وعشرين ألف ألف (٢٥ مليون) »^(٢٨٩) ، أما ابن خرداذبة فيذكر رقم (١٨ مليون)^(٢٩٠) ، وعنه نقل المقدسي^(٢٩١) الرقم نفسه ، أما الماوردي فقد ذكر « وجباة الحجاج مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف (١٨ مليون) بغشمه وخرابه »^(٢٩٢) . ولاشك أن هذه الأرقام لمقادير الجباية في سنوات مختلفة ، ففي أيام السيطرة التامة للحجاج كانت الجباية تتجاوز الـ ١٠٠ مليون درهم ، وأما في أيام الانتفاضات والحروب الداخلية ، حيث

يضطرب حبل الأمن وتضعف السيطرة ، فيهبط الوارد إلى الحضيض ، إذ يهجر الفلاحون المستأفون مزارعهم وقراهم لفداحة الضرائب وسوء طرق جبايتها ولكساد البضائع الزراعية وهبوط أثمانها^(٢٩٣) ، ويتهرب الموالي من دفع الجزية التي ظلت رغم اسلامهم - كما وأن حرق الديوان أيام انتفاضة ابن الاشعث ومساهمة عدد غفير من الموالي وأهل الذمة في تلك الانتفاضة^(٢٩٤) وفي انتفاضات غيرها أدت إلى هبوط الجباية . غير أن الحجاج ، بعد أن قضى على انتفاضة ابن الاشعث ، اجبر الفلاحين على العودة إلى قراهم ومزارعهم وأرغمهم على دفع الخراج والجزية مسلمهم وذمهم . إننا لا يمكننا أن نتفق مع حتي ، حين يقول : «أما العراق فقد نقص دخل الخزينة فيه من مئة مليون في خلافة عمر بن الخطاب إلى أربعين مليون في عهد عبد الملك . وليس من شك في أن كثرة الداخلين في الإسلام كانت من عوامل هذا النقصان»^(٢٩٥) . لان النقص كان عرضياً - أيام الحروب - ولان الحجاج والأمويين بصورة عامة أخذوا الجزية ممن أسلم^(٢٩٦) .

٤ - التجارة والحرف

أ - التجارة:

نمت التجارة في ايران الساسانيين وأصبحت البلاد مركزاً تجارياً وحلقة وصل بين آسيا وأوروبا - طريق الحرير - ، ولاسيما بعد تدهور التجارة في بلاد العرب (طرق القوافل المحاذية لساحل البحر الأحمر) واضمحلال الدويلات العربية التجارية ، والتي أصبحت مراكزها التجارية خرائب تشهد على ما كان لها من ترف ونعيم ومركز ممتاز^(٢٩٧) . ان التدهور التجاري في بلاد العرب ووجود سلطة مركزية في ايران ساعدا على نمو وازدهار التجارة في ايران حيث أصبحت طرق التجارة تمتد عبر أراضيها إلى بحر الخزر والبحر الأسود ومن الخليج العربي إلى البحر المتوسط وآسيا الصغرى - إلى بيزنطة .

كما وأن نمو الصناعات والحرف الأولية اليدوية في ايران وتطور البلاد اقتصادياً سببا زيادة الطلب على الحاجيات والكماليات لدى الطبقة الارستقراطية الغنية . وكانت

وفرة المعادن في ايران وبلاد القفقاس من العوامل الممهدة لنشوء تلك الصناعات والحرف . والمصادر الايرانية حافلة بذكر التجارة والتجار والضرائب المفروضة على التجارة والمعاهدات التجارية كالتي عقدت بين انوشروان والامبراطور جستنيان (سنة ٥٦٢م)^(٢٩٨) . ويعدد كريستنسن أهم البضائع التي كانت تشتريها الصين من ايران كالكلح الايراني والسجاجيد والأحجار الكريمة السورية الطبيعية والصناعية والمرجان واللؤلؤ من البحر الأحمر والأقمشة المنسوجة في الشام ومصر والمواد المخدرة من آسيا الوسطى . وكان الحرير أهم أصناف تجارة الترانزيت عند الايرانيين^(٢٩٩) .

وكانت بلاد القفقاس ممراً لطرق قوافل التجارة حيث عبرها كانت ترد إلى إيران من روسية جلود الثعالب السود^(٣٠٠) والسمور الأسود كما وينقل من أرمينيا البسط والتكك والأطماط والمقاعد . ومن آذربيجان المحاصيل والمعادن . لهذا كانت مدن ايران تعج بحركة التجار وصغار الباعة والذين كانوا يتبادلون السلع ويتناقلون أخبار العالم^(٣٠١) .

ولما احتلت الجيوش العربية ايران وآذربيجان وارمينيا وبلاد أواسط آسيا ، ازدهرت التجارة وثمرت^(٣٠٢) ، إذ ان انتقال السلطة والنفوذ إلى المدينة ومنها إلى دمشق فبغداد لم يسبب التدهور التجاري بل العكس فإن الجيوش العربية كانت خير حارس لطرق التجارة ولو أن التجار والباعة الصغار لم يسلموا من استغلال ومضايقات الارستقراطية والسلطة العربية شأنهم شأن أسلافهم الذين شملتهم مظالم السلطة الساسانية واستغلال الارستقراطية الايرانية . ولهذا نجد أن الكثرة الكاثرة من التجار الصغار وصغار الباعة والعاملين في الأسواق ينضمون ، في العهود الإسلامية ، إلى كثير من الثورات . إن أهم ما يصدر من آذربيجان في العهود الإسلامية ، الرقيق والأغنام والدواب والعسل واللوز والجوز والحرير والشمع^(٣٠٣) ، ومن أرمينيا ، ثياب الماعز والصوف وبسط ووسائد ومقاعد وتكك والستور والمساور والمساند والديباج وثياب الكتان والرقيق والدواب والأغنام (والرقيق وجلود الثعالب السود « من روسية »)^(٣٠٤) ، ومن ايران ، الزعفران والحرير والقطن والفضة والسجاد والزيوت

العطرية ونسيج الكتان وطرارز الوشي والثياب والكلل والستور والمصليات والحصار والمناديل والقصاع والأمشاط والرقيق والغلمان وجلود الثعالب (من آسيا الوسطى وروسية) (٢٠٥) .

ب - الحرف:

كان من تأثير تطور الزراعة وانتشارها واتساع تربية الدواجن ازدياد الطلب على المعادن بسبب تقدم المجتمع ، فكان من جراء ذلك ظهور صناعة التعدين وقد مهد لظهورها وجود المعادن في ايران وآذربيجان وأرمينيا . ان تطور الزراعة قد حتم الاهتمام بشؤون الري وتوزيع المياه ، التي تتطلب أعمال انشاء السدود والقنوات والقناطر « لان الظروف المناخية وطبيعة السطح الخاصة - كما كتب ماركس - قد جعلت نظام الارواء الاصطناعي بالقنوات ومنشآت الري أساساً للزراعة في الشرق » (٢٠٦) ، وقد أكد انجلز ، في رسالته إلى ماركس بأن الشرط الأول للزراعة في الشرق هو طريقة الارواء الصناعية (٢٠٧) ، . وكان الايرانيون يستخدمون اسرى الحروب في هذه الأعمال ، فيذكر اليعقوبي عن الملك سابور بن أردشير « ... وأسر خلقاً من الروم فبنى مدينة جنديسابور وأسكنها سبي الروم وهندس له رئيس الروم القنطرة التي على نهر تستر » (٢٠٨) ، كما واستخدم الأسرى في بناء المدن وأسوارها وقصور الملوك ، وبذا تطورت الأعمال الهندسية وتفرعت أعمال البناء وصنع الطابوق ونحت الصخر . ولما كان ينبت في إيران قصب السكر (٢٠٩) والقطن والكتان وتربى فيها الأغنام وكذا الحال في آذربيجان وأرمينيا ، لذا نشأت صناعات النسيج الصوفي والقطني والكتاني وكذلك صناعات السجاد في ايران والبسط في ايران وأرمينيا ، وقد بين بارتولد الغاية من حمل سكان المدن السورية الى إيران كأنهم أسرى ترقية لصناعة النسيج وكذلك استفادوا من صناعات روما المأسورين في إنشاء الاستحكامات وتنظيم أعمال الري (٢١٠) . ترد في كتب التاريخ اشارات إلى رئيس الصاغة وكبير الصناع ورئيس البنائين ورئيس المشتغلين بالرصاص ورئيس صاغة الفضة (٢١١) ، لكن هذه لا تدل على وجود تنظيمات تشبه النقابات وإنما كان يختار كبير المهنة ليمثل جماعته وليحسم المنازعات بينهم (٢١٢) .

أما في العهد الإسلامي فقد نمت الصناعات وازدهرت لازدياد ترف المجتمع وتكاثر احتياجاتهم نتيجة الغنى الذي نجم عن الفتوحات . ولما كانت ايران غنية بمعادنها - كما يقول ابن حوقل - وبفارس عامة المعادن من الفضة والحديد والانك والكبريت والنفط... إلا أن الفضة قليلة وبها معدن ذهب ومعدن صفرها بالسردن يحمل منها إلى البصرة وغيرها والحديد بجبال اصفخر وكذلك الزبيك^(٢١٢) - وفي آذربيجان وأرمينيا المعادن^(٢١٣) والمحاصيل المستخدمة في النسيج ، ولهذا نمت في هذه البلدان الحرف .

لقد كانت حالة الحرفيين سيئة لا تطاق حيث شملهم الاستغلال الطبقي والتعسف الحكومي كما وأن الارستقراطية العربية كانت تحتقر ذوي المهن ويشار إليهم بازدراء ولهذا كانوا من أوائل المبلين لنداءات الثورات ، جاء في الكامل للمبرد عن الخوارج (وأقام المهلب يجبي ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس إلى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن في عسكرهم فإذا هم حشوة من قصار وصباغ وداعر وحداد»^(٢١٥) .

٥ - نظرة العرب إلى سواهم من الأمم المغلوبة

ورثت الارستقراطية العربية الحاكمة التبعية الاقطاعية في البلاد التي استولت عليها ، فتكونت لديها روح الاستغلال وحب التسلط وكراهة الشعوب واحتقار المهن واعتبرت ابناء الشعوب تابعين (أرقاء) لهم بحكم الفتح وبذا اعتبرت أهل البلد المفتوح دون العرب منزلة ، ولم يكن هذا من جراء اختلاف في العقيدة أو الدين وإنما يعود إلى طبيعة المستغلين الذين يتعالون ويرفعون على من سواهم ، لهذا نجد أن إسلام أهل البلد المفتوح لم ينجهم من احتقار وازدراء السادة العرب لاسيما إذا كانوا من أصحاب المهن ، أما أشرف العجم (الأجانب) فكانوا يلاقون معاملة طيبة نتيجة مراكزهم وخدماتهم للعرب وقد قال أحدهم لعربي : الشريف من كل قوم نسيب الشريف من كل قوم^(٢١٦) .

أ - الموالى؛

كثر الرقيق بسبب الأسر وكان ذلك من نتائج الفتوحات العربية ، ثم تكاثر

عددهم بعدئذ بطريق الشراء ، وكان استخدام العبيد واستغلالهم شيئاً مألوفاً في العهود الإسلامية . وإذا كان الأرقاء من أهل البلد المفتوح غير مسلمين فإن إسلامهم لا يغير من طبيعة علاقتهم بسادتهم ملاك العبيد^(٢١٧) ، إذ تبقى عبوديتهم . أما إذا أعتق العبد فيعتبر مولى لسيدة^(٢١٨) سواء كان مسلماً أم غير مسلم . واستخدم هذا المصطلح - المولى - وجمعه الموالي - للدلالة على أهل البلد المفتوح الذين يدخلون الإسلام . وكان على المسلمين الجدد أن يلحقوا أنفسهم أو يربطوا علاقتهم بقبيلة من القبائل العربية فيقال عنهم مثلاً موالي بني سليم أو بني سعد أو موالي تميم ، غير أن هذا الولاء لم يمنحهم الاعتبار أو التقدير أو يرفع مكانتهم^(٢١٩) إلى من ينتمون إليهم بالولاء . ولقد اختلف الفقهاء في أهل البلد المفتوح هل هم جميعاً أرقاء ؟ أم هم أحرار ولكن تربطهم روابط تبعية ؟^(٢٢٠) إلا أن المعلومات تشير إلى أن أهل البلد المفتوح قد فقد أغلبيتهم حرية الشخصية بحكم الاحتلال وكانت تسود العلاقات القطاعية وكان الاستغلال القطاعي مقروناً باستخدام العبيد^(٢٢١) واعتبر أبناء البلد موالي وليس أرقاء .

وبالرغم من إسلام قسم من أهل البلد المفتوح فإنهم لم يتمتعوا بامتيازات^(٢٢٢) العرب ، فقد حرّموا من العطاء وبقيت عليهم الضرائب السابقة ، أو خفضت ولكنها ظلت أعلى نسبياً مما على العرب المسلمين^(٢٢٣) ثم أعيدت عليهم تلك الضرائب وبزيادة ، وكانوا محرومين من التوظيف في الوظائف الرئيسية في الإدارة والجيش^(٢٢٤) . ومنعوا من ركوب الخيل في الحروب بل كان عليهم أن يحاربوا راجلين ، ومنعوا من الزواج بالعربية وعاقبوا من تجرأ على الزواج بهن . كما حدث لأعراب بني سليم في الروحاء فإنهم جاؤوا الروحاء فخطب إليهم بعض موالها إحدى بناتهم فزوجوه ، فوشى بعضهم إلى والي المدينة بذلك ففرق الوالي بين الزوجين وضرب المولى مائتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه^(٢٢٥) ، وكانت السلطة العربية والاستقرارية العربية تشجعان الأدباء على النيل من كرامة ومكانة الموالي فكان أن قذفوا بأبشع الشتائم والنعوت والصفات الرذيلة حتى كانوا يقولون لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة ، حمار أو كلب

أو مولى ، لذا كان الموالي يشعرون بالاحتقار والازدراء والاذلال رغم اسلامهم وكان مما يزيد في ألمهم حسن معاملة الارستقراطية العربية واحترامها لمالكي الأرض ممن بقوا على أديانهم بينما كان الموالي - وغالبيتهم من المعدمين - يقابلون بالاحتقار والازدراء مع أنهم من المسلمين . لقد اشتد كره واستعلاء واستغلال الارستقراطية القبلية العربية للموالي في العهد الأموي ولهذا نقم الموالي على السلطة العربية - الامويين - . ويشير ولهاوزن إلى أن الموالي كانوا :

يصرخون على الأبواب طالبين حقوقاً مساوية لما للعرب وكان الإسلام معهم^(٢٢٦) . والحقيقة أن الموالي كانوا يلقون التأييد من معدمي العرب المسلمين ، الذين كانوا يلاقون الاستغلال والبطش والتعذيب (شأنهم شأن الموالي) من الارستقراطية العربية والسلطة الأموية والعباسية ، لأن الارستقراطية المستغلة كانت تستغل الجماهير عربيها وأجنبيها ، إلا أن استغلال الأجانب كان يرافقه الازدراء والتحقير ، ولهذا كان الموالي مرتعاً خصباً لكل حركة ثورية^(٢٢٧) ، فساهموا في أغلب الانتفاضات والثورات ضد بني أمية ومن ثم ضد بني العباس .

ب - أهل الذمة:

اعتبر العرب أبناء البلد المحتل المحتفظين بدينهم ، أهل ذمة ، أي أنهم في عهد وأمان - حسب التفسير الفقهي - لقاء ما يدفعون من ضرائب فرضت عليهم ، وقد كانت الجزية وملحقاتها - كما شاهدنا مرهقة ورمزاً للصغار .

كان الذميون - غالبيتهم من الفلاحين - يمتنعون حرفاً مختلفة ، عدا الزراعة ، في البناء والحياكة والنسيج والحداة والصياغة والطبابة ومهن أخرى ، ويتكسبون بأعمال البيع والشراء ويتعاطون التجارة . وكان على الذميين تقديم الخل والزيت وضيافة من يزر بهم من المسلمين لمدة ثلاثة أيام^(٢٢٨) ، وأهم ما يقدمون لهم من الطعام الخبز والشريد والتوابل والزيت والخضروات المطبوخة والسّمك أو اللحم وما تيسر وجوده^(٢٢٩) . وتقديم العلف لحيواناتهم ، وقيامهم بأعمال السخرة كالعناية بالطرق والجسور والأسواق ، فقد كتب الطبري : فكان الفلاحون للطرق والجسور والأسواق والحرث

والدلالة مع الجزاء عن أيديهم على قدر طاقتهم وكانت الدهاقين للجزية عن أيديهم والعمارة وعلى كلهم الإرشاد وضيافة ابن السبيل^(٢٣٠) .

وبالإضافة إلى الضرائب والواجبات والأعمال الإضافية كان أهل الذمة عرضة لصنوف العذاب والتحقير ، ولا سيما في فترة الحكم الأموي فيروي أبو يوسف ان عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامل له : أما بعد فلا تدعن صليباَ ظاهراً إلا كسر ومحق ولا يركبن يهودي أو نصراني على سرج وليركب على اكاف ، ولا تركبن امرأة من نسايتهم على راحلة وليكن ركوبها على اكاف . وتقدم في ذلك تقدماً بليغاً وأمنع من قبلك فلايلبس نصراني قباء ولاثوب خز ولا عصبة^(٢٣١) . ولم يعارض الفقهاء أمثال هذه الاجراءات بل أفتوا بها وبما يشابهها ، فقد قال أبو حنيفة^(٢٣٢) وأصحابه « ينبغي أن لا يترك أحد من أهل الذمة يتشبه في لباسه ولا مركبه ولا في هيئته بالمسلمين... وان لا يلبسوا طيالة مثل طيالة المسلمين ولا أردية مثل أردية المسلمين »^(٢٣٣) وقد لخص الماوردي الشروط التي افترضها الفقهاء والحكام على أهل الذمة بما يلي : أحدها تغيير هيئاتهم بلبس الغيار وشد الزنار . والثاني أن لا يعملوا على المسلمين في الابنية ويكونوا ان لم ينقصوا مساوين لهم . والثالث أن لا يسمعوهم أصوات نواقيسهم ولا تلاوة كتبهم ولا قولهم في عزيز والمسيح . والرابع أن لا يجاهروهم بشرب خمر ولا بإظهار صلبانهم وخنازيرهم . والخامس أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجهروا بندب عليهم ولا نياحة . والسادس أن يمنعوا من ركوب الخيل عتاقاً وهجاناً ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير^(٢٣٤) . وبهذا أجبر العرب أهل الذمة على لبس البسة معينة وعلى السكن في دور موصوفة وعلى طريقة خاصة في ركوب بعض الحيوانات وتدخلوا في طقوسهم الدينية ومنعواهم من تحديد أو بناء البيع والكنائس الجديدة . وكان عليهم أن يدفعوا كل الضرائب^(٢٣٥) ويقوموا بأعمال السخرة وكانوا ملزمين بالخضوع التام للقوانين التي فرضت عليهم والتي تقضي بحرمانهم من بعض الحقوق الاجتماعية والمالية^(٢٣٦) . بل أن فون كريم يذكر أن السكان غير المسلمين لم تكن لهم حقوق تقريباً^(٢٣٧) . ويرى ترتون أن أهل الذمة كانوا يدفعون - في بداية الفتح الإسلامي -

ضرائب لا تزيد على ما كانوا يدفعونه للحكومات السابقة ، « بيد أن هذا القدر من الضرائب أخذ يزداد شيئاً فشيئاً وتثقل وطأته على مر الأيام »^(٣٢٨) ، وهذا ما شاهدنا بالفعل حيث زاد كميتها (الضرائب) عبد الملك بن مروان^(٣٢٩) . ولم تتحسن أحوال أهل الذمة بعد سقوط الدولة الأموية إذ أن العصر العباسي كان حافلاً بالمضايقات والتعسفات التي حلت بأهل الذمة ولاسيما في عهدي المأمون والمتوكل . وعلى نقيص ما ذهبنا يرى لوكيكارد بأن للذمي - مع بعض الاستثناءات - نفس حقوق وواجبات المواطن المسلم (*) .

ج - الشعوبية^(٣٣٠) :

مدرك يطلق على تيار فكري يمثل نضال الشعوب المغلوبة الفكري والاجتماعي ضد التسلط الأموي والعباسي وضد التعصب (الشوفيني) ، ضد احتقار الشعوب غير العربية . فكان هدف الصراع في العصر الأموي والجزء الأول من العصر العباسي الأول هو تحقيق المساواة بين الشعوب^(٣٤١) والاعتراف بها وتحقيق كرامتها . وقد تجاوز الشعوبيون هذا المطلب النبيل بعدئذ - أي في العصر العباسي - إلى احتقار شأن العرب القدامى وامتهان مكانتهم السابقة^(٣٤٢) .

ولهذا يجب الاحتراس من تعميم مفهوم الشعوبية ، إذ أن الشعوبية ليست واحدة لدى طبقات المجتمع المختلفة^(٣٤٣) (غير العربية) وليست هذه الشعوبية ذات طابع واحد في كلا العهدين الأموي والعباسي .

يحاول كثير من المؤرخين والباحثين اخفاء الفارق بين طبيعتي الشعوبية لطمس الجانِب النضالي لدى الشعوب المغلوبة ، وإبراز الجانب الكالِح البغيض المفرق في الرجعية من الشعوبية بمظهر الاساس أو الكل أو الشمول . كتب الدوري في كراسه الذي ألفه لهذا الغرض : بدأت الحركة الشعوبية في الفترة الأموية الأخيرة واندفعت بقوة في العصر العباسي ، وهي تمثل جانباً من محاولات شعوبية غير عربية لضرب السلطان العربي عن طريق الفكر والعقيدة ، فهي في اندفاعها تتكشف عن صراع

(*) الضريبة الإسلامية . ص ٨٤ .

ثقافي ديني واسع^(٢٤٤) . يحاول الدوري - هنا - جعل طبيعة الشعوبية واحدة في العهدين الأموي والعباسي . ويحاول طمس الفوارق الطبقية ولهذا يجعل كفاح الطبقات واحداً ويحصر أهدافها (الطبقات المختلفة) في هدم السلطان العربي وإضعاف الإسلام ، أي يجعله في إطار العنصرية والطائفية ليخفي الظروف والعوامل الاقتصادية فيقول : إن الشعوبية ليست حركة فئة أو طبقة اجتماعية - إن جاز التحديد ، بل أنها تمثل اجتماع الجهد الذي بذلته فئات مختلفة من شعوب متعددة لزعة السلطان العربي ، أو الإسلام ، وإرباكه ولصد تيار الثقافة الإسلامية ولنسف التراث كما حاولت تركيز الوعي السياسي والديني بين صفوفها وإحياء تراثها الثقافي^(٢٤٥) . وهنا لم يحاول الدوري أن يتطرق إلى حقيقة كون واقع كل طبقة وظروفها الموضوعية ومصالحها الطبقية هو الذي حتم تباين أشكال نضالاتها كخط عام ، ولو أن تحالفاً - مؤقتاً - كان يحصل بينها لفترات من أجل تشديد النضال للحصول على نصر حاسم بأسرع وقت . ويصر الدوري على أن الشعوبية (بأهدافها التي حددها هو لمختلف الطبقات) تتصف بالشمول ، فهي واحدة لدى كل الطبقات فقد كتب : وكل محاولة لإكسابها صفة طبقية أو لحصرها في فئة اجتماعية معينة إنما يناقض طبيعتها وشمولها^(٢٤٦) . إن اعتبار طبيعة الشعوبية واحدة في كل العهود - من قبل الدوري - يعود إلى شكه في دعوة الشعوبية للمساواة فقد كتب : وقد ظهرت الحركة في العصر الأموي في إطار الإسلام وبدأت وكأنها تحمل روحاً إسلامية حين دعت إلى مساواة الشعوب الأخرى بالعرب في الإدارة والمجتمع ثم انكشفت أهدافها الحقيقية في العصر العباسي^(٢٤٧) . ويعلل الدوري شكه في طلب الشعوبيين للمساواة في العصر الأموي ، من استمرار كفاح الشعوبيين في العصر العباسي (رغم أن العباسيين قد حققوا للشعوبيين - كما يزعم - المساواة) فنسمعه يقول : وبعد كل هذا يجدر بنا أن نتذكر أن ثورات الموالى والأعاجم وحركاتهم كانت في العصر العباسي أكثر وأخطر منها في العصر الأموي وهي وإن كانت تحت ألوية عربية وباسم أحزاب عربية في العصر الأموي فإنها كشفت عن حقيقتها في العصر العباسي... وهذه ظاهر يتعذر تفسيرها إذا أخذنا بالرأي القائل بأن هدف الموالى كان تحقيق المساواة الاجتماعية أو الاشتراك في الإدارة لأن العباسيين حققوا ذلك إلى درجة كبيرة وواسعة^(٢٤٨) .

وفي هذا مغالطة كبيرة لأن العباسيين حققوا ذلك (الاشتراك في الادارة) للاستقرارية الايرانية فقط ، أما جماهير ايران فلم تنل شيئاً من تغيير السلطة ، والدوري يعرف ذلك جيداً ولكنه تناساه متعمداً ليستغفل القارئ البسيط إذ أنه هو الذي كتب سابقاً ١ - ولكن المثل الأعلى للمساواة والعدل ظل وهما إذ لم يحقق العباسيون وعودهم فاستمر العنف والجور واستمرت الثورات^(٢٤٩) ، وهو الذي كتب أيضاً فلم يعمل العباسيون ما يذكر لتخفيف الضغط الاقتصادي والاجتماعي على جماهير الايرانيين فلم يرضخ هؤلاء لوضعهم^(٢٥٠) ، وهو القائل أيضاً (واعتمد العباسيون على القوة أكثر من الامويين في تنفيذ رغباتهم وسياستهم)^(٢٥١) .

إننا لنستغرب كيف نسي الدوري أقواله السابقة هذه ويحلو لنا أن نذكره بقول آخر له ١ وفي الشرق الأدنى كان في نظام الضرائب من العنف في الجباية والزيادة في الضرائب وسوء المعاملة ما كان دافعاً هاماً لكثير من الثورات في العصر العباسي الأول^(٢٥٢) . إن شك الدوري في طلب الشعوب للمساواة في العصر الأموي جاء من نكرانه لتعصب الامويين وتشككه في إرهاب الامويين للموالي بالضرائب (أما ما يذكر عن إرهاب الموالي بضرائب جديدة فتبين أن الامويين لم يتجاوزوا الضرائب المعروفة الموروثة كهدايا النوروز والمهرجان والضرائب على الصناعات والحرف وهي ضرائب مألوفة من قبل وليس لدينا ما يشعر بأنهم زادوا في مقدار الضرائب مع أن تحديد الكمية تدبير اداري)^(٢٥٣) .

ولاحاجة بنا لان نعيد ما ذكرناه عن الضرائب غير أننا نقول بأن قوله هذا يناقض أقواله في كتابه العصر العباسي الأول الصفحات ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ . وفي كتابه مقدمة في تاريخ صدر الإسلام الصفحات ٧٧ ، ٨٤ ، ٨٥ . وهو نفسه سبق وأن كتب ١ واحتقر الامويون بتأثير العصبية جميع الأقوام غير العربية وعدوهم في منزلة اجتماعية أدنى من العرب وأبعدوهم لذلك عن السياسة والقيادة وفرضوا عليهم من الضرائب أكثر مما فرضوه على العرب^(٢٥٤) .

إن محاولات الدوري الأخيرة (في آخر انتاج له - الجذور التاريخية للشعبوية) البائسة في تشويه نضالات الشعوب ضد التسلط الأموي بتصويرها كفاحاً عنصرياً ضد العرب وطائفياً ضد الدين الإسلامي لتناقض جميع أقواله في مؤلفاته السابقة وتنهار

أمام الحقائق الناصعة ، فإن الجماهير الإيرانية ساهمت - كما شاهدنا^(٢٥٥) - بانتفاضات قادها العرب ، ناشدة إصلاح أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية السيئة ، كما وساهمت هذه الجماهير في نضال فكري واجتماعي أيضاً مطالبة بالمساواة بين الشعوب وهو ما يدعى بالشعوبية . وكان من جراء التعصب العنصري (الشوفايني) من قبل الارستقراطية القبلية العربية ، الأموية المستغلة ، واحتقارها الشعوب الأخرى^(٢٥٦) وخاصة الشعب الايراني ، أثر في نشوء حركة الشعوبية ، وكانت هذه الحركة النامية بين أفراد الطبقات المضطهدة ذات طابع تقدمي ، لأنها كانت تنشد الدفاع عن كرامة الشعب وإظهار مآثره ورفع الاحتقار والانتقاص من شأنه ، وكانت الأغلبية العظمى من المدافعين عن حقوق وكرامة الشعب تنشد مختلف السبل لإظهار شعبها بمظهر لا يختلف عن بقية الشعوب ، وكانت هذه الغالبية من الكادحين . يقول ابن قتيبة : ولم أر في الشعوبية أرسخ عداوة ولا أشد نصباً للعرب من السفلة والحشوة وأوباش النبط وأبناء أكرة القرى^(٢٥٧) ، ومن هنا نرى - بالرغم من تحامل ابن قتيبة واحتقاره للمعتمدين^(٢٥٨) - ان ابن قتيبة يحصر المدافعين بشدة عن كرامة الشعب بين الطبقة الكادحة ولاعجب في ذلك فإن الانتهاكات الفظيعة والاحتقار المزري والتعصب الشديد إنما يقع بشدة وبصورة أوسع على الطبقة الكادحة المعدمة الفقيرة من فلاحين وحرفيين وبقية الكسبة من أبناء المدن من باعة وصغار التجار . هؤلاء كانوا في مقدمة من نالهم الخسف والهوان والتعسف والاستغلال ، فكانوا الفصائل الأولى التي دافعت عن حقها في الحياة بعزة وكرامة وطالبت بالمساواة بين السلالات والشعوب فكانوا يقولون : إنا ذهبنا إلى العدل والتسوية وإن الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد^(٢٥٩) . لهذا يمكننا أن نقول إن طابع ما يسمى بالشعوبية في العهد الأموي - تقدمي لأن كادحي ايران كبقية الكادحين كانوا يناضلون ضد الاستغلال الاقطاعي المتمثل بالارستقراطية الأموية وضد الاضطهاد العنصري الذي مارسه الارستقراطية والسلطة الأموية ، ولما كانت نزعة العنصرية الايرانية غير مبنية على التعصب (البرجوازي) - إن صح التعبير - فهي تحتوي على عناصر ديمقراطية^(٢٦٠) ، (في فترة الحكم الأموي) لخلوها من التعالي والتعصب الأعمى^(٢٦١) .

أما في العصر العباسي فما أن فازت العائلة العباسية بالسلطة ومسكت بيدها زمام

الحكم حتى تنكرت لحقوق الشعب ومطالب الجماهير ، لهذا لم يشعر فلاحو إيران بأي تبدل في وضعيتهم ، فقد عاد الاقطاعيون إلى سابق نفوذهم وعاد الضيق الاقتصادي وعادت الضرائب ترهقهم ، وكذلك سكنة المدن من حرفيين وباعة وصغار التجار من الايرانيين ، فإن علاقاتهم تردت بعد فترة وجيزة وعاد التذمر يسودهم واليأس يشملهم فانضموا إلى صفوف المقاومة وكانوا عماد الحركات الخرمية وأنصارها الأشداء بعد أن تخلوا عن العباسيين ، ولاغربة أن يقوم أشد أنصار العباسيين بالانتفاضات ضد السلطة العباسية ، لأن العباسيين ، بطبيعة كونهم من طبقة اقطاعية متسلطة مستغلة ممتنفة ، تنكروا لمصالح الفلاحين والطبقات الكادحة الأخرى واعتمدوا على الارستقراطية الايرانية وبذلك أهملوا القاعدة الشعبية التي استندوا عليها أثناء الدعوة .

وكان من جراء اعتماد العباسيين على الارستقراطية الايرانية فقط ، أن أصبح الكادحون وحدهم في ميادين الكفاح ضد الاستغلال الطبقي العباسي - المحلي ، ولهذا ساهموا في انتفاضات الخرمية ممتشقين السيوف من أجل المساواة والانصاف فقل اعتمادهم على النضال الفكري . وبما أن الارستقراطية الايرانية قد اطمأنت على مصالحها الشخصية وارتبطت مصالحها بالسلطة لذا تنكبت عن طريق الكفاح الذي سلكته أيام الأمويين وأخلدت للراحة لتجني ثمار تعاونها مع الارستقراطية العربية (العباسيين) واكتفت بالنضال الفكري - الشعوية - حيث تحولت طبيعتها على أيديهم فأصبحت رجعية تمثل ذهنية الارستقراطية الايرانية المتعقنة ، تلك الارستقراطية الملتصقة بالبلاط العباسي والتي كونت لها كادراً من المثقفين المتهافتين على مواندها ، ووضع هؤلاء المثقفون ، من مؤرخين ونحاة وشعراء ورواة الشعر وكتاب وعلماء حديث ونقاد أدب ، امكانياتهم تحت تصرف الارستقراطية الايرانية ذات النفوذ والمال والمنافسة للارستقراطية العربية وللسلطة العباسية غير أن لدى الارستقراطية الايرانية كانت توجد حساسية تجاه الأصل (أو العنصر) نتيجة نظرة الازدراء والتحقير التي كانت تلقيها الارستقراطية العربية على كل من هو غير عربي .

لهذا طلب الارستقراطيون الايرانيون أو شجعوا هؤلاء المثقفين والمتأدبين على الخط من كرامة العرب القدامى ومكانتهم السابقة والبحث عن المثالب لدى القبائل

العربية في العصر الجاهلي (ما قبل الإسلام) ووضع القصص وتأليف الحكايات واختلاق الشعر للمس بكرامة الشعب العربي^(٢٦٢) . وكانت الارستقراطية تحمي المثقفين وتدافع عنهم وتمدهم بالجاه والمال . فعندما ألف علان بن الحسن الوراق الشعوبي كتاباً في مثالب العرب أغدق عليه طاهر بن الحسين ثلاثين ألف درهم^(٢٦٣) . ونتيجة للحماية والأموال الغفيرة التي نالها المثقفون ، أن سعوا إلى إظهار الشعب الإيراني بأعلى مراتب الشرف والسمو فهم - أي الإيرانيون - السباقون لكل خير وفضيلة وأن مكانهم في السماك الأعزل ، يقول بشار بن برد :

أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم
مولوك أكرم من تميم كلها
مولى العريب فخذ بفضلك فافخر
أهل الفعال ومن قریش المشعر^(٢٦٤)

وقال أبو نواس :

عاج الشقي على رسم يسائله
يبكي على طلل الماضين من أسد
ومن تميم ؟ ومن قيس ؟ ولفهما
وعجت اسأل عن خمارة البلد
لادر درك قل لي من بنو أسد
ليس الاعاريب عند الله من أحد

ويقول قائلهم :

غنينا بالطبول عن الطلول
وأذهلني عقار عن عقار
فلست بتارك إيوان كسرى
وعن عنس عذافرة ذمول
ففي است ام القضاة مع العدول
لتوضح أو لحومل فالدخلول
بها يعوي وليث وسط غيل^(٢٦٥)
وضب في الفلاساع وذئب

وكان الشاعر الخزيمي يكثر من شعره من الاعتزاز بالنسب الإيراني والتحقير من شأن العرب ، فيقول :

اني امرؤ من سراة الصفد البسني
وقال شاعرهم :
عرق الأعاجم جلدا طيب الخبر^(٢٦٦)

في بلدة لم تصل عكل بها طنبا ولا خباء ولا عك وهمدان
ولا لجرم ولا نهـد بها وطن لكنها لبني الأحرار أوطان
أرض تبني بها كسرى مساكنه فما بها من بني اللخاء إنسان^(٣٦٧)

فترى أن جل هؤلاء الحاقدين من المثقفين سعوا إلى تحقير شأن العرب ورفع مكانة
الاييرانيين . ويذكر كولد تسهير (أن العالم المشهور سهل بن هارون كتب عدداً كبيراً
من الكتب أظهر فيها تعصبه ضد العرب وفخره بالعجم وكان من متطرفي قومه)^(٣٦٨) .

ان اشهر الشعوبيين وأبرزهم هم :

١- أبو عبيدة معمر بن المثنى^(٣٦٩) مولى تيم قریش أصله من يهود ايران قد أسلم
جده . اشتهر في رواية التاريخ ووضع الاخبار والنحو وكتبه التي تعرض بها للعرب :
كتاب لصوص العرب ، أدعاء العرب ، وله كتاب فضائل الفرس .
٢ - علان بن الحسن الشعوبي^(٣٧٠) ، الوراق ، كان راوية عارفاً بالأنساب
والمثالب وكان ينسخ للرشيـد وللبرامكة ، وللمأمون في دار الحكمة ، عمل كتاب
الميدان في المثالب .

٣ - أبو القاسم حماد بن سابور بن المبارك بن عبيد ، المعروف بحماد
الراويـة^(٣٧١) كان مشهوراً في رواية الشعر وانتحاله .

٤ - أبو محرز ، خلف بن حيان ، المشهور بخلف الأحمر^(٣٧٢) اشتهر برواية
الشعر وكان يعمل الشعر على لسان العرب وينحله إياهم .

٥ - ابان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي^(٣٧٣) واشتهر بالترجمة عن
الفارسية وكان شاعراً ينقل الكتب المنثورة إلى الشعر المزدوج واشهر تلك الكتب :
كليلة ودمنة ، سيرة أدرشير ، سيرة أنوشروان ، كتاب حلم الهند ، كتاب الزهر ،
السندباد ، مزدك ،... الخ .

٦ - سعيد بن حميد بن البختكان^(٣٧٤) ، ويكنى أبا عثمان ، وكان شديد العصبية
على العرب وأشهر كتبه كتاب انتصاف العجم من العرب وكتاب فضل العجم على العرب
وافتنخارها .

٧- الفضل بن عبد الصمد الرقاشي^(٣٧٥) شاعر البرامكة وكان يزود عنهم .

٨ - سهل بن هارون بن رامنوي الدستميساني^(٢٧٦) ، شديد التعصب على العرب وكان يعمل في دار الحكمة للمأمون وكان شاعراً وحكيماً ، ورد له شعر في ضحى الإسلام (عن صاحب «زهر الآداب») يقارن بين بيته في ميسان وبيت آخر عربي فيقول :

أجعلت بيتاً فوق رابية مرعى النجوم كأنه نجم
وكبيت شعر وسط مجهلة بفنائه الجعلان والبهم^(٢٧٧)
(هامش العقد ، ج ٢ ص ١٩٠)

٩ - أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي الشعلي كان دعياً ، فهتك أعراض العرب^(٢٧٨) ذكر عنه ابن النديم أنه كان (عالماً بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب وتوفي بفم الصلح^(٢٧٩) عند الحسن بن سهل^(٢٨٠) ، واشهر كتبه : المثالب الصغير والمثالب الكبير وكتاب مثالب ربيعة وأسماء بغايا قريش في الجاهلية وأسماء من ولدن ومن تزوجن من الموالي .

٦- مدى تطبيق العباسيين للشعارات التي رفعوها إبان الدعوة حول إعادة الحقوق الاجتماعية للموالي ورفع الحيف عنهم وإنقاذهم من الضائقة الاقتصادية.

ناضلت الشعوب المضطهدة في العصر الأموي - كما لاحظنا سابقاً - من أجل حريتها وتخلصها من الاستغلال ، فانضمت إلى مختلف الفئات المستاءة من الحكم الأموي ، والثائرة على الخلافة الأموية ، ثم التجأت إلى الدعوة العباسية لما فيها من وعود لتحسين أحوال الشعوب المضطهدة . فقد بشر العباسيون (عائلة إقطاعية موسرة) - بتخفيف الوطء عن كاهل الشعوب المغلوبة إذا نجحوا في دعوتهم ، وكان ذلك تضليلاً منهم في سبيل لف أوسع الجماهير حول رأيهم ، فقد نادى دعاة العباسيين في إيران ، (كانوا ١٢ نقيباً و ٧٠ داعية)^(٢٨١) بأن الدعوة هي لنصرة المظلومين وتحقيق العدالة والقضاء على الظلم الأموي . وقد نجح الدعاة في تهينة ظرف جيد لأبي مسلم

ليعمل في تثبيت الدعوة مستغلاً - كسابقيه الدعاة - الاستياء العام من الاستغلال المهرق ، فكثير اتباعه وكانت غالبيتهم من الفلاحين الايرانيين^(٢٨٢) وخاصة من خراسان حيث كان الاستياء على أشده ولاسيما في واحة مرو ، التي كانت نقطة الانطلاق ومنها زحفت نحو أبي مسلم جموع الفلاحين^(٢٨٣) وكذلك الحرفيون والباعة والتجار وحتى الملاك المحليون - الدهاقين - والذين دخلوا الإسلام بتأثير أبي مسلم^(٢٨٤) ، انضموا إلى الحركة . وبهذا نجح أبو مسلم في الدعوة حيث وحد تحت راية العباسيين السوداء بين مختلف القوميات والطبقات الاجتماعية المستاءة^(٢٨٥) .

وبعد اندحار الامويين ومجيء العباسيين للسلطة تلاشت تلك الوعود والشعارات الداعية لتحسين الأوضاع لأن تطبيقها يتعارض ومصالح الارستقراطية المستغلة والتي هي على رأس الحكم ، فأصبحت الجماهير بخيبة أمل وانهارت آمالها التي بنتها على العباسيين عند تعاونها معهم وشعرت بالخديعة الكبرى حيث لم يجن من ذلك التعاون سوى الارستقراطيين الايرانيين^(٢٨٦) الذين نالوا الخطوة لدى العباسيين وكان من جراء تقريب الارستقراطيين الايرانيين ابقاء الوضع الطبقي في ايران على ما كان عليه ،^(٢٨٧) فلم يشعر المستغلون بأي فرق في تبديل السلطة بل إن الاستغلال الاقطاعي ازداد نتيجة تطور الاقطاع وازدياد تعاون الارستقراطية مع السلطة ، ولهذا أصيبت الجماهير بخيبة أمل لعدم تحقيق ما كانت تصبو إليه إذ أنها كافحت من أجل المساواة والعدالة^(٢٨٨) ، فانفرط عقد التحالف الذي انعقد في العهد الأموي بين العباسيين والموالي المستائين ، فلقد كان مكتوباً لهذا التحالف الفشل لأنه تحالف بين نقيضين جمعتهما مصلحة آنية (التخلص من الحكم الأموي) أما الأهداف البعيدة للأطراف المتعاقدة فمختلفة ، فلدى الأمم المغلوبة أهداف التخلص من الحكم والسيطرة والاستغلال الاقطاعي - لدى الطبقات المعدمة - أما الارستقراطية المحلية فكان هدفها التخلص من السيطرة لتنفرد في استغلال أبناء شعوبها ولهذا استمروا في تعاونهم مع العباسيين الذين فسحوا لهم مجال الاستغلال ، وأما العباسيون فكان هدفهم اسقاط السلطة الاموية لتؤول اليهم مقاليد الحكم حتى يوسعوا استغلالهم الطبقي . وكان اعتماد العباسيين على الارستقراطية المحلية من أجل تضليل الشعوب على أساس تمثيلهم في السلطة ولكن ذلك لم يكن خافياً على أبناء الشعب لذا فإن تقريب الارستقراطية

المحلية لم يعد على العباسيين بالفوائد المرجوة بل أدى إلى توسيع شقة الخلاف بين الجماهير والاستقرائية المحلية . لقد كان اعتماد العباسيين على الاستقرائية المحلية يشوبه الحذر التام وكثيراً ما كان ينتهي بمصادرة الأموال والتنكيل الفظيع . لقد توسع التعاون بين العباسيين والاستقرائية الايرانية ، بتحوط ملحوظ ، بعد الانتصار حيث استعين ببيوتات عريقة النسب^(٢٨٩) وأسندت إليها مناصب هامة في الدولة وفي مقدمتها منصب الوزير^(٢٩٠) ولكن سياسة البطش والأطماع الشخصية والريية وحسد الاستقرائية العربية دفعت الخلفاء إلى الفتك بأعوانهم ومصادرة أموالهم ، وحتى أبو مسلم لم يسلم من بطش الخليفة الثاني - المنصور - بالرغم من جهوده العظيمة في قيادة الثورة وتثبيت السلطة - عندما لاحظ الخليفة امكانية قيادة أبي مسلم لثورة جماهيرية ، والتي يمكن أن تلهب بين الناس بلحظة ، فأمر بقتله^(٢٩١) . ويعزو بارتولد نكبة البرامكة إلى رد الفعل الديني^(٢٩٢) ، ولكننا نعتقد أن خشية تعاظم نفوذ آل برمك والتنافس بين الاستقرائيتين العربية والايرانية ورغبة الرشيد في مصادرة أموال آل برمك هما الدافعان لتلك النكبة . ويعلل شلبي ، سياسة البطش والفتك التي اتبعتها العباسيون ، بأنهم وجدوا الدولة مهددة بالخطر ولهذا « ينبغي للمحافظة عليها أن يقتلوا (كذا) كل من حامت حوله شبهة المروق أو التمرد »^(٢٩٣) . ولا يحاول شلبي أن يرجع ذلك إلى المطامع المادية الشخصية لدى الخلفاء في مصادرة الأملاك ومن أجل إرهاب الاستقرائية وبهذا أصبحت الخلافة (كما يقول حمزة) ملكاً يستهان فيه بكل القيم^(٢٩٤) . إن سياسة البطش والتنكيل كانت من أجل تركيز الاستغلال الاقطاعي ، من أجل زيادة الضرائب^(٢٩٥) ومن أجل مقاسمة الولاة والعمال أموالهم التي يجنونها من ولاياتهم^(٢٩٦) . والمتتبع لتاريخ الخلافة العباسية يجده مليئاً بحوادث مصادرة أموال الناس ، ولم يخجل الخلفاء أنفسهم من تلك الأعمال اللصوصية^(٢٩٧) ، ولا عجب أن تجد خزائن الخلفاء مليئة بالملايين ، فإن فرغت بسبب المصاريف الباهظة فسرعان ما تملأ^(٢٩٨) بالنهب والسلب وفرض الضرائب الجديدة^(٢٩٩) . فيذكر اليعقوبي « وأخذ أبو جعفر أموال الناس حتى ما ترك عند أحد فضلاً وكان مبلغ ما أخذ لهم ثمانمائة ألف ألف درهم »^(٣٠٠) (٨٠٠ مليون درهم) . لقد عاش الخلفاء والاستقرائية عيشة بذح وترف واستهتار بالأموال . فموائد الرشيد كانت تكلف يومياً مبالغ باهظة ، وعند

زواجه من ابنة عمه زبيدة بنت جعفر صرف على الوليمة مبالغ جد طائلة^(٤٠١) . وهناك صورة حية لدى الطبري عن بذخ واستهتار الخلفاء والارستقراطية بأموال الشعب فقد ذكر في حوادث سنة ٢١٠ هـ (وفي هذه السنة بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل)^(٤٠٢) ثم يصف الليلة الثالثة (... فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدتها ألف درة كانت في صينية ذهب . وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون منا في تور ذهب...) ثم يصف البذخ (... وأن الحسن خلع على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم (٥٠ مليون درهم) ، قال وأمر المأمون غسان بن عباد عند منصرفه أن يدفع للحسن عشرة آلاف الف درهم من مال فارس وأقطعه الصلح (فم الصلح) ... فلما انصرف المأمون شيعة الحسن ثم رجع إلى فم الصلح فذكر عن أحمد بن الحسن بن سهل قال : كان أهلنا يتحدثون أن الحسن بن سهل كتب رقاعاً فيها أسماء ضياع ونثرها على القواد وعلى بني هاشم فمن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها^(٤٠٤) . فكان لا بد لمثل هذه المصاريف الباهظة من موارد عظيمة ، لذا كان الشعب مرهقاً بالضرائب وكان عمال الخليفة يمتازون بالقساوة والغلظة والنهب وكانوا ينالون رضى الخلفاء ما داموا يجلبون لهم وفوق ذلك يهدونهم فيذكر الجهشياري عن والي خراسان علي بن عيسى بن ماهان (جمع أموالاً جليلة فحمل إلى الرشيد ألف بدرة معمولة من الوان الحرير وفيه عشرة آلاف ألف درهم (عشرة ملايين درهم) ولما وصلت إليه سر بها)^(٤٠٥) . وهذه الرشوة جعلت الخليفة يغض الطرف عن قساوة ونهب والي فلم يصغ لشكاوى السكان فما كان من الجماهير الساخطة إلا أن تلقن الخليفة درساً جيداً إذ هجمت على قصر والي علي بخراسان ونهبت أمواله . ولم تكن هذه إلا واحدة من انتفاضات عبرت جماهير الشعوب فيها عن سخطها واستيائها من الظلم والإرهاق وتنكر العباسيين لشعاراتهم التي رفعوها أثناء الدعوة ، وعلى سبيل المثال نشير إلى ما ذكره اليعقوبي عن ارمينيا (وكانت ارمينيا قد انتفضت بعد وفاة المهدي فلم تزل منتفضة أيام موسى (الهادي) فلما ولي الرشيد خزمية بن خازم التميمي ارمينيا قام بها سنة وشهريين وضبطها وصلحت البلاد)^(٤٠٦) ويشير تاريخ العالم إلى هذه الحوادث (ففي ارمينيا التهب انتفاضة قوية في ٧٧٤ - ٧٧٥ م وقد أقسم - كما يقول مؤرخ - عدة آلاف من بسطاء

الشعب المساهمين فيها « أقسم بعضهم لبعض بوعد مهيب - العيش والموت
سوية »^(٤٠٧) ، ولاخمد أمثال هذه الانتفاضات تطلب استخدام قوى عسكرية
معتبرة^(٤٠٨) ، وفي نيسان ٧٧٥ تيسر لجيش الخليفة أن يجلب الهزيمة للشوار في أعالي
الفرات .

لقد أرغمت هذه الحركة العظيمة مع ثورة الفلاحين الخرمية من جماعة المقنع في
أواسط آسيا ، الخليفة المهدي أن يقلص - لمدة من الزمن - مقادير الخراج وأن يلغي
الرسوم الداخلية . وذكر اليعقوبي (فلما صار الفضل « بن يحيى بن خالد البرمكي »
إلى العراق وجه أبا الصباح على خراج ارمينيا وسعيد بن محمد الحرائي اللهي على
حربها فوثب أهل بردعة على أبي الصباح فقتلوه وانتفضت أرمينيا)^(٤٠٩) . لقد توالى
الانتفاضات الواحدة تلو الأخرى نتيجة الإرهاق وتعاضم استغلال الولاة والعمال ، ففي
سنة ٧٩٥ م مثلاً ، حصلت هناك حركة شعبية جديدة أحبطت بمنتهى القساوة^(٤١٠) .
ولقد ساهم ارستقراطيو ارمينيا وآران بقسط في حركات تحرر الشعوب ليس فقط من
أجل التحرر من سيطرة الخلافة ولكن أيضاً لأجل أهدافهم الطبقية في سبيل توسيع
مناطق نفوذهم وأراضيها^(٤١١) .

وأما في إيران فقد شملها الاستياء وعمها الجزع من تخلف العباسيين عن تحقيق
وعودهم ولهذا فقد التهمت فيها انتفاضات واسعة (انتفاضات الخرمية وغيرها) ضد
السلطة العباسية - سنتناولها بالتفصيل في الفصل التالي - وقد توضحت صفاتها الطبقية
عند كفاحها ضد الاستغلال الاقطاعي لان جمهور المساهمين في تلك الانتفاضات كان
جلهم من الفلاحين .

1

1

1

هوامش الفصل الثاني

- (١) يذكر بلويانسكي ، خطأ أن بدء الحرب سنة ٨١٥ م ، التاريخ الاقتصادي ص ١٢٩ .
- (٢) موجز تاريخ إيران ، ص ٢٧ .
- (٣) يرى دياكونوف ، م . م . (ان انعكاس وضعية الفلاحين جد ضعيف في المصادر الساسانية) مختصر تاريخ إيران القديم ، ص ٢٨٠ .
- (٤) المسعودي ، مروج ، ج ١ ص ٢٥٣ . دياكونوف م . م . ص ٢٨٢ .
- (٥) ابن حوقل ، المسالك والممالك ص ٢١٨ . ياقوت الحموي م ٣ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .
- (٦) الطبري ، تاريخ الرسل م ١ ج ٣ ص ٩٦٠ - ٩٦١ .
- (٧) بيكوليفسكايا ، ن . أ . ، مدن إيران ، ص ٢١٧ . بوليانسكي ، التاريخ الاقتصادي للبلدان الأجنبية ص ١٢٢ .
- (٨) فعلى سبيل المثال يذكر دياكونوف ، م . م . (السؤال عن تركيب المجتمع الإيراني الساساني معقد جداً وكشيه . مثله لم يقرر في العلم بعد) ، مختصر تاريخ إيران ، ص ٢٧٨ وذكر أيضاً (أن تحليل حالة الفلاحين وتركيبهم الاجتماعي من المهمات الصعبة) ن . م . ص ٢٨٠ . وتذكر بيكوليفسكايا ، ن . أ . (أن المسألة جد معقدة ولكن الامتناع عنها ممنوع) مدن إيران ص ٢١١ .
- (٩) لويس برنارد ، العرب في التاريخ ، ص ٦ - ٦٧ .
- (١٠) اعتمد الخربوطلي في رأيه على (فون كريب . الحضارة الاسلامية . ص ٧٨) . وقد اعتبر الخربوطلي الدهاقين من الارستقراطية ، تاريخ العراق ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ . لكن الدهاقين من صفار الملاكين وكانت مهمتهم جمع الضرائب . يقول كريستنسن ، آرثر (فلم يكن اذن للدهقان ، قبل الفلاحين ، ما للسادة مالكي الأراضي من الارستقراطية الرفيعة) إيران ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، ويقل كريستنسن ، آرثر عن الدهاقين أيضاً (..... وعلى هذا الاعتبار كانت وظيفة الدهاقين الأصلية أن يتسلموا الضرائب) ، إيران ص ١٠٠ .
- (١١) المسعودي ، ج ١ ص ٢٥١ . انظر بيكوليفسكايا ، مدن إيران ، ص ٢١٢ . راجع معجم متن اللغة (واقطعه قطعة اعطاء طائفة من أرض الخراج تمليكاً أو ارفاقاً - منفعة) ص ٥٩٧ المجلد الرابع . وكذلك راجع المنجد (اقطع الأمير الجند البلد جعل لهم غلته رزقاً) ص ٦٧٦ .
- (١٢) كريستنسن ، إيران ص ٩٣ ، ص ١٠٠ .
- (١٣) المسعودي ، مروج ، ج ١ ص ٢٥٣ .
- (١٤) تاريخ إيران ص ٥٧ .
- (١٥) ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ ج ١ ط ٢ ص ١٩٢ .
- (١٦) الطبري ، تاريخ الرسل م ١ ج ٣ ص ٩٦٢ . ويقول الدينوري (ووظف الجزية على أربع طبقات وأسقطها عن أهل البيوتات والمرازبة والاساورة والكتاب ومن كان في خدمة الملك) الاخبار الطوال ص ٧٢ .

- (١٧) زاخوديرب . ن . تاريخ الشرق ص ١١ .
- (١٨) م . ن . ص ١١ . ويرى دياكونوف (التوطيد المقبل للتركيب الاقطاعي كان في تشبثت إصلاحات وريث قباذ - كسرى الأول -) نبذة تاريخ ايران ص ٣٠٩ .
- (١٩) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢١٨ . لاحظ ياقوت الحموي معجم البلدان م ٣ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ . لكن القلقشندي يروي الحادثة في زمن كسرى انو شروان فيقول (أول من وضع الخراج وأزال المقاسمة كسرى انو شروان وذلك أنه مر على زرع وامرأة تمنع ولدها منه...) صحاح الاعشى ج ١ ص ٤٢٤ . ورواية ابن حوقل ادق .
- (٢٠) البيروني ، الآثار ص ٢١٦ .
- (٢١) م . ن . ص ٢٢٢ .
- (٢٢) الرطاب ج . رطبة ، الخضراوات . ويذكر كريستنسن بدلاً من الرطاب (برسيم) ويقول في الهامش - مهمة كلف للخيال ، انظر نولدكه ، طبري ص ٢٤١ ملحوظة ٢) ، ايران ص ٣٥١ .
- (٢٣) م . ن . ص ٣٥١ ويذكر بدلاً من دقل كلمة آرامية .
- (٢٤) الطبري تاريخ الرسل م ١ ج ٣ ص ٩٦٢ ، راجع اليقوي التاريخ ج ١ ص ١٦٥ ، المسعودي ، مروج ، ج ١ ص ٢٦٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ٢٦٨ ، دنت الجزية ص ١٥ ، دياكونوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٢٨٤ .
- (٢٥) المسالك والممالك ، ص ٢١٧ .
- (٢٦) الأحكام السلطانية ، مخطوط الورقة (١٠٧) - أ .
- (٢٧) معجم البلدان م ٣ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ ، وقد أخطأ زيدان ، جرجي أيضاً ، التمدن ، ج ١ ص ١٧٣ .
- (٢٨) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ٧٢ ، الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ٣ - ٤ .
- (٢٩) تاريخ العصور الوسطى ص ١٢٠ .
- (٣٠) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ٧٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل م ١ ج ٣ ص ٩٦٢ .
- (٣١) التنبيه والاضراف ص ١٠١ - ١٠٢ ، كريستنسن ، ايران ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ .
- (٣٢) تاريخ الرسل م ١ ج ٣ ص ٩٦١ ، دنت ، الجزية ص ١٥ .
- (٣٣) كريستنسن ، ايران ، ص ١١٢ ، الدوري ، مقدمة ، ص ٨٣ .
- (٣٤) رستم ، اسد ، الروم ، ج ١ ص ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٩٦ ، ٩٧ ، العدوي ابراهيم ، الدولة الإسلامية ، ص ٢٤ - ٣٥ .
- (٣٥) ٣٦ ، ٣٧ ، حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ط ٣ ص ١٩٤ .
- (٣٧) توما ، العرب والتطور ، ص ٢٩ ، ماجد ، التاريخ السياسي ، ج ١ ص ١٩١ .
- (٣٨) تاريخ العالم ج ٢ ص ١٣٢ .
- (٣٩) يقول ليسترانج كي (إن الشكل القديم للاسم في الفارسية هو آذربيدكان Adharbadhazan الاسم الذي حفره اليونانيون إلى اقروباتينه) ، اراضي الخلافة الشرقية ، ص ١٥٩ . حول التسمية راجع مقالة مينورسكي في دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الأول ص ١٨٨ ، كريستنسن ، ايران ، ص ١٠٥ ، أحمد زكي ، قاموس الجغرافية القديمة ، ويذكر بأن الاسم القديم اقروباتان ، ص ٨ .
- (٤٠) ليسترانج ، كي ، ص ١٥٩ ، دائرة المعارف الاسلامية م ١ ص ١٨٨ ، تاريخ العالم ج ٣ ص ١٣٢ .
- (٤١) عن ارمينيا راجع مقالة كنارد ، م . M. Canard في دائرة المعارف الاسلامية م ١ ص ٦٣٥ - ٦٣٨ .
- (٤٢) تاريخ الاتحاد السوفياتي ويذكر (أنه وجد في القفقاس في القرنين الثالث - الرابع المجتمع الاقطاعي) م ١ ص ٤١ ، تاريخ العالم ويشير إلى أنه (ورد في الجزء الثاني من تاريخ العالم ص ٧٦١ - ٧٧٦ أن بعض العلماء السوفييت يرون بأن القفقاس لم يمر بمرحلة العبودية وإنما ظهر الاقطاع مبكراً في القرن الثالث) ج ٣ ص ١٣٢ .
- (٤٣) تاريخ الاتحاد السوفياتي ج ١ ص ٤٢ .
- (٤٤) تاريخ الاتحاد السوفياتي ج ١ ص ٤٢ .
- (٤٥) التاريخ ج ٣ ص ١٧ .

- (٤٦) معجم البلدان ج ٢ ، ص ١٦١ ، ويرى مانانديان أن الأحرار هم الأمراء والعسكريون المالكون في أرمينيا ، الانتفاضات الشعبية ، ص ٥ .
- (٤٧) يذكر رستم ، أسد في الروم وسياساتهم ، - وقدر لشابور الأول ٢٤١ - ٢٧٢ م ابن اردشير الأول أن يهتم على رومه أكثر من مرة ، ففي سنة ٢٥٢ بعد الميلاد طرد تيريداقس الثاني ملك أرمينية وعميل رومه من بلاده وأقام محله اميراً خاضعاً لسيادة فارس . ج ١ ص ٤٧ .
- (٤٨) تاريخ الاتحاد السوفياتي ج ١ ص ٤١ .
- (٤٩) تاريخ الرسل م ١ ج ٣ ص ٨١٩ راجع اليقوبي حيث يقول (ملك اردشير وهو أول ملوك الفرس المتجمعة ثم صار إلى الجزيرة وأرمينية وأذربيجان) تاريخ م ١ ص ١٥٩ ، انظر كريستنسن ، إيران ، ص ٧٧ .
- (٥٠) ويقصد حمزة ، سوردريند ، وهي باب الأبواب ، كتاب تاريخ سني ملوك ، ص ٥٧ راجع ابن الاثير حيث يذكر عن انوشروان (وإن باب اللان وفتح جميع ما كان بأيدي الروم من أرمينيا وعمر مدينة اردبيل وعدة حصون) ، الكامل في التاريخ ، ج ١ ص ٢٥٩ ، كريستنسن ، إيران ص ٣٥٤ .
- (٥١) تاريخ الرسل م ١ ج ٣ ص ٨٩٢ .
- (٥٢) رستم ، اسد ، ويحدد الزمن في ٣٨٦ م ، الروم ج ١ ص ٩٧ . أما كريستنسن فيرى أن الاقتسام جرى في السنوات الأولى من حكم بهرام الرابع (٣٨٨ - ٣٩٩ م) الذي حكم بعد أخيه سابور الثالث فيذكر في ص ٢٤١ : (اقتسمت إيران وروما ملك أرمينية فدخل قسمها الشرقي وهو أكبرها ، تحت حماية إيران ، وخضع القسم الغربي لحماية الرومان) إيران ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، ورواية اسد رستم أدق من كريستنسن ، جاء في تاريخ العالم (كانت إيران منذ سنة ٣٨٧ إلى ٥٠٢ م مجبرة على عقد معاهدة سلمية مؤقتة وحتى إلى تحالف مع بيزنطة) م ٣ ص ٩٧ . فالاتفاقية لا بد وأن عقدت في عهد شابور الثالث ٣٨٢ - ٣٨٨ . وليس في عهد بهرام الرابع .
- (٥٣) سياست نامه ، ص ٤٣ - ٤٩ والترجمة الروسية (من قبل زاخودير ب . ن .) ص ٣٦ - ٤١ ، كريستنسن ، إيران ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ (وقد اعتمد على طبعة شيفر ص ٢٩ وما بعدها والترجمة الفرنسية ص ٤١ وما بعدها) .
- (٥٤) إيران ص ٣٦٠ .
- (٥٥) تاريخ الاتحاد السوفياتي م ١ ص ٤٣ .
- (٥٦) تاريخ العالم ، لقد سقط ماميكونيان في المعركة ٢٦ مايس ٤٥١ م ، ج ٣ ص ١٢٤ .
- (٥٧) تاريخ الاتحاد السوفياتي م ١ ص ٤٣ .
- (٥٨) المدوي ، ابراهيم أحمد ، الدولة الاسلامية ط ٢ ص ٣٤ - ٣٥ .
- (٥٩) يذكر لوبون ، غوستاف ، عن اعراب الجزيرة الذين أصبحوا محاربين أيام الخلفاء (فأصبح جهنم للنهب حباً للفتح) ص ٧٤ .
- (٦٠) يروي أبو يوسف عن الخليفة عمر بن الخطاب (أنه أراد أن يقسم السواد بين المسلمين فأمر بهم أن يحصوا ، فوجد الرجل يصيب الاثنين والثلاثة من الفلاحين فشاور أصحاب محمد فقال علي : - دعهم يكونوا مادة المسلمين) الخراج ط ٣ (القاهرة ١٢٨٢ هـ) ص ٣٦ وكذلك اعتبر بقية سكان البلدان المفتوحة ، راجع يحيى بن آدم الخراج ص ٤٢ ، أبا عبيد ، القاسم بن سلام ، الأموال ص ٥٩ ، البلاذري فتوح البلدان ص ٦٦ .
- (٦١) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية ويذكر (وإذا كان العرب يؤلفون طبقة المحاربين فقد كان الأعاجم من الجهة الثانية هم الرعية - أي القطيع - وجمعها رعايا) ج ١ ط ٢ ص ١٢٩ . ويقول ولهاوزن ، يوليوس : - اني استعمل لفظ الرعية في أضيق معنى لتلك الكلمة تمييزاً لها عن العرب الذين أصبحوا أصحاب السلطان الحقيقي . الدولة العربية هامش رقم ١٥ ص ٢٩ .
- (٦٢) لأن الاحتلال العربي قد تسبب في إنهاء مراتب الفئات الايرانية الاجتماعية ولو أنه لم يؤد إلى زوال الفوارق الطبقيّة أو زوال الطبقات من المجتمع ، لأن العرب لم يألوا ، لبسطة حياتهم الاجتماعية ، مثل تلك المراتب ولأنهم عدوا جميع المحتلين بمرتبة واحدة فهم السادة وغيرهم الرعية ، ويذكر بيرن ، هنري (أن الضغط العربي غير المنتظر حطم طراز أوروبا القديم المتمركز في حوض البحر المتوسط) مدن القرون الوسطى ، مترجم للروسية ، ص ٢٣ .

- (٦٣) بوليائسكي ، التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٨ .
- (٦٤) فريدريك انكلز ، ليودفيك فيورباخ ونهاية الفلسفة الألمانية الكلاسيكية ، كارل ماركس وفردريك انكلز المؤلفات الجزء ٢١ الطبعة الثانية ص ٢٩٤ .
- (٦٥) لي ، هرمان ، يذكر «الدخول في الإسلام يجعل الشعوب متساوية في الحقوق ومتحررة من الضرائب ، لهذا رأت جماعات كبيرة من الجماهير المستغلة من الشعوب الأخرى في المحاربين العرب محررين لهم» ، مختصر تاريخ القرون الوسطى المادي ، ص ٤٥ . صحيح أن جماعات كبيرة من الجماهير المستغلة من الشعوب الأخرى ظنت بأن المحاربين العرب سيكونون محررين لهم ، ولكننا لا نتفق مع لي ، هرمان ، في قوله «الدخول في الإسلام يجعل الشعوب متساوية في الحقوق ومتحررة من الضرائب» - لأنه كلام عام مطلق ، ولأن الذين دخلوا في الإسلام من أبناء الشعوب المغلوبة لم يتساووا تماماً مع العرب في الحقوق ، كما بقيت ضرائب الخراج وضرائب النوروز والمهرجان والضرائب الأخرى ، عليهم وحتى الجزية - والتي هي جزء من مجموع الضرائب وتسقط بالإسلام - فإن الأمويين كانوا قد أعادوها على من أسلم من أهل الذمة لفترة طويلة حتى سنة ١٠٠ هـ حيث أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بإسقاطها ولم يشمل أمر الاعفاء أبناء البلدان الذين لم تحدد ضريبتهم الجزية والخراج عليهم كما في إيران . راجع الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٣٥٤ ، لهاوزن ، يوليوس ، الدولة العربية ، ص ٣٨٠ . دنت ، دانييل ، الجزية والإسلام ، ص ٣٧ ، ص ٣٩ .
- (٦٦) العقيدة والشريعة ، ص ١٣٧ ، هامش رقم ٨٠٧ ، وقد اعتمد في حكمه على كتاب «حواشي الإسلام» لكياتاني ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ ، ص ٤٠٥ ، ص ٥٤٢ ، ص ١٠٨٠ وما بعدها .
- (٦٧) تاريخ العالم ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .
- (٦٨) فتوح البلدان ، ص ١٠٧ ، انظر حتي «تاريخ العرب (مطول)» ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ١٩٦ .
- (٦٩) ديوان الحماسة ، ج ٢ ، ص ٥٢٣ ، وأول القصيدة ،
- لعمر أبي بشر لقد خافه بشر على ساعة فيها إلى صاحب فقر
- انظر لهاوزن ، الدولة العربية ، هامش رقم ١٢ ، ص ٢٧ ، حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ١٩٦ .
- (٧٠) انظر رسالة ماركس الى انكلز ، ٢ حزيران سنة ١٨٥٢ م ، كارل ماركس وفردريك انكلز ، الرسائل المتبادلة ، موسكو ، ١٩٥٢ ، ص ٧٢ - ٧٤ .
- (٧١) العقيدة والشريعة ، ص ١٢٧ .
- (٧٢) م . ن . ص ١٣٥ .
- (٧٣) الفتنة الكبرى ، علي وينوه ، ص ١٦٩ .
- (٧٤) تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ١٩٦ .
- (٧٥) الدوري ، الجذور التاريخية للقومية العربية ، ص ١٥ ، ص ١٦ ، وجاء في تاريخ العالم بأن الإسلام انتشر ببطء في أذربيجان فقط أما في أرمينيا فقد احتفظ بالمسيحية ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .
- (٧٦) الكامل في التاريخ ، القاهرة ١٢٥٦ هـ ، ج ٣ ، ص ١٢ .
- (٧٧) م . ن . ج ٢ ، ص ١٢ .
- (٧٨) تاريخ إيران ، ص ٩٣ .
- (٧٩) تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٤٨ والترجمة العربية ، ص ٥٤ .
- (٨٠) التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٩ .
- (٨١) تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٤٨ والترجمة العربية ، ص ٥٤ .
- (٨٢) أبو يوسف ، الخراج ، (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ، ص ٧٣ ، جوزي ، بندلي ، من تأريخ الحركات ، ص ٥٦ ، ويعتبر إعادة الضرائب حدث في أواخر حكم عمر بن الخطاب .
- (٨٣) يذكر بارتولد ، ف . أن الدهاقنة قد رغبت في العصور الإسلامية الأولى في إيران كأمرء الاقطاعيات في أوروبا فيما بعد ، بزوال خطورتهم السياسية نظير ما نالوا من الدولة من الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية . الحضارة

الإسلامية ص ٥٨ ، الترجمة العربية ص ٦٥ . بروكلمان ، كارل ، تأريخ الشعوب الإسلامية ، (أما في فارس فاحتفظ الدهاقين أو رؤساء الأقاليم بمكانتهم العليا ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ١٣٠ ، الدوري ، مقدمة ، وقد تحالف الدهاقين مع الفاتحين ، ص ٨٥ .

- (٨٤) مختصر تاريخ إيران ، ص ٣٧ .
(٨٥) أبو عبيد ، القاسم بن سلام ، الأموال ، ص ٤٨ .
(٨٦) الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٩ ، مقدمة ، ص ٨٤ .
(٨٧) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٩ ، وراجع الصفحات ٣٤٦ - ٣٧٢ ، جوزي ، من تأريخ ، ص ٦٥ .
(٨٨) انظر بوليانسكي ، التأريخ الاقتصادي ، ص ١٢٩ ، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً .
(٨٩) ولهاوزن ، يوليوس ، الدولة العربية ، ص ٣٣١ ، بارتولد ، تأريخ الحضارة ، الترجمة ص ٦٥ .
(٩٠) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٩١ .
(٩١) رواء البلاذري .
دوخ السفند بالقبائل حتى ترك السفند بالعراق قعوداً
فتوح ، ص ٤٢١ .
(٩٢) الكامل في التأريخ ، ج ٤ ، ص ١٢٨ .
(٩٣) ذكر الطبري ، تأريخ الرسل ، هذا البيت بعد تلك الأبيات السابقة م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٢٥٢ .
(٩٤) من تأريخ الحركات ، ص ٦٢ .
(٩٥) م . ن . ص ٦١ ، ولاشك في أنه تأثر بقول بارتولد من أن الإسلام أبطل نظام الطبقات القديم . تأريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٤٨ ، والترجمة العربية ، ص ٥٤ .
(٩٦) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥ .
(٩٧) الأموال ، ص ٤٩ .
(٩٨) ولهاوزن ، يوليوس ، الدولة العربية ، ص ٢١٨ .
(٩٩) ذكر ابن عبد ربه ، « كتب يزيد بن عبد الملك إلى عمال عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن عمر كان مغروراً غررتموه أنتم وأصحابكم وقد رأيتم كتبكم إليه في انكسار الخراج والفرسية فإذا أتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده وأعيدوا الناس إلى طبقاتهم الأولى أخصبوا أم اجذبوا أحبوا أم كرهوا حيوا أم ماتوا والسلام ، العقد الفريد ، ج ٥ ، ط ٢ ، (القاهرة ١٣٧٢ هـ) ، ص ١٧٦ .
(١٠٠) رقيق الملحد ، ص ١٩٨ .
(١٠١) ذكر المبرد ، عن الخوارج ، وأقام المهلب يجبي ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس إلى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن في عسكرهم فإذا خشوة من قصار وصباغ وداعر وحداد . الكامل ، ص ٦٢٩ ، وهذا يعني انضمام الحرفيين - الموالي - إلى الخوارج . راجع أيضاً العلي ، التنظيمات ، ويعمل انتساب الحرفيين من الموالي بسبب اضطراب التجارة وازدياد البطالة ، ص ٨٤ ، راجع أيضاً كليموفيج ، الإسلام ، ص ١١٠ .
(١٠٢) العقيدة ، ص ١٩٢ ، ومن هنا يعتقد بأن تسمية الشعوبيين بأهل التسوية جاءت من تأثرهم بالخوارج .
(١٠٣) الدولة العربية ، ص ٦٠ .
(١٠٤) طه حسين ، الفتنة الكبرى ، ٢ - علي وبنوه ، ص ١٥٣ ، عمر أبو النصر ، الخوارج ، ص ٢٢ .
(١٠٥) عمر أبو النصر ، الخوارج ، ص ٢٢ .
(١٠٦) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٩١ ، ابن الاثير ، الكامل ، (القاهرة ١٩٣٧ م) ، ج ٤ ، ص ٦٥ .
(١٠٧) الطبري ، تأريخ ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٠٣ .
(١٠٨) جيرفت من مدن كرمان ، البلاذري ، فتوح ، ص ٣٩١ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .
(١٠٩) الديثورى ، الأخبار الطوال ، ص ٢٤٥ .
(١١٠) الطبري ، تأريخ ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٥٢ ، حوادث سنة ٨١ هـ .
(١١١) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٧٤ .

بث سراياه وبعث سليمان بن ربيعة الباهلي إلى أهل أرمينيا في أثني عشر ألف فسار في أرمينيا يقتل ويسبي ويغنم ثم انصرف وقد ملأ يديه حتى أتى الوليد فعاد الوليد وقد ظفر وغنم) . الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٣ ، راجع مقالة كانارد ، م . في دائرة المعارف الإسلامية عن أرمينيا ، المجلد الأول ، ص ٦٣٥ - ٦٣٧ .

(١٤٠) فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ .

(١٤١) تاريخ الاتحاد السوفييتي ، ج ١ ، ص ٤٨ .

(١٤٢) كيغوند ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣ - ٤ .

(١٤٣) م . ن . ص ٢٣ .

(١٤٤) م . ن . ص ٢٣ ، وعنه نقل تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٣٧ ، مع بعض التحريف .

(١٤٥) تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣ .

(١٤٦) يذكر اليعقوبي عن محمد بن مروان (...) ثم كاتب الأشراف من أهل البلد والذين يقال لهم الأحرار وأعطاهم الأمان ووعدهم أن يفرض لهم في الشرف فاجتمعوا لذلك في الكنائس في عمل خلاط . وأمر بجمع الخطب حول الكنائس وأغلق أبوابها عليهم ثم ضرب تلك الكنائس بالنار فحرقهم جميعاً) ، التاريخ ، (النجف ١٣٤٨ هـ) ، ج ٣ ، ص ١٧ .

(١٤٧) م . ن . ص ١٧ ، كيغوند ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٢ .

(١٤٨) يذكر كيغوند ، مدينة نخجيفان ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٢ ، ويذكر اليعقوبي ، مدينة خلاط ، التاريخ .

ج ٣ ، ص ١٧ . ولابد أن الحادثة تكررت في خلاط . ورواية كيغوند أقرب إلى الاعتماد ، انظر البلاذري (...) ثم وعد من بقي منهم أن يعرض لهم في الشرف فاجتمعوا لذلك في كنائس من عمل خلال فأغلقها عليهم ووكل بأبوابها ثم حرقهم) ، ٢٤٢/١ ، انظر تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٣٧ ، انظر جيستياكوف ، الخلافة العربية ، ص ٦٢ ، الخربوطلي ، تاريخ العراق ، وينقل رواية اليعقوبي ، ص ٢٧١ .

(١٤٩) تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٣٨ .

(١٥٠) ذكر أبو عبيد ، القاسم بن سلام في كتاب الأموال («قال الرسول عائد الأرض لله ولرسوله ثم هي لكم» قال قلت ، وما يعني ، قال ، تقطعونها للناس) ص ٢٧٢ . وينقل المقرئ عنه ذلك في الخطط ص ٥٥ . كتب المقرئ أيضاً ، يقال اقتطع طائفة من الشيء ، أخذه والقطيعة ما اقتطعه منه واقطعني إياها اذن لي في اقتطاعها واستقطعه إياها سأله أن يقطعه إياها واقطعه نهراً أو أرضاً أباح له ذلك . الخطط ، ص ٤٩ . راجع معجم متن اللغة ، م ٤ ، ص ٥٩٧ ، المنجد ، ص ٦٧٦ ، لاحظ لوكيكارد ، الضريبة الإسلامية ، ص ١٤ . لكن كلمة الاقتطاع العربية من أقطع لا تعني مدلول نظام الاقتطاع المتعارف عليه إلا في عهود متأخرة .

(١٥١) رسالة انكلز إلى ماركس - حزيران ١٨٥٣ ، كارل ماركس وفريدريك انكلز ، الرسائل المختارة ، ص ٥٧٤ .

(١٥٢) توما ، أميل ، العرب والتطور ، ويذكر (خلال القرنين الأولين من قيام الامبراطورية الإسلامية تحطم الاقتطاع) ، ص ٣٦ ، ولابد أنه قد تأثر برأي بارتولد (وأما في إيران وتركستان فقد أبطل الإسلام نظام الطبقات القديم وامتلاك الأراضي الواسعة) ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٤٨ ، والترجمة العربية ص ٥٤ .

(١٥٣) ترتون ، أهل الذمة ، ص ١٩ ، وقد أشار لوكيكارد إلى تأثير النظام الهليني لضريبة الأرض والشكل «الفارسي» لتملك الدولة للأرض - فيما يخص الاقتطاع ، الضريبة الإسلامية ، ص ٣٨ .

(١٥٤) يفصل أبو عبيد ، ابن سلام أسماء الاقتطاعات والأنهار التي أقطعت ، في كتاب الأموال ، ص ٢٧٢-٢٨١ ، وكذلك البلاذري ، فتوح البلدان في الصفحات ٣٤٦ - ٣٧٤ .

(١٥٥) أبو يوسف ، الخراج (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ص ٣٢ ، يحيى بن آدم الخراج ، ص ٢٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٤٦٨ .

(١٥٦) يقول أبو عبيد ، «وتأويل الحمى المنهي عنه - فيما نرى - وأن تحمي الأشياء التي جعلها الرسول بين الناس شركة وهي الماء والكأ والنار» ، الأموال ، ص ٢٩٤ .

(١٥٧) إتياف الأراضي والأموال لمصالح المسلمين أو للمساجد والمعاهد وغيرها .

- (١٥٨) المقرئزي ، الخطط ، ص ٥٤ .
- (١٥٩) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٣ ، البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٧٣ .
- (١٦٠) أبو يوسف (١٣٨٢ هـ) ، ص ٦١ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٧٣ ، المقرئزي ، الخطط ، ص ٤٩ .
- (١٦١) ويروي يحيى بن آدم ان الذي اقطع الجرف والقناة ابو بكر وليس النبي ، الخراج ، ص ٧٧ .
- (١٦٢) أبو عبيد ، الأموال ص ٢٧٤ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، مخطوط الورقة ١٣٧ ب .
- (١٦٣) يحيى بن آدم الخراج ، ص ٧٧ .
- (١٦٤) أبو يوسف الخراج (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ، ص ٣٢ ، يحيى بن آدم ، الخراج ، ص ٧٨ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٨٣ ، ولم يشر البلاذري إلى اقطاع عمر بن الخطاب ، أما الماوردي ، الأحكام السلطانية ، فقد نفى اقطاع عمر (ولم يقطع شيئاً منها) مخطوط الورقة ١٣٨ ، ١٣٩ . ولا شك أن رواية أبي يوسف حول اقطاع عمر من أرض الصوافي (فكان عمر يقطع من هذه لمن اقطع...) الخراج ص ٣٢ ، أدق من رواية الماوردي ، راجع الطبري الذي يؤيد رأي أبي يوسف حول اقطاع عمر ، ويؤيد دنت مقولة الماوردي ، الجزية ، ص ٢٦ .
- (١٦٥) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٣ ، ويعتبر البلاذري أن عثمان أول من اقطع أرض الصوافي في العراق ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٣ ، وهذا غير صحيح كما بينا ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٢٧٦ ، الماوردي ، الأحكام ، مخطوط الورقة ١٣٨ ، ١٣٩ ، المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٥٦ .
- (١٦٦) المقرئزي ، الخطط (القاهرة ١٩١٣ م) ، ص ٥٤ .
- (١٦٧) الخراج ، ط ٣ (١٨٢ هـ) ، ص ٦١ ، انظر الأموال لأبي عبيد ، ص ٢٨٢ .
- (١٦٨) أبو يوسف الخراج (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ص ٣٢ ، يحيى بن آدم ، الخراج ص ٢٢ ، أبو عبيد الأموال ص ٢٨٣ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٢ - ٣ ، الطبري تاريخ ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٤٦٨ .
- (١٦٩) فتوح البلدان ص ٢٨٢ .
- (١٧٠) الجزية ص ٢٦ .
- (١٧١) الدولة العربية ص ٢٢١ - ٢ ، جوزي ، من تاريخ الحركات ص ٤٨ ، دنت ، الجزية ص ٢٦ .
- (١٧٢) العرب في التاريخ ، ص ٧٧ .
- (١٧٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٣٦٧ ، وقد نقل عنه ابن مسكويه ذلك ، تجارب الأمم ، مخطوط رقم ٤١ ، ج ٣ ، الورقة ١٨٢ ب .
- (١٧٤ - ١٧٥) أبو يوسف الخراج (القاهرة ١٣٤٦ هـ) ص ٨٢ يحيى بن آدم الخراج ص ٢١ - ٢ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٥ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ .
- (١٧٦) يحيى بن آدم ، الخراج ، ص ٢١ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ .
- (١٧٧) أبو عبيد ، ص ٥٥ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٩ .
- (١٧٨) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٨٢ .
- (١٧٩) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٥ .
- (١٨٠) الماوردي ، الورقة ٩٩ ب .
- (١٨١) يحيى ، الخراج ، ص ٢١ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٥ .
- (١٨٢) الماوردي ، الورقة ١٩٩ أ .
- (١٨٣) الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ ، دنت ، الجزية ، ص ٣٥ .
- (١٨٤) الطبري ، « ما باع أهل الصلح من أرضهم فهو جائز لهم ، وأما ما افتتح عنوة فإن أولئك لا يشتري منهم أحد ولا يجوز لهم بيع شيء مما تحت أيديهم من الأرض » ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ .
- (١٨٥) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٨٦ .
- (١٨٦) انظر فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ . ولم يكن الجاء الأراضي أمراً مستحدثاً في اليهود الإسلامية ، فقد التجات إليه جماهير فلاحي الشرق الأدنى اليوساء ، قبل الإسلام فيشير محمد ضياء الدين الرئيس ، « واضطر المزارع الذي لا حول له أن يبحث عن رجل غني أو قوي يضع أرضه وحقه تحت تصرفه ليقوم بدلاً منه بدفع الضرائب ويحميه من عسف

- الحكومة ، ومن هنا نشأ نظام الحماية Autopragia و Patronage الذي نهضت الحكومة لمحاربته مدة طويلة » .
الخراج والنظم المالية ، ص ٤٨ .
(١٨٧) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٢ .
(١٨٨) لويس ، العرب ، ص ١١٥ ، دنت ، الجزية ، ص ١٥ ، ٢٢ ، ٢٣ .
(١٨٩) الحضارة الإسلامية ، ص ٥٨ - ٩ ، والترجمة العربية ص ٦٥ .
(١٩٠) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٩١ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ١ ، ص ١٣٠ .
(١٩١) الدولة العربية ، ص ٣٧٤ .
(١٩٢) الخراج ، ط ٣ (١٢٨٢ هـ) ، ص ٥١ .
(١٩٣) م . ن . ص ٥١ .
(١٩٤) يحيى بن آدم ، الخراج ص ٢٢ ، لويس ، العرب ، ص ٧٧ .
(١٩٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ (١٨٩٣ م) ، ص ٢٤٧٠ ، ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٤٠ .
(١٩٦) الدوري ، دراسات ، ص ١٩ .
(١٩٧) الجشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥ ، ترتون ، ص ٢٥٢ .
(١٩٨) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ص ١٩٤ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ص ٢٩٠٣ ، الصولي ، أدب الكتاب ، ص ٢٢٠ ، العلي ، التنظيمات ص ١٩٧ .
(١٩٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٤٧٠ ، ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٤٠ .
(٢٠٠) ترتون ، ص ٢٤٠ .
(٢٠١) الخربوطلي ، تاريخ العراق ، ص ٢٦٨ .
(٢٠٢) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٤٨ ، كزير ، الحضارة الإسلامية (مترجم) - ص ٨٨ ، لويس ، العرب ، ص ٩٨ .
(٢٠٣) الجزية والإسلام (النسخة المترجمة) ، ص ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٤ .
(٢٠٤) م . ن . ص ١٩٦ (النسخة المترجمة) .
(٢٠٥) ذكر أبو يوسف أن عمر بن عبد العزيز أجاب عن سبب ارتفاع الأسعار في زمانه وهبوطها في أزمان من كان قبله « أن الذين كانوا قبلي كانوا يكلفون أهل الذمة وأنا لا أكلف أحداً إلا طاقته فباع الرجل كيف شاء » . الخراج (١٣٤٦ هـ) ، ص ١٥٧ - ٢٠٠ - ٢٠٥ .
(٢٠٦) العزيز ، حسين قاسم ، مقالة (الشعوبية) ، مجلة الفد ، العدد ٣ ، ص ٢٨ .
(٢٠٧) م . ن . ص ٢٨ .
(٢٠٨) الدوري ، العصر العباسي الأول ص ٤٤ ، راجع اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ٩١ .
(٢٠٩) م . ن . ص ٤٤ .
(٢١٠) الأغاني ، ج ١٦ ، ص ٨٤ .
(٢١١) الدوري ، دراسات ، ص ١١ .
(٢١٢) ويذكر « أن معظم مناصريها كان من بين الفلاحين » ، العرب ، ص ١٤١ .
(٢١٣) كزير ، الحضارة الإسلامية (مترجم) ص ٦٠ ، ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٢ - ٢ ، ترتون ، ص ١٩ ، دنت ، الجزية ، ص ١٤ .
(٢١٤) الصولي ، أدب الكتاب ، ص ٢٢٠ .
(٢١٥) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٢ .
(٢١٦) وردت الجزية والخراج في صيغ الأمان الممنوحة للمدن والمقاطعات ، الواحدة محل الأخرى ، ولكن التحديد في استعمال الجزية كضريبة الرأس والخراج كضريبة الأرض قد تم في أواخر العهد الأموي . ويمتد أبو عبيد معنى الخراج الكراء أو النلة ، الأموال ، ص ٧٣ . وأصل كلمة الخراج آرامية Halak ووردت في التلمود خارجاً .
(٢١٧) قال أبو يوسف (فناظرتهم - العلماء - فيما كان وظف عليهم « أهل السواد » في خلافة عمر بن الخطاب في خراج واحتمال أرضهم إذ ذلك لتلك الوظيفة) ، الخراج ، ط ٣ (١٣٨٢ هـ) ، ص ٤٨ .

- (٢١٨) انظر دنت ، الجزية ، ص ٢٥ ، والترجمة العربية ، ص ٥٨ .
- (٢١٩) انظر ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٢٨ .
- (٢٢٠) الأحكام السلطانية ، مخطوط الورقة ١٠٧ أ .
- (٢٢١) يتفق المؤرخون والفقهاء على هذه الكمية ويورد الماوردي شعراً لزهير بن أبي سلمى حولها ويستنتج الماوردي أن هذه الضريبة كانت في العصر الجاهلي ،
- فتغلل لكم مالا تفل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم
- الأحكام السلطانية ، ص ١٤٨ ، ومن هذا نستنتج أيضاً أن ضريبة الخراج كانت في العراق في العهد الساساني .
- (٢٢٢) الأموال ، ص ٥٢ .
- (٢٢٣) المسالك والممالك ، ص ٢١٦ .
- (٢٢٤) انظر أيضاً ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٣٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، دنت ، الجزية ، ص ٢٢ - ٤ ، وقد خلط بين الرطة والشجر الملتف ، انظر أيضاً لوكيكارد ، الذي يرى بأنه لا يمكن الجزم بأن السياسة التطبيقية (في العهد الإسلامية) قد اتبعت جداول الفقهاء بالتفصيل ، الضريبة الإسلامية ، ص ٧٢ .
- (٢٢٥) الخراج ، ويذكر أن بعض الروايات تذكر على النخل ١٠ وعلى العنب ٨ دراهم ، (القاهرة ١٣٤٦هـ) ، ص ٤٣ .
- (٢٢٦) الخراج ، ص ٢٣ .
- (٢٢٧) الأموال ، ويذكر عن وكروم ١٠ دراهم وعشرة أقفزة وعن الرطة ٥ دراهم و٥ أقفزة ، ص ٦٨ - ٩ .
- (٢٢٨) فتوح البلدان ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ - ١ ، وقد أخذ بهذه الأرقام كريب ، الحضارة الإسلامية ، (مترجم) ، ص ٨٣ .
- (٢٢٩) المسالك والممالك ص ١٤ ، انظر ابن رسته ، الأعلام النفيسة ، المجلد السابع ، ص ١٠٥ حيث تجد الأرقام نفسها .
- (٢٣٠) اختلاف الفقهاء ، ص ٢٢٣ .
- (٢٣١) الأحكام السلطانية ، ص ١٤٨ .
- (٢٣٢) الرطة وجمعها الرطاب ، هي الخضروات ويدخل بضمنها الخيار والبطيخ .
- (٢٣٣) القفيز ويقول عنه الطبري وهو مثل الصاع ويكال به (اختلاف الفقهاء ، ص ٢٢٣) . ووزن القفيز ٩٦ رطلاً كريب ، الحضارة الإسلامية ، مترجم ، ص ٨٢) ويساوي (٢٠٧٥٦ كيلوغرام) . انظر زيدان ، عبد الكريم ، أحكام الدينين ، ص ١٦١ .
- (٢٣٤) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٧٩ - ٣٨٠ ، لويس ، العرب ، ص ١٠٧ ، الدوري ، المقدمة ، ص ٨٤ .
- (٢٣٥) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٨٠ .
- (٢٣٦) التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٨ - ٩ .
- (٢٣٧) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٧٦ .
- (٢٣٨) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٢ .
- (٢٣٩) ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٣٦ ، الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ١٧٧ .
- (٢٤٠) ابن طباطبا ، تاريخ الدول الإسلامية ، ص ٢١٦ .
- (٢٤١) راجع الهامش ٢٠٥ .
- (٢٤٢) راجع الهامش ٢٠٢ .
- (٢٤٣) الخراج (١٣٤٦هـ) ، ص ١٣١ .
- (٢٤٤) الوزراء والكتاب ، ص ١٠٣ .
- (٢٤٥) والتي عددها أبو يوسف في كتاب الخراج (١٣٤٦هـ) ص ١٣٠ .
- (٢٤٦) العصر العباسي الأول ، ٢٦٦ - ٢٦٩ .
- (٢٤٧) الوزراء والكتاب ، ص ٨٣ .

- (٢٤٨) المسالك والممالك ، ص ٢١٧ .
- (٢٤٩) الوزراء والكتاب ، ويذكر أن أبا الوزير عمر بن مطرف الكاتب من أهل مرو ، عمل في أيام الرشيد تقديرًا عرضه على يحيى بن خالد لما يحمل إلى بيت المال . ويقول الجهشيارى أنه وجد ذلك في كتاب عمله أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب في أخبار خلفاء بني العباس . قائمة الجهشيارى منشورة في كتاب الوزراء والكتاب من ص ٢٢٧ - ٢٣٥ .
- (٢٥٠) المسالك والممالك ، ص ٣٩ وص ١٢١ وص ١٢٣ ، انظر زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، ج ٢ ، ص ٦٣ ، وحتى ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٣٩٦ .
- (٢٥١) ذكر ابن خرداذبة أن ذلك كان خراج خراسان والأعمال المضمومة لابن العباس عبد الله بن طاهر لسنني ٢١١ هو ٢١٢ ، المسالك والممالك ، ص ٣٩ .
- (٢٥٢) الخراج وصناعة الكتابة (من ص ٢٤٢ - ص ٢٥٠) وقد نقل عنه زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، ج ٢ ، ص ٦٠ ، مع اختلاف في بعض الأرقام وعن زيدان نقل حتى ، تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٣٩٦ ، فجاء بأرقام مغايرة .
- (٢٥٣) ذكر في الصفحة ١٥٠ من المقدمة... وكذلك وجد بخط أحمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل إلى بيت المال ببنداد أيام المأمون من جميع النواحي نقلته من جراب الدولة . ولا بد أن ابن خلدون نقل هذه القائمة عن الجهشيارى لكن ابن خلدون وقع في أخطاء كثيرة . حيث نسبها إلى عهد المأمون أولاً ولوجود اختلافات في كثير من المقادير ثانياً . وقد نقل زيدان ، جرجي ، ج ٢ ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، وحتى ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٣٩٦ عن ابن خلدون برغم أخطائها .
- (٢٥٤) ويضيف على ذلك ومن نقر الفضة ٢٠٠٠ نقره و ٤٠٠٠ برذون و ١٠٠٠ رأس رقيق وعشرين ألف ثوب متاع و ٣٠٠٠٠٠ رطل اهليلج .
- (٢٥٥) المقدمة ، ص ١٥١ .
- (٢٥٦) التنظيمات ، ص ١١٧ - ٨ .
- (٢٥٧) م . ن . هامش . ص ١١٧ ويشير إلى اليعقوبي ج ٢ ص ٢٧٧ .
- (٢٥٨) التنظيمات - هامش . ص ١١٨ (يقول المافرخي إن خراجها في القديم كان يبلغ ١٢ مليون درهم وأنه بلغ أول سنة فتحها المسلمون ٤٠ مليون درهم (محاسن اصفهان ص ١٢) .
- (٢٥٩) ذكر الماوردي أن الجزية من الجزاء وتؤخذ من مشرك صغار له ومذلة ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢ وينقل زيدان ، جرجي رأياً للشيخ الهندي شبل النعمان الذي يقول بأن الجزية لفظ فارسي الأصل (كزيت) تاريخ التمدن ج ١ ص ١٦٩ ، ويذكر كريستنسن أن اللفظ آرامي وأدخل في البهلوية كلفظ مستعار ، إيران ، ص ١٢٢ ، انظر أيضاً دائرة المعارف السوفيتية الواسعة ط ٢ م ١٨ لسنة ١٩٥٥ م ص ٥١٧ .
- (٢٦٠) يروي الألوسي شعراً لبديع الزمان الهمداني في ذم العجم ،
- ألسنا الضاربين جزى عليكم وإن الجزى أولى بالذليل
- بلوغ الأرب - ج ١ ص ١٦١ ، وقد ذكر زيدان ، عبد الكريم قول الفقهاء الذين يرون أن الجزية تؤخذ من أهل الذمة مع الإهانة وجوبا (ويشير إلى شرح الخرشى ج ٣ ص ١٤٥) وقد ذكر زيدان ، عدم اتفاقهم معهم . أحكام الذميين ص ١٤٦ ، ويشير ولهاوزن إلى أن الجزية مهينة لمن يؤديها ، ط ٣٠ ، انظر تروتون ، ص ٩ ، ويقول دنت أن الجزية كانت رمزاً للمذلة ، الجزية - ص ٣٣ .
- (٢٦١) القرآن ، سورة التوبة ، ٢٦/٩ .
- (٢٦٢) الماوردي ، وفصل الفتي بأنه (كل مال وصل من المشركين عفوًا من غير قتال ولا بإيجاف خيل ولا ركاب فهو كمال الهدنة والجزية وأعشار متاجرهم أو كان واصلًا بسبب من جهتهم كمال الخراج...) ، الأحكام السلطانية ، ص ١٢٦ .
- (٢٦٣) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٨٠ .
- (٢٦٤) الخراج (القاهرة ١٢٤٦ هـ) ، ص ٧٩ .

- (٢٦٥) أبو يوسف ، الخراج (١٢٠٢) ، ص ٧٤ ، يحيى ، الخراج ، ص ٢٧ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٣٢ ، الطبري اختلاف الفقهاء ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .
- (٢٦٦) تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ١٩٥ .
- (٢٦٧) راجع الهامش ١٦ والهامش ٣٢ .
- (٢٦٨) الدراسات الإسلامية ، م ١ ، ص ٢١٩ .
- (٢٦٩) الخراج (القاهرة ١٣٤٦ هـ) ، ص ١٤٨ ، انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٧١ ، يحيى ، الخراج ، ص ٢٣ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٤٠ و ص ٦٩ .
- (٢٧٠) وزادت جزية كل شخص ثلاثة دنائير على ما كانت عليه من قبل .
- (٢٧١) يقول أبو عبيد ، إن عمر ضرب الجزية على أهل الذهب ٤ دنائير وعلى أهل الورق ٤٠ درهم ومع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام ، الأموال ، ص ٣٩ ، والورق هي الدراهم ، انظر ترتون ، ص ٢٤٠ .
- (٢٧٢) الأموال ، ص ٤٢ .
- (٢٧٣) م . ن . ص ٤٨ .
- (٢٧٤) م . ن . ص ٤٦ ، وذكر أن النكاح يعني به بغايا كان يؤخذ منهن الخراج (يقصد الضريبة) .
- (٢٧٥) الطبري ، تاريخ الرسل (طبع القاهرة) ، ج ٨ ، ص ١٢٩ ، الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ١٢ .
- (٢٧٦) البيروني ، الآثار الباقية ، ص ٢١٦ .
- (٢٧٧) م . ن . ص ٢٢٢ .
- (٢٧٨) اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ص ٢٩٠٣ ، الصولي ، أدب الكتاب ، ص ٢٢٠ ، العلي ، التنظيمات ، ص ١٩٧ .
- (٢٧٩) الجهمياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥ .
- (٢٨٠) يذكر اليعقوبي ، وأمر المهدي بجباية أسواق بغداد وجعل عليها الأجرة وجعل سعيد الحارشي بذلك فكان أول ما جبيت أسواق بغداد ، فكان للمهدي ، التاريخ ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .
- (٢٨١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٥٨ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٨ .
- (٢٨٢) الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٢٨ .
- (٢٨٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ، قسم ٢ ، ص ٧٥ .
- (٢٨٤) الأصفهاني ، أبو نعيم ، كتاب ذكر أخبار أصبهان ، م ٢ ، ص ٩٩ .
- (٢٨٥) تعتبر ، رحمة الله ، مليحة أن ما يدفع من الضرائب بالبلاد الإسلامية في العهد الأموي هو أقل مما عليه في بيزنطة ، معاملة أهل الذمة ، ص ٤٧ ، ولم تحاول رحمة الله ، مليحة أن تذكر اعتراف المؤرخين والفقهاء المسلمين بفداحة الضرائب وقساوة الأمويين في أخذها .
- (٢٨٦) كرد علي ، محمد ، الإسلام والحضارة العربية ، ج ٢ ، ط ٢ ، ص ٢٢٨ .
- (٢٨٧) فتوح البلدان ، ص ٢٧٠ .
- (٢٨٨) البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ١٣٦ .
- (٢٨٩) تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ٣٥ .
- (٢٩٠) المسالك والممالك ، ص ١٤ .
- (٢٩١) المقدسي ، شمس الدين ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢٣ ، وكذلك تجد الرقم نفسه في كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته ، المجلد السابع ، ص ١٠٥ .
- (٢٩٢) الأحكام السلطانية ، ص ١٧٥ .
- (٢٩٣) أبو يوسف ، الخراج ، (القاهرة ١٣٤٦ هـ) ، ص ١٥٧ .
- (٢٩٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٧٤ ، أنساب الأشراف ، ص ٢٨٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٧٢ ، فون كزير ، الحضارة الإسلامية ، ص ١٧٢ .
- (٢٩٥) تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٣٠٠ ، والملاحظ أنه يشير في الهامش إلى اليعقوبي مع العلم

- أن اليعقوبي ذكر ٢٥ مليوناً وكان الأجدد أن يشير إلى البلاذري . لقد نقلت جيستياكوف في كراس ، الخلافة العربية ، مقولة حتي ، غير أنها جعلت إيران عوضاً عن العراق ، ص ٧١ - ٢ .
- (٢٩٦) الأموال ، ص ٤٨ ، لويس ، العرب ، ص ٩٦ .
- (٢٩٧) حول تأثير تغير طرق قوافل التجارة في الدويلات التجارية العربية انظر رسائل كارل ماركس لفردريك انكلز ، المؤلفات ، ٢١ ، ص ٤٩٤ ، بليانسكي ، التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٣ ، زاخودير ، تاريخ الشرق ، ص ١٩ ، توما ، العرب والتطور ، ص ٢٧ - ٨٠ .
- (٢٩٨) كريستنسن ، إيران ، ص ١١٣ .
- (٢٩٩) م . ن . ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ .
- (٣٠٠) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٦٢ .
- (٣٠١) بيكولفسكايا ، تاريخ إيران ، ص ٧٢ .
- (٣٠٢) بوليانسكي ، التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٨ .
- (٣٠٣) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢٣٩ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٢٢ .
- (٣٠٤) ابن حوقل ، ص ٢٤٢ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٢٢ - ٤ .
- (٣٠٥) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٢٢ .
- (٣٠٦) كارل ماركس ، الامتلاك البريطاني للهند ، كارل ماركس وفردريك انكلز ، المؤلفات ، المجلد التاسع ، الطبعة الثانية ، ص ١٢٢ .
- (٣٠٧) رسالة انكلز إلى ماركس (حزيران ١٨٥٣ م) ، كارل ماركس وفردريك انكلز ، الرسائل المختارة ، موسكو ، ١٩٥٣ م ، ص ٧٤ - ٥ .
- (٣٠٨) تاريخ اليعقوبي ، (بيروت ١٩٦٠ م) ، ص ١٥٩ .
- (٣٠٩) انظر ما ذكره البيروني عن صناعة السكر ، الآثار ، ص ٢١٦ .
- (٣١٠) الحضارة الإسلامية ، ص ١١ ، والترجمة العربية ، ص ١٥ .
- (٣١١) بيكولفسكايا ، مدن إيران ، ص ٢٢٢ .
- (٣١٢) م . ن . ص ٢٢٢ .
- (٣١٣) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢١٥ ، انظر مقالة لوكهارت L. Lockhart عن اقليم الجبال في دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ٢ لسنة ١٩٦٣ م ، ص ٥٢٤ .
- (٣١٤) ذكر المسعودي في كتابه ، التنبيه والاشراف ، عن بحر الخرز... وعليه أيضاً الموضوع المعروف بباكه وهي النفاطة من مملكة شروان مما يلي الباب والأبواب ومن هنالك يحمل النفط الأبيض وهنالك أطام وهي عيون النيران تظهر من الأرض وفيه جزائر مقابل النفاطة فيها عيون للنيران كبيرة ترى في الليل على مسافة ثانية . . ص ٦٠ . ولاشك أن المحل المقصود هو محل مدينة باكو الحالية . وقد سماها الايرانيون قديماً باد كويه وتفسيرها ، باد معناها ربح وكويه من المصدر كوبيدن ، الضرب وبهذا يكون اسمها ضرب الريح لشدة هبوب الرياح فيها ثم سميت شهر (مدينة) سبایل لوجود محل بقرب المدينة يسمى بايل ثم سميت باكو .
- (٣١٥) - ص ٦٢٩ ، انظر العلي ، التنظيمات ، ويعلل انضمام الحرفيين من الموالى بسبب اضطراب التجارة وازدياد البطالة ، ص ٨٤ . لكننا نرى أن الظلم الشديد والاستغلال الفظيع هما اللذان دفعا بهم للمساهمة في انتفاضات عديدة .
- (٣١٦) رسائل البلغاء ، باعتناء كرد علي ، ص ٢٧٠ .
- (٣١٧) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٦٠ .
- (٣١٨) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ط ٦ ، ص ٨٩ .
- (٣١٩) طه حسين ، الفتنة الكبرى ، ١ - عثمان - ص ٣٧ .
- (٣٢٠) الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢٢٥ ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٢٧٣ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٤٨ .
- (٣٢١) جوزي ، بندلي ، ص ٦٥ ، وينقل الخريطولي ، كلام جوزي دون الإشارة إليه ويتصرف به بحيث يفهم منه

- (الموالي كانوا يأتون بهم بألوف ويجبرونهم على العمل وسط المستنقعات) ، تاريخ العراق ، ص ١٦٠ . إن الموالي ، وبهذه الحالة ، أصبحوا عبيداً ويجلبون! بينما نص جوزي هو... يستغلونها (الأراضي المكتسبة من قبل الأمويين) بواسطة علوج البلاد أو زنوج افريقية الذين كانوا يأتون بهم بالألوف من بلادهم ويجبرونهم... فكلام جوزي (الذين كانوا يأتون بهم بالألوف) يعود على زنوج افريقية وليس على العلوج . والعلوج هم أهل البلد .
- (٢٢٢) لويس ، العرب ، ص ٧٩ ، العلي ، التنظيمات ، ص ٨١ .
- (٢٢٣) الدوري ، مقدمة ، ص ٧٧ ، الخربوطلي ، تاريخ العراق ، ص ٢٥٥ .
- (٢٢٤) كان ذلك في العصر الأموي أما في العصر العباسي فقد اعتمدت السلطة العباسية على الارستقراطية الايرانية واسندت إليها كل الوظائف بما فيها الوزارة .
- (٢٢٥) زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، ج ٤ ، ص ٨٨ .
- (٢٢٦) الدولة العربية ، ص ٢٤٩ .
- (٢٢٧) لويس ، أصول الاسماعيلية ، ص ٤٨ .
- (٢٢٨) الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٧ .
- (٢٢٩) م . ن . ص ٢١٧ ، ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٤٠ .
- (٢٣٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٤٧٠ .
- (٢٣١) الخراج ، ط ٢ (١٣٨٢ هـ) ، ص ١٢٧ ، أيضاً أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٣ .
- (٢٣٢) الفقيه ، النعمان بن ثابت .
- (٢٣٣) أبو يوسف ، الخراج ، (١٣٤٦ هـ) ، ص ١٥١ - ٢ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢٤٠ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، مخطوط ، الورقة ١٠٤ .
- (٢٣٤) الأحكام السلطانية ، ص ١٤٥ .
- (٢٣٥) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٤٥ ، زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، ج ٤ ، ص ٩١ ، جوزي ، بندلي ، ص ٤٣ .
- (٢٣٦) لويس ، العرب ، ص ١٠٨ .
- (٢٣٧) الحضارة الإسلامية ، ص ٦٩ .
- (٢٣٨) ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٥٤ - ٥ ، انظر لويس ، العرب ، ويذكر بأن أهل الذمة كانوا يدفعون قدرأ من الضرائب أعلى مما يدفعه المسلم ، ص ١٢٢ .
- (٢٣٩) انظر الهامش (٢٧٠) .
- (٢٤٠) انظر العزيز ، حسين قاسم ، مقالة الشعوبية ، مجلة النقد ، العدد الثالث ، براغ ، ١٩٦٤ م ، ص ٢٤ - ٣٢ .
- (٢٤١) الجاحظ (ومن يتحلى باسم التسوية) البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ ، كيرير ، الحضارة الإسلامية (مترجم) ، ص ٨٦ ، الألوسي ويذكر « قالت الشعوبية ، إنا ذهبنا إلى العدل والتسوية وإن الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد » ، بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ١٦٤ ، وذكر عن الشعوبية أيضاً « من سموا بذلك لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل » ، بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ١٥٩ ، انظر أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج ١ ، ط ٥ ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، وقد كتب في ص ٥٤ « جاء في العقد الفريد : الشعوبية وهم أهل التسوية » ، وفي ص ٥٦ يذكر « وجاء في الصحاح (الشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم) » ، راجع توما ، أميل ، العرب والتطور ، ص ٣٤ .
- (٢٤٢) انظر الأغاني ، ج ٢ ، ص ٧٨ ، ج ٩ ، ص ١٠٤ ، ج ١٢ ، ص ١٥٦ ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٢٨٢ ، ج ٢ ، ص ٥ ، ج ٣ ، ص ٥ - ١٢٥ ، ج ٤ ، ص ٣٥٩ ، الألوسي ، بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ١٥٩ ، كيرير ، الحضارة الإسلامية (مترجم) ، ص ٨٦ ، كولدتسهر ، ويرى بأن الشعوبيين قد تأثروا بمبادئ الخوارج (أهل التسوية) في مسألة المساواة بين الشعوب ، الدراسات المحمدية (بالألمانية) ، ج ١ ، ص ١٤٧ - ١٧٤ ، كرد علي ، الشعوبية قوم متعصبون على العرب مفضلون عليهم العجم ، الإسلام والحضارة ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ٣٥ ، انظر أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج ١ ، ط ٥ ، ص ٦٥ - ٧٠ ، ويذكر شريف ، محمد بدیع « فاندفعوا إلى دراسة الأدب

- واللغة والقرآن والحديث ودراسة الانساب خاصة ليضعوا على العرب من المثالب ما يريدون» ، الصراع بين الموالي والعرب ، ص ٣٢ .
- (٢٤٣) لا يعترف الدوري باختلاف أهداف أبناء الطبقات المختلفة من حركة الشعوبية ، الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٧٩ .
- (٢٤٤) م . ن . ، ص ٩ .
- (٢٤٥) م . ن . ، ص ١٣ ، انظر أيضاً مقالة الدوري (الجذور التاريخية للاشتراكية العربية) في مجلة الآداب اللبنانية ، العدد الثالث ، آذار ١٩٦٥ ، ص ٢١ .
- (٢٤٦) الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٧٩ ، مجلة الآداب ، العدد الثالث ، آذار ١٩٦٥ ، ص ٢١ .
- (٢٤٧) الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٧٩ .
- (٢٤٨) م . ن . ، ص ٢١ .
- (٢٤٩) العصر العباسي الأول ، ص ٤٤ ، وقد سبق الدوري في هذا القول فان فلوطن ، السيادة العربية ، ص ١٣٢ ، ولم يشير الدوري إلى السيادة العربية .
- (٢٥٠) دراسات في العصور العباسية ، ص ١١ .
- (٢٥١) العصر العباسي الأول ، ص ٤٤ .
- (٢٥٢) دراسات في العصور العباسية ، ص ١٧ .
- (٢٥٣) الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ١٧ .
- (٢٥٤) مقدمة ، ص ٧٧ .
- (٢٥٥) مع الخوارج والشيعة ومع ابن الأضعت والحارث بن سريج وغيرهم .
- (٢٥٦) لقد شمل الازدراء كل الأمم كالنبط والقبط والزط والبربر والأسبان فظهر من بينهم مطالبون بالمساواة .
- (٢٥٧) رسائل البلغاء (ابن قتيبة ، كتاب العرب) ، ص ٢٧٠ ، وقد رد ابن قتيبة على الشعوبيين في طلبهم للمساواة : لو كان الناس كلهم سواء في أمور الدنيا ليس لأحد فضل إلا بأمر الآخرة لم يكن في الدنيا شريف ولا مشروف ولا فاضل ولا مفضول ، بلوغ الأرب ج ١ ، ص ١٦٩ . هكذا كانت عقلية ابن قتيبة وردوده على الشعوبيين ، ولكنه أخيراً اعترف بحق الشعوب في المساواة حيث كتب في آخر كتابه تفضيل العرب «واعدل القول عندي أن الناس كلهم لاب وأم خلقوا من تراب وأعيدوا إلى التراب وجبروا في مجرى البول» ، العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٩٠ ، راجع الألوسي ، بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ١٦٩ - ١٧١ ، ضحى الإسلام ، ج ١ ، ص ٦٢ - ٤ .
- (٢٥٨) والعكس من قوله هذا كتب «فأما أشراف العجم وذوو الأخطار منهم وأهل الديانة فيعرفون مالهم وما عليهم ويرون الشرف نسباً ثابتاً» ، رسائل البلغاء (كتاب العرب ، ص ٢٧٠) .
- (٢٥٩) بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ١٦٤ .
- (٢٦٠) لينين ، ملاحظات انتقادية حول المسألة الوطنية ، المؤلفات ، ج ٢ ، ص ٨ .
- (٢٦١) م . ن . ، ص ٨ ، ويذكر أحمد أمين عن الشعوبية «وهي في الحقيقة نوع من الديمقراطية يحارب استقطابية العرب» ، ضحى الإسلام ، ج ١ ، ص ٥٩ .
- (٢٦٢) الدوري ، دراسات ، ص ١٢ ، شريف ، محمد بدیع ، الصراع ، ص ٤٣ .
- (٢٦٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٥٩ - ١٦٠ ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٥ ، بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، ضحى الإسلام ، ج ١ ، ص ٦٤ .
- (٢٦٤) ضحى الإسلام ، ج ١ ، ص ٢٩ .
- (٢٦٥) بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ١٦١ ، ضحى الإسلام ، ج ١ ، ص ٦٥ .
- (٢٦٦) ضحى الإسلام ، ص ٦٥ .
- (٢٦٧) الحضارة الإسلامية ، لفون كرمير ، الملتحق رقم ٣ لتحدايش ، ص ١٤٠ ، بلوغ الأرب ج ١ ، ص ١٧٠ .
- (٢٦٨) الدراسات المصحية ، ص ١٦١ .
- (٢٦٩) الفهرست ، ص ٨٥ - ٦ ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٥ (الهامش) ، بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، شريف ، الصراع ، ص ٤١ .

- (٢٧٠) الفهرست ، ص ١٥٩ - ١٦٠ ، ضحى الإسلام ، ج ١ ، ص ٦٤ .
 (٢٧١) الفهرست ، ص ١٤٠ .
 (٢٧٢) م . ن . ، ص ٨٠ .
 (٢٧٣) م . ن . ، ص ١٧٨ ، ص ٢٣٨ .
 (٢٧٤) م . ن . ، ص ١٨٥ .
 (٢٧٥) م . ن . ، ص ٢٣٨ ، شريف ، الصراع ، ص ٤١ .
 (٢٧٦) الفهرست ، ص ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢٣٨ .
 (٢٧٧) ضحى الإسلام ، ج ١ ، ص ٦٩ .
 (٢٧٨) البيان والتبيين ، شرحه ، ج ٢ ، ص ٥ ، بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، ضحى الإسلام ج ١ ، ص ٧٠ .
 (٢٧٩) الصلح نهر كان يتفرع من دجلة - جنوب مدينة الكوت الحالية في الجمهورية العراقية - ولم الصلح مدينة كانت على نهر الصلح قرب تفرعه من دجلة .
 (٢٨٠) الفهرست ، ص ١٥١ - ٢ .
 (٢٨١) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، الطيب النجار ، الموالي في العصر الأموي ، ص ١١٥ ، الدوري ، مقدمة لكتاب أصول الاسماعيلية للويس ، ص ١١٠ .
 (٢٨٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٣٠٧ .
 (٢٨٣) بارتولد ، الحضارة الإسلامية ، ص ٥٩ ، والترجمة ، ص ٦٥ .
 (٢٨٤) تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١١٤ .
 (٢٨٥) مصطفى ، شاك ، في التاريخ العباسي ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .
 (٢٨٦) الدوري ، دراسات ، ص ١١ .
 (٢٨٧) طه حسين ، مرآة الإسلام ، ص ٣٩٤ .
 (٢٨٨) شريف ، محمد بديع ، الصراع ، ص ٥١ .
 (٢٨٩) بروكلمان ، ويذكر «الواقع أن منصب الوزارة كان منذ عهد غير قصير وقفاً على آل برمك المنحدرين من أسرة كهنت متقدمة في نوبهار ، إحدى الصوامع البوذية في بلخ» ، تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ١٨ ، لاحظ كير ، الحضارة الإسلامية (مترجم) ، هامش رقم ١ ، ص ١٠٧ .
 (٢٩٠) يخطئ سمينوف حيث يقول «لقد قبض على أبي مسلم وأودع السجن حيث قتل بعد عدة سنوات» ، تاريخ القرون الوسطى ، ص ١٢٠ ، فلم يذكر أي مؤرخ عن سجن أبي مسلم وإنما قتل بحضرة المنصور بعد أن نزع منه سلاحه .
 (٢٩١) الحضارة الإسلامية ، ص ٥٩ ، والترجمة ، ص ٦٥ - ٦٦ .
 (٢٩٢) شلبي ، أحمد ، في قصور الخلفاء العباسيين ، ص ١٩ .
 (٢٩٣) حمزة ، عبد اللطيف ، ابن المقفع ، ص ٢٢٣ .
 (٢٩٤) يذكر لي ، هرمان «كانت مبالغ الضرائب في عهد هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩) في بغداد أكثر بعدة مرات من واردات الدولة البيزنطية الغنية بنفس الزمن ، مختصر تاريخ القرون الوسطى المادي ، ص ٤٨ .
 (٢٩٥) يقول كرد علي «وأصبح العمال في الدولة العباسية صورة عجيبة من استنزاف الأموال وهم موقوفون بأن مصيرهم بما جمعوه إلى المصادرة والقتل» ، الإسلام والحضارة ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .
 (٢٩٦) الجهشيارى ، ص ٧٩ ، الميقوبي ، (النصف ١٣٥٨ هـ) ، ج ٣ ، ص ١٢١ .
 (٢٩٧) يقول بروكلمان «...كانت أمثال هذه الابتزازات (يقصد مصادرة المنصور ٣ ملايين درهم من خالد البرمكي) التي خضع لولايتها العمال والموظفون الذين أثروا من طريق الوظيفة تؤلف وسيلة مطردة لملء خزانة الدولة بعد فراغها» ، تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ١٩ .
 (٢٩٨) كضريبة الأسواق مثلاً .

- (٤٩٩) تاريخ يعقوبي ، (النصف ١٣٥٨ هـ) ، ج ٣ ، ص ١٢١ .
- (٤٠٠) حسن ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٤١٠ .
- (٤٠١، ٤٠٢) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٨١ ، راجع المسعودي ، ويذكر اسمها خديجة ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٠ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٧٩ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ، ج ١ ، ص ١٦٦ ، أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٧٠ ، ميور ، الخلافة ، ص ٥٠٣ - ٤ .
- (٤٠٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٨٢ ، ويصف هذا الترف والاسراف كي ليسترايح ، بغداد ، ص ٢١٠ ، وقد نقل ميور ما وصفه المؤرخون العرب ، ص ٥٠٣ - ٤ .
- (٤٠٤) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٨٢ ، انظر مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٠ ، ويذكر «فأمر المأمون بحمل خراج فارس وكور الأهواز اليه سنة » ، راجع دائرة المعارف الإسلامية (باللغة الانكليزية) حيث يذكر الدوري ، وهب الحسن بن سهل القصر الجعفري إلى ابنته بوران وكان المأمون قد أهداه إليه ، م ١ ، ص ٨٩٧ ، انظر حتي حيث يناقض جميع المصادر التي نقل عنها فهو يذكر بأن الذي نشر الرقاع الخليفة المأمون بينما العكس قد ذكرت المصادر ، إذ تذكر أن الذي وزع الرقاع هو الوزير الحسن بن سهل ، تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٢٧٥ .
- (٤٠٥) كتاب الوزراء والكتاب ، ص ١٨٠ - ١ .
- (٤٠٦) تاريخ يعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .
- (٤٠٧) ج ٢ ، ص ١٢٨ ، انظر تاريخ الاتحاد السوفييتي ، ج ١ ، ص ٤٨ .
- (٤٠٨) تاريخ الاتحاد السوفييتي ، ج ١ ، ص ٤٨ .
- (٤٠٩) تاريخ يعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٥٧ ، ويشير تاريخ العالم إلى الحادثة نفسها «وفي آران خاصة كانت انتفاضة سكان المدينة الكبيرة بردعة (بارتوف) حيث قتلوا جامع الضرائب المحلي سنة ٧٨١ » ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .
- (٤١٠) تاريخ العالم ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .
- (٤١١) م . ن . ج ٣ ، ص ١٢٨ ، تاريخ الاتحاد السوفييتي ، ج ١ ، ص ٤٨ .



الفصل الثالث

المبادئ الإيديولوجية
والحركة البابكية

1

2

3

١ - المبادئ الايديولوجية للبابكية

أ - الآراء والمفاهيم السائدة قبل الانتفاضة حول المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية:

لم تستطع الانتفاضة البابكية التي عمت آذربيجان والجزء الشمالي الغربي من ايران والجزء الشرقي من ارمينيا ، والتي قامت بها شعوب هذه البلدان ضد الخلافة العباسية طيلة عشرين عاماً ، لم تستطع ، شأنها شأن باقي انتفاضات الخرمية وكل انتفاضات مجتمع الرق والاقطاع ، ان تضع حداً للاستغلال وذلك لعدم نضوج الشروط الضرورية لمثل هذا الأمر ، فمستوى الانتاج لم يكن يسمح بعد بالانتقال إلى نظام خال من الاستغلال والاضطهاد ، ومع ذلك لم تكن هذه الانتفاضة حادثاً فجائياً - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً - أو تمرداً مسلحاً وليد الصدفة وإنما كان لهذه الانتفاضة الطويلة العميقة الانتشار ، أسبابها البعيدة وظروفها الموضوعية التي حتمت قيامها وسهلت انتشارها بين أوسع جماهير تلك البلدان .

وما كان للانتفاضة أن تنهض ما لم يتيسر وجود تربة صالحة مهينة حيث لا يمكن أن تخلق الانتفاضات بمشيئة هذا أو رغبة ذاك ، وإنما تندلع عندما تكون الظروف قد تهيأت لقيامها وتكون الأسباب المحتممة لوجودها قد برزت حسب القوانين الموضوعية للحركات الاجتماعية . ولاشك أن قادة الانتفاضات الجماهيرية ، المنبشقين من بين صفوف الجماهير الثائرة ، والذين يتحتم وجودهم بناء على احتياج الحركة إلى من يسير دفتها ويقود زمامها ، تتوفر لهم إمكانية أوسع للنجاح في فهم حاجات وظروف مجتمعهم عندما يحاولون الاستفادة من الآراء والمفاهيم السائدة في محيطهم أو السابقة

- ان وجدت - حول مختلف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ليسترشدوا بها في توجيه النضال الجماهيري ومن أجل تحقيق ما تصبو إليه تلك الجماهير الساخطة ، وذلك على قدر استطاعتهم في تفهم المشاكل المطروحة ومعرفة الحلول المناسبة مستنيرين بإرشادات تلك المفاهيم والآراء . وغير خاف أن الحركات الاجتماعية التي تسعى لتحقيق مطالب اجتماعية بحاجة إلى آراء وحلول مناسبة لمشكلات المساهمين في تلك الحركات والقائد البارع هو الذي يستطع أن يطور الآراء والمفاهيم حسب ظروف وحاجات جماهير الشعب الثائر ، وهكذا الحال كان بالنسبة للانتفاضة الباكية - وهي حركة اجتماعية - حيث كانت بأمس الحاجة للحلول الآنية لمشاكل متسببها ، وكانت تسود تلك الأصقاع ، التي التهمت فيها الانتفاضة الباكية ، آراء ومفاهيم حول مختلف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ولكنها بسيطة حسب مدارك أهل تلك العهود .

لقد توارثت الأجيال - جيلاً عن جيل ، في مختلف المناطق - المفاهيم المناهضة للتسلط الغاشم وللجور الاقطاعي البغيض وتناقلت أخبار وصور البطولات الرائعة للجماهير الثائرة وللقادة الشعبيين الذين قاوموا الاستغلال الوحشي في مختلف العهود ، وقد تكدست - نتيجة ثورات الأجيال - الآراء العديدة حول المشاكل الآنية - وأهمها بطبيعة الحال مشكلة الأراضي .

كانت الجماهير المضطهدة بقساوة ووحشية تشعر بوزر وفداحة الجور الاقطاعي وما يسببه من عوز وحرمان ، وكان الحل الوحيد - حسب رأي الخرميين - هو توزيع الأراضي على الفلاحين وإحلال الزراعة المشاعية وإلغاء التملك الفردي الواسع الاقطاعي ، وكان العامل المساعد على إشعار الجماهير المستغلة بالظلم هو انتشار الحلول والآراء والعقائد المناهضة للجور الاقطاعي والتعسف الحكومي - وقد توارثوها عن أسلافهم ولم تكن جديدة عليهم .

ولكي تقاوم السلطة - وهي وسيلة القمع بيد السادة الاقطاعيين والحارس الامين على مصالحهم والممثلة الحقيقية للطبقة السائدة في المجتمع - انتشار تلك الآراء والمفاهيم المناهضة للاستغلال الفظيع وللحكم الجائر ، اعتبرت كل تلك الآراء والمفاهيم مناهضة للدين الإسلامي ووصمتها بالهرطقة والإلحاد والزندقة⁽¹⁾ ، ودعت إلى محاربتها

والقضاء عليها وعلى معتنقيها ونصبت السلطة (الخلافة العباسية) من نفسها حكومة مباحث (تحقيق) كما يقول لي ، هرمان (وكانت موجهة قبل كل شيء ضد (الهراطقة) والمفكرين الأحرار الذين منهم في البدء تألفت جماهير أنصارهم^(٢) . ولاشك أن هذه الآراء والمفاهيم حول المشاكل العامة التي كانت موجودة في العصر الأموي كانت تلاقي التشجيع والتأييد من العباسيين ودعاتهم كما أشار إلى ذلك «ولهاوزن»^(٣) ، «فقد حاولوا أن يحولوا تيارات المقاومة الشعبية جميعها إلى رحاهم ولتكن صبغتها ما شاءت»^(٤) ، ولكن بعد وصول العباسيين للحكم تنكروا لمطالب الجماهير لأن تحقيقها يتعارض ومصالح العباسيين الطبقية ، فاستنكروا الآراء والمفاهيم السائدة لدى الجماهير وكافحوها ولم يكن ذلك دفاعاً عن الدين وإنما كان دفاعاً عن المصالح الذاتية للسادة الاقطاعيين ، وإضافة صفة الشرعية على أعمال القمع الوحشية ضد الآراء المناهضة للاقطاع^(٥) وللسلطة الممثلة له ، أما إذا وجدت آراء الحادية لا يشتم منها رائحة الخطر على المصالح الذاتية فلامنع من وجودها^(٥) .

لقد ناضلت الجماهير الشعبية المستغلة ضد مختلف أشكال القيود الاقطاعية - ضد التبعية ، ضد الضرائب والتعسف في جبايتها وضد الإكراه على العمل وضد التعصب «العنصري» والتحقير والازدراء .

وكانت الزندقة المعارضة السلبية الفردية ، أما الخرمية ، وليدة المزدكية ، فكانت منهاجاً تتوضح فيه شعارات الجماهير الغاضبة الحاقدة على الجور الاقطاعي والتسلط الحكومي . فكان أتباعها - الخرمية - هم المطالبون بالعدالة والمساواة في الحقوق العامة وبتوزيع المقتنيات العامة بالتساوي وتعميم الفائدة المشتركة في المجال الزراعي وفسح المجال للمرأة أن تنال مركزها .

وإننا لكي ندرك بعمق تلك الآراء والمفاهيم السائدة في المجتمع الإيراني والأذربيجاني والأرمني (قمساً منه) علينا أن نعود القهقري للاطلاع على الديانة الايرانية وعلى الفرق المناهضة لها والحركات الشعبية التي ظهرت في إطار ديني فإن الأفكار والمفاهيم السائدة قبيل الانتفاضة البابكية هي تركة تلك العهود حيث حافظت عليها وعلى التقاليد الثورية جماهير الشعب المضطهدة .

ب - الديانة الايرانية والفرق المناهضة لها وما نشأ عنهما من آراء في المشاكل والقضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

١ - الديانة الإيرانية؛

لعبت الديانة الإيرانية دورها الواضح في تاريخ ايران منذ الأزمنة القديمة حتى الفتح العربي . وقد جرت على الديانة الايرانية تغييرات وطرأت عليها تبديلات ، في ظروفها الزمنية ، لتخدم مصالح الطبقة السائدة عند ظهور الطبقات في المجتمع الايراني ، كما وقد ناهضتها فرق وحركات شعبية كان إطارها دينياً ومحتواها اجتماعياً .

الديانة القديمة؛ في العصور الأولى ، حيث لم تعهد البلاد حالة الاستقرار بعد ، وكانت غالبية السكان رحل ، نشأت الديانة المعتمدة على عبادة القوى الطبيعية والعناصر والاجرام السماوية^(٦) فكانت هنالك آلهة كثيرة (آهورات عديدة - آهور يعني اله) ولم يكن للدين صفة طبقية (لم يخدم طبقة معينة) لانعدام الطبقات في فترة المشاعية (الشيوعية البدائية) ، ولم يكن لاهور أمزدا (اله الخير ، اله النور) ولا لاهور أمن (اله الشر ، اله الظلمة) من أهمية تذكر بين العديد من الآلهة التي عبدها الايرانيون .

ولكن بانتقال المجتمع من حالة التنقل والترحل إلى الاستقرار ومزاولة بعض المهن برزت مكانة الاله أمزدا^(٧) ، وقد أطلق على الديانة القديمة المزدية أو المجوسية^(٨) .

وكنتيجة لتطور وسائل الانتاج (البسيطة) واستخدام جماهير بشرية واسعة في أعمال الزراعة والري - الأسرى والعبيد - تطلب إحكام قيود التبعية ، فكان أن استخدم الدين الايراني كوسيلة لتضليل الجماهير المستغلة ولدفعها للعمل بأقصى الجهود في ظل عبودية مستديمة من أجل السادة الملاك بعد تبدل أسلوب الانتاج وظهور علاقات انتاج جديدة (من المشاعية إلى العبودية) .

الزرادشتية؛ وهكذا جاء زرادشت ليطور الديانة المزدية^(٩) ، التي أصبحت ذات نفع للسادة المستغلين ، فجأة بتعاليمه التي أصبحت تدعو إلى حب العمل والتفاني والإخلاص والجد في الأعمال ، وتحبب الأعمال الزراعية وتضفي القدسية عليها ، وكل

ذلك ، لم يكن طبعاً لخدمة الجماهير المستغلة ، وإنما لخدمة الطبقة السائدة المستغلة . فعلى أبناء الشعب المساكين ، وحسب تعاليم زرادشت ، أن يتفانوا في خدمة السادة المالكين ويرضوا بهذا الإذلال الأبدي لخدمة للدين والأخلاق ولكسب رضا - أهو أمزدا - والوقوف بصفه .

فلا عجب أن نرى بأن الديانة الزرادشتية تصبح (فيما بعد) دين الدولة الساسانية^(١٠) الرسمي وتنال عطف وتأييد الملوك الساسانيين ، لأن الدين والملك توأمان - كما قال تنسر^(*) ، والارستقراطية الايرانية ، وتصبح للرئيس الديني الأعلى ، موبدان موبذ - وهو قاضي القضاة في الوقت نفسه - المكانة السامية في الدولة^(١١) ، والمستشار الأقدم لملوك بني ساسان . وتصبح الأفتا - الكتاب الديني المقدس في ايران (بعد أن جمعه تنسر ، الهربذان هربذ بأمر الملك أردشير الأول مؤسس الدولة الساسانية) - المنار الذي يهتدي الناس به لخدمة السادة - وهكذا أصبح كل شيء في الديانة الزرادشتية في خدمة العائلة المالكة والطبقة الارستقراطية (مالكة العبيد) ، أما أبناء الشعب فعليهم العمل والطاعة والشكر وطلب الرحمة من اله الخير ، هكذا أصبحت الديانة الزرادشتية قبل ظهور ماني ، أداة طيعة للطبقة السائدة والمعبر لآرائها ومفاهيمها وبذلك حصل حلف مقدس بين رجال الدين والطبقة المستغلة^(١٢) ضد الشعب من أجل استغلاله وجره إلى الإذلال الأبدي .

٢ - الفرق المناهضة للديانة الايرانية:

تكونت لدى الشعب ، الذي أخذ يقاسي تزايد الجور والظلم المسند من المؤسسات الدينية ، بذور الاحتجاج ضد أعمال رجال الدين وضد تضليلاتهم التي ينشرونها ، وبهذا كانت مساندة الجماهير الشعبية للطريقة الدينية ، المناهضة للمعابد الرسمية تعبيراً عن احتجاجها^(١٣) .

المانوية^(١٤) ، اتخذت المانوية الاحتجاج السلبي (كالأهمسا - اللاعنف - الهندية ، التي بشر بها غاندي) سبيلاً لمعارضة تسلط الحكومي والتضليل الديني

(*) كتاب تنسر ، نقله إلى العربية يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٢٧ .

والاثراء الفاحش ، ولما لم يكن لدى جماهير الشعب ، الساخطة على الجور والظلم وعلى تعاون رجال الدين مع الطبقة المستغلة ، منهاج واضح للنضال ، تلقفت تعاليم ماني^(١٥) الحكيم بشغف وبسرعة ، وكانت تعاليم ماني ، والذي زار الهند^(١٦) وتجول في أواسط آسيا وفي الصين ، متأثرة بالبوذية والمسيحية والغنوصية^(١٧) ، بالإضافة إلى الزرادشتية ، ولهذا اعتبرت العالم مسرحاً لنضال قوى الخير وقوى الشر منذ الأزل^(١٨) .

وشابهت المانوية الزرادشتية ، غير أن الزرادشتية - وقد أصبحت المعبرة عن ذهنية الطبقة المستغلة - اعتبرت اله الخير قديماً واله الشر محدثاً ، وأن ما هو سائد في المجتمع من أنظمة وسلطات وحقوق إنما هي من ميزات النور - إضفاء الحق الشرعي الالهي على أعمال التعسف والنخاسة والاستغلال الفظيع واعتبارها جميعاً من الأعمال التي فرضها الاله - (إذ يجد الإنسان رسالة عليه أداؤها فإنه بالايان الخالص وبالجهاد في سبيل الحقيقة الدينية والأخلاق وأخيراً بالجد في الأعمال التي تؤدي إلى غلبة قوى الحياة على قوى الموت وبالمساعي المؤدية إلى الحضارة وخاصة زرع الأرض ، يقف في صف روح الخير)^(١٩) - ، لكن المانوية على العكس من الزرادشتية تعتبر أن اله الشر هو الذي سيطر في البدء وظل إله الخير يكافح ويكافح - وهذا تعبير عن قدم سيطرة الطبقة المستغلة وعن ضرورة كفاح الجماهير الخيرة ضد قوى العدوان والشر - حتى انتصر ، إلا أن المانوية ، وقد تأثرت بالفلسفة الهلينية وما أدخل على المسيحية من آراء فلسفية (الغنوص) ، وبالبوذية ، لم ترسم مناهج ثورية للكفاح ، وإنما اعتبرت الزهد والتقشف والعفة وما فرضته من مناسك دنيوية (لتطهير جسيمات «ذرات» الأبدان النورية من شرور العتمة التي لحقتها في فترة امتزاج العتمة بالنور في العالم الأرضي)^(٢٠) - وفي رأي المانوية أن هذه المناسك خير معونة يقدمها الإنسان لاله الخير- ، وسائل أساسية للتعبير عن سخطها وغضبها على الاثراء والتسلط الطبقي . ولقد حاول ماني أن يأخذ كل ما هو خير وحسن من الأديان الموجودة^(٢١) - وقد أطلع على دقائق الكثير منها - ولهذا جاءت تعاليمه مزيجاً من الآراء والمفاهيم والشرائع العديدة ، ففيها المثل الأخلاقية الهلينية وتناسخ الأرواح البوذية^(٢٢) وثنائية الكون المجوسية والغنوصية والتثليث المسيحي^(٢٣) .

وكان ماني يريد لتعاليمه أن تصبح الدين العالمي الموحد والنهائي^(*) وأن يحل هذا الدين محل الأديان القديمة ، التي أصبحت آلة بيد الطبقة السائدة . وقد اعتبر ماني جميع الأنبياء شياطين أو آلات مسخرة بيد الشياطين (الطبقة السائدة) يقول ابن النديم :

وماني ينتقص سائر الأنبياء في كتبه ويزري عليهم ويرميهم بالكذب ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم وتكلمت على ألسنتهم بل يقول في مواضع من كتبه أنهم شياطين ، فأما عيسى المشهور عندنا وعند النصارى فيزعم أنه شيطان^(٢٤) . والملاحظ أن كريستنسن ، كمسيحي ، تعتمد إغفال كلام ابن النديم هذا ، وقد أغفله بعض المستشرقين ومن بينهم السوفييت ، الذين تيسرت لنا قراءة كتبهم . والسبب كما يلوح لنا هو أنهم اعتمدوا في كتاباتهم عن ماني على كريستنسن دون أن يكلفوا أنفسهم الرجوع إلى المصادر القديمة ومنها العربية ، ولربما كان لجهل البعض منهم اللغة العربية أثر في اتكالهم على كريستنسن وغيره .

ولما لم يكن لتعاليم ماني ، في البدء ، من خطر يهدد مصالح الدولة الساسانية ومصالح الطبقة السائدة فقد سمح بانتشارها^(٢٥) ، فبعد عودة ماني من الهند في عهد سابور الأول (الذي توج في سنة ٢٤٢م)^(٢٦) باشر ماني بالقاء مواعظه وتعاليمه والتي ما كانت ، في ذلك الحين لتلاقي صعوبة أو معارضة ، بل كانت تلاقي التسهيلات حتى أن ماني أهدى كتابه (شابورغان) للملك سابور^(٢٧) وقد ذكر ماني نفسه (وقد مثلت في حضرة الملك سابور فأحاطني برعايته ثم أتاح لي أن أجوب « مملكته ؟ »)^(٢٨) . من المحتمل أن احتضان سابور لماني كان - كما يرى غرشمان - لدوافع سياسية^(**) .

ولكن بعد أن تخطت مواعظ ماني التعرض البسيط لأشكال الديانات إلى الطعن بصراحة ومباشرة بمصالح السلطة والطبقة المستغلة ، بكشف جورها وظلمها وتصوير التعاسة التي تجلبها للناس ، بدأت السلطة ومعها رجال الدين الزرادشتي والطبقة المستغلة بالتضييق على ماني وأتباعه ومحاربتهم^(٢٩) ومن ثم سجنه وصلبه ومطاردة انصاره . وملخص نشاط ماني^(٣٠) أنه هاجر إلى الهند أيام مؤسس الدولة الساسانية

(*) انظر غرشمان ، إيران ، ص ٢٩٤ .

(**) إيران ، ص ٢٩٤ .

أردشير الأول (٢٤٢ - ٢٧٢ م) وأول خطبة له كانت عند تتويج سابور (٢٤٢ م) . واستمر في القاء تعاليمه ومواعظه قرابة عشرة أعوام^(٢١) ، ثم نفي خارج إيران وعاد بعد وفاة سابور عام ٢٧٢ م في عهد هرمز الأول (٢٧٢ م - ٢٧٣) وقد لوحق ماني وأدخل السجن ثم صلب عام ٢٧٦ م في عهد بهرام الأول (٢٧٣ - ٢٧٦ م) .

النهاية المفجعة التي لحقت بالحكيم ماني والمطاردة العنيفة القاسية لمواليه وأنصاره^(٢٢) ولضعف الروح الثورية في التعاليم المانوية التي اتخذت السلبية أسلوباً للكفاح - كل ذلك جلب اليأس والتشاؤم للأنصار ، الذين اضطروا إلى التخفي والهرب^(٢٣) ، وللاتباع الذين حفظوا سر تلك التعاليم ، ولما لم يحاول تلامذة ماني وأتباعه تطوير تلك التعاليم بطرح الجوانب السلبية منها وقلبها إلى أساليب إيجابية في الكفاح - أصبحت تلك التعاليم غير ذات نفع بعد التطورات التي حدثت في المجتمع^(٢٤) ولاسيما عند اشتداد أزمة العبيد وظهور بداية الاقطاع ، فقد عجزت التعاليم المانوية عن تفهم وإدراك حاجات الجماهير الواسعة من أبناء الشعب المضطهد . ولهذا تخلفت تلك التعاليم على أن تكون المبادئ التي تقتدي بها الحركة الجماهيرية ، والتي عمت إيران في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي^(٢٥) ، والتي كان عمادها المزارعون والعبيد المشتغلون بالزراعة ، لذلك ظهرت تعاليم أكثر تفهماً لحاجة الجماهير فأنارت السبيل لجموع الحاقدين وانتشرت بسرعة بينهم - إلا وهي التعاليم المزدكية .

أما المبادئ المانوية ، في إيران ، فقد انتشرت في المدن وسط التجار ورؤساء الحرف ، وأما في الريف فقد كان انتشارها ضئيلاً لعجزها عن تبني مطالب الفلاحين والعبيد والحرفيين .

المزدكية^(٢٦)،

نشأت المزدكية ، كتعاليم دينية ، متطورة عن الزرادشتية والمانوية^(٢٧) . وكانت المانوية - كما أسلفنا - قد انصهرت فيها ديانات مختلفة . وقد اختلفت المزدكية عن المانوية بأنها (أي المزدكية) اعتبرت (النور يعمل بالقصد والاختيار وأن الظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ، والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى ، وأن المزج « بين النور والظلمة » كان على الاتفاق والخط لا بالقصد والاختيار)^(٢٨) ، فالمزدكية وإن شابهت

المانوية بالثنوية ، إلا أننا يمكننا أن نلاحظ - فيما ذكره الشهرستاني - أن لإله النور أهمية بارزة عند المزدكية وأنه يعمل بالقصد والاختيار ، وأما إله الشر (الظلمة) فيعمل على الخبط والاتفاق (بعكس ما ذهب إليه ماني) . كما ويظهر من تعاليم المزدكية أن إله الخير (النور) انتصر على إله الشر (الظلمة)^(٢٩) ، في عالمنا الأرضي^(٣٠) ، ولكن النصر لم يكن حاسماً ، وهذا يعني مواصلة كفاح القوى الخيرة (القوى الشعبية المعدمة المستغلة) ضد القوى الشريرة (الارستقراطية الغنية المستغلة) وحتمية انتصارها^(٣١) ، كما ويجب تطهير الأنفس من النزوات والشهوات^(٣٢) ومن حب السيطرة وحب التملك^(٣٣) . والمزدكية وأن شابهت المانوية في ضرورة تطهير (ذرات الأجسام النورية) من الشرور والآثام التي لحقتها أثناء المزج ، إلا أن المزدكية لم تسلك السلبية نهجاً كالمانوية ، وإنما اختطت لنفسها الأسلوب الإيجابي ، ولذلك أصبح محتوى التعاليم المزدكية الدينية الفلسفية ، اجتماعياً حيث عنت تلك التعاليم ، إضافة إلى الأمور الفلسفية الدينية ، النظر في القضايا الاجتماعية حيث قصدت إعادة النظر في توزيع الأملاك والمقتنيات ، التي بسبب عدم العدالة في توزيعها بين الناس ، تسبب الانتهاكات والاعتداءات والظلم والحروب . لقد وردت نصوص كثيرة لدى المؤرخين العرب وفي المصادر التي كتبت باللغة العربية تشير إلى ذلك وتفصح عن المحتوى الاجتماعي للبرنامج المزدكي ، فالطبري كتب عن المزدكيين : قالوا أن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتأسي ولكن الناس تظالموا فيها وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ويردون من المكثرين على المقلين وأنه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو بأولى به من غيره^(٣٤) . وبلهجة عدائية كتب الملطي : وفضول ما في أيدي ذوي الفضل محرم عليهم حتى يصير بالسوية بين العباد سواء^(٣٥) . وكذلك كتب البيروني عن مزدك : وقال باشتراك الناس في الأموال والحرم^(٣٦) ، ويعزو الشهرستاني محاولة مزدك في إعادة النظر في التوزيع إلى أن مزدك وجد أن سبب تقاتل الناس هو من جراء عدم العدالة في المقتنيات ، فقد كتب « وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال . ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال ، أحل النساء وأباح الأموال . وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ »^(٣٧) .

ونجد ابن خلدون يعتبر محاولة توزيع الأملاك بالتساوي ، استباحة ، فقد كتب « وكان يقول - الكلام عن مزدك - باستباحة أموال الناس وأنها في ، وأنه ليس لأحد ملك شيء ، ولا حجره والأشياء كلها ملك الله مشاع بين الناس لا يختص به أحد دون أحد وهو لمن اختاره »^(٤٨) . وبالرغم من معاداة المؤرخين السابقين لمزدك وللحركة المزدكية فإن اشاراتهم واضحة إلى ما كانت تسعى إليه المزدكية وقد أوضحوا الأسباب المختلفة التي دعت المزدكيين للقيام بتلك المساعي الاجتماعية ، وكلها طبعاً من أجل انقاذ جمهور المعدمين من الاستغلال والفقر والإملاق .

تعاظم استغلال الارستقراطية ، مالكة العبيد ، وبدأت تستحوذ على أراضي الفلاحين الأحرار ، الذين كانوا يعملون في أراضٍ مشاعية ، مما أدى إلى استيلاء الفلاحين من تسلط الارستقراطية . ولم يقتصر الاستيلاء على الفلاحين بل شمل العبيد والحرفيين ، فكانوا جميعاً مستائين من وضعيتهم المزرية ، من فداحة جور الارستقراطية ذات النفوذ القوي . من تعسف الحكومة ومتذمرين من الإملاق المتلاحق والمجاعات المهلكة^(٤٩) ، التي كانت تكتسح البلاد بين آونة وأخرى بسبب تضافر قساوة الطبيعة ، في ظروف شبه صحراوية ، وهجوم الآفات الزراعية كالجراد^(٥٠) . وكانت هذه المحن خير محفز للمفكرين على العمل من أجل انقاذ الجماهير من تلك البلايا . ولما كانت المانوية ، بسليبتها ، عاجزة عن استيعاب حاجات الجماهير ، اختلقت الضرورة لاعادة النظر في تلك التعاليم لارسائها على أسس سليمة . فكانت محاولات بندس (زرادشت) المانوي أولى التعديلات^(٥١) الفلسفية الروحية عليها ودعي هذا المذهب درست دين^(٥٢) ، ثم تناولتها تعديلات مزدك الفلسفية - الاجتماعية البارعة ، وغلب اسم المزدكية على مذهب درست دين^(٥٣) . لقد دعت التعاليم الجديدة إلى عدم انفراد أشخاص قلائل بالملكيات والمقتنيات الفردية الواسعة (أراضي ، عبيد ، جوارى ، نساء ومقتنيات أخرى) فالمالك لا يملك حق الانفراد بما يقتني أو كما يخبرنا الطبري « فليس هو بأولى به من غيره »^(٥٤) ، وإنما يجب أن توزع هذه المقتنيات والأملاك على الناس بالتساوي ، وهذا ما أشار إليه الملطي (حتى يصير بالسوية بين العباد سواء)^(٥٥) ويرى الشهرستاني أن المزدكية جعلت الأموال شركة بين الناس^(٥٦) - أي كما كانت أيام المشاعية الأولى - ولما كانت التعاليم المزدكية كالمناوية تحرم القتل والذبح وسفك

الدماء ، ولما كان النزاع والقتال يحصلان بسبب الاختلاف في المقتنيات دعت المزدكية إلى إعادة النظر في توزيع المقتنيات حسماً للنزاع . وهذه الفكرة وإن لم تكن واضحة تماماً لدى الطبري حيث يشير إليها متشككاً (وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ويردون من المكثرين على المقلين)^(٥٧) ، إلا أن الشهرستاني - كما ذكرنا أنفاً - قد أوضح السبب الذي حمل المزدكيين على توزيع المقتنيات على المعدمين ، غير أنه اعتبر ذلك التوزيع (إباحة) «أحل النساء وأباح الأموال»^(٥٨) . ولا شك أن الشهرستاني متحامل على المزدكية ولهذا صور إعادة التوزيع إباحة (وهنا تعني التفسخ والانحلال) إذ لو لم يكن متحاملاً لأخذ برأي الطبري الذي نفى ذلك عن مزدك وعزا إلى السفلة والانتهازيين جميع الأعمال المزرية التي ألصقت بالمزدكية ، حيث كتب : «فافترض السفلة ذلك واغتنموه وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلى الناس بهم»^(٥٩) .

إن عدم تمكن التعاليم المزدكية من إدراك الأسباب الموضوعية التي أدت إلى تراكم الغنى والاثراء والقوة بيد الارستقراطية - وذلك منتظر من أفكار ذلك العصر - أدى إلى عجز التعاليم عن معارضة النظام الذي قاومته ، بنظام جديد . وهذا قد أضعف الحركة - كما أشار إلى ذلك ايفانوف^(٦٠) - ويعتبر دياكانوف أن المزدكية ضعفت لأنها لم تقاوم النظام الاقطاعي^(٦١) «حيث لم يمح التملك الفردي ، أساس الاستغلال الفردي للشخص»^(٦٢) ، وغرشمان في معرض ملاحظته على الذين يصفون منهج مزدك الثوري (بالشيوعية الايرانية) يقول : غير أن علماء معروفين فسروه (منهجا مزدك) على أنه مقاومة العبيد ، الفلاحين الذين أصبحوا شبه عبيد والأحرار السابقين من سكان المدن والأرياف ضد الاقطاع ونظامه (الداعي للعبودية)^(*) . ولكننا لا يمكننا أن نتفق مع دياكانوف وغرشمان لان المزدكيين لم يقاوموا النظام الاقطاعي ، والذي كان في بدء نشوئه ، وإنما قاوموا نظام العبودية المتفسخ فاستحوذوا على أراض الارستقراطية (مالكة العبيد) واستغلوها مشاعاً (العودة إلى المشاعية القديمة) . وطبيعي أن هذه العودة كانت خلافاً لسنة التطور حيث بدأ المجتمع يتطور نحو النظام الاقطاعي الناشئ . والسبب الذي دعاهم إلى العود الخاطئ^(٦٣) إلى المرحلة القديمة - المشاعية -

(*) ايران ، ٢٠٢ .

هو عدم إدراكهم لأسباب التكوين الطبقي - وهذا شيء طبيعي لمدارك ذلك العصر - ولهذا لم يستطيعوا وضع برنامج جذري لمعالجة مشاكل المجتمع والانتقال به إلى مرحلة أخرى . لقد تمكنت التعاليم المزدكية أن تدرك بأن تراكم الغنى في جهة وانعدامها لدى الكثرة الكاثرة من الناس فحسب ، هو السبب في التخاصم والنزاع وأن الضرورة تقتضي إعادة التوزيع بالتساوي . هذه الآراء التي نادى بها وحققته في أجزاء واسعة من إيران ، لمدة من الزمن ، الفرقة المزدكية ، أطلق عليها المؤرخون - الإباحة - ويطلق عليها كثير من المؤلفين المعاصرين ، الشيوعية^(٦٤) والبرنامج الشيوعي^(٦٥) لمزدك ، وشيوعية الأموال والنساء عند المزدكيين^(٦٦) ، ولا شك أن تسمية التعاليم المزدكية بالشيوعية لا يجمعها جامع مع الدقة العلمية . ويقصد من هذه التسمية أيضاً وصم الحركة بالدعر والفسق والإباحة لتشويه جوهر طابعها الاجتماعي بترديد أقوال مؤرخي القرون الوسطى ، بشيوع النساء واختلال النسل^(٦٧) وفقدان الأخلاق وتحطم العائلة^(٦٨) . لقد حقد المؤرخون القدامى على المساهمين في الثورات الجماهيرية ضد الطغاة وسبب حقدهم يرجع أما لخوفهم من السلطات القطاعية أو لانحدرهم الطبقي أو لانخداعهم بأباطيل وتضليلات الطبقة السائدة . لقد سددت الحركة المزدكية ضربة شديدة إلى الارستقراطية الايرانية الكبيرة - مالكة العبيد - فلا غرو أن توجه الارستقراطية الايرانية الناشئة ، ملاك الأراضي ، ورجال الدين والسلطة الحاكمة سخطها وحقدها على التعاليم المزدكية ووصمها بنعوت وصفات قبيحة وقد تعاونت الكنيسة اليهودية^(٦٩) والمسيحية^(٧٠) على توجيه الاتهامات والأكاذيب ، وظلت تلك النعوت والصفات الرذيلة لاصقة بالحركة حيث رددتها مؤلفات مؤرخي القرون الوسطى . أما المؤلفون البرجوازيون ، الحاقدون على كل حركة اجتماعية ، فانهم استخدموا أقوال مؤرخي القرون الوسطى القطاعية كسلاح ماضٍ للتشهير بالحركات الاجتماعية ولتوجيه الطعن للشيوعية العلمية^(٧١) . فقول ابن النديم « وصاحبهم مزدك القديم أمرهم بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والأكل والشرب والمواسة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحرم والأهل لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمتنع »^(٧٢) قد استخدم لدى غالبية هؤلاء المؤلفين ، وكان للاماني فلوكل^(٧٣) قصب السبق في ذلك فهو الأول من بين المستشرقين الذي

استخدم قول ابن النديم وغيره للطعن في (البابكية والخرمية)^(٧٤) وعن طريقه تسربت بيسر إلى كتابات الآخرين^(٧٥) . انهم يرددون أيضاً قول البغدادي «المزدكية الذين استباحوا المحرمات وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء»^(٧٦) . وقول ابن الجوزي «وأباح النساء لكل من شاء»^(٧٧) . لقد كانت الارستقراطية - مالكة العبيد - مركزة نفوذها في ايران ، قبيل الحركة ، وكانت تسيء إلى مستخدميها اساءة بالغة وتقسو عليهم قساوة ضارية وتسعى بكل الوسائل لنهب وسلب الأراضي المشاعة من الفلاحين الأحرار ، وقد تمكنت من ذلك وعلى نطاق واسع مؤخراً ، لهذا وضعت الحركة المزدكية نصب عينيها إعادة حقوق الفلاحين الذين بدأوا يفقدون حريتهم ومقتنياتهم وأراضيهم . فحاربت المزدكية الارستقراطية حرباً شعواء وكان من جراء مقاومة الارستقراطيين أن لاقى الكثير منهم حتفه وفقدوا أملاكهم وأراضيهم ومقتنياتهم من عبيد وأماء ونساء ، والتي وزعت على المحتاجين ، وغالبيتهم من الفلاحين والعبيد ، غير أن المزدكيين وجدوا أن خير وسيلة وأحسن أسلوب لتوزيع الأراضي المستحوذ عليها وتحديد الملكية عليها هي (المشاعية) ، ولكن المشاعية خلقت مشاكل ومتاعب جديدة للحركة لانصراف الملاكين الصغار - الدهاقين - من صفوفها لأنهم - الدهاقين - ساهموا في الحركة خوفاً من تيارها وطمعاً في الحصول على أراضي الملاكين الكبار غير أن تقسيم الأراضي إلى مشاعيات وبرودة موقف قباز من الحركة بعد عودته إلى العرش ثانية شجع الدهاقين على الابتعاد عن الحركة مما أضعفها . إن مشكلة الأراضي ومعالجتها كانت إحدى المسائل الأساسية التي عاجلتها المزدكية ، والمشكلة الأخرى التي أعارتها اهتمامها كانت مشكلة المرأة الايرانية . لقد تدنى وضع المرأة في المجتمع وبلغ الخضيف في عهد العبودية بحيث أصبحت أمة تباع وتشترى في سوق النخاسة كأى سلعة وكانت حالة الرجل المالية تعين مقدار امكانيته لاقتناء أي عدد من النساء بالإضافة إلى زوجاته ، وكان النظام يبيح تعدد الزوجات ، وقد أباح الارستقراطيون - حرصاً منهم على حفظ أملاكهم وعدم تجزئتها بالوراثة - لأنفسهم زواج الأمهات والأخوات والبنات ، ونتيجة رضى الارستقراطيين والدين الزرادشتي على هذا التهتك ، فإن المؤرخين لم تأخذهم الحمية على الأخلاق والحرص على الشرف من هذا العمل الشنيع ، ولكنهم وجهوا سهام نقدهم إلى محاولة المزدكيين إعادة الكرامة والحقوق

للمرأة الإيرانية ، إن المزدكيين وجدوا غالبية الارستقراطيين والحكام الأثرياء يمتلكون العدد الغفير من النساء في حين يفتقر الكثير من أبناء الشعب لزوجة واحدة لأنهم لا يملكون ثمن صداقها وإمكانية الصرف عليها ، لهذا عمد المزدكيون إلى أخذ النساء من بيوت الارستقراطيين وتزويجهن من الرجال العزاب . إن أخذ الزيادة من المكثرين ، سواء أكانت الزيادة أراضي أم مقتنيات ، عبيداً ، إماء ، أم نساء ، وتسليمها للفقراء المحتاجين إليها ، سعت حقد الارستقراطيين ونقمتهم على الحركة لأنها موجهة ضد حق انفرادهم بالتملك الواسع . لقد كانت الفكرة الأساسية في معالجة مشكلة المرأة ، هي تحطيم ملكية الارستقراطيين للنساء وإعادة الحقوق والكرامة للمرأة الإيرانية ، ومن هنا كانت محاربة الارستقراطيين الإيرانيين للحركة وكانت تلاقي معونة رجال الدين الزرادشتيين والمسيحيين واليهود على السواء ، لقد كانوا مع الارستقراطيين جنباً إلى جنب ضد الحركة ، وقد نعتوها بأشنع النعوت والصفات . ونورد على سبيل المثال ما ينقله دياكانوف عن مؤرخ الديانة اليهودية ك . كريستس^(٧٨) (هم - أي اليهود - لا يستطيعون السماح بأن تتعرض نساؤهم وبناتهم كل لحظة لخطر الأعمال المخجلة ، ومدافعين عن طهارة حياة عائلاتهم وكأنها حدقة عين)^(٧٩) ، إن اتهام المزدكيين بالشهوة والإباحة من قبل الارستقراطيين الإيرانيين والديانة الزرادشتية والمسيحية واليهودية قد استمر في كتابات مؤرخي القرون الوسطى المتحيزين للسلطة والارستقراطية الاقطاعية .

بينما يرى كريستنسن أن صفتي الشهوة والإباحة متناقضتان مع الزهد الذي كان أساساً للمذهب^(٨٠) ، وقد شك لويس بمشاعية الزوجات^(٨١) ، وقد استل دياكانوف^(٨٢) تعبيراً جيداً لسولودوخو^(٨٣) ينفي فيه تهمة مشاعية الزوجات جاء فيه « هذا الادعاء ، يعترف الآن بأنه مجرد اختلاق المؤرخين الناظرين بعداء للحركة المزدكية الثورية ، لأنه لا توجد أية معلومات تؤكد بأية حالة ظهور مثل هذه التهمة التي لا تتغير ضد الذين هاجموا نظام التملك الشخصي »^(٨٤) .

ولقد شك كريستنسن في صدور قوانين تلغي الزواج أو تبيح النساء وحتى لو صدرت فإنها حسب رأيه مستحيلة التنفيذ^(٨٥) . وعليه يمكننا أن نتوصل إلى أن الحركة سعت إلى عدم السماح للرجال باقتناء أكثر من الحاجة من النساء وأن يسمح للنساء

بأن يعشن مع من يرغبن في العيش معه بلا إكراه ولا إجبار . وطبيعي أن يتعارض هذا مع ما ألفه الارستقراطيون الايرانيون وما سنوه من شرائع تحمي مقتنياتهم وأملاكهم . هنالك رأي أوردته بيكولفسكايا « ولدى المزدكيين ، مشاعية النساء كانت نداء للشكل القديم في العلاقات العائلية واحتجاجاً ضد حريم الارستقراطية »^(٨٦) . إننا لا يمكننا أن نتفق مع بيكولفسكايا في تسمية الدعوة لإصلاح وضع المرأة في المجتمع الايراني الساساني من قبل المزدكيين مشاعية النساء وأنه عودة إلى الشكل القديم في العلاقات ، أي العودة إلى المشاعية . فالمزدكيون لم يقصدوا قط في إصلاحهم لسان المرأة العودة إلى ما كانت عليه العائلة أيام « الشيوعية البدائية » المشاعية الأولى ، ولو أن لدى مجتمعات ذلك العصر كانت باقية بعض بقايا الزواج الجماعي الديني لأيام البدائية الأولى ، والذي قد تستر عليه العرف والتقاليد والدين والمجتمع أو أنها تظهر وخاصة لدى الجماعات المناهضة للدين والسلطة للطبقة السائدة عارية من تلك الأستار^(٨٧) . ان هذه البقايا (الترسبات) ، وهي قليلة ، وإن كانت موجودة لدى الشعوب لا يمكن أن تسمح ، حتى في الخيال ، بتصوير محاولة المزدكيين في انتشار المرأة الايرانية من مركزها المتدني ، بأنها عودة إلى « مشاعية الزوجات » في المجتمع القديم ، المجتمع البدائي أو المشاعية الأولى . كما وأن مناهضة المزدكية (والخرمية فيما بعد) للدين الرسمي دفع المؤرخين والمدافعين عن مصالح الطبقة السائدة لاختلاق كل ما هو شائن ووضع المثالب ، ولهذا اتهموا المزدكية بالإباحة ، لهذا فإن استعمال بيكولفسكايا لكلمة مشاعية غير مناسب لأنه يدل على تأييدها لأقوال معادي الحركة الذين يصمونها بالإباحة . ويرى سمينوف بأن مشاعية النساء لدى مزدك لا تعتبر مكروهة جداً بالقياس إلى ما تبيحه الزرادشتية من زواج الابن لأمه والأب لابنته والأخ لأخته^(٨٨) . وهذا الرد الضعيف قد جعل سمينوف يعترف بوجود المشاعية الزوجية أو مشاعية النساء ، ولا يمكننا طبعاً أن نقر سمينوف على رأيه هذا^(٨٩) . ومن الطريف أن ننقل قول المؤرخ الايراني بلعمي^(٩٠) ، الذي نقله جوزي^(٩١) ، عن كريستنس^(٩٢) ، يقول بلعمي « إن مزدك فسخ الزواج (الشرعي) وملكية الأراضي وكان يقول « إن خالق المسكونة قسم الأشياء بين الناس بالقسط فلم يعط أحداً أكثر من غيره ولهذا لابد من نظام يتساوى فيه عدد النساء ومقدار الأراضي التي يملكها كل شخص ويكون

من مقتضاه أن من يملك أراضي واسعة لا يستطيع أن يقول إنني لا أعطي منها شيئاً لغيري ومثله من يملك عدة نساء لأن النساء مشاعة بين الناس» أي أن امرأة الواحد تخص الآخر وامرأة هذا الآخر تخص من يحب أن يأخذها^(٩٣) . ولقد اعتبر بونيئاتوف ما نسبته المؤرخون القدامى والمؤلفون البرجوازيون إلى المزدكية وخلفائهم الخرمية من شيوع الزوجات ، بأنه التعبير المتطرف للنموذج الماغن للحياة الذي نسب إلى المزدكيين ومن بعدهم الخرميين خلفائهم الفكريين^(٩٤) .

والنقطة الجديرة بالاهتمام بالحركة المزدكية هي علاقتها بالملك قباذ . المصادر القديمة تشير إلى أنه حكم في الفترة الأولى عشر سنوات (٤٨٨ - ٤٩٨ م)^(٩٥) ثم عزل ونصب أخوه جاماسب ملكاً . أما قباذ فقد أودع السجن حيث هرب منه والتجأ إلى الهياطلة وبقي هناك عامين ونصف وعاد ، ويعتبر كريستنسن الفترة الأولى من حكم قباذ ثمانين سنوات وليسست عشر سنوات^(٩٦) ، وترى بيكولفسكايا أن تنصيب جاماسب كان في عام ٤٩٦ م^(٩٧) ، أما عودة قباذ فإن كريستنسن يعتبرها بين ٤٩٨ م و ٤٩٩ م^(٩٨) . وظل قباذ ملكاً في الفترة الثانية حتى وفاته سنة ٥٣١ م^(٩٩) وليس صحيحاً ما يعتقد سمينوف بأن الفترة الثانية من حكم قباذ كانت ٣٥ عاماً^(١٠٠) .

إن التعاليم المزدكية سابقة ولاشك ليوم تتويج قباذ ، غير أن هذه التعاليم أصبح لها من النفوذ لسرعة انتشارها بين أوسع جماهير الشعب ، وقد اهتبل الملك قباذ الفرصة لكسر شوكة الارستقراطية (مالكة العبيد) والقضاء عليها فقرب المزدكيين وقرب مزدك نفسه^(١٠١) وأخذ يعتمد عليه كثيراً ، وهذا ما جلب حقد الارستقراطيين وتخوفهم من تعاظم نفوذ المزدكيين ، لهذا قرروا الإسراع بتسديد الضربة إلى الملك حاملي الفرقة المزدكية فعزلوه ونصبوا جاماسب ملكاً محله . ولقد توهم كل من الطبري والمقدسي وابن الأثير^(١٠٢) ، بأن المزدكيين خلعوا قباذاً وملكوا أخاه جاماسب .

وعند هربه إلى الهياطلة^(١٠٣) - الأتراك^(١٠٤) «الهون»^(١٠٥) المحتلين للجزء الشمالية الشرقية من إيران - فكر في العودة إلى عرشه بمساعدة جيش الهياطلة لأنه أراد أن يكسب النصر دون أن يكون مديناً لأي من القوتين المتخاصمتين في الداخل - إيران - ، الارستقراطيين وحلفائهم الروحانيين من جهة ، وجماهير الشعب ، المنظمة تحت لواء المزدكية ، من جهة ثانية . هذا مع علمه (قباذ) بأن للارستقراطيين

والروحانيين دوراً في خلعه ، وقد خلق هذا شعوراً لدى قباز بأن المزدكيين لا يريدون حماية عرشه بعد عدة سنوات من حكمه^(١٠٦) ، وأن جماهير الشعب لم تلمس منه التأييد المطلق لحركتها ، فهو قد سار معها لتحقيق أغراضه السياسية في ضرب الارستقراطية ورجال الدين^(١٠٧) ، لهذا قل حماس الجماهير في تأييد قباز وهذا ما يسر للارستقراطيين والروحانيين خلعه ، وقد خلق هذا شعوراً لدى قباز بأن المزدكيين لا يستطيعون أن يحققوا له الظفر بالعرش .

كل هذه الأمور - كما يخيل لنا - لا بد وأن قباز قد فكر بها طويلاً قبل أن يقدم على استخدام جيش الهياطلة فقط في استرجاع عرشه^(١٠٨) .

ويتوضح ، بعد عودته (٤٩٨ م أو ٤٩٩) للعرش بفضل الجيش الهيطلي^(١٠٩) ، بأنه قرر السير - لفترة من الزمن - على سياسة توازن القوى ، فهو من الناحية الأولى وإن كان قد عفا عن الارستقراطيين^(١١٠) ، الذين ناصبوه العداء ، وعن أخيه جاماسب^(١١١) ، الذي توج ملكاً في فترة عزله ، فإنه ظل يتخوف منهم ، ومن الناحية الثانية ، وبالرغم من شعوره بأن سبب عزله هو مساييرته للمزدكيين في السابق ، فإنه لم يشأ المباشرة بالتنكر للقوى الشعبية فجأة^(١١٢) . والظاهر أنه اتخذ هذا الموقف بدهاء لأنه كان في مركز حرج لاسيما وأنه كان مرغماً على إعادة جيش الهياطلة الذي ساعده حيث كان هذا الجيش يستنزف مصاريف باهظة ، ولم يكن الملك قباز ليرغب في توسيع جبهة المعارضة له ، فالارستقراطية ، الساكتة على مضض ، والتي كانت قد أرغمت بحراب الأعداء على قبول عودته للعرش ، ستتقوى وينعزل الشاه فيما لو ضرب المزدكيين فوراً - وهم القوى الاحتياطية التي يمكن أن يركن إليها - وهذا لم يكن ، في ذلك الوقت والظرف ، في صالح الملك قباز^(١١٣) .

لذا قرر التخلي ، تدريجياً ، عن المزدكيين ، وقرر تقريب قسم من الارستقراطيين ، الذين لم يعادوه ، والاعتماد على هذا القسم ، آخذاً بعين الاعتبار توسيع هذا الاعتماد في المستقبل ، على الارستقراطيين ، الذين عفا عنهم يوم استسلامهم (وقد أهلك الخطرين المناوئين له) وبعد أن يزيل مخاوفهم بتقليص تقريبه للمزدكيين^(١١٤) . هذه السياسة التي لعبها قباز ونجح في تطبيقها ترينا أن تأييد قباز للحركة المزدكية كان بدافع أغراضه السياسية فقط كما لاحظ ذلك البيروني^(١١٥) ، وأما

مناهج الحركة الاجتماعية فقد كانت غريبة عنه تماماً . ومثله في ذلك مثل بعض الارستقراطيين الذين انضموا تخوفاً للحركة - مثل سيواش - ومثل الملاكين الصغار - الدهاقين - . وكان قباذ في استجابته لبعض مطالب المزدكيين^(١١٦) - في الفترة السابقة لعزله - يرمي إلى كسب ودهم حينما كانوا قوة يحسب لها حساب ، ولكنه لم يندفع في تأييده للحركة لأنه ظل خائفاً من توسع مطالبيها - الاجتماعية -^(١١٧) وكان تخوفه هذا سبباً في عزله عن الجماهير ومما أدى إلى نجاح الارستقراطيين في خلعهم عن العرش وسجنه . وقد حاول كريستنسن ، آرثر - مستشهداً بالمؤرخين القدامى بروكوب وأجاثياس ويوشع ستيليت والمحدثين مثل نولدكه - أن يعرض الوقائع كما لو أن قباذا كان مخلصاً للحركة وليس مكيفيلي المبادئ^(١١٨) .

لقد عاد قباذ إلى العرش في ٤٩٨ م أو ٤٩٩ م^(١١٩) وهو يتذكر أيام السجن والتشرد والغربة ، ولهذا خشي من تكرارها فقلل من عطفه على الحركة وأخذ يبتعد عنها رويداً رويداً ثم أخذ يتحين الفرص للايقاع بها . وكان المنفذ لمؤامراته ولي عهده الحاقد على المزدكية السيئ الظن ، كسرى (الذي أصبح شاهاً باسم أنوشروان) وسبب حقه أن المزدكيين كانوا يفضلون كاؤوس أمير (بذ سخواركر - طبرستان)^(١٢٠) - الابن الأكبر لقباذ - وريثاً للعرش بدلاً من كسرى الابن الأصغر ، أما الابن الأوسط لقباذ - زام - فكان ذا عيب (أعور) يمنعه الدستور من جراء ذلك من تولي العرش .

لم يكن حقد كسرى المنصب على المزدكيين لوقوفهم ضد الارستقراطيين فحسب ، وإنما لترجيحهم أخاه عليه أيضاً ، لهذا هيا المؤامرة لضرب المزدكيين ولاسيما قادتهم ، وكان والده على علم بالمؤامرة ولاقت استحسانه وتشجيعه ودبرت المذبحة بخديعة دنيئة حيث دعي المزدكيون إلى مناظرة عام ٥٢٩^(١٢١) مع رجال الدين الزرادشت وأعلن قباذ بدوره طرح مسألة وراثة العرش ، وجرت المناقشة الدينية . وقد ساهم فيها الروحانيون الزرادشتيون وأعانهم الاساقفة المسيحيون^(١٢٢) . وتقول الروايات بأن المزدكيين دحروا في المناظرة وحين ذاك انقض الجند بعد إطلاق الإشارة من كسرى وجرت المذبحة الدموية وذهب ضحيتها آلاف المزدكيين « ٨٠ ألفاً »^(١٢٣) العزل ، بضمنهم مزدك نفسه ، ثم تلت تلك المذبحة الرهيبة تعقيبات مريعة استمرت حتى بعد وفاة الملك قباذ (٥٣١ م) وكانت أشدها عندما تسلم كسرى أنوشروان ،

الملك الحاقد ، العرش حيث دشن حكمه بمذابح هائلة بين الخازر والنهروان والمدائن^(١٢٤) ، ذهب ضحيتها عشرات بل مئات الألوف من الأنصار المخلصين . ولئن تيسر للسلطة الساسانية الاجهاز على القسم الكبير من المزدكيين فإن تعاليمهم الاجتماعية الثورية ظلت تتوهج في قلوب رواد الحرية وكانت الشعارات النيرة لثورات الفلاحين والسبيل القويم الذي سلكته الخرمية في نضالاتها وانتفاضاتها الفلاحية .

وأما تأثير الحركة في إيران نفسها فإنها أجهزت على العديد من الارستقراطيين - ملكي العبيد - ولهذا فإن كسرى انوشروان حينما أراد ، بعد توليه العرش ، مساعدة الارستقراطيين لعرشه ، وجدهم مبعثرين منهوكين ضعيفين . حين ذاك وزع أراضي الفلاحين المشاعية على ملاك جدد وقدم لهم الأموال وأعفاهم من الضرائب وبهذا ساعد على خلق وتقوية الارستقراطية الجديدة ، إلا وهي الارستقراطية المالكة للأراضي فجاءت تنظيماته المالية لفائدة الارستقراطيين ، وبهذا أبرزت تلك التنظيمات تطور علاقات الانتاج ووطدت العلاقات القطاعية والنظام القطاعي - الذي كان في بدء تكوينه - ، ولما كانت المزدكية نتيجة لأزمة عهد العبيد فقد لعبت دورها في عملية نشوء ونمو الطبقة القطاعية بقضائها على عدد كبير من ارستقراطيي العبيد . اننا اعتمدنا في تحليلنا المتقدم ، حول مساعدة أنوشروان في نمو ونشوء الطبقة القطاعية ، على ما أورده الطبري (وأمره بعيال ذوي الأحساب الذين مات قيمهم فكتبوا له فأنكح بناتهم الأكفاء وجعل جهازهم من بيت المال وأنكح شبانهم من بيوتات الأشراف وساق عنهم وأغناهم وأمرهم بملازمة بابه ليستعان به في أعماله... وأمر بكري الأنهار وحفر القنى وأسلاف أصحاب العمارات وتقويتهم)^(١٢٥) ، . ففي هذا نرى كيف أن أنوشروان ساعد على تمركز الارستقراطية المالكة للأراضي ، والنامية حديثاً ، من أجل أن يستعين بها أو كما يقال - كريستنسن - «وعلى هذا النحو ظفر كسرى الأول بطبقة جديدة من النبلاء خاضعة له»^(١٢٦) . ولكي يقربهم إليه أكثر ومن أجل تقويتهم أعفاهم من الضرائب ، فقد ذكر الطبري - كما أشرنا إلى ذلك قبلاً - «وألزمو الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتاب ومن كان في خدمة الملك»^(١٢٧) .

جـ - الخرمية

الخرمية:

الخرمية فرقة دينية متطورة عن المزدكية ، تؤمن بصراع الخير (اله النور) مع الشر (اله الظلمة)^(١٢٨) ، ذات برامج اجتماعية ثورية محدودة تدعو إلى توزيع الأراضي على الفلاحين وتعميم الاستفادة من المنافع العامة على الجميع وتحرير مركز المرأة من المكانة المتدنية التي وصلت إليها . وتدعو إلى مقاومة الظلم والاستغلال بالامتناع عن إطاعة الاقطاعيين والسلطة ورفض الضرائب . كان الفلاحون يشكلون الغالبية العظمى من منتسبيها . وقد عبرت الخرمية عن سخطها واحتجاجها على الظلم الصارخ بسلسلة من الانتفاضات العارمة امتد لهيبها من آذربيجان وأرمينيا وعبر إيران إلى ما وراء النهر حيث رددت أصداها هضاب البامير . ولما كان منتسبوها من بلدان مختلفة ، ولاستمرار فعاليتها سنين طويلة ، عدها المؤرخون والباحثون فرقا عديدة ، ولكنني أرى بأن الخرمية فرقة دينية واحدة احتوت على جماعات مختلفة بأسماء مختلفة (مبيضة ، محمرة ، بابكية... الخ) في بلدان متعددة لسنين طويلة ، لهذا التبس على المؤرخين والباحثين أمرها كما واختلفوا في أصل تسميتها^(١٢٩) كما اختلف المؤرخون في تسمية الجماعات المنظمة لفرقة الخرمية .

ولقد برزت قصائل الخرمية بنشاط محدود في أواخر العهد الأموي (١١٨هـ/ ٧٣٧م - أيام الدعوة العباسية - في عهد المسؤول عن الدعوة في خراسان ، عمار بن يزيد الذي سمى نفسه خدّاش)^(١٣٠) ، وازداد نشاط الخرمية وتوسعت فعاليتها في العصر العباسي الأول بسبب تخلي العباسيين عن وعودهم في تحسين أحوال البلاد الاقتصادية ، ولتطبيقهم أساليب جائزة قاسية في الاستغلال والتسلط . فأصبحت تعاليم الخرمية الغطاء الايديولوجي للثورات الشعبية . لقد اختلط الأمر على المؤرخين والباحثين في أصل تسمية الخرمية وفي الجماعات المنضمة إليها ، فالمسعودي لا يضبط أسماء الجماعات الخرمية حتى في مؤلفاته المختلفة ، ففي التنبيه والإشراف يسميهم (الكوذية منهم والكودشاهية)^(١٣١) وفي المروج كتب (وأكثر الخرمية في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - الكردكية واللودشاهية)^(١٣٢) . أما ابن النديم فيخلط

بين المزدكية والخرمية إذ اعتبرهما جميعاً خرمية معتبراً المزدكية الخرمية الأولى والبابكية الخرمية الثانية^(١٣٣) ، وقد شابه البغدادي في تعريفه للخرمية رأي ابن النديم حيث اعتبر المزدكية خرمية سابقة للإسلام والبابكية والمازيارية خرمية العهد الإسلامي^(١٣٤) ، وكذلك شابه الاسفرائيني في تعريفه للمزدكية والخرمية^(١٣٥) أقوال البغدادي . هذا الخلط أوهم البقية وأوقعهم في ارتباك لا يميزون فيه بين المزدكية والخرمية . وقد اعتبر المقدسي الخرمية فرقاً وأصنافاً^(١٣٦) . هنالك رأي حول اسم خرم يرجع التسمية إلى زوجة مزدك خورامه ابنة فاده ، فلقد ورد لدى الوزير نظام الملك (١٠٩٢ م) في كتابه (سياست نامه) «إن زوجة مزدك خورامه ابنة فاده هربت مع اثنين من المدائن وظهرت في منطقة الري ودعت الناس إلى تعاليم زوجها وانتمى مختلف الناس إلى هذه العقيدة وسماهم الناس (الخرم دينين)»^(١٣٧) ، وقد ردد هذه المقولة غير قليل من الكتاب المحدثين^(١٣٨) ، ان انفراد نظام الملك بهذه الرواية يدعو إلى الشك بها وإلى صعوبة الاعتماد عليه ، ولهذا فلا يمكن التصديق بأن الخرمية جاءت من خورامه وأن المزدكية تسمى خرمية تبعاً لخورامه ، ولاشك أن هذا الخلط جاء بتأثير تسمية ابن النديم والبغدادي والاسفرائيني للمزدكية بالخرمية الأولى . وأما الشهرستاني فإنه حينما يتكلم عن المزدكية يذكر الجماعات الخرمية الموجودة في العصر العباسي كفرق لها مع العلم بأن المزدكية كانت موجودة في العصر الساساني فقط ، فقد كتب عن المزدكية «وهم فرق : الكوزية وأبو مسلمية والمাহانية والاسبيدجامكية (المبيضة) والكوزية بنواحي الاهواز وفارس وشهورزور والآخر بنواحي سفد سمرقند والشاش وايلاق»^(١٣٩) ، ولاندري لماذا اعتبر ياكوبفسكي أن الشهرستاني عني بقوله هذا انقسام الخرمية إلى هذه الفرق^(١٤٠) ، ان الشهرستاني لم يتطرق هنا إلى الخرمية وإنما هو يخلط بين المزدكية والخرمية إذ أنه لم يذكر الخرمية هنا إطلاقاً ، لقد ورد ذكر الخرمية لدى الشهرستاني عند كلامه عن فرقة الهاشمية والتي هي إحدى فرق الكيسانية . لقد ذكر الشهرستاني عن الهاشمية «وعنه نشأت الخرمية والمزدكية في العراق»^(١٤١) ونلاحظ هنا عدم تمييز الشهرستاني للفرق بين المزدكية والخرمية فقد اعتبرهما خطأ قد نشأتا عن الهاشمية . ويرى السمعاني أن الخرمية يحللون الخمرة والنساء^(١٤٢) ويعتبر ابن الجوزي كلمة خرم لفظ أعجمي ينبي

عن الشيء المستلذ المستطاب الذي يرتاح الإنسان له ، وإن الخرمية لقب للمزدكية^(١٤٣) ، وينفرد ابن الأثير - في الكامل - فيذكر أن : « معنى خرم فرج وهي مقالات المجوس والرجل منهم ينكح أمه وأخته وابنته ولهذا يسمونه دين الفرج »(*) ، ولا شك أن كلمة فرج وصلت إلى ابن الأثير محرفة إلى فرج مما اضطره إلى أن يخلط بين الخرمية والزراشتية الذين كانوا يبيحون زواج المحارم ويعتقد ابن خلدون أن خرم معناه فرج ، وأنهم كانوا يعتقدون مذاهب المجوس^(١٤٤) . نجد ترديد هذه الأقوال لدى الكثيرين من المتأخرين ، والتي هي محاولة لوصل الفرقة بالإباحة والاستهتار . لقد كان العالم الألماني فلوكل أول مستشرق استخدم أقوال ابن النديم والأقوال السابقة لتفسير كلمة خرم بمعنى (ماجن ، مرج ، بدون حياء ، مستهتر)^(١٤٥) ويرى ولهاوزن أن الخرمية ليست فرقة وإنما ميلاً إباحياً عاماً^(١٤٦) ، بينما يرى فان فلوتن أن ترجمة مصطلح خرم كـ (ملتذ) أعطى مبرراً للكلام عن الخرمية كحملة دين جديد وإظهارهم على أنهم لا يعرفون (كذا) أي دين آخر غير دين اللذة^(١٤٧) . لقد رد مولر على تفسير فلوكل لكلمة (خرم) المنقولة عن الفارسية (فرج) بأنه لا يعدو نكتة مدرسية^(١٤٨) . ويرد الدوري - معتمداً على آراء صديقي - على أقوال ولهاوزن التي تنكر وجود فرقة خرمية ، فيذكر الدوري أن آراء صديقي أظهرت أن الخرمية فرقة دينية ترجع مبادئها إلى (مزدك) الإباحي (كذا) ثم حصل فيه تطور بمرور الزمن وأنهم اتخذوا لأنفسهم لقب (خرم دينان) أو أهل الدين الفرج^(١٤٩) (كذا) . إن آراء صديقي التي يتفق معها الدوري هي ترديد لأقوال ابن خلدون وغيره ، أما كون الخرمية فرقة دينية فقد ذكر الطبري عن خدش أنه أظهر دين الخرمية .

لقد أوضح مارغليوث أنه لا يرجح تفسير السمعاني لكلمة خرم بمعنى الرضا^(١٥٠) كما وأن جوزي يردد أقوال مولر ومارغليوث في الرد على الذين يعتبرون (خرم) تعني الفرج واللذة^(١٥١) ، ويرى بونياتوف أن في الرواية التي تربط اسم خرم بالإباحة يسترعي النظر ضيق الأفق العلمي والسياسي والتحيز الطبقي للمؤلفين الاقطاعيين والبرجوازيين^(١٥٢) . وقد أوضح بونياتوف - مستخدماً أقوال تومارا -^(١٥٣)

صعوبة اعتبار الخرميين المكافحين كفاحاً بطولياً لمدة عشرين عاماً جمهوراً من المرحين جداً... لأن أية حركة تحررية ترافق بالسكر والمجون يكتب لها الفشل مسبقاً^(١٥٤). ولا شك أن محاولة وصم الخرمية بالإباحية والاستهتار هي بدافع تشويه جوهرها الكفاحي البطولي .

هنالك رواية ثالثة حول أصل تسمية الخرمية ترجع ذلك إلى اسم منطقة في أذربيجان غير بعيدة عن أربيل وقد وردت أقوال المسعودي^(١٥٥) وياقوت الحموي^(١٥٦) وصادق الأصفهاني^(١٥٧) في ذلك . ومولر في معرض رده على فلوكل يرجح هذه الرواية^(١٥٨) كما أن مارغليوث يرجح هذه الرواية على تفسير السمعاني^(١٥٩) ، وتجد ترديدها لدى فان فلوطن^(١٦٠) ، وحتى^(١٦١) ، وجوزي^(١٦٢) ، وقد أخذ بها أيضاً سيل^(١٦٣) وشريف^(١٦٤) ، ومصطفى شاكر^(١٦٥) . ويرى بونيياتوف أنه لا يستبعد قبول مثل هذا التفسير لمنشأ اسم خرم لو لم تعترضه روايات وآراء مؤرخين أخرى^(١٦٦) . ولا شك أن هذه الرواية هي أقربها جميعاً للقبول . ولبونيياتوف اقتراح : بعد رفضه لآراء الفئات الثلاث ، فإنه يعتبر أصل منشأ كلمة خرم من النار فهو يقول : « من غير أن نمس هنا المشكلة المستقلة والمعقدة عن علاقات ايدولوجية المزدكيين والخرميين بعبادة النار (الزردشتية ، المزدية) ، نقترح تحليلاً لمصطلح خرم على أساس مفهوم (النار) ، في اللغتين الفارسية والأرمنية خور تعني شمساً في الأولى وناراً في الثانية (النار التي لا ترى ولا تمس) »^(١٦٧) . لكن هذا التحليل الممتع الجديد لانحدار كلمة خرم من النار وربط العلاقة بين التسمية وعبادة النار وإن كان لا يحتمل الشك إلا أنه ليس من الميسور الأخذ به ، لأنه قد يجرنا لان ندعو كثيراً من عبدة النار خرمية بدلاً من مزدية وزردشتية وبارسية وغيرها .

بالرغم من اطلاق اسم الخرمية على منتسبي الفرقة من قبل المؤرخين فإن هنالك من لا يزال يسميهم بغير هذه التسمية ، فكريستنسن حينما يتكلم عن المزدكية يذكر بأنها عاشت سرية في العهد الساساني ثم عادت للظهور من جديد في العصور الإسلامية^(١٦٨) ، ويطلق كريمسكي عليهم اسم المزدكية^(١٦٩) وعلى هذا المنوال يسمي سمينوف الخرمية باسم المزدكية الجديدة^(١٧٠) وكذلك يسميهم نفيسي بالمزدكية الجديدة^(١٧١) بالإضافة إلى تسميتهم بالخرمية . إن هذه التسمية لا يمكن اعتبارها

مضبوطة لان الخرمية فرقة متطورة عن المزدكية متأثرة بالوضع الجديد (المحيط الإسلامي) .

ويرى شريف أن الخرمية نشأت بعد مقتل أبي مسلم وتسمى أيضاً بالمسلمية ، ويمكن إرجاع تسميتها إلى قرية قرب اردبيل^(١٧٢) ، وكذلك اعتبر حتي ظهور الخرمية بعد مقتل أبي مسلم ، هي طائفة منسوبة إلى بقعة في فارس^(١٧٣) . ولا بد أن شريف وحتى قد تأثراً بقول براون « أن الثورات التي قامت في إيران والتي قادها مدعو النبوة من سبأذ المجوسي (٧٥٤ - ٥٥٥م) واستاذسينز (٧٦٦ - ٦٨م) ويوسف البرم المقنع (٧٧٧ - ٨٠م) وعلي مزدك (٨٣٣م) وبابك الخرمي (٨١٦ - ٨٣٨م) كانت على (الأغلب) مرتبطة بذكرى أبي مسلم »^(١٧٤) ، ومن المحتمل أيضاً أنهما تأثرا برأي صديقي « لاشك أن الخرمية جميعاً اعتبروه (أبا مسلم) كرئيس ديني »^(١٧٥) ، لكن الخرمية كما شاهدنا من أقوال الطبري (عن خدّاش) وغيره موجودة في العصر الأموي ونشطت خلال العصر العباسي ، وقد أشار إلى ذلك لويس^(١٧٦) والدوري^(١٧٧) . فالخرمية سابقة لفترة رئاسة أبي مسلم للدعوة العباسية في إيران ، أما أن الحركات الخرمية في العصر العباسي الأول قد تأثرت لحد ما بدعايته^(١٧٨) ، وترك مقتله انطباعاً سلباً وخيبة أمل لدى الجماهير الناشدة تحسين أوضاعها الاقتصادية من قبل العباسيين فهذا أمر لا يحتمل الشك ، ولكن لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار مقتل أبي مسلم سبباً لظهور الخرمية إذ أن لهذه الفرقة برامج اجتماعية كانت تنشد تحقيقها . ولما ظهر زيف ادعاءات الخلفاء العباسيين وتنكرهم لمطالب الجماهير التي ساعدتهم في القيام بالدعوة ، وتحقق ذلك بمقتل أبي مسلم ، نشطت الانتفاضات الجماهيرية التي لعب الخرميون الدور البارز في تحريكها وقيادتها والمساهمة فيها لا يستبعد استخدامهم لاسم أبي مسلم .

وجهت للخرمية تهمة الإباحة والمجون ولاشك أن تدقيق أقوال المؤرخين يوصلنا إلى أنه في إطلاقهم هذه التهمة لم يكونوا متأكدين تمام التأكد . فالمقدسي ، وقد زار مناطق الخرمية وناقشهم في مختلف القضايا ، يقول : « ومن شاهدنا منهم في ديارهم ماسبذان ومهرجان قدق فانا وجدناهم في غاية التحري للنظافة والطهارة والتقرب إلى الناس بالملاطفة بتقديم الصنعة ووجدنا منهم من يقول بإباحة النساء على الرضا منهم

وإباحة كل ما يستلذ النفس وينزع إليه الطبع ما لم يعد على أحد بضرر^(١٧٨) .
 فالمقدسي ذكر « ووجدنا منهم من يقول » ولم يذكر المقدسي بأنه وجدهم يستبيحون
 النساء وإنما وجد منهم (ومنهم تدل على قسم منهم) هذا القسم يقول بإباحة النساء
 وعلى الرضا منهن ، يخيل لي أن المقدسي لم يلمس أو يتأكد من التهمة التي أطلقها
 ويطلقها المؤرخون السابقون والمعاصرون له ، ولهذا لم يستطع نفيها في وسط ذلك
 الجو المحموم بالحقد والكراهية للخرمية وإلا عد مدافعاً عنهم ، ولهذا جعل كلامه مبهماً
 ويحتمل الشك بقوله (ووجدنا منهم من يقول) ، إن هذه المحنة التي وقع فيها
 المقدسي ، المطهر بن طاهر ، من جراء ترديده لأقوال أبي المنصور البغدادي ولأقوال
 أبي المطهر الاسفرائيني وغيرهما ، وقع فيها - المحنة - ابن الجوزي ، أبو الفرج ، ففي
 محاولة منه لطنع البابكية في سلوكهم وأخلاقهم ، مردداً لافتراءات ابن النديم
 والبغدادي والاسفرائيني ، لم يستطع تأكيد قوله ، ولهذا جاءت مقولته تحتل الشك
 ومن ثم تكشف عن مقدار الجهد المبذول لاختلاق المثالب . لقد كتب أبو الفرج عن
 البابكيين (فقد بقي من البابكية جماعة يقال أن لهم ليلة في السنة ، تجتمع فيه رجالهم
 ونساؤهم ويطفنون السرج يتناهبون للنساء فيشب كل رجل منهم إلى امرأة)^(١٨٠) .
 إن ابن الجوزي في ترديده لأقوال من سبقه في هذه الفرية لم يجد دليلاً واحداً على
 حدوث الإباحة حتى ولو مرة واحدة في السنة ، فلو كان قد عثر على دليل واحد
 لأطلق التهمة صراحة دون لبس أو إبهام - إن جملة ، يقال إن لهم ليلة في السنة ،
 لدليل على بطلان هذه التهمة لأن ابن الجوزي ، وهو من أشد المؤرخين عداء وبغضاً
 لهم ، لم يستطع الجزم بهذا المنكر . إن كلمة يقال تدل على احتمال وقوع الشيء أو
 عدم حدوثه ، أي تدل على عدم التأكد .

لقد كان الخرميون يحترمون حرية الاعتقاد ويكرهون سفك الدماء إلا إذا اجبروا
 على القتال ، كما وأنهم كانوا ميالين لجعل المنافع العامة مشتركة ما لم تسبب ضرراً
 على الآخرين هذا ما يشهد به زائر مناطقهم ، المقدسي ، المطهر (وكل ذي دين
 مصيب عندهم إذا كان راجي ثواب وخاشي عقاب ولا يرون تهجينه والتخطي إليه
 بالمكروه ما لم يرد كيد ملتهم وخسف مذهبهم ويتجنبون الدماء جداً إلا عند عقد راية
 الخلاف)^(١٨١) .

لقد سعت الخرمية إلى تحقيق المساواة وتعميم الاستفادة من المنافع العامة وتحرير مركز المرأة ، لذا واجهت قوى عديدة وقفت ضد تحقيق برامجها ، فالسلطة العربية (في العصر الأموي) والاستقرابية القبلية العربية (باستثناء العائلة العباسية) وقفت ضدهم والسلطة العربية والاستقرابية العربية والمحلية (في العصر العباسي) والفقهاء المسلمون ورجال الدين الزرادشتيون وقفوا ضد الخرمية لبرامجها الاجتماعية . ولما كانت غالبية الخرمية من الفلاحين - ذكر المسعودي عنهم : وأكثر هؤلاء في القرى والضياع^(١٨٢) ، لهذا شغلت قضية الأرض المركز الأول في اهتمام الخرميين فكانوا يحررون الأرض من الاقطاعيين ليزرعها الفلاحون مشاعاً ، وكثيراً ما كانوا يؤلبون الفلاحين على سادتهم كما أخبرنا الطبري عن المازيار : وأمر أكرة الضياع بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاك أموالهم^(١٨٣) . ويحرضون جماعاتهم على عدم الخضوع لسلطة الخلافة والامتناع عن دفع الضرائب .

لقد ناصبت الزرادشتية - كما شاهدنا - المزدكية العداء السافر وفي العهد الإسلامية وجهت الزرادشتية عداءها ضد الخرمية وريثة المزدكية . ومع أنه لم يبق للزرادشتية من شأن يذكر في الحياة السياسية إلا أنه بقي لها النفوذ العقائدي وسط الذميين الإيرانيين ، أما الإسلام - وكان يمثل (بالنسبة للخرميين) رجال السلطة ومن التف حولهم من الملاكين المحليين الذين انتقلوا من الزرادشتية إلى الإسلام واعتنقوا مذهب الدولة السني^(١٨٤) ، لأن الخوارج والشيعة مذهب إسلامية مناهضة لسلطة الخلافة ، وكان الخرميون بدورهم ضد الزرادشتيين وضد المسلمين ، وكان الإسلام بالنسبة للثائرين دين الطبقة السائدة ، فكان اعتناق الثائرين للخرمية من سبيل المعارضة الثورية . لقد بين انكلز في تحليله الرائع لنضال الطبقات في القرون الوسطى عند دراسته لحرب الفلاحين في المانية بأن المعارضة الثورية كانت تتخذ أشكالاً مختلفة ، حيث كتب : «لقد استمرت المعارضة الثورية للاقطاع طيلة القرون الوسطى فقد اتخذت ، تبعاً للظروف الزمنية ، أشكالاً مختلفة ، فمرة كانت تتخذ مظهراً دينياً وأخرى شكل هرطقة مكشوفة وتارة تقوم بشكل انتفاضة مسلحة»^(١٨٥) . فكانت الخرمية الإطار الايديولوجي للمناهضة الثورية ضد الطبقة السائدة وضد السلطة لان النزاع بين الخرمية وسلطة الخلافة كان بسبب تفاقم الجور والظلم والاستغلال الطبقي

والحكومي وقد أشار إلى ذلك بارتولد حيث ذكر بأن النزاع يخفي تحته مسألة الأرض^(١٨٦) . ونعتقد بأن الخرمية كانت مناهضة للسلطة الإسلامية وليست ضد الدين الإسلامي كدين لأن الخرميين كانوا يعتقدون بحرية الأديان « وقد بنوا في جبلهم مساجد للمسلمين يؤذن فيها المسلمون وهم يعلمون أولادهم القرآن »^(١٨٧) . واعترف المقدسي ، المطهر بن طاهر ، باحترام الخرميين لأصحاب الأديان^(١٨٨) . لكن غالبية المؤرخين والفقهاء المسلمين اعتبروا الخرمية تريد الكيد للدين الإسلامي وتسعى إلى تحطيمه ، فالبيروني يقول عن المقنع إنه شرع لاتباعه (جميع ما أتى به مزدك) ، ويقول أبو الفرج ابن الجوزي (إن الثنوية والمجوس أرادوا إرجاع ممالكهم وإبطال الإسلام)^(١٨٩) ، ويقول المقرئ عن الإيرانيين : إنهم راموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى^(١٩٠) . ولا شك أن انعدام امكانية معرفة الأسباب الاجتماعية والاقتصادية للحركات الثورية في ذلك العصر - وهذا طبيعي لمفكري ومؤرخي تلك الحقبة - بالإضافة إلى خوف المؤرخين من بطش الحكام والتفاف قسم من المؤرخين حول السلطة ولسيادة الأفكار الرجعية والانحدار بعض المؤرخين والفقهاء الطبقي ، كل ذلك جعلهم يقفون ضد الحركة الخرمية . لقد سلكت جماهير الشعب المستقلة دروباً عديدة في سبيل تخلصها من الجور والاستغلال والاستبداد ، فالموالي لجأوا إلى الأحزاب والمذاهب الإسلامية الثائرة كالخوارج والشيعة^(١٩١) ، وإلى بقية الجماعات المنتفضة ، راجية تخفيف الظلم والاضطهاد عنها . ولما كانت مناهج تلك الأحزاب - حتى العصر العباسي الأول - خالية من معالجة القضايا الاقتصادية ، نفضت الجماهير الشعبية أيديها من تلك الأحزاب وانسحبت منها لتنضم إلى الدعوة العباسية المحتوية على وعود لحل المشاكل الاجتماعية وتخفيف الضائقة الاقتصادية . ولكن تنكر العباسيين لمطالب القاعدة الاجتماعية التي اعتمدوا عليها ، بعد بلوغهم السلطة دفع تلك الجماهير لأن تقف ضد السلطة العباسية فالتجأت غالبيتها إلى الخرمية لتلتمس لديها السلاح الفكري^(١٩٢) لنضالها ، ولما كانت غالبية المنتهين للخرمية من الفلاحين والعبيد وشغيلة المدن والرعاة فقد أثار هذا مخاوف الفقهاء ورجال الدين لأنها أخذت تجذب إليها الطبقات المستغلة وهم أغلبية أبناء الشعب ، لهذا صبوا جام غضبهم على هذه الفرقة ونعتوها بالإباحة والفسق وتبادل الزوجات وإحلال المحرمات . إن تهمة الإباحة ، التي ألصقت من قبل

بالمزدكية ، باطلة ومحاولة لتشويه احترام الخرميين لمركز المرأة المتدني ومنحها بعضاً من الحرية . إن أحداً منهم لم يتطرق إلى النخاسة التي كانت تهيب الفسق والفجور والدعارة حيث كانت تمد الأغنياء المترفين بعشرات بل مئات وأحياناً ألوف الجواري اللواتي أوقعهن سوء طالعهن بأيدي النخاسين ، وكان للمالك حق التمتع بجواريه إضافة إلى نسائه . إننا نجد حتى اليوم من يمتدح الرق في ذلك العصر^(١٩٣) . وأما مطالبة الخرميين بالعدالة في توزيع النساء ومنح المرأة الحرية في اختيار الزوج فقد اعتبرت من قبل خصوم الخرمية دعارة وإباحة ، وشيبه بهذا ما لاحظته لويس بالنسبة للحرية التي منحت للنساء الاسماعيليات حيث قال « وربما كانت هذه الحرية النسبية للنساء الاسماعيليات هي التي تمثلت لأعين أهل السنة المتعصبين دعارة محضة^(١٩٤) » . لقد بنى العلماء والفقهاء والمؤرخون أقوالهم على ما سمعوه من أن لدى الخرميين (البابكيين) ليلة في السنة يجتمعون فيها على الخمر والزمر ثم يطفئون الضوء ويذهب كل إلى امرأة ، هذا القول المروي دون جزم حتى لو فرض حدوثه مرة واحدة في السنة فإن ذلك ينفي صفة الإباحة والدعر ، أما الفسق بالجواري المتكرر يومياً فذلك شأن آخر!! لقد كان هؤلاء المؤرخون (وعاظ السلاطين)^(١٩٥) يجارون السلطة الحاكمة على كل حرية ، يلصقون التهم جزافاً ، ويبعيد الباحثون (البرجوازيون) التهم نفسها على كل حركة اجتماعية (شيوعية حسب مفاهيمهم) لغرض الطعن بالشيوعية العلمية (الواقعية)^(١٩٦) . فمولر يعتبر مشاعية الخرمية للزوجات النظرية الأساسية للشيوعية^(١٩٧) ويتصور ولها وزن أن شيوعية الزوجات التي كان دعا إليها مزدك (كذا!) قد أحيיתה الخرمية والراوندية^(١٩٨) ، وأما بروكلمان فيكتب بصورة المتأكد من أن خرمية جرجان أحييت العقائد الشيوعية المزدكية^(١٩٩) . وصديقي بعد أن يرجع الخرمية إلى مزدك الاباحي يذكر عنهم أنهم بقوا يقولون باشتراكية النساء برضاهن^(٢٠٠) وتجد ترديد قول صديقي لدى الدوري كثيراً^(٢٠١) . وتجد لدى شريف^(٢٠٢) ، ومصطفى شاكر^(٢٠٣) ، وحسن ، حسن ابراهيم^(٢٠٤) والشلبي^(٢٠٥) ، والمؤرخين الارمنيين ليو^(٢٠٦) ومنانديان^(٢٠٧) ترديد أقوال المشاعية في الزوجات والشيوعية القديمة . ويشير بارتولد إلى أن الطبقات المعدمة القاطنة في جهات من منطقة اصفهان ظهر فيها حتى في العهد الإسلامي - ولكن باسم آخر - مذهب الشيوعية الذي كان في عصر الساسانيين^(٢٠٨) .

الفعاليات والانتفاضات الخرمية:

قامت الشعوب المضطهدة ، في العصر الأموي بفعاليات وانتفاضات مختلفة ضد السلطة . لقد قامت بانتفاضاتها المحلية كما في ارمينيا وآذربيجان والتي ساهم فيها الارستقراطيون المحليون ، كما وساهمت الشعوب في انتفاضات وثورات قامت بها أحزاب وجماعات عربية ، مع الخوارج والشيعة وفي الدعوة العباسية ومع المختار وابن الاشعث والحارث ابن سريج وغيرهم . لقد ساهم الخرميون كافراد ولم يكن لهم الدور القيادي لأن الاستياء كان شاملاً غالبية سكان البلدان المحتلة ، فالارستقراطية المحلية وإن تحالفت^(٢٠٩) - مؤقتاً - مع السادة العرب ، إلا أنها كانت تتضايق من سيطرة السلطة العربية وتتحين الفرص للانتفاض على الخلافة في أمل استعادة كامل نفوذها السابق^(٢١٠) وتوسيع استغلالها للطبقات المستغلة^(٢١١) التي دونها ، ولهذا فإن النضال في العهد الأموي لم تبرز أو تتميز فيه الصفات الطبقية - كما سنشاهد في العصر العباسي - لان الارستقراطيين المحليين ساهموا في انتفاضات الفلاحين والطبقات المستغلة الأخرى^(٢١٢) ، لهذا كان دور الخرمية في القيادة والتوجيه ضعيفاً إن لم نقل معدوماً لأن التناقض البارز كان بين الشعب المحتل كمجموع والسلطة العربية والارستقراطية القبلية العربية .

لقد نشأت بين الارستقراطية القبلية العربية اختلافات ومنازعات حول السلطة ، وكانت هنالك أحزاب ومذاهب وجماعات^(٢١٣) رفعت ألوية الكفاح بوجه السلطة فكانت هذه ملاذاً للمضطهدين الذين كافحوا تحت رايتها ، وطبيعي أن تأثير الخرمية كان ضعيفاً في تلك القيادات . لقد كان الخرميون يعملون سراً لتهيئة الظروف المناسب فكانوا ينشرون مبادئهم العامة ، ولما نالت تلك التعاليم الانتشار استغلت من قبل دعاة الدعوة العباسية (عمار بن يزيد - خدّاش مثلاً)^(٢١٤) ، وقد لاحظ ولهاوزن أن خدّاش أراد الاستفادة من تغلغل دعاية الخرميين وسط الجماهير^(٢١٥) ، والدوري في اعتماده على نظام الملك وبراون ولهاوزن وصديقي^(٢١٦) ، يلاحظ بأن الدعوة العباسية التي استغلت الخرمية وأدخلتها في صفوفها هي التي فسحت لها المجال في الظهور^(٢١٧) . ولما تنكر العباسيون لمطالب الشعب وأهملوا الوعود التي نادوا بها أبان دعوتهم ، لمست الجماهير مبلغ الاساءة الموجهة إليها بازدرائها وخداعها ، كما وازداد

الجور على المعدمين بتقريب الارستقراطيين الايرانيين ، الذين ذهبوا بعيداً في التعاون مع السادة الجدد ، وهذا ما وسع هوة الخلاف بين الارستقراطيين المحليين والجماهير الشعبية . لهذا حصل استقطاب من السلطة العباسية والارستقراطيين العرب والمحليين من جهة^(٢١٨) والجماهير المستغلة من فلاحين وعبيد وحرفيين وكسبة وقبائل رحل من جهة ثانية ، وفي هذا الوسط برز الخرميون كقادة موجّهين للانتفاضات ، وأصبحت تعاليمهم ومعتقداتهم الاطار الايديولوجي للانتفاضات التي سادت العصر العباسي الأول .

١- حركة سنباذ^(٢١٩) :

قامت هذه الحركة الشعبية تحت قيادة سنباذ في خراسان وشمال ايران وغربها في ١٣٧ هـ / ٧٥٤ م^(٢٢٠) ، وهي حركة جماهيرية فلاحية ساخطة على الجور والظلم . وكانت الغالبية العظمى من أتباعه ، كما يخبرنا الطبري^(٢٢١) وابن طباطبا^(٢٢٢) ، من أهل الجبال ، وهي المناطق التي يقطنها الخرميون ، وقد أشار المسعودي إلى ذلك (فاجتمعت الخرمية - حيث علمت بقتل ابي مسلم - بخراسان فخرج فيهم رجل يقال له سنفاذ من نيسابور يطالب بدم ابي مسلم...) ^(٢٢٣) ، والمسعودي هنا يتصور بأن السبب الرئيسي لقيام الخرميين هو مقتل ابي مسلم ، ولكن مصرع ابي مسلم كان أحد الأدلة على تنكر العباسيين لمطالب الشعب . وقد استطاعت الانتفاضة أن تستحوذ على منطقة واسعة من خراسان وامتدت إلى منطقة الجبال في غربي ايران^(٢٢٤) واستولت على مدن رئيسة مهمة كنيسابور وقومس والري ، ولكن الخليفة أبو جعفر المنصور - ثاني خلفاء بني العباس - وقد شعر بجسامة خطر هذه الانتفاضة - أرسل جيشاً لجبا بقيادة جهور بن مرار العجلي والتقى الجيشان على طرف المفازة^(٢٢٥) بين همذان والري حيث قتل ٦٠ ألفاً من المنتفضين وفر سنباذ مع البقية ، ولكنه قتل بين همذان والري . ويرى ابن خلدون أن بعض عمال صاحب طبرستان قتل سنباذاً حينما لحق بطبرستان^(٢٢٦) ، وهذا يدل - إن صح قول ابن خلدون - على تعاون الارستقراطيين المحليين مع السلطة ضد المنتفضين . وقد دامت الانتفاضة ٧٠ يوماً^(٢٢٧) .

٢- حركة استاذسييس:

قامت في (١٤٩ هـ/ ٧٦٦ م) شرق الخلافة (خراسان) حركة جماهيرية واسعة (عداتها ٣٠٠ ألف مقاتل)^(٢٢٨) بقيادة استاذسييس^(٢٢٩)، معلنة سخطها واستياءها من جور السلطة واستبدادها، وقد جردت الخلافة عليها حملة - بقيادة عسكري ماهر هو خازم بن خزيمه (يذكر ابن خلدون أنه كان مع خزيمه ٢٠ ألفاً)^(٢٣٠) - لم تستطع كسب النصر إلا بعد جهد، بعد أن قتل من جماعة استاذسييس^(٢٣١) ٧٠ ألفاً (يعدهم المقدسي ٩٠ ألفاً)^(٢٣٢) وأسر منهم ١٤ ألفاً^(٢٣٣) (قتلوا جميعاً بعد الأسر) ثم استسلمت بقايا جيش الانتفاضة، الملتجئة إلى الجبل، مع قائدها وأخذوا أسرى وكانوا ٣٠ ألفاً^(٢٣٤) ثم أطلق سراحهم بعد إعدام قائدهم استاذسييس.

٣- حركة يوسف بن ابراهيم البرم^(٢٣٥):

التهبت في خراسان انتفاضة جديدة بعد مضي ١٠ سنوات من اخماد انتفاضة استاذسييس، ففي عام ١٦٠ هـ/ ٧٧٦ م^(٢٣٦) في خلافة المهدي بن المنصور، قاد يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرم انتفاضة عارمة تطالب بالمساواة والعدل^(٢٣٧)، وجسامة خطر الانتفاضة طلب الخليفة من قائده يزيد بن مزيد الشيباني - والذي كان في حرب مع يحيى الشاري، أن ينعطف^(٢٣٨) على حرب يوسف البرم. وقد تيسر ليزيد التغلب على يوسف وجماعته فأسر يوسف وأرسله إلى الخليفة الذي أعدمه مع جماعته.

■ - انتفاضة المقنع^(٢٣٩):

التهبت في خراسان (١٦٠ هـ/ ٧٧٦ م)^(٢٤٠) انتفاضة فلاحية شعبية امتد لهيبتها إلى ما وراء النهر حيث أخدمت هناك (عام ١٦٣ هـ/ ٧٧٩ م)^(٢٤١) وتعرف باسم قائدها هاشم بن حكيم المقنع^(٢٤٢) (كان يضع قناعاً على وجهه، ويرى لويس بأن اعداءه يقولون ليستر قبحه وجماعته يقولون ليحجب النور الذي يشع منه)^(٢٤٣)، وقد انحدر هذا القائد من الحرفيين حيث كان قصاراً للثياب^(٢٤٤)، وقد قاد انتفاضة شعبية بدأت في خراسان ثم انتقلت إلى ما وراء النهر حيث تركزت في مدينة كش^(٢٤٥)، وكان لشمول برامج الانتفاضة على حلول أوسع من سابقتها لمشاكل الجماهير المستغلة أثر

في خطورتها وسعتها وطول مقاومتها^(٢٤٦) . ويمكننا تقدير شدة خطورتها من الحملة القوية الموجهة ضدها ومن الاتهامات الخطيرة التي اتهمت بها والتي ذكرنا سابقاً طرفاً منها ، وأقلها الإباحة المزدكية^(٢٤٧) .

ولم تضم الانتفاضة خرمية ايران وما وراء النهر (تعرف خرمية ما وراء النهر بالمبيضة^(٢٤٨) ذوي الاردية والاعلام البيض) فحسب ، ولكن ضمت رحل الأتراك أيضاً^(٢٤٩) . وكانت تسعى للتحرر ونزع الأرض من الاقطاعيين الموسرين وتسليمها للمشاعية الزراعية داعية للعدالة وتعميم الاستفادة من الممتلكات والمنافع العامة . لذا كانت أهدافها تشكل خطراً جسيماً على الاقطاعيين وعلى سلطة الخلافة ، فما كان من الخلافة - وقد لمست حقيقة الأخطار من هذه الانتفاضة - إلا أن تجرد عليها حملة واسعة بقيادة سعيد الحرشي^(٢٥٠) ، بعد فشل قادة سابقين ، وتيسر لسعيد محاصرة المقنع في قلعه قرب كش . وقد انتهت حياة القائد وعائلته وبعض رجاله المخلصين بالانتحار^(٢٥١) ، وقد ظلت صورة الدفاع البطولي خالدة في أذهان جماهير ما وراء النهر عدة قرون^(٢٥٢) .

٥- انتفاضة جرجان^(٢٥٣)

قامت جماهير جرجان المجاورة لما وراء النهر وخراسان ، بانتفاضة عارمة (١٦٢ هـ/ ٧٧٨م) أيام كانت الانتفاضة المقنعية مستعرة في ما وراء النهر ، وغالبية المساهمين في انتفاضة جرجان من الفلاحين ، من الخرمية المعروفين بالحمرة لارتدائهم الاردية الحمرة واتخاذهم اللون الأحمر شعاراً لهم ، وهذه هي المرة الأولى التي تستخدم فيها جماهير الشعب الفلاحية اللون الأحمر في انتفاضها ضد الاقطاع^(٢٥٤) قاد هذه الانتفاضة شخص يدعى عبد القهار الذي استطاع أن يحرر جرجان^(٢٥٥) ، فما كان من الخليفة إلا أن طلب^(٢٥٦) من قائده عمرو بن العلاء ، الذي كان في طبرستان ، أن يغزو جرجان ويقضي على تلك الانتفاضة التي شملت تلك البلاد . فغزا عمرو بن العلاء جرجان من طبرستان وقضى على الانتفاضة وقتل عبد القهار وجماعته . يتفق الدينوري واليعقوبي والطبري وابن الاثير وأبو الفداء على أن خروج الحمرة كان في (عام ١٦٢ هـ/ ٧٧٨م) جرجان ، ويخالفهم المقدسي إذ يعتبر الحوادث في خراسان ويسمي

قائدهم باسم عبد الوهاب^(٢٥٧) . ويخطئ بروكلمان حينما يعتبر قيام المحمرة في عهد الرشيد^(٢٥٨) .

٦- انتفاضة خرمية اذربيجان:

وفي أيام الرشيد (عام ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م)^(٢٥٩) انتفض خرميو اذربيجان بوجه السلطة فأرسل الخليفة هارون الرشيد جيشاً تعداده ١٠ آلاف فارس^(٢٦٠) بقيادة عبد الله بن مالك وقد استطاع عبد الله أن يدحر الخرميين ويسوق الأسرى إلى قرميسين^(٢٦١) (كرمنشاه) حيث كان الخليفة يستجم هناك ، فأمر الخليفة بقتل الأسرى وبيع السبي ، ويقدر المقدسي عدد الذين قتلوا في المعركة بحوالي ٣٠ ألفاً^(٢٦٢) . هذه هي أهم الانتفاضات السابقة لانتفاضة البابكية ، وهناك رواية ينفرد بها ابن النديم عن رجل اسمه اسحاق الترك ذكر عنه انه كان من أهل ما وراء النهر وظهر في خرمية ما وراء النهر ، كما ويذكر عنه أنه ربما كان داعية لأبي مسلم دخل بلاد ما وراء النهر فسمي بالترك^(٢٦٣) . ولقد اعتمد على هذه الرواية كل من براون ، وبارتولد ولويس والدوري^(٢٦٤) . ولاشك أن افراد ابن النديم وتضارب آرائه يدعوان إلى التردد في الأخذ بها .

قامت انتفاضات الخرمية في أزمان مختلفة وأماكن متعددة ضد الخلافة وضد الارستقراطيين المحليين وقد تيسر للسلطة بمعاونة الارستقراطيين القضاء على تلك الانتفاضات المنفردة ، ولو توحدت جهود الخرميين وتهادنوا مع الارستقراطيين المحليين لربما استعصى على الخلافة اخماد انتفاضاتهم .

د - أهم التهم التي الصقت بالمبادئ والحركة البابكية

وجهت نحو البابكية - نتيجة نضالها المرير وكفاحها الطويل وخطرها الجسيم - اقبح النعوت والصفات ، وكل ما قيل في ماني ومزدك وما قيل في خدش وسنباذ والمقنع أطلق على بابك وجماعته الخرمية (المحمرة) مع إضافة تهم وأباطيل جديدة . فاتهم البابكيون بالإباحة والدعارة والفسق - حيث لهم ليلة حمراء -^(٢٦٥) وانهم دعوا إلى مشاعية النساء ونهب الأموال ، وانهم قتلة سفاكون ومجرمون قطاع طرق حيث ينهبون ويحرقون البيوت^(٢٦٦) في القرى والمدن ويسلبون المارة والمسافرين

والحجاج^(٢٦٧) ، ويقولون بتناسخ الأرواح وبالحلول (حلول جزء من الآلهة في شخص ما) وبالرجعة ، وهم ملاحدة زنادقة ثنوية كفرية . ورغم أن قسماً من المؤرخين قد زار مناطق الخرمية واحتك وناقش الموجودين منهم (كالمسعودي والبغدادى والمقدسي (المطهر بن طاهر) وياقوت الحموي) فإن كتاباتهم تحتوي على تهمة وأباطيل الآخرين ، فالمسعودي يشير إلى أنهم ينتظرون عودة الملك فيهم وخلق الإسلام^(٢٦٨) ، والمقدسي يقول عن بابك « وأخذ بالتمثيل بالناس والتحريق بالنار والانهماك بالفساد وقلة الرحمة والمبالاة » . وبالرغم من أن المقدسي ذكر عن الخرمية أنهم قوم مسالمون يتحرون النظافة والطهر^(٢٦٩) فهو لا يتورع من اتهام بابك بسفك الدماء حتى أوصل عدد ضحاياه إلى مليون ثم تراجع قليلاً وجعلهم أكثر من ربع مليون^(٢٧٠) . ولا يكتفي بهذه التهمة فيوجه إليه تهمة الفسق والفجور والاعتداء على أعراض أسراه « وكذا كان الملعون يفعل بالناس إذا أسرههم مع حرمهم »^(٢٧١) ، أما البغدادى فيرى بأن دعوة بابك كانت تدعو إلى استباحة المحرمات ، ومن ثم يشير إلى أنه كانت « للبابية في جبلهم ليلة عيد يجتمعون فيها على الخمر والزمر وتختلط فيها رجالهم ونساؤهم ، فإذا أطفئت سرجهم ونيرانهم اقتض فيه الرجال النساء على تقدير من عز بز »^(٢٧٢) ، وتجد تكرار هذه الفرية لدى الاسفرائيني^(٢٧٣) وابن الجوزي^(٢٧٤) ، وأما المقدسي فيقول إنه وجد بين الخرمية من يقول بإباحة النساء برضائهن^(٢٧٥) .

هذه التهمة قد أخذ بها مؤرخون متأخرون ومؤلفون معاصرون ونفى قسم من المؤلفين هذه الأباطيل . فجوزي وان رجح وجود ليلة مرح يجتمعون فيها للهو إلا أنه نفى افتضاض الرجال للنساء في تلك الليلة^(٢٧٦) ، وبونيياتوف في معرض رده على أولئك الذين يفترضون وجود مشاعية الزوجات لدى الخرمية باستنادهم على رواية الاسفرائيني ، قد بين : أن مشاعية الزوجات حسب ما جاءت في رواية الاسفرائيني (لوحظت عند الخرميين فقط) في ليلة واحدة من ليالي السنة ، وهذا الأمر وحده ينفي نفياً باتاً أي نوع من أنواع الفسق وأي نوع من أنواع مشاعية الزوجات^(٢٧٧) . ولقد بينا في ردنا على أقوال المقدسي^(٢٧٨) وابن الجوزي^(٢٧٩) بأن هذه التهمة مطعونة لأنها موضوعة من قبل المؤرخين المعادين للحركة فلم تكن أقوالهم دامغة الحجة قوية الاسناد وإنما مبنية على (قول جماعة منهم ، ويقال أن لهم) . ان احترام مركز المرأة ومنحها

بعض الحقوق البسيطة قد جلبا سخط الطبقة الحاكمة والمؤرخين المتزلفين لها بالإضافة إلى مقتهم للمنتفضين وهكذا لفقوا ذلك الاجتماع الماجن الداعر ونشروا الأكذوبة على الملأ لتشويه نضالات الشعب الثائر ، إذ لا يعقل أن يقوم الناس بذلك المنكر . على فرض اجتماعهم في ليلة العيد تلك ، حتى في أدنى المجتمعات المتأخرة . ان تهمة الاباحة قد ردها المؤرخون دون روية وتفكير وبدافع الحقد والكراهية وبسبب الخوف من السلطة والتزلف لها .

أما التهم الأخرى فتجدها موزعة بين مختلف المصادر ، فالطبري كتب عن بابك ، وادعى أن روح جاويدان دخلت فيه (أي التناسخ) وأخذ في العبث والفساد^(٢٨٠) . وقد اتهم الدينوري بابك بقتل من حواليه^(٢٨١) بالبذ ، ومن أجل ذلك اعتبر ابن النديم ان بابك احدث في مذاهب الخرمية القتل والغصب والحروب والمثلة^(٢٨٢) ، وقد قال ابن النديم عن بابك انه كان يقول لمن استهواه انه اله^(٢٨٣) ، ويتصور المقرئ ان بابك مع بقية الثائرين كان مدفوعاً بالحقد على الإسلام ويرمي كيد الاسلام بالمحاربة^(٢٨٤) ، وقد أشار الذهبي إلى أن بابك أراد أن يقيم ملة المجوس^(٢٨٥) . وهذه الأقوال تستند إلى رسالة مشكوكة مرسله من أخي الافشين إلى أخي المازيار - يرويها الطبري - جاء فيها « يعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم »^(٢٨٦) ولاشك أنها موضوعة من أجل التنكيل والقضاء على الخصوم بحجة محاربتهم الدين الإسلامي . ومثل هذه الرسالة القول المدسوس على لسان زوجة جاويدان في مخاطبتها الخرمية عشية المناذاة ببابك قائداً عليهم خلفاً لزوجها القائد المتوفى ، بأن بابك سوف يرد المزدكية^(٢٨٧) ، فالوضع في هذا القول واضح وإلا ماذا تعني بقولها سوف يرد المزدكية ؟ والخرمية فرقة متطورة من المزدكية . لقد اجهد مؤرخو القرون الوسطى أنفسهم في كيل التهم للمنتفضين البابكيين ولم يتورع مدعو تطبيق البحث العلمي للحوادث التاريخية من مؤلفي العصر الحديث من اجترار التهم السابقة رغم تأكدهم من انها عارية عن الصحة وملفقة ، فيقول العالم الانكليزي سيل عن بابك إنه ادعى النبوة وأسس دين الفرخ الذي يعني كلمة خرم^(٢٨٨) ، ويرى ميور أن بابك بشر بدين غريب كان يدعو إلى زواج المحرمات وتناسخ الأرواح وإلى مبادئ أخرى للصوفية الشرقية^(٢٨٩) ، أما رايت فيعتقد أن الخرميين متساهلون في حياتهم الجنسية ولكن برضى النساء^(٢٩٠) ، وبعد أن يكرر

الدوري كل ما كتبه المؤرخون وما جادت به قرائح المؤلفين المعاصرين يتوصل إلى أن غاية البابكية هي ضرب السلطان العربي والدين الإسلامي^(٢٩١) (أسباب عنصرية وطائفية؟) ، ويضيف إليها (نادت بالانفصال الصريح ودعت لامجاد ايران الساسانية)^(٢٩٢) ، وهو يعلم جيداً أن بابك اذربيجاني وأن الخرمية وغالبيتهم من الفلاحين يمتثلون العائلة الساسانية لاضطهادها أسلافهم الأذربيجانيين ولتنكيلها بالمزديكيين . ولا بد أن الدوري اعتمد في تصويره لغاية البابكية يضرب السلطان العربي والدين الاسلامي (كذا!) ، على قول جوزي عن الحركة (أن الغاية الكبرى من هذه المؤامرة هي سحق السلطة العربية في تلك البلاد والقضاء على الإسلام وأهله)^(٢٩٣) وبالرغم من أن جوزي أنكر أن يكون غير الهدف الاجتماعي والاقتصادي من أهداف أخرى في برامج البابكيين^(٢٩٤) ، إلا أن قوله السابق قد استغل من قبل الدوري كثيراً . ويرى شلبي أن بابك رئيس للخرمية التي هي إحدى طوائف الفرس التي تعيش في الأرض فساداً وتخيف السبيل وتبيح الحرمات^(٢٩٥) . وبالرغم من الأخطاء الواردة في قول شلبي (كقوله إحدى طوائف الفرس) فليس فيها من جديد على تهم الطبري والدينوري . ويرى رستم بأن الخرمية عاثت في البلاد فساداً بقيادة بابك في عهد المأمون^(٢٩٦) ، وقد لخص أحمد ، محمد حلمي محمد ، أقوال جميع المؤرخين في اتهامهم للبابكية^(٢٩٧) ، وبكل هوس يرى شريف (بأن آراء مزدك في شيوعية الأموال وإباحة النساء)^(٢٩٨) قد وجدها (شائعة قوية الشيوع بين الزنادقة والشعراء والأدباء وبين جماعة الحركة اتباع أبي مسلم الخراساني وابنته فاطمة وبابك الخرمي)^(٢٩٩) ، ويرى العدوي أن حركة بابك اتجهت إلى تحويل السلطة من العرب إلى الفرس^(٣٠٠) ، ويحسب زيدان ، عبد الكريم ، خطأ ، البابكية من فرق المجوس ويتهمهم (وهم «البابكية» شر طوائفهم «يقصد المجوس» لا يقرون بخالق ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام)^(٣٠١) . وجل الجهد المبذول من المؤلفين المحدثين هو توجيه أنظار القراء إلى أن طبيعة الحركة عنصرية طائفية ترمي إلى تحويل السلطة من العرب إلى القانمين بها وتحطيم الإسلام ، ولتشويه النضال الجماهيري بتهمة الإباحة والفسق واعتبار ذلك سبة للشيوعية العلمية لاعتبارهم تلك الانتفاضة (شيوعية) ويحاولون أخفاء الصراع الطبقي الذي خاضه المنتفضون ، إنهم يحاولون صرف الانظار عن مشكلة الأراضي ومعالجة الخرميين لها .

٢- التنظيمات البابكية

أ- المشكلة الفلاحية ومعالجة قضية الأراضي

بدأ الاقطاع يسير بوتائر أسرع ، قبيل انتهاء الفترة الأولى من الحكم العباسي ، بعد التلكؤ الذي أصاب سيره فأخذت تتوضح أكثر شروط التملك الاقطاعي للأرض وذلك نتيجة ضعف السلطة المركزية ونشوء الإمارات شبه المستقلة ، وكنيجة لذلك ازدادت القيود الاقطاعية فازدادت حالة الفلاحين سوءاً مما حدا بهم للمساهمة الفعلية في انتفاضات الخرمية تحت أهداف تنحصر في أخذ الأراضي الواسعة من الاقطاعيين وتوزيعها على مجموعات فلاحية تزرعها مشاعاً ، وفي التحرر من دفع الضرائب (وكان عمال الخليفة في الأمصار - كما شاهدنا - يتفنون في التعسف عند أخذها) ، وفي المساواة العامة ، أي أنهم كانوا يسعون للتخلص من التبعية الاقطاعية والتسلط الحكومي وقد أصبحت (الاستغلال الاقطاعي والجور الحكومي) من الثقل إلى درجة يتعذر السكوت عنها . ولاسيما إذا كانت هنالك أفكار تناهض الجور والظلام والاستغلال ، وهنالك أناس يسعون إلى تحرير أبناء طبقتهم منها . قالت زوجة جاويدان - حسب رواية الفهرست - عشية المنادة بابك قائداً للخرمية خلفاً لزوجها القائد المتوفى : - إن بابك (سيبلغ بنفسه وبكم أمرا لم يبلغه أحد ولا يبلغه بعده أحد ، وأنه يملك الأرض ويقتل الجبابة ويرد المزدكية ويعز به ذليلكم ويرتفع به وضيعكم)^(٢٠٢) ، فهي كانت تتوسم في الشاب الجري القيادة الحكيمة والإمكانية الجيدة التي تؤدي إلى (تملك الأرض) أي أخذ الأراضي من الملاكين الاقطاعيين بعد القضاء عليهم (ويقتل الجبابة) وذلك بفضل التعاليم الخرمية حيث يصبح الضعفاء (الفلاحون العبيد الحرفيون) أحراراً أقوىاء (ويعز به ذليلكم) كما وتؤدي التعاليم التي يطبقها بابك إلى رفع مكانة أبناء الشعب المحتقرين المهانين (ويرتفع به وضيعكم) ، لهذا فإن مساهمة الفلاحين في انتفاضات الخرمية ومنها البابكية قررتها مصالحهم الطبقية ، فكانوا المعين الذي لا ينضب بالنسبة للانتفاضات . ولما كان قادة الانتفاضات الخرمية شاعرين بالجور والاستغلال الاقطاعي لكونهم منحدرين من وسط الشغيلة ، لهذا أولوا المسألة الزراعية ومشكلة الأراضي الأهمية الأساسية في برامجهم - ويؤسفنا أننا لم نثر على برامجهم ،

إذ أن ما كتب عن الخرمية وما حفظ من حوادثهم إنما يقتصر على ما ورد في المصادر المعادية لهم^(٢٠٢) - فهناك إشارات عديدة في مصادر مختلفة تظهر ما ذهبنا إليه ، فالطبري أشار إلى أن المازيار أصبهد طبرستان^(٢٠٤) ، وقد أخذ بتعاليم الخرمية وبشر بها في منطقته وكاتب بابك ، (أمر أكرة الضياع بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاج أموالهم)^(٢٠٥) ، وأكرة الضياع - هم الفلاحون .

وإن القول المنسوب إلى زوجة جاويدان - إن صح - فهو يعني بصراحة رفع مكانة الشغيلة وفي مقدمتهم الفلاحون (يعز به ذليلكم ويرتفع به وضيعكم) وكيف يعز الذليل ويرتفع الوضيع ؟ طبعاً بالقضاء على الارستقراطيين (بقتل الجبابرة) والاستيلاء على أراضيهم (يملك الأرض) ، وقد أشار جوزي^(٢٠٥) ، وتاريخ إيران^(٢٠٦) ، إلى انتقال الأراضي إلى ملكية المشاعية الزراعية . ويرى لويس أن ذلك أدى إلى تشجيع الفلاحين على الانضمام إلى الحركة ، ويرى لويس أيضاً أن بابك (كسب أيضاً مناصرة بعض الدهاقين وهم الطبقة الفارسية الحاكمة «لامعنى لكلمة - الحاكمة - هنا مطلقاً» وكان هؤلاء قد انحطت منزلتهم عندئذ وأصبحت لا تفوق منزلة الفلاحين العاديين إلا قليلاً)^(٢٠٧) . إن انتماء هؤلاء الملاكين ليس بسبب انحطاط منزلتهم كما يتصور لويس وإنما بسبب تخوفهم من غضبة الفلاحين ولعدم تمكنهم من الوقوف بوجه التيار العارم ، ولهذا نجدهم ينقلبون إلى الجانب الآخر في أول انتكاسة تصيب الانتفاضة ، حيث شكلوا الخطر الجسيم على الحركة بأجمعها ، وقد أشار إلى ذلك بيلاييف واعتبر ارتدادهم خيانة للشائرين^(٢٠٨) ، والدوري في اعتماده على نصوص من الطبري والبغدادى وجوزي أيد توزيع أراضي الملاكين الكبار على الفلاحين ولكنه يعلل أخذ الأراضي من الملاكين الكبار لأنهم حلفاء العباسيين (وهوهم مع المسودة)^(٢٠٩) فهو يرى بأن العامل السياسي كالعامل الاقتصادي له أثره في ذلك الاستيلاء .

إن الدوري وإن اعتمد ولاشك على قول بارتولد بأن أصحاب الأراضي هم (حلفاء العرب)^(٢١٠) ، لكن الدوري يعلل الاستيلاء عنصرياً وهو كره الخرميين للعباسيين . ولكن إذا لم يكن هوى المالكين مع العباسيين إلا توزع أراضيهم ؟ لقد لاحظ جوزي - الذي يضيف ، خطأ ، على حركة البابكيين الفلاحية مسميات حديثة كالحزب الشيوعي^(٢١١) والحركة الشيوعية^(٢١٢) والحركة الاشتراكية^(٢١٣) - أن سوء الأوضاع

الاقتصادية وتردي حالة الفلاحين قد دعت المصلحين (من مزدك إلى بابك)^(٢١٤) إلى التفكير في نزع الأراضي من الملاكين وتوزيعها (على الفلاحين بالتقسيط)^(٢١٥) .

ولست أرى سبباً لحشر اسم مزدك فيما يخص أراضي اذريجان كما وأن توزيع الأرض كان يتم على مجموعات يزرعونها مشاعاً وليس بالتقسيط . لقد كانت معالجة قضية الأرض من أهم القضايا التي عالجتها الحركة البابكية وقد اقتضتها مصلحة الشعب المستاء المهرق المستغل ، لذا لعبت الحركة الخرمية دوراً تقديمياً .

ب - وضع المرأة في المجتمع وتحريرها

لقد أعار البابكيون قضية المرأة أهمية تستحق الذكر والتقدير فلقد وجدوا أن المرأة قد تدنى وضعها ولحقها الازدراء والاحتقار واستصغار الشأن واستغلت أبشع استغلال حيث أصبحت بعداد السلع تباع وتشترى ويرميها الشاري في ركن من أركان بيته لا يعير شعورها وإحساسها أدنى اهتمام . ولهذا انحطت المرأة وتأخرت وأصابها الجهل فأصبحت فاقدة لكرامتها وإحساسها ولا تفهم مركزها ولا تفكر بتحقيق رغباتها . فكر الخرميون - ولا شك - بكل هذا الذي أصاب المرأة الشرقية وكذلك فكر بابك كما فكر به من قبل المزدكيون ومزدك ، فحاولوا تحسين وضع المرأة ورفع مكانتها المتدنية ومنحها قليلاً من الحرية التي فقدتها منذ زمن طويل . وقد أثارت محاولتهم تلك حفيظة المؤرخين والفقهاء ، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً ، ولكن الحقائق لا يمكن سترها بغريال ولا بد أن تظهر ، وحتى بين طيات المصادر ، لتشهد على مبلغ احترام البابكيين للمرأة واهتمامهم بمركزها والعناية بها ، ذكر الطبري عن الأسرى الذين حرروا يوم الانتصار على بابك (واستنقذ ممن كان في يده من المسلمات وأولادهم سبعة آلاف وستمائة إنسان)^(٢١٦) . إن هذا العدد الغفير من النساء وأولادهن قدم شهادة طيبة بحق بابك والبابكيين حيث ذكروا بأنه أحسن إليهم إيماناً أحسان فقد ذكر الطبري - بعد أن وصف أسر بابك وذكر بأنه جيء به إلى الافشين ، قائد جيش الخلافة حيدر بن كاؤوس الاشروسي - فأمر القائد (ثم قال انزلوا به إلى العسكر فنزلوا به راكباً ، فلما نظر النساء والصبيان (المحررون) الذين في الحظيرة إليه لطموا على وجوههم وصاحوا وبكوا حتى ارتفعت اصواتهم ، فقال لهم الافشين : انتم بالأمس تقولون أسرنا

وأنتم اليوم تبكون عليه عليكم لعنة الله ، قالوا كان يحسن اليها^(٢١٧) . من هذه الحقيقة التي أوردها الطبري يمكننا معرفة مدى اهتمام بابك والبابكيين بالنساء ، حتى ولو كن أسيرات ، وهذا يناقض جميع أقوال المؤرخين الذين قالوا بإباحة النساء فلو كان ذلك صحيحاً فمن المنتظر أن يطبقوها على الأسيرات قبل نساكنهم وذلك ميسور لهم وتبيحه شرائع ذلك العصر ، ولما لم تطبق الإباحة على الأسيرات الفاقداً للحرية ، بل بالعكس أحسن اليهن بشهادتهن أمام الأفشين (وهذه برأيي خير تزكية يقدمها الطبري رغماً عنه) ، لذلك تنهار فرية إباحة نساكنهم .

ويعطينا ابن النديم صورة جيدة عن مكانة المرأة لدى البابكيين ومدى احترام رأيها وتقديرها ، حينما يصف حفلة المناداة ببابك قائداً للخرمية بعد وفاة سلفه القائد جاويدان حيث جلست زوجة القائد المتوفى الشابة في مجلس عام وبجانبها جلس بابك ، وأعلنت لهم رغبة زوجها في اختيارهم بابك قائداً عليهم ليكون خلفاً له ، ثم تناولوا الطعام والشراب حسب المراسيم الاحتفالية الخاصة بهم ، (...) ثم أحضرتهم الطعام والشراب ، وأقعدته على فراشها وقعدت معه ظاهرة لهم فلما شربوا ثلاثاً ثلاثاً أخذت طاقة ريحان فدفعته إلى بابك فتناولها من يدها وذلك لتزويجهم^(٢١٨) نلاحظ بأن المرأة تقدم لمن ترغب في الزواج منه غصنا من الريحان ، وهذا دليل على مدى احترام البابكيين لرأي المرأة وتقدير رغبتها ومنحها الحرية في اختيار شريك حياتها . هذه الحرية كانت فوق مدارك علماء وفقهاء ومؤرخي ذلك العصر حيث اعتبروها دعارة وفسقاً وإباحة .

وترانا مضطرين للعودة إلى قول المقدسي (ووجدنا منهم من يقول بإباحة النساء على الرضا منهم)^(٢١٩) لمناقشته حيث نجد المقدسي لم يستطع إثبات هذه التهمة إذ لو كانت الإباحة حقيقية واقعة لقال : - وجدنا الإباحة ، أو وجدنا منهم من يقول أو يفعل الإباحة . ولكن المقدسي ذكر ووجدنا منهم من يقول بإباحة النساء ، فهو يذكر بأنه وجد من الناس من يقول بإباحة النساء ، وهؤلاء أولاً قلة لأنه قال عنهم (وجدنا منهم) وكلمة منهم تعني بعضاً منهم وليس كل الناس ، فلو كان الشيء عاماً أو تمارسه الأغلبية لقال : (وجدناهم) ، وثانياً لا يستبعد أن يكون هؤلاء الـ (منهم) من السفلة والمنحطين والمستهترين ، وهؤلاء لا يخلو منهم أي مجتمع وهم لا يعكسون بكل

الأحوال أخلاق المجتمع الذي يعيشون فيه ولا يمكن أن تضيي طرز حياتهم على الحركات الثورية ، وقد لاحظ ذلك الطبري بالنسبة للحركة المزدكية (فافترض السفلة ذلك واغتنموه وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلى الناس بهم)^(٢٢٠) ، وثالثاً قال المقدسي (من يقول...) وهذا القول يدل على رغبة القائلين (وهم قلة) ولا يمكن اعتباره دليلاً على حدوث الشيء أو تعميمه على المجتمع لأنه مجرد رغبة من يقول من القلة . لقد تكلم المقدسي عن المتأخرين من الخرمية ولكن كلامه كثيراً ما استخدم ضد البابكيين من قبل مؤرخين متأخرين . وللمقدسي رواية أخرى يطعن بها ببابك صراحة ، وهي رواية ضعيفة موضوعة ومرتبكة ، ومفادها أن بابك طلب من سهل بن سنباط أن يطلق سراحه فرفض سهل وعمل الفاحشة مع أم وزوجة وأخت بابك بين يديه ، ويعلل المقدسي هذا العمل الشنيع لأن بابك - حسب رأيه - كان يفعل ذلك بأسراه (وكذا كان الملعون يفعل إذا أسره مع حرمهم)^(٢٢١) . وقد نقل ابن العبري عنه هذا القول وأشار بأن الأرمن فعلوا بعائلة بابك بين يديه^(٢٢٢) ، وقد أشرنا سابقاً إلى ضعف هذه الرواية لأن أم بابك وزوجته وأخاه معاوية قد وقعوا أسرى بعد هروبهم بقليل ونجا بابك وأخوه عبد الله وغلّام لهم ودخلوا أرمينيا منفردين دون نساء^(٢٢٣) ولأن فرية الاعتداء على الأسيرات قد فندناها اعتماداً على رواية الطبري في حسن معاملة الأسيرات .

ج - أمور عامة

١ - الحريات العامة:

كانت للبابكيين نظرة خاصة نحو الحرية ، فهم كانوا يحترمون الحرية الشخصية التي لا تسبب الضرر للآخرين ، ولهذا فإن الحرية المطلقة في التملك الشخصي لم تكن مباحة لأن هذا الحق في التمتع بالحرية الواسعة ، دون قيد ودون تحديد ، يجلب الضرر للآخرين ، إذ يغدو صاحب الملك الواسع مستغلاً للآخرين ويلحق بهم الضرر الفادح وعلى هذا الأساس عمد البابكيون ، كسائر الخرميين ، إلى تعميم الاستفادة من المقتنيات العامة . ولقد عبر المقدسي عن مفهوم الحرية العامة التي منحت للخرميين خير تعبير (رغم أنه شوهاها بكلمة إباحة) حينما ذكر بأنها مشروطة بعدم الضرر

بالآخرين حيث ذكر : - وإباحة كل ما يستلذ النفس وينزع إليه الطبع ما لم يعد على أحد بالضرر^(٢٢٤) . فإذا لم تطلق الحرية للتملك الفردي سواء للمقتنيات العينية أو للنساء وإنما حددت هذه الحرية بما يعود بالخير على المجموع .

هذه الحرية المقيدة أو تقييد حرية التملك لم تكن ملائمة مرحلياً وغير مألوفة لذلك العصر وسابقة لأوانها حيث أن العصور الوسطى طغت فيها الحرية الواسعة للاستغلال الكبير ، حرية أفراد قلائل في استغلال شامل لجماهير الشعب المعدمة المسلوقة الحرية . ولقد كانت مساعي الخرميين ، ومنهم البابكيين ، محاولات في قلب تلك الأوضاع التي كانت سائدة ، أي اعطاء الحرية الواسعة للجماهير الغفيرة في التملك العام وحرمان (أفراد قلائل من حرية التسلط والاستغلال . إن هذه المحاولات وتطبيقها كانت غريبة ومناقضة لمقتضيات التطور التاريخي والظرف الزمني ولما ألفه الناس ولهذا لم يستسغها الأعداء الطبقيون ومفكرو العصور الوسطى ولم يتورعوا باتهامهم بشتى التهم ، ومع ذلك فقد وردت بين طيات مؤلفاتهم أخبار تشير إلى الحريات التي منحوها للأفراد وإلى احترامهم لحرية المعتقد ، فأصحاب الأديان المختلفة أحرار في ممارسة طقوسهم وشعائهم وقد شهد بذلك البغدادي حول بناء المساجد في ديارهم يؤذن فيها المسلمون ويعلمون أولادهم القرآن^(٢٢٥) ، وقد أشار المقدسي^(٢٢٦) إلى موقف الخرميين من أصحاب الأديان بأن الخرميين (لا يرون تهجينه « كل ذي دين » والتخطي إليه بالمكروه ما لم يرم كيد ملتهم وخسف مذهبهم)^(٢٢٧) . لقد منحت البابكية الناس البسطاء ، في المناطق التي حررتها ، حرية العمل في المزارع المشاعة وحرية الاستفادة من المرافق والثروات العامة وحرية الزواج بمن يشاؤون وحرية العبادة (وكل ذي دين مصيب عندهم)^(٢٢٨) ، وكان للمرأة حرية العيش بهناء وسعادة دون تحكم السادة الرجال . لقد كانت للخرميين ومن ثم للبابكيين مثل سعوا إلى تحقيقها بقدر ما تيسر لهم ، وقد دفعتهم تلك المثل إلى أن يوسعوا نظرتهم للناس فيحسنوا المعاملة مع المسلمين غير المستغلين منهم ، وبهذا منحوا حرية المعتقد لمن شاركهم السكن وشملت معاملتهم الطيبة الأسرى من أعدائهم كما شهد بذلك الطبري عن حسن معاملة بابك لأسيراته من النساء المسلمات والصبيان الذين معهم ، وكان في إمكان بابك إذاقتهم من العذاب ولكنه لم يفعل لا خوفاً ولا مصانعة ، ولكن بدافع من شعوره الإنساني الذي

كان يدفعه لجلب الخير للناس الضعفاء المغلوبين سواء كانوا إيرانيين أم عرباً ،
آذربيجانيين أم أرمناً وسواء كانوا مسلمين أم خرميين أم مسيحيين ، لقد تحلى هو
وغالبيه أتباعه بمبادئ الخرمية الداعية لسيادة الخير على الشر وطرده المستغلين الجالبيين
الشقاء والتعاسة لبني البشر .

٢ - العبادة :

ما هي العبادة والتعاليم الدينية التي كان يمارسها الخرميون ومنهم البابكيون ؟ هذه
القضية كسابقاتها - قضية البرامج - من أعقد المشاكل التي تواجه الباحثين لانعدام
المصادر الخرمية والمحايدة من جهة ولأن غالبية الذين كتبوا عن الخرمية ألصقوا بهم
التهم التي تكرّهم بأعين معارضيهم فوصفوهم بالإلحاد والزندقة واعتقادهم بالحلول
والتناسخ واعتبار رؤسائهم انبياء ونعتوهم بالمروق والكفر ونكران الله وبالثنوية
وخلاف ذلك وصفوهم أيضاً بالنسك والطهارة والتقشف والزهد والامتناع عن زهق
الأرواح . لهذا يتعذر تحديد ديانة ومعتقد الخرميين من هذه الصفات المتناقضة .
فالبلادري ينعت بابك بالكافر الخرمي^(٢٢٩) ، بينما يقول الطبري عن لسان بابك : -
وادعى أن روح جاويدان دخلت فيه^(٢٣٠) ، وكتب الأشعري عن الخرميين (وقد أفرط
قوم من جنس هؤلاء من الخرمدينية حتى زعموا أن الرسل يأتون تترى بعد رسول الله
(ص) وأنهم لا ينقطعون)^(٢٣١) . وينقل ابن النديم رواية الطبري حول حلول روح
جاويدان في جسد بابك وينسب القول إلى زوجة جاويدان^(٢٣٢) . وقال ابن النديم عن
بابك إنه كان يقول لمن استغواه أنه اله^(٢٣٣) ، وتجد ترديد روايات ابن النديم لدى
المقدسي^(٢٣٤) وابن الأثير^(٢٣٥) ، ويعتبر ابن الأثير أن الخرمية تعتقد بحلول الله في آدم
ونوح وهلم جرا إلى أبي مسلم ثم إلى المقنع^(٢٣٦) وذكر أبو الفداء عن بابك (وكان
يقول بالتناسخ)^(٢٣٧) ، وقال عنه أيضاً (وكان زنديقاً كبيراً وشيطاناً رجيماً)^(٢٣٨) ويرى
الذهبي وابن خلدون : (ان الخرمية كانوا يعتقدون مذاهب المجوس)^(٢٣٩) . من الصعوبة
اذن الوقوف بدقة على تعاليم الخرمية من المصادر العربية ، غير أننا نستطيع أن نخرج
بنتيجة وهي أن الخرميين كانوا يعتقدون بمعتقدات المزدكيين الدينية وأن هذه المعتقدات
الدينية المزدكية التي وصلت إلى الخرميين لم تبقى على حالها الأول ، بل قد أصابها

التطوير والتحويل بعامل الزمن ولاحتكاكهم بالمسلمين . وقد أشار البغدادي إلى أن البابكيين يعلمون أولادهم القرآن لكنهم لا يصلون في السر ولا يصومون في شهر رمضان ولا يرون جهاد الكفرة ويظهرون الإسلام ويضمرون خلافة^(٢٤٠) . لقد ذكرنا في مقدمة بحثنا عن الحرمية بأنها فرقة دينية متطورة عن المزدكية^(٢٤١) ، لهذا فإن ديانة البابكيين الحرميين لا بد وأنها تجمع بين المجوسية المتطورة (المزدكية) والمسيحية والإسلام ، مع الاعتقاد الراسخ بنضال اله الخير مع اله الشر على مسرح الحياة الأرضية وحتمية انتصار اله الخير ، وضرورة تعاون كل قوى الخير المحبة للنور لطرد الشرور والآثام التي هي من مخلفات الظلام ، والقضاء على العوامل التي تساعد على بقائها ، كعدم التساهل في التملك ، ولذا وحسب شريعة الحرميين - البابكيين - وجدت الضرورة للقضاء على عدم التساوي في التملك لازالة الظلم والظلام وآثارهما ، لأن النظام الاجتماعي تأسس على عدم المساواة وعلى القسر والإكراه والظلم والاضطهاد^(٢٤٢) ، وهكذا كان الارتباط المتين بين المعتقدات البابكية والحلول الاجتماعية الآتية ، ولهذا اتخذت معتقداتهم شكل المناهضة الثورية للاقطاع ، فكانت الانتفاضة البابكية مناهضة ثورية بوجه الخلافة العباسية وضد الملاكين المحليين مقترنة بالانتفاضة المسلحة .

٣ - القاعدة الاجتماعية والسياسية للحركة البابكية

شملت الانتفاضة الآذربيجانية البابكية مناطق مختلفة ، حيث قامت ، كما نعلم ، في آذربيجان - بقسميها البائية وأتروباتينا - وفي الجزء الشرقي من أرمينيا ، وفي الشمال الغربي من إيران^(٢٤٣) ، فضمت أجناساً مختلفة وأقواماً متعددة من إيرانيين وعرب وأكراد وأرمن وآذربيجانيين ، قاموا كلهم بانتفاضة مسلحة بوجه الخلافة العباسية ، من أجل التخلص من النير الاقطاعي والتسلط الحكومي الجائر .

لقد تحالفت جماهير الشعوب المستغلة لمقاومة الطغيان الاقطاعي والسلطة الحامية للمصالح الاقطاعية ، ولهذا فإن طبيعة الحركة الاجتماعية الناشئة عن عوامل اقتصادية دعت إلى تحالف أقوام مختلفة ضد تسلط طبقي استغلالي ، أي أن الحركة البابكية قامت كنتيجة لتناقض طبقي وليس لخلاف عنصري أو ديني^(٢٤٤) كما يحلو للكثيرين

تعليل ذلك أو كما حاولت الخلافة العباسية تضليل جماهير المسلمين لاثارتهم ضد الانتفاضة وتصوير الحروب التي تشنها (الخلافة) ضد الفلاحين ومن اتحد معهم حرباً مقدسة (جهاداً في سبيل الله) . ومن المؤسف أن تظهر تعليقات خاطئة لأسباب الحركة في كتابة جوزي حيث كتب (أنه كان بين المتآمرين بعض زعماء العرب ممن أعمت المصالح الشخصية أو العائلية قلوبهم وأنستهم أو جعلتهم يتناسون أن الغاية الكبرى من هذه المؤامرة هي سحق السلطة العربية في تلك البلاد والقضاء على الإسلام وأهله)^(٢٤٥) ، وجوزي يعلم جيداً أن غاية الباطنيين غاية اجتماعية وهو نفسه أخبرنا بأنه ليس للباطنية من غرض سوى الهدف الاجتماعي^(٢٤٦) ، إذن ما كانت الانتفاضة ضد العرب وإنما كانت ضد السلطة العباسية والاقطاعيين المحليين ، وليست الانتفاضة ضد الدين الإسلامي لذاته كشعائره وطقوس دينية ، أي لمجرد كونه ديناً وإنما هي ضد مناصرة وتأييد رجال الدين للسلطة في العدوان والقمع والتسلط ، أي ضد إضفاء الصفات الدينية على أعمال السلطة المدنية ، تلك السلطة التي لم يتورع العباسيون في استخدام كل شيء من أجل الحصول عليها وتشهيتها ، فالخليفة العباسي وموظفوه هم رجال سلطة مدنية ولكن بسبب اعتبار الخليفة أميراً للمؤمنين وخليفة للمسلمين وممثلاً للإسلام من قبل المؤرخين والباحثين يصور أي خلاف قائم ضد السلطة وضد الاستغلال والجور خلافاً ضد الدين الإسلامي وهو ما لم يكن كذلك . لقد كانت الانتفاضة ضد الدين بقدر ما هو متمثل في أعمال السلطة والاقطاعيين ، فهي ضد استخدام الدين من قبل الطبقة السائدة لأنها كانت نضالاً اجتماعياً اقتصادياً وسياسياً ضد الخلافة الإسلامية ، ولم يكن رجال السلطة إلا ممثلون للطبقة الارستقراطية السائدة ، وما كان الإسلام في أدواره الأولى - كما يتفق لويس مع فان فلوطن وبيكر - إلا علامة امتياز للارستقراطية المنتصرة والمذهب الرسمي للدولة التي تمثلها^(٢٤٧) . وقد لاحظ الخرميون أن السلطة الإسلامية متساهلة ومتعاونة مع الاقطاعيين الزرادشتيين والمسيحيين وغيرهم ومتشددة وجائرة على المعدمين من المسلمين والذميين وهذا ما لم يدركوا كنهه وولد الضغينة لديهم على السلطة الإسلامية . أما المسلمون المعدمون الساكنون في المناطق المنتفضة وفي مناطق الخرميين كلها فقد كانوا يتمتعون بحرية دينية واحترام لمشاعرهم وطقوسهم الدينية ولم نعثر على نص يشير إلى أن الخرميين كانوا يجبرون الناس على

اعتناق مذهبهم أو يغتالونهم لاختلافهم معهم في العقيدة ، لكنهم كانوا يحاربون أعداءهم الطبيعيين . لقد كان النضال ضد السلطة الاقطاعية (الإسلامية المظهر ، العربية الشكل - دين الدولة الإسلام ورئيسها الخليفة أمير المؤمنين ، ولغتها الرسمية العربية) ، وضد الاقطاع ، ولم يكن نضالاً ضد الإسلام وضد العرب البتة ، بالرغم من أن المتنفيين في السلطة مسلمون اقطاعيون وما كانوا كلهم عرباً وإنما كانوا من العرب وغيرهم ، فالوزراء وقادة الجيوش والولاة كان أغلبهم من غير العرب . إن معارضة الاقطاع والسلطة الاقطاعية بالأفكار الخرمية صورته المؤرخون والباحثون نزاعاً ضد العروبة والإسلام ، والحقيقة هي أن الأفكار الخرمية كانت الغطاء الايديولوجي لمعارضة الفلاحين وحلفائهم الثورية للاقطاع والسلطة الاقطاعية^(٢٤٨) ، ولهذا كانت القاعدة الاجتماعية للحركة في غالبيتها متكونة من فلاحين أهل المناطق التي عمتها الانتفاضة ومعهم معدمو تلك المناطق وأشبه الفقراء والعبيد (من مسلمين وذميين من عرب وإيرانيين وأرمن واذربيجان وأكراد وديالمة وغيرهم) (لان التناقض الأساسي في المجتمع الاقطاعي كان بين الارستقراطية المالكة للأراضي والفلاحين . ولكن يجب أن لا يغرب عن البال بأن ليس كل فلاحين مناطق الانتفاضة ينضمون بكاملهم للانتفاضة ، ففي تحليل رائع لحروب الفلاحين في عهد الاقطاع أوضح انكلز ، ف . السبب الذي يدعو الفلاحين للإحجام عن المساهمة في الانتفاضة الفلاحية المحلية ، (كيفما يكون الاضطهاد الذي يعاني منه الفلاحون فظيماً ولكن دفعهم للانتفاضة على كل حال صعب جداً . كانت تسحقهم الظروف الخارقة التي كانت تمنعهم من الاتفاق ، عادات الخضوع المتوارثة جيلاً عن جيل ، إقلاعه في أماكن كثيرة عن استخدام السلاح ، مرة كان يشتد ومرة كان يضعف بالنسبة إلى سلوك السيد نفسه وشدة الاستغلال ، كل هذه أثرت بحيث جعلت الفلاحين في حالة من الهدوء . لذلك ففي القرون الوسطى لم نشاهد حتى الهياج الفلاحي ولا انتفاضة فلاحية في المانيا)^(٢٤٩) .

أ- التركيب الطبقي للمنتفضين:

كانت الغالبية العظمى من المساهمين في الانتفاضة البابكية من الفلاحين والعبيد المستخدمين في الزراعة حيث تطور الاقطاع أكثر مما كان عليه في السابق^(٢٥٠) . ومع

أن أعظم الاستغلال يقع على الفلاحين إلا أن قسماً من الملاكين الصغار قد انضم للحركة ، ويعمل لويس انضمام الدهاقين بسبب انحطاط منزلتهم^(٢٥١) ، ويرى الدوري أن اشتراكهم في الانتفاضة خطوة هامة في تطور الوعي الإيراني^(٢٥٢) . ولم يكن لويس والدوري مصيبين في قولهما ، فإن مشاركة الملاكين الصغار (الفئات القلقة) هو بسبب خوفهم وعدم تمكنهم من مقاومة تيار الانتفاضة العارم وبسبب أطماعهم في الحصول على أراض أكثر وتوسيع نفوذهم بعد تقلص السلطة العباسية . أما تطور الوعي الإيراني فإنه سابق لأوانه ، ولأن الحركة كانت تضم الأذربيجانيين والأرمن وغيرهم . ان انضمام هذه الفئات القلقة من صغار الملاكين سيسبب الضعف للحركة بعد مضي وقت ، وذلك عندما تظهر الاخطار المحدقة بالشائرين ، فمع هذه الفئات الانتهازية تجيء الأخطار لأنهم في أول انتكاسة يهربون إلى الجانب الآخر . وقد أشار بيلاييف إلى ذلك بقوله : غالباً ما انضم إلى الحركات الشعبية من هم بالأصل من الطبقات السائدة ، والذين بعد ذلك خانوا المنتفضين ولم يكن ذلك نادراً^(٢٥٣) . قلنا أن الغالبية العظمى من المساهمين كانت من الفلاحين والعبيد وذلك بسبب الحالة السيئة التي كانوا يعيشونها ، فقد مضى وقت طويل على سلب الأراضي من الفلاحين الذين أصبحوا في حالة عوز وحرمان واشبه بأقنان يشتغلون لدى المالك الذي كان يستخدم عبيده في الزراعة أيضاً وكان العبيد من الصقالبة^(٢٥٤) ومن إفريقية ، وبالرغم من أن أذربيجان كانت غنية بالخيرات وافرة المياه ، كما شاهد بنفسه ياقوت الحموي وكتب « خيرات كثيرة وفواكه جمّة ما رأيت ناحية أكثر بساتين منها ولا أغزر مياهها وعيونها »^(٢٥٥) ، فقد كانت ظروف الفلاحين المعاشية سيئة إذ كان البؤس يغمرهم والأمراض تفتك بهم والمجاعات تهلك العديد منهم^(٢٥٦) ، ومما ضاعف متاعب الفلاحين هو الحاق الأراضي الواسعة الخصيبة بأمالك الخلفاء وذويهم ، وقد جرى ذلك في عهد الأمويين ، ثم توارثها العباسيون وذوهم^(٢٥٧) ، وبهذا يصبح الولاة الحكام على المقاطعات وكلاء على الأملاك أيضاً مما يتعذر على الفلاحين الشكوى . لقد اشارت غالبية المصادر إلى مساهمة الفلاحين في الانتفاضة البابكية وانتفاضات الخرميين ، فاليقوي أشار إلى أن المحمرة خرجت بالجبل^(٢٥٨) وقد حددها الطبري في حوادث سنة ٢١٨ هـ^(٢٥٩) وأشار الطبري إلى أن المازيار لما عزم على الخلاف... أمر أكرة الضياع بالوثوب بأرباب الضياع

وانتهاب أموالهم . وكان المازيار يكاتب بابك ويعرض عليه النصرة^(٣٦٠) . وحينما يعدد المسعودي مناطق الخرمية يؤكد على أن أكثر هؤلاء في القرى والضياع^(٣٦١) . ويبين البغدادي أن اتباع المازيار اليوم في جلهم أكره من يليهم^(٣٦٢) . فغالبية سكان أذربيجان وأرمينيا وأقليم الجبال في إيران التي عمتها الانتفاضة هم من الفلاحين الذين كانت تنتشر بينهم آراء الخرمية . فكان الفلاحون المستودع الذي مد الانتفاضة عاماً بعد آخر - طيلة عشرين عاماً - بمعين لا ينضب من القوى الثائرة .

لكن الانتفاضة لم تقتصر على طبقة الفلاحين - ولو أنهم كانوا عمادها الرئيس - إنما انضمت إليهم جموع أخرى من سكنة المدن ، ممن كانت تعاني الفقر والحرمان ويلحقها العذاب والجور من التسلط الاقطاعي الشامل .

لقد ذكرنا في الفصل الثاني أهم الصناعات « اليدوية » والحرف في مدن إيران وأذربيجان وأرمينيا وأن حالة جماهير المدن كانت سيئة ، وظلت الحال كما هي عليه أثناء الانتفاضات الخرمية وفي عهد الانتفاضة البابكية ، فلاغربة إذن ، أن تنضم جموع أبناء المدن ، المستاءة من أوضاعها السيئة ، إلى الانتفاضة الجماهيرية من أجل تحسين أوضاعها وترفيه حالها . ولاشك أن ظروف حياتها القاسية من شظف العيش وفداحة الاستغلال وإرهاق الضرائب هي التي حدت بهؤلاء المعدمين للمساهمة في هذه الانتفاضة .

إن الحرفيين والكسبة وبقية معلمي المدن لم يكونوا بمنجى من الجور الاقطاعي والتسلط الحكومي ، ولهذا كانوا من المسارعين لتلبية نداء الانتفاضة ، فما أن تلتهب انتفاضة في بقعة ما من البلدان المحتلة حتى تجد الحرفيين منضمين إليها شأنهم شأن الفلاحين ، وذلك من أجل الخلاص من الجور والظلم والاستبداد الحكومي والإرهاق والتعسف الاقطاعي .

ب - مساهمة شعوب مختلفة (العرب، الأكراد، الإيرانيون، الديالة والأرمن) في الانتفاضة الأذربيجانية،

ساهمت جموع الشعب من أبناء المناطق التي عمتها الانتفاضة ، ولما كان المساهمون من طبقات وفئات مختلفة ، لهذا فإن الغايات لم تكن موحدة ، فالمنحدرون

من أصل ارستقراطي أو من الاغنياء أو من الملاكين الصغار أو من موظفي الدولة من ولاية وقادة عسكريين ، كل هؤلاء لم يكن حب الثورة أو المنهاج الثوري هو الذي حدا بهم للانضمام للحركة ، ولكن أغليبتهم انضمت بسبب حقدها وكرهيتها للنظام القائم وبدافع من مطامعها الشخصية أو بحكم وجودها في المناطق المنتفضة ، والأهم من ذلك بسبب خوفها من الانتفاضة وعدم استطاعتها الوقوف بوجه تيارها العارم . أما المعدمون فقد انضموا للحركة ، شأنهم شأن معدمي اذربيجان ، بسبب الضائقة الاقتصادية والجور الاقطاعي والاستبداد الحكومي آملين بلوغ أوضاع جيدة تتحسن فيها أمور معيشتهم ويتخلصون من الاستعباد ، وكانت مساهمتهم تعبيراً عن استيائهم .

مساهمة العرب:

كانت تقطن المناطق الشرقية من الخلافة قبائل عربية جاءت إليها مع الفتح وبعده واستوطنت هناك وقد زاولت مهناً مختلفة أهمها الزراعة حيث استولت على أطيب الأراضي^(٢٦٣) ، وقد ساهمت هذه القبائل في فعاليات مختلفة ضد الخلافة معبرة عن سخطها وكرهيتها للتعسف الحكومي ، كما وأن العداء الشخصي بين الارستقراطيين القبليين العرب (شيوخ القبائل) وبين الولاة ، ولطامح الارستقراطيين^(٢٦٤) دوره في ذلك . وقد ساهمت هذه القبائل في انتفاضات الخوارج ، كما أنها كانت تنتفض ضد السلطة بين حين وآخر .

فقدت هذه القبائل بمرور الزمان كثيراً من المحفزات القبلية في تصرفاتها وبدأت تتأثر بمؤثرات موضوعية محلية ، فكانت جماهير العرب المعدمة تساهم بالثورات والانتفاضات المحلية ضد السلطة وضد الملاك المحليين . وتجدد الإشارات كثيرة إلى ذلك ، ولو أن المؤرخين ينسبون هذه التمردات والانتفاضات إلى الأشخاص القائمين بها ، فاليعقوبي يذكر ثورة الصفارية بوجه خالد بن يزيد بن مزيد والي المأمون على ارمينيا في عهد الانتفاضة البابكية^(٢٦٥) ، ثم يذكر أنهم نقضوا الصلح الذي عقده مع خالد « ووثب معهم القيسية وشغبوا على خالد »^(٢٦٦) ، ولما لم يكن في استطاعة اليعقوبي وغيره التعمق في معرفة أسباب التمردات والانتفاضات اكتفوا بتعدادها على أنها مخالفات وعصيان بوجه السلطة الشرعية^(٢٦٧) .

وأما عن الأمراء والرؤساء العرب الذين أيدوا أو انحازوا إلى الانتفاضة ، فقد وردت عنهم نصوص كثيرة في مختلف المصادر العربية . فاليقوبى ذكر عن حاتم بن هرثمة بن أعين الذي ولاه المأمون أرمينيا... وعمل على أن يخلع ، وكاتب البطارقة ووجوه أهل أرمينيا وكاتب بابك والخرمية وهون أمر المسلمين عندهم^(٢٦٨) . وذكر أيضاً عسيان سودة بن عبد الحميد الجحافي بوجه القائد عيسى بن محمد والى أرمينيا الذي أسند المأمون إليه محاربة بابك . وأشار اليقوبى إلى أن محمد بن البعيث قد شاع بابك^(٢٦٩) ، وقد ذكر الطبرى أن لمحمد بن البعيث قلاعاً في أذربيجان وكان يستقبل سرايا بابك ، ويستضيفهم^(٢٧٠) ، ويرى رأيت أن انضمام ابن البعيث إلى بابك قد وسع نفوذ بابك إلى الجنوب من المراغة وزنجان^(٢٧١) ، لكن ابن البعيث نكث أخيراً العهد مع بابك - كما سنرى في الفصل الرابع . ويشير الطبرى في حوادث سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧م) إلى أن محمد بن حميد الطوسي الذي وجهه المأمون لمحاربة بابك وسار على طريق الموصل وأخذ « بعلي بن مرة ونظرائه من المتغلبة بأذربيجان فبعث بهم إلى المأمون »^(٢٧٢) ، وذكر أيضاً في حوادث سنة ٣١٧ هـ (٨٢٢م) عن علي بن هشام ، والى الجبل وقم واصبهان ، من قبل المأمون ، أن المأمون وجه اليه عجيلاً فأراد أن يفتك به ويلحق ببابك ، فظفر به عجيف فقدم به على المأمون فأمر بضرب عنقه^(٢٧٣) . ولا شك أن رغبة علي بن هشام في الانضمام للانتفاضة كانت لمجرد مناهضة الخليفة الذي حاسبه على تصرفاته السيئة . ويردد ابن خلدون رواية الطبرى عن حوادث سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧م) حول محاربة محمد بن حميد الطوسي لعلي بن صدقة المعروف بزريق (عينه المأمون والياً على أرمينيا وأذربيجان سنة ٢٠٩ هـ (٨٢٤م) ، ولكنه عصى) وبابك الخرمي^(٢٧٤) . إن المؤرخين وإن لم يشيروا إلى انضمام هؤلاء للحركة ، فإنهم (أي الأمراء) حسب رأينا لم يكن أمامهم ، وقد انتفضوا على السلطة ، إلا الانضمام لجيش الانتفاضة ، إذ لا مفر لهم من ذلك لكونهم في مناطق الانتفاضة ، غير أن المؤرخين يذكرون أسماء هؤلاء مع اسم بابك عند ذكر تعيين الخليفة لقائد لمحاربة الثائرين .

مساهمة الأكراد:

ضمت الانتفاضة مناطق واسعة من الأراضي التي يسكنها الأكراد ، فاقليم الجبال (أو بلاد ميديا) يقطنه الأكراد بالإضافة إلى أن الأكراد يقطنون في أذربيجان الإيرانية واربينيا^(٢٧٥) وغرب أذربيجان الشمالية . لهذا فإن الشعب الكردي الذي كان يقاسي شظف العيش بسبب من تضافر قساوة الطبيعة واستغلال الارستقراطيين ، لابد وأنه قد ساهم في الانتفاضة البابكية ولا يستبعد ذلك والشعب الكردي البائس قد ساهم سابقاً في كثير من الثورات والانتفاضات فأبناءؤه يحفظون اسطورة الحداد الكردي كاوه^(٢٧٦) ، الذي أهوى بمطرقته على رأس الطاغية الضحاك ، وأصبح كاوه البطل الأسطوري للشعب الكردي المحب للحرية . لهذا من المحتمل أن هذا الشعب المحب للحرية كان يقلق بال الذين يحلمون بالسيطرة على الجبال بسلام فتتعالى على ذرى جبال الأكراد وفي أوديتها نيران الحقد والكراهية ينفثها عن صدره هذا الشعب المكتوي دائماً بالسيطرة الاجنبية والاستغلال المحلي^(٢٧٧) ، لقد ساهم معدمو الأكراد من فلاحين ورعاة وحرفيين في مختلف الثورات وفي الانتفاضات الخرمية^(٢٧٨) والانتفاضة البابكية ، وأما الارستقراطية الكردية فكانت تميل إلى جانب القوي ، ولهذا وبسبب قيام الانتفاضة في الأراضي الكردية اضطر الأمراء الأكراد إلى المساهمة في الانتفاضة . وتشير غالبية المصادر إلى مساهمة الأكراد في الانتفاضة بصراحة ، أو تشير إلى ذكر مناطقهم ، فاليقوبى يذكر عن بابك (...وعصمة الكردي صاحب مرند في طاعته)^(٢٧٩) ، ويشير الطبري إلى أنه في سنة ٢١٨ هـ (٨٢٣م) دخل جماعة كثيرة من أهل الجبال من همذان وأصبهان وماسبذان ومهرجانقذق في دين الخرمية وتجمعوا في همذان...^(٢٨٠) . وهذه المناطق التي ذكرها الطبري يسكن غالبيتها الأكراد ، وقد أشار المسعودي في المروج^(٢٨١) وفي التنبيه والاشراف^(٢٨٢) ، وابن النديم^(٢٨٣) وابن الاثير^(٢٨٤) وابن العبري^(٢٨٥) إلى مساهمة أبناء هذه المناطق في الانتفاضة ، كما ويشير جوزي ولويس والدوزي^(٢٨٦) إلى انضمام الأكراد للانتفاضة ، غير أن جوزي يرى أن بين الذين التفوا حول راية بابك من كان قد لبى الدعوة «طمعاً بالحصول على منافع مادية لم يكونوا لينالونها إلا من الثورات والحروب الأهلية وأكثر هذا الفريق كان من الأكراد»^(٢٨٧) . ولكن لا يمكن الاتفاق مع جوزي في اطلاق التهمة على الأكراد إذ قد يجوز وجود قسم

من الأكراد يركّز وراء المطامع المادية ولكن حتماً ليس كل الأكراد . ومن المهم أن نشير إلى أن المؤلف الأرمني ليو يذكر بأن سكان منطقة البذ الجبلية كانوا يسمون بالكوردوك Kurduk ويقول ليو : وترتبط هذه التسمية ولاشك بكلمة كرد^(٢٨٨) . والظاهر أن الرابطة قوية بين التسميتين مما يرجح وجهة نظر ليو . ويعتقد بونيياتوف بأنه لاعتبارات سياسية انضم مالك مرند عصمة الكردي ومعه بعض الأمراء الأكراد^(٢٨٩) ، ورأى بونيياتوف صحيح لأن الارستقراطية الكردية ، كسوية الارستقراطيين الآخرين ، كما قلنا ، كانت تميل إلى الجانب القوي .

مساهمة الإيرانيين:

ساهمت جموع الشعب الإيراني في ثورات عديدة نتيجة سوء الأوضاع الاقتصادية ، حيث كان أبناء الشعب وغالبيتهم من الفلاحين ، يقاسون من ثقل الضرائب والجور الاقطاعي والتعسف الحكومي ، ولما لم يف العباسيون بوعودهم التي أطلقوها ابان دعوتهم في تخفيف الضائقة الاقتصادية عن أبناء الشعب ، لجأ هؤلاء إلى الثورة ، فكانوا عماد انتفاضات الخرمية حيث أشارت غالبية المصادر إلى انضمام أهالي قم وهمدان ونهاوند واقلیم الجبال ومنطقة بحر الخرز وأصفهان إلى الخرمية^(٢٩٠) . ان نظرة نلقيها على مواقع الانتفاضة ترىنا أن قسماً كبيراً من الجزء الشمالي الغربي من ايران كان ضمن حدود الانتفاضة البابكية^(٢٩١) ، وقد دخل فلاحو تلك المناطق في الحركة بحض ارادتهم^(٢٩٢) يحدوهم أمل التخلص من النير والاذلال الطبقي والتسلط الحكومي الجائر ، حيث كانت الحلول التي دعت البابكية^(٢٩٣) إلى تطبيقها عناصر جذب لجماهير الفلاحين . أما صغار الملاكين وقسم من الارستقراطية ، فلم يدر بخلداهم مشاركة الثورة من أجل تحسين الأوضاع الاقتصادية للفلاحين ولبقية المعدمين^(٢٩٤) ، وإنما دفعتهم الرغبة في التخلص من الحكم الأجنبي ، الذي حدد نفوذهم ، إلى المساهمة في الانتفاضة ، بالإضافة إلى تخوفهم من تنكب سير الانتفاضة وهي قائمة في مناطقهم .

غالبية المصادر القديمة والمراجع الحديثة طافحة بأخبار امراء جرجان وطبرستان وأخبار الإيرانيين الخرميين الذين ثاروا في مناطق متعددة مؤيدين ومناصرين بابك في

انتفاضته ، وسنشير إلى بعض الحوادث المهمة . فمدينة قم التي هي من مناطق الخرمية كما تشير غالبية المصادر ، كانت تتظلم من فداحة الضرائب - مليوني درهم - وطالبوا بتخفيض ما عليهم من خراج فلم تصغ الحكومة لمطالبهم فثاروا في سنة ٢١٠ هـ (٨٢٥م) كما يشير الطبري (وخلع أهل قم السلطان ومنعوا الخراج)^(٢٩٥) فأمر المأمون واليه عليا بن هشام ان يحاربهم فقضى على الحركة وقتل رئيسهم يحيى بن عمران وهدم سور قم وجباها سبعة ملايين درهم^(٢٩٦) . لقد كان جواب الحكومة قاسياً حيث اعملت فيهم السيف وضاعفت الضريبة إلى ثلاثة أمثالها ولهذا عاد أهل قم بعد ست سنوات للانتفاض ثانية ، فقد ذكر ابن الأثير عن حوادث سنة ٢١٦ هـ (٨٣١م) « وفيها هرب جعفر بن داود القمي إلى قم وخلع الطاعة بها »^(٢٩٧) . ولم تكن استجابة أهل قم للانتفاضة التي دعا إليها جعفر إلا تعبيراً عن سخطهم على الإجراءات التعسفية التي اتخذتها السلطة بحقهم بعد سحق انتفاضتهم السابقة . ويشير نظام الملك إلى انتفاضة أخرى قامت حوالي مدينة أصفهان وقد انضمت إليها الباطنية ويحدد نظام الملك تاريخ الانتفاضة بسنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م في أيام المأمون^(٢٩٨) .

مساهمة الديلمية،

كانت ظروف الديلمية قاطني السواحل الجنوبية الغربية لبحر الخزر مشابهة لحد ما لظروف مجاورهم من الايرانيين والاذريجانيين ، وكانوا يقاسون من شظف العيش نتيجة الارهاق الاقطاعي واستغلاله ومن جور السلطة ، لهذا كان طبيعياً أن تنضم جماهير الديلم المعذمة إلى الانتفاضة الاذريجانية^(٢٩٩) من أجل حل قضيتها وكانت مساهمة الديلمية جسيمة لدرجة اعتبر البغدادي أن جيش بابك المؤلف « من أهل البدين (البذ) ومن انضم اليهم من الديلم مقدار ثلاثمائة ألف رجل »^(٣٠٠) . والبغدادي اعتبر جيش بابك متألفاً بصورة رئيسة من الاذريجانيين والديلمية . ورواية البغدادي وإن كانت غير دقيقة في تحديد العدد وحصرها لجيش بابك بالبذيين والديلمية إلا أنها تدل على جسامه عدد الديلمية في الانتفاضة البابكية^(٣٠١) ، ومع ذلك فإن تومارا يعتقد بأن الخرميين الديلمية لم ينضموا إلى جيرانهم المنتفضين الاذريجانيين ولم يبدوا لهم مساندتهم ، ويعزو السبب إلى أن الفلاحين في القرون الوسطى كثيراً ما لا يحركون

ساكناً نتيجة تعودهم للخضوع^(٤٠٢) . وقد اعتمد في رأيه على تحليل انكلز لنضال الفلاحين في القرون الوسطى وذلك في بحثه عن الحروب الفلاحية في المانيا^(٤٠٣) . لكن مقولة انكلز وإن كانت صحيحة كمبدأ عام لا يمكن استخدامها لنقض حقيقة واقعة ، إذ أن الحقيقة الواقعة تشير إلى أن الديالمة ساهموا بقسط في الانتفاضة البابكية^(٤٠٤) .

مساهمة الأرمن:

ضمت الانتفاضة البابكية الجزء الشرقي والجنوبي الشرقي من ارمينيا ، ولما كانت أحوال جماهير الشعب الارمني الاقتصادية وظروفها المعاشية وحياتها لا تختلف بكثير عن أحوال وظروف مجاورهم حيث كان الشعب الأرمني يئن من إرهاق وتعسف الاقطاعية والسلطة لذا قام - في العصرين الأموي والعباسي - بانتفاضاته ، كما وساهم في الانتفاضة البابكية ، ولاسيما الأرمن المتاخمون لميادين الانتفاضة حيث اشتركوا فعلياً في فعاليتها ، أما امراء ارمينيا فلم يساهم منهم إلا الذين كانوا مجاورين حيث كانوا يخشون الوقوف بوجه الانتفاضة العارمة ، ولضعف سيطرة الخلافة في تلك المناطق حيث عزلتهم الانتفاضة عن مركز الخلافة . وقد عادى قسم من امراء ارمينيا الانتفاضة بما دفع الخرميين لمحاربتهم^(٤٠٥) . أما الذين أيدوا الانتفاضة فقد توطدت علاقاتهم مع المنتفضين وخاصة أمراء سونيك^(٤٠٦) حيث تزوج بابك من ابنة اميرهم فاساك^(٤٠٧) . يذكر ليو أن لبابك في سونيك وارتساخ أقارب وأصدقاء وحتى أنصاراً عقائديين^(٤٠٨) . ومن الناحية الأخرى نرى أن الأمراء الآخرين الحائزين على امتيازات من الخلافة نتيجة تعاقدهم معها على دفع ضرائب محددة يصبحون بموجبها شبه مستقلين في إدارة أملاكهم ، فإنهم لم يساهموا في الانتفاضة التي كانت برامجها الاجتماعية - الاقتصادية تهدد مصالحهم بالذات فلم تكن لهم فائدة في نجاحها .

والملاحظ أن المصادر العربية لا تشير صراحة إلى مساهمة الشعب الأرمني في الانتفاضة وإنما كانت تشير إلى قيامه بالاضطرابات والحركات أيام قيام الانتفاضة البابكية في سبيل تحرره من السلطة التي فرضت عليه ضرائب باهظة قدرها الجهشيارى بـ ١٣ مليون درهم بالسنة^(٤٠٩) ، فالمصادر إذن تشير إلى ارمينيا عند ذكرها للفعاليات الحربية والمناطق المنتفضة في عهدي المأمون والمعتصم أيام الانتفاضة البابكية

وقد أشار بذلك اليعقوبي إلى أن أرمينيا كانت مضطربة حينما ولى المأمون (في زمن الانتفاضة) الحسن بن علي الباذغيسي والياً على أرمينيا^(٤١٠) . وتشير المراجع الحديثة إلى مساهمة الشعب الأرمني في الانتفاضة ، غير أن جوزي يسمي مقاطعة سونيك باسم سونيا (صهيون ؟)^(٤١١) وهو غير موفق في هذه التسمية كما وأن يامبولسكي ، وتاريخ أذربيجان^(٤١٢) يشيران إلى وجود عقد ، أو ارتباط الخرميين بعقد مع الجورجيين وهذا غير صحيح .

هوامش الفصل الثالث

- (١) الزندقة حركة ذوي الآراء الحرة من الملحدين المناهضة للأديان والسلطة بصورة سلبية فردية . ويعرف الأشخاص بالزنداقدة (جمع زنديق - نسبة إلى كتاب الزند ، وهو تفسير كتاب الافستا المجوسي) . ولا يخفى أن الكثيرين من ذوي الآراء الحرة والأفكار الجريئة اتهموا جزافاً بالزندقة . راجع الملحق رقم ٢ .
- (٢) لي ، هيرمان ، مختصر تاريخ القرون الوسطى المادية ، ص ٥٢ ، انظر الطبري عن حوادث سنة ١٦٧ هـ ، «وفيها جد المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم وولى أمرهم عمر الكلواذي فأخذ يزيد بن النبطي كاتب المنصور فأقر فيما ذكر» ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٥١٩ - ٢٠ ، وفي الجهشيار عمر الكلواذاني ، ص ١١٥ - ٦ ، انظر اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٢٣ ، وابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، عن حوادث سنة ١٦٧ هـ .
- (٣) الدولة العربية وسقوطها ، ص ٤٠٨ .
- (٤) يذكر انكلز ، فردريك في كتابه الحرب الفلاحية في المانية ، لقد استمرت المعارضة الثورية للاقطاع طيلة القرون الوسطى ، فقد اتخذت تبعاً للظروف الزمنية ، أشكالاً مختلفة فمرة كانت تتخذ مظهراً دينياً وأخرى شكل هرطقة مكشوفة وتارة تقوم بشكل انتفاضة مسلحة ، ص ٢٤ .
- (٥) ذكر الطبري ، قال علي عن أبي بكر الهذلي قال اني لواقف بباب امير المؤمنين إذ طلع فقال رجل إلى جاني هذا رب العزة هذا الذي يطعمنا ويستقينا فلما رجع أمير المؤمنين ودخل عليه الناس دخلت وخلا وجهه فقلت له سمعت اليوم عجباً وحدثته فنكت في الأرض وقال يا هذلي يدخلهم الله النار في طاعتنا ويمتثلهم أحب إلي من أن يدخلهم الجنة بمصيتنا) ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ١ ، ص ١٢٢ .
- (٦) تراث فارس ، ص ٣٦ .
- (٧) كريستنسن ، إيران ، ص ١٩ .
- (٨) م . ن . ، ص ١٩ ويقول بأن المزدية أقدم من الزرادشتية ، انظر ماجد ، عبد المنعم ، ويقول عن المجوسية (هي كلمة فارسية انتقلت إلى العربية لتدل على دين الفرس والمؤمن بهذه الديانة يسمى (مجوسي) مثل يهودي والجمع مجوس ، وهي بحسب رواية العرب - ديانة تنسب إلى شخص معين اسمه منج كوش ظهر قبل زرادشت) - التاريخ السياسي - ج ١ ، ص ١٩٢ ، هامش رقم - ١ .
- (٩) كتب الديونوري (وكان زرادشت صاحب المجوس) ، الأخبار الطوال ، ص ٢٨ ، ويعتبر الشهرستاني أن (للمجوس ثلاث فرق هي : ١ - الكيومرثية ، ٢ - الزروانية - ٣ - الزرادشتية) - الملل والنحل - ج ١ ، ص ٢٢٣ - ٧ . انظر كريستنسن حيث كتب والظاهر أن زرادشت أدعى النبوة نبياً لمذهب مزدي معدل في الشرق ربما كان في الإقليم الذي به أفغانستان الحديثة وذلك في القرن السابع ق . م . وفي هذا الإقليم الذي سكنته قبائل زراعية مستقرة) - إيران - ص ١٩ ، ويشير تراث فارس (بالرغم من أن وجود النبي زرادشت موضع جدل ، إلا أن هنالك رأياً بوجوده في القرن السابع ق . م .) ، ص ٣٦ ، ويخطي ، زيدان ، عبد الكريم عندما يعد المزدكية والخرمية من فرق المجوس - أحكام الذميين والمستأمنين ، ص ١٥ .

- (١٠) يذكر ماجد ، عبد المنعم ، عن الملوك الساسانيين (عملوا على تقوية نفوذ رجال الدين بقصد الابقاء على طغيانهم) ، التاريخ السياسي ، ج١ ص ١٩٢ .
- (١١) كريستنسن ، إيران ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .
- (١٢) كريستنسن ، إيران ، ص ١٠٣ ، وقد كتب : (وقد سار رجال الدين في الدولة الساسانية مع نبلاء الاقطاع جنباً إلى جنب) .
- (١٣) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية في القرون الوسطى : (الجماهير الشعبية ، بمساندتها الهرطقة الدينية المعارضة للمعابد الرسمية ، عبرت عن احتجاجها على الظلم الذي تكاثر مع تفسخ المجتمع واسترقاق الأحرار) ، ص ٧٩ .
- (١٤) نسبة إلى ماني المعلم الروحي لفرقة المانوية الثنوية ، حول المانوية من المفيد الرجوع إلى المصادر والمراجع التالية : الدينوري ، الأخبار الطوال - ص ٤٩ - ٥٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ج ٣ ص ٨٢٠ - ٤ ، المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ومروج الذهب ج ١ ط ٣ ص ٢٤٩ - ٥٠ ، والمطلي ، التنبيه والرد ، ص ٧٣ ، والفهرست لابن النديم وقد اعتمد عليه الكثير من المؤرخين ، ص ٤٧٠ - ٨٦ ، البيروني ، الآثار ، ص ٢٠٧ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٣ ص ١٥٧ ، الشهرستاني الملل والنحل ، وقد عمل جدولاً يقارن فيه التشابه والتضاد بين الخير والشر ، ج ١ ص ٢٢٤ - ٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ، كريستنسن - إيران (ويذكر أهم المصادر والمراجع الأجنبية القديمة والحديثة والنصوص المانوية المكتشفة في أماكن مختلفة من العالم) ، إيران ، ص ١٦٩ - ١٩٥ ، كروي - الحضارة الإسلامية ، (مترجم) ، ص ٧٣ ، زيدان ، جرجي - تاريخ التمدن ، ج ١ ص ٣٥ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ١ ط ٢ ص ١٠٨ ، لويس ، العرب ، ص ٦٧ ، ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي ، ج ١ ص ١٩٤ - ٦ ، حتي ، فيليب ، تاريخ العرب (مطول) ، ج ٢ ط ٣ ص ٤٩٣ ، دياكونوف ، مختصر تاريخ إيران القديم ، ص ٣٠٠ - ٤ ، بارتولد ، تاريخ الحياة الحضارية لتركستان ، ص ٤٤ والحضارة الإسلامية ، ص ١٠ والترجمة ، ص ١١ - ١٢ وسيمونوف - مقالة المزدكية في مسائل تاريخ الدين والإلحاد العدد - ٥ - لسنة ١٩٥٨ ، ص ٣١٥ - ٢٠ ، الدوري مقدمة ، ص ٨٠ ، الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٢٦ وما بعدها ، شريف ، محمد بديع ، الصراع ، ص ٥٤ ، محفوظ ، حسين علي ، رسالة في تحقيق لفظ زنديق ، الخربوطلي تاريخ العراق ، ص ٢٦٣ .
- (١٥) يسميه اليعقوبي (ماني بن حماد الزنديقي) ، التاريخ ، م ١ ص ١٥٩ ، المسعودي (ماني بن يزيد تلميذ قارون) ، مروج ، ج ١ ص ٢٥٠ ، ابن النديم (ماني بن فتق بابك بن أبي برزاق) ، الفهرست ، ص ٤٧٠ ، البيروني ، (ماني تلميذ فادرون) ، الآثار ، ص ٢٠٧ ، والصحيح ما أورده الشهرستاني (ماني بن فاتك الحكيم) ، الملل والنحل ، ج ١ ص ٢٤٤ ، أما ولادته ففي سنة ٢١٥ م على ما ترجمه الروايات وهناك من يذكر ٢١٦ م أو ٢١٧ م في سيسان (ناحية في لواء العمارة - الجمهورية العراقية) ولقد ذكر ابن النديم في ديستيميسان (في ناحية من نواحي ديستيميسان ، الفهرست ، ص ٤٧١) التي هي من نواحي ميسان ويسمونها كريستنسن ميسين ، إيران ، ص ١٧١ وهي تحريف لميسان ولا شك .
- (١٦) ذكر ابن النديم (وجال ماني البلاد قبل أن يلقي سابور نحو أربعين سنة... وكان ماني دعا الهند والصين وأهل خراسان ، وخلف في كل ناحية صاحباً له) ، الفهرست ، ص ٤٧٢ ، كريستنسن ، إيران ، ص ١٧١ ، دياكونوف ، مختصر تاريخ إيران ، ص ٣٠١ .
- (١٧) يقول ابن النديم (واستخرج ماني مذهبه من المجوسية والنصرانية) ، الفهرست ص ٤٧٢ ويضيف على ذلك البيروني مذهب الثنوية ويقصد الغنوسية ولاشك فقد كتب أبو الريحان (وكان عرف مذهب المجوس والنصارى والثنوية) ، الآثار ، ص ٢٠٧ ، ومن كل ذلك يستخلص الشهرستاني بأن ماني (أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية) ، الملل والنحل ، ج ١ ص ٢٤٤ ، ولا ريب أن بارتولد قد استنار برأي الشهرستاني حينما توصل إلى أن (أراء بردسان الكاتب السرياني الذي حاول التأليف بين الفلسفة الوثنية المسماة الغنوسية (الغنوسية) Gnosticism وبعض آراء النصرانية ، ولا ريب قد أثرت في المانوية التي ظهرت في القرن الثالث) ، الحضارة الإسلامية ، ص ١٠ ، والترجمة العربية ، ص ١١ - ٢ ، ويشابه كريستنسن في آرائه ما توصل إليه بارتولد فقد كتب كريستنسن (وقد نشأ الطفل - يقصد ماني - على مذهب المعتسلة - الصابئة - . ولكنه تعمق بعد ذلك في درس أديان زمانه الزرادشتية والمسيحية والمذاهب الجينيستكية (الغنوسية) وخاصة مذهبي ابن ديسان ومريقون فترك مذهب المعتسلة) ، إيران ص ١٧١ - ٢ .
- حول علاقة الغنوسية بالمانوية راجع الملحق - ب - ٢ .

- (١٨) كتب البيروني عن ماني (ودعا إلى ملك عوالم النور والإنسان القديم وروح الحياة وقال بقدوم النور والظلمة وأزليتهما) ، الآثار ، ص ٢٠٧ .
- (١٩) كريستنسن ، إيران ، ص ٢٠ .
- (٢٠) رستم ، أسد ، الروم ، ج ١ ص ٤٨ ، دياكونوف ، مختصر تاريخ إيران ، ص ٣٠١ . سيمينوف مقالته عن المزدكية ، مسائل التاريخ ، الدين والإلحاد ، العدد ٥ ص ٣١٨-٩ .
- (٢١) ابن الأثير ، الكامل ، هامش ص ٢٢٦- الجزء الأول ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ١ ط ٢ ص ١٠٨ .
- (٢٢) ذكر البغدادي (وقد ذهب المانوية أيضاً إلى التناسخ) ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٧١ ، كريستنسن (والظاهر أن ماني قد أخذ نظريته في التناسخ عن المذاهب الهندية ومن المحتمل أن يكون عن البوذية) ، إيران ، ص ١٨١ ، كزير ، الحضارة الإسلامية (مترجم) ، ص ٧٣ ، دياكونوف ، مختصر تاريخ إيران ، ص ٣٠١ .
- (٢٣) كزير ، الحضارة الإسلامية (مترجم) ، ص ٧٣ ، كريستنسن ، إيران ، ص ١٨١ ، ديانوكوف ، مختصر تاريخ إيران ، ص ٣٠١ .
- (٢٤) الفهرست - ص ٤٨٢ .
- (٢٥) كريستنسن ، إيران ، ص ١٨٤ ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية (أوائل الساسانيين لم يقاوموا انتشار المانوية) ، ص ٧٩ ، تاريخ إيران ، ص ٥٠ .
- (٢٦) كريستنسن ، إيران ، ص ١٦٩ ، تاريخ إيران ، ص ٥٠ ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٧٩ .
- (٢٧) كريستنسن ، إيران ، ص ١٨٥ .
- (٢٨) كريستنسن ، إيران ، ص ١٨٥ .
- (٢٩) تاريخ إيران ، ص ٥٠ ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية (ولكن عندما توضحت صفات المعارضة للحكومة والمعابد في الموعظة المانوية بدأت الحكومة بالظلم القاسي ضد انصار ماني) - ص ٧٩ ، كريستنسن (وقد حكم على ماني بالكفر فأدخل السجن حيث عذب عذاباً مميئاً مات على أثره وكان ذلك عام ٢٧٦ م... وفي رواية شرقية صلب ماني وسلخ حياً) ، إيران ، ص ١٨٧ ، انظر ايفانوف م . س . مختصر تاريخ إيران ، ص ٢٨ - ٢٩ ، ومقالة سمينوف (المزدكية) العدد ٣ مسائل التاريخ ، الدين والإلحاد ، ص ٣٢٠ ، انظر تراث فارس حيث يعزو اضطهاد المانوية إلى دوافع سياسية (فالمجوس كانوا يحسدونهم) ، ص ٥٥ .
- (٣٠) هنالك اختلافات بين القدماء والمحدثين من المؤلفين حول الفترة التي انتهى فيها ماني وقد آثرنا الاعتماد على أكثر الروايات تكراراً .
- (٣١) تاريخ اليعقوبي ، م ١ ، ص ١٥٩ .
- (٣٢) الدينوري (وتتبع أصحابه ومن استجاب له فقتلهم جميعاً) ، الأخبار الطوال ، ص ٥٠ ، الطبري (... وقتل أصحابه ومن دخل في ملته) ، م ١ ج ٣ ص ٨٣٤ ، المسعودي (فقتله وقتل الرؤساء من أصحابه) ، المروج ، ج ١ ص ٢٥٠ ، كريستنسن ، إيران ، ص ١٩٠ ، سمينوف ، مقالة المزدكية ، ص ٣١٦ ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٧٩ ، ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، الدوري - الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٢٤ .
- (٣٣) بارتولد ، تاريخ الحياة الحضارية لتركستان ، ص ٤٤ ، سمينوف ، مقالة المزدكية ، ص ٣١٦ .
- (٣٤) تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٨٠ .
- (٣٥) م . ن . ص ٨٠ .
- (٣٦) نسبة إلى قائد الحركة الجماهيرية والمنظم الروحي للتعاليم الفلسفية الدينية المقرونة باسمه - مزدك بن بامداد - الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ج ٢ ص ٨٩٤ ، اليعقوبي ، التاريخ ، ج ١ ص ١٨٦ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ١٠١ ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٩٣ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ص ٢٤٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ ص ٢٤١ ، راجع حول مناقشة الاسم لدى كريستنسن ، إيران ، ص ٣٢٦ ، يذكر أمير علي أن مزدك عاش في أيام أنوشروان - مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٣٢ ، وهذا خطأ حيث قتل سنة ٥٢٩ م زمن الملك قباد . ويذكر سمينوف أن مزدك يلفظ بالفارسية الحديثة Movegek وبالطاجيكية موزدك Myzgak ، مقالة المزدكية ، ص ٣٢٢ .
- (٣٧) حول ارتباط المزدكية بالمانوية والزرادشتية وحول در بندس (زرادشت) يمكن مراجعة المصادر المذكورة في

- الهامش السابق ، انظر كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٢ - ٣٢٧ ، ويذكر يامبولسكي : أن مزدك كان تحت تأثير المانوية ، انتفاضة بابك ، ص ١١ . انظر تاريخ ايران ، ص ٥٦ ، وتاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٨٢ ، وغرشمان ، ايران ، ص ٣٠٢ .
- (٢٨) الملل والنحل ، ج ١ ص ٢٤٩ ، ويحكي ذلك عن الوراق ، محمد بن هارون المعروف بابي عيسى الوراق وكان في الأصل مجوسياً .
- (٢٩) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٧ ، تاريخ ايران ، ص ٥٦ ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٨٢ .
- (٤٠) (هذا النصر يجب أن يتقرر ليس في العالم الآخر وإنما في الحياة الواقعية الأرضية) ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٨٢ تاريخ ايران ، ص ٥٦ .
- (٤١) تاريخ ايران ، ص ٥٦ ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٨٢ .
- (٤٢) (وحكي عنه أنه أمر بقتل النفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة) ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ص ٢٤٩ .
- (٤٣) الطبري ، تاريخ ، م ١ ج ٣ ص ٨٨٥ - ٦ ، الملطي ، ص ٧٢ ، البيروني ، الآثار ، ص ٢٠٩ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٣ ص ١٦٧ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ص ٢٤٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ ص ٢٤١ ، أبو الفداء ، كتاب المختصر ، ج ١ ص ٦٦ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٢ ص ١٧٦ .
- (٤٤) تاريخ الرسل ، م ١ ج ٣ ص ٨٨٦ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ .
- (٤٥) التنبيه والرد ، ص ٧٢ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ .
- (٤٦) الآثار الباقية ، ص ٢٠٩ .
- (٤٧) الملل والنحل ، ج ١ ص ٢٤٩ .
- (٤٨) كتاب العبر ، ج ٢ ص ١٧٦ .
- (٤٩) كريستنسن ، ايران ، ص ٢٣٠ ، ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي ، ج ١ ص ١٩٧ ، انظر أيضاً تاريخ ايران ، ص ٥٦ .
- (٥٠) تاريخ ايران ، ص ٥٦ .
- (٥١) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٣ - ٦ ، تاريخ ايران ، ص ٥٦ .
- (٥٢) كريستنسن ، ايران ، ص ٢٢٦ ، سمينوف ، مقالة المزدكية ، ص ٢٢٢ .
- (٥٣) كريستنسن ، ايران ، ص ٢٢٦ .
- (٥٤) تاريخ الرسل ، م ١ ج ٣ ص ٨٨٦ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ .
- (٥٥) كتاب التنبيه والرد ، ص ٧٢ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ .
- (٥٦) الملل والنحل ، ج ١ ص ٢٤٩ .
- (٥٧) تاريخ الرسل ، م ١ ج ٣ ص ٨٨٥ - ٦ .
- (٥٨) الملل والنحل ، ج ١ ص ٢٤٩ .
- (٥٩) تاريخ الرسل ، م ١ ج ٣ ص ٨٨٥ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ .
- (٦٠) مختصر تاريخ ايران ، ص ٢٠ .
- (٦١) مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٣٠٩ .
- (٦٢) م . ن . ص ٣٠٩ .
- (٦٣) تقول بيكولفيسكايا (إن الفلاحين المشاعيين قصدوا العود الخاطي إلى نظام المشاعية) ، تاريخ ايران ، ص ٥٨ .
- (٦٤) سمينوف ، مقالة المزدكية ، ص ٢٢٦ - ٧ ، ٢٤٣ ، عمر فروخ ، العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٣٧٨ - ١٩٥٨ ، ص ٢٢ . وفي أيام قباد نبغ مذهب مزدك ، أو المزدكية ، والمزدكية حركة اجتماعية شعبية وجدت لتقاوم المانوية (مذهب ماني) ، كانت المانوية دين الدولة الحاكمة ودين النبلاء الذين كانوا يستغلون سواد الشعب ويضطهدونه ، فجاءت المزدكية ومنها عنصر شيوعي يقول بأن تقسم

أموال الأغنياء بين الفقراء ، ثم تطرف فقال أيضاً بشيوع النساء . اعتنق قباذ الأول هذا المذهب في السنة الأولى لحكمه (عام ٤٨٨م) .

عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية ، بيروت ١٣٨٤ - ١٩٦٤ ، ص ٦٧ ، المزدكية في أيام قباذ الأول (٤٨٨ - ٥٣١م) نبغ مذهب مزدك أو المزدكية . المزدكية حركة اجتماعية شعبية وجدت لتقاوم المانوية (مذهب مانى) ، دين الدولة الحاكمة ودين النبلاء ، فجاءت المزدكية وفيها عنصر شيوعي يقول بأن تقسم أموال الأغنياء بين الفقراء . ثم تطرف مزدك فقال بشيوع النساء . وقد اعتنق قباذ هذا المذهب وحمل الفرس عليه ودعا العرب في الحيرة ونجد إليه أيضاً . تراث فارس (لوكهارت ، فارس في نظر الغرب) ، ص ٤٣٠ .

(٦٥) أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٣٢ ، موللر ، تاريخ الإسلام ، ص ١٨٢ ، بارتولد ، الحضارة الإسلامية ، ص ١٦ ، ٦٧ ، كريستنسن ، إيران ، ص ٥٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٤٣ ، ٤ ، ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٤٠٨ ، لويس ، أصول الاسماعيلية ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، جوزي ، بندلي ، بابك والبابكية ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ ، من تاريخ الحركات ، ص ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٢ ص ١٤ ، سمينوف ، المزدكية ، ص ٣٢٦ - ٣٤٣ ، ماجد ، عيد المنعم ، التاريخ السياسي ، ج ١ ص ١٩٧ ، الدوري ، الجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٤١ ، العصر العباسي الأول ، ص ٣٦ ، حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، ج ٢ ط ٣ ص ٤٤٠ .

(٦٦) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٤٠٨ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ١ ص ١٠٩ ، الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٨٨ ، شريف ، محمد بدیع ، الصراع ، ص ٥٤ ، ماجد ، عيد المنعم ، التاريخ السياسي ، ج ١ ، ص ١٩٨ ، الخربوطلي ، تاريخ العراق ، ص ٢٦٢ ، زيدان ، عبد الكريم ، أحكام الذميين ، ص ١٥ ، يحيى الخشاب ، مقدمة تراث فارس ، ص ٦٤ .

(٦٧) شريف ، الصراع ، ص ٥٤ ، شلبي ، أحمد ، في قصور الخلفاء ، ص ٣٤ ، عمر فروخ ، العرب والإسلام ، ص ٢٣ ، تاريخ الجاهلية ، ص ٦٧ ، الخربوطلي ، تاريخ العراق ، ص ٢٦٢ ، زيدان ، عبد الكريم ، أحكام الذميين ، ص ١٥ .

(٦٨) نفس المصادر السابقة .

(٦٩) دياكانوف ، مختصر تاريخ إيران القديم ، حاشية رقم ١٥٢ ص ٤١٠ .

(٧٠) كريستنسن ، ويذكر أن أسقف النصارى كان حاضراً المناظرة ويساعد الزرادشتيين على المزدكيين . إيران ، ص ٣٤٥ ، غرسمان ، إيران ، ص ٣٠٣ .

(٧١) يذكر بونياتوف ، المؤرخون البرجوازيون في ترديدهم لروايات المؤرخين الاقطاعيين المتحيزة ، رأوا الشيوعية في شعارات حركات المزدكيين والخرميين البدائية الداعية للمساواة (مشاعية الملكية) ، ولكي يشهروا بالشيوعية الواقعية (العلمية) نسبوا لها حتى (مشاعية الزوجات) أيضاً ، مجلة أخبار أكاديمية علوم الجمهورية الأذربيجانية السوفيتية ١٩٥٩ م العدد ٢ ص ٤٩ .

(٧٢) الفهرست ، ص ٤٩٣ .

(٧٣) ك . فلوكل ، بابك ، مجلة جمعية الاستشراق الألمانية ، ليبزغ ، ١٨٦٩ ص ٥٣١ .

(٧٤) راجع رد موللر عليه في ، تاريخ الإسلام (الترجمة الروسية) ، بطرسبورغ ، ١٨٩٥ ، ص ٦ - ١٩٥ .

(٧٥) بونياتوف - حول مصطلح الخرمية - مجلة أ . ج . أ . س - ١٩٥٩ عدد ٢ ص ، أذربيجان في القرون السابع - التاسع ، ص ٢٣٢ .

(٧٦) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٦ ، من المؤسف أن نجد تأثير هذا القول لدى كتاب سوفيت مثل ماناندبان ، الذي يقر بمشاعية النساء ، الانتفاضات الشعبية ، ص ٤ .

(٧٧) نقد العلم والعلماء أو تلبس أبليس ، ص ٧٤ وذكر في صفحة ١٠٣ (وأباحوا النساء وأحلوا كل محظور . ويردد عبد المال بدون تردد كل ما قيل عن (إباحية مزدك) في كتابه - حركات الشيعة المتطرفين ، ص ٦٦ ، ٦٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٤٩ .

(٧٨) وكتابه تاريخ اليهود (الترجمة الروسية كاركافي) ونقل دياكانوف عن الجزء الخامس ، بطرسبورغ ،

- ١٩٠٢ ، ص ١٠ فيما كتبه عن انتفاضة يهود بابل تحت قيادة مار - زوتري ، وقد اعتبرها ضد المزدكية .
 (٧٩) دياكانوف ، مختصر تاريخ إيران القديم ، حاشية رقم ١٥٣ ص ٤١٠ .
 (٨٠) إيران ، ص ٣٢٩ .
 (٨١) أصول الاسماعيلية ، ص ١٩٩ .
 (٨٢) مختصر تاريخ إيران القديم ، حاشية رقم ١٥٣ ص ٤١٠ .
 (٨٣) سولدوخو ، يو . أ . في مقالة الممتع (الحركة المزدكية وانتفاضة يهود العراق في النصف الأول للقرن السادس بعد الميلاد رقم ٣ - ٤ ص ١٣٦ .
 (٨٤) مختصر تاريخ إيران القديم ، ص ٤١٠ .
 (٨٥) إيران ، ص ٣٢٠ .
 (٨٦) تاريخ إيران ، ص ٥٨ ، انظر غرهمان الذي اعتبر منهاج مزدك ضد حريم النبلاء أيضاً ، حيث فيه (الحريم) عدد غفير من النسوة اللواتي أغلق من دونهن الباب ، إيران ، ص ٣٠٢ .
 (٨٧) يرى بونياتوف : « البحث العلمي لهذه المسألة (مشاعية الزوجات) في الواقع يحتم ملاحظة أن الرواسب الدينية للزواج الجماعي البدائي كانت معروفة لشعوب كل البلدان تقريباً أحياناً تحت ستار الأعراف الدينية الرسمية والأخلاقية والقانونية وعلى الرغم من هذه الأعراف أحياناً » ، ويضيف بونياتوف إلى ذلك : « هذا ما لا يقبل الجدل وليس هناك فُسق ما » ، وقد توصل إلى ذلك مستخدماً آراء فردريك انكلز في أصل العائلة ، ص ٢٦ - ٨٥ « لا يمكن تفهم ظروف المجتمع البدائي طالما كنا ننظر إليه نظرتنا إلى دور البغاء » ، مجلة أخبار ، أ . ع . ج . أ . س . ١٩٥٩ ، م العدد ٢ ، ص ٤٨ ، آذربيجان في القرون السابع - التاسع ، ص ٢٣٣ - ٤ .
 (٨٨) مقالة المزدكية ، ص ٣٢٢ .
 (٨٩) راجع كريستنسن ، إيران من ص ٣٠٨ إلى ص ٣١٩ حول العلاقات بين أفراد الأسرة الإيرانية في العهد الساساني والقوانين العامة التي تحدد مسؤوليات وواجبات كل فرد وعن الوراثة والوصاية والتبني ، ومراجعة دياكانوف ، مختصر تاريخ إيران القديم ، الحاشية رقم ١٥٣ في الصفحات ٤١٠ - ٤١١ حيث فيه بحث طريف عن معالجة المزدكيين لقضية المرأة الإيرانية .
 (٩٠) الذي اختصر تاريخ الطبري .
 (٩١) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ، ص ٩٨ - ٩٩ .
 (٩٢) في الحقيقة أن كريستنسن ينقل في (إيران ، ص ٣٢٩) أقوال الطبري وابن البطريق والثعالبي والشهرستاني وغيرهم ممن أوردنا نصوصاً لهم حول الموضوع ، غير أن جوزي نسبها للبلعمي .
 (٩٣) من تاريخ الحركات ، ص ٩٨ - ٩٩ .
 (٩٤) مجلة أخبار أكاديمية علوم ١٩٥٩ م ، العدد ٢ ، ص ٤٦ ، آذربيجان في القرون السابع - التاسع ، ص ٢٣١ .
 (٩٥) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٦٧ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٨٨٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .
 (٩٦) إيران ، ص ٣٣٠ ، حاشية رقم ٣ ، وكذلك اعتبرت بيكولفسكايا الفترة الأولى ٨ سنوات ، تاريخ إيران ، ص ٥٨ .
 (٩٧) تاريخ إيران ، ص ٥٨ .
 (٩٨) إيران ، ص ٣٣٦ .
 (٩٩) تتفق غالبية المصادر على هذا التاريخ .
 (١٠٠) مقالة المزدكية ، ص ٣٣٤ ، ص ٣٤٢ .
 (١٠١) البيروني ، الآثار ، ص ٢٠٩ ، تومارا ، بابل ، ص ٩ .
 (١٠٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٨٨٥ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٣ ، ص ١٦٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .
 (١٠٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٦٧ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٨٨٢ ، ص ٨٨٧ ، ويسميه ابن خلدون بالصند ، كتاب العبر ، ج ٢ ، ص ١٧٦ .

- (١٠٤) الطبري، تاريخ الرسل، م ١، ج ٣، ص ٨٨٢.
- (١٠٥) كريستنسن، إيران، ص ٣٣٤، رستم، أسد، ويطلق عليهم الهون البيض، الروم، ج ١، ص ١٣٦.
- (١٠٦) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٦٧، اليعقوبي، التاريخ، م ١، ص ١٦٤، الطبري، تاريخ الرسل، م ١، ج ٣، ص ٨٨٥.
- (١٠٧) دياكانوف، مختصر تاريخ إيران القديم، ص ٢٠٧، رستم، أسد، الروم، ج ١، ص ١٣٦، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية، ص ٨٣.
- (١٠٨) يفييف تاريخ بلدان الشرق الأجنبية، ص ٨٣، الجيش الإيراني إلى جيش الهياطة، ولم يرد ذكر الجيش الإيراني في غالبية المصادر.
- (١٠٩) يقدره سمينوف بـ ٣٠ ألفاً، مقالة المزدكيين، ص ٣٣٤.
- (١١٠) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٦٨، كريستنسن، إيران، ص ٣٣٦.
- (١١١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٦٨، كريستنسن، إيران، ص ٣٣٦.
- (١١٢) كريستنسن، إيران، ص ٣٣٦.
- (١١٣) تذكر بيكولفسكايا «في المرحلة الجديدة سياسة الشاه كانت متجهة نحو أضعاف المزدكيين»، تاريخ إيران، ص ٥٩.
- (١١٤) تاريخ بلدان الشرق الأجنبية، ص ٨٣.
- (١١٥) يذكر البيروني «وَأَمَّن قَبَاذُ بِهِ فزَعَمَ بَعْضُ الْفَرَسِ أَنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْهُ إِلَّا اضْطِرَّاراً حِينَ لَمْ يَأْمَنَ مَتَّبِعِيهِ عَلَى مَلِكِهِ»، الآثار، ص ٢٠٩. ويشير غرشمان إلى أن قباز وجد من الشجاعة ليوقف مع الناس لأجل أن يضعف سلطان الارستقراطية، إيران، ص ٢٠٢.
- (١١٦) كريستنسن، إيران، ص ٣٣١ - ٢.
- (١١٧) كريستنسن، إيران، ص ٣٣١، دياكانوف، مختصر تاريخ إيران القديم، ص ٢٠٧، سمينوف ويتفق مع كريستنسن في رأيه، مقالة المزدكيين، ص ٣٣١.
- (١١٨) إيران، ص ٣٣١، راجع مناقشة دياكانوف لأراء كريستنسن هذه في مختصر تاريخ إيران القديم، ص ٣٠٤ - ٥.
- (١١٩) كريستنسن، إيران، ص ٣٣٦.
- (١٢٠) كان كاؤوس أميراً على طبرستان (بذا شخوار - شاه)، كريستنسن، إيران، ص ٣٣٩، ويسميه سمينوف، باتشغواز - شاه، مقالة المزدكية، ص ٣٣٥.
- (١٢١) كريستنسن، إيران، ص ٣٤٤، ويعتقد أنها في نهاية ٥٢٨ وبداية ٥٢٩، ويعتقد ياكوفسكي أنها في عام ٥٢٨، مجلة الاستشراق السوفييتية، المجلد ٣ لسنة ١٩٤٨، ص ٤٠، راجع تاريخ بلدان الشرق الأجنبية الذي يعتبرها في ٥٢٩ م، ص ٨٤.
- (١٢٢) كان أسقف المسيحية بازان حاضراً، كريستنسن، إيران، ص ٣٤٥، سمينوف، مقالة المزدكية، ص ٣٣٦.
- (١٢٣) أيفانوف، مختصر تاريخ إيران، ص ٣٠، ولاشك أن هذا الرقم لا يقتصر على المشاركين في المناظرة.
- (١٢٤) اليعقوبي، ج ١، ص ١٨٦، ويعتبر مقتل مزدك أيام حكم أنو شروان هذا غير صحيح، الطبري، تاريخ الرسل، م ١، ج ٣، ص ٨٩٧، المسعودي، مروج، ج ١، ص ٢٦٤، الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج ٨ (طبعة ١٩٠٤) ص ٦١، المقدسي، المطهر بن طاهر (اعتبر عدد القتلى ٨٠ ألفاً، بينما عددهم الأصفهاني وابن الأثير ١٠٠ ألف)، البدء والتاريخ، ج ٢، ص ١٦٨، ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٢٥٥.
- (١٢٥) الطبري، تاريخ الرسل، م ١، ج ٣، ص ٨٩٧.
- (١٢٦) إيران، ص ٣٥٠.
- (١٢٧) تاريخ الرسل، م ١، ج ٣، ص ٩٦٢.
- (١٢٨) تشير غالبية المصادر إلى أن الخرمية من الشنوية.

- (١٢٩) انظر مقالة بونيباتوف حول مصطلح الخرمية ، مجلة أخبار أ. ع. ج. أ. س. عام ١٩٥٩ م العدد ٢ ص ٤٥ - ٥٠ ، وأذربيجان في القرون السابع - التاسع ، ص ٦٢٠ - ٦٠ .
- (١٣٠) يقول الطبري عن خدش « ثم غير ما دعاهم إليه وتكذب وأظهر دين الخرمية دعا إليه ورخص لبعضهم في نساء البعض » ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٥٨٨ وتجده ترديد هذا القول لدى ابن الأثير في الكامل والمتنبي في البدء والتأريخ (ويقول عنه : وهو أول من بدأ مذهب الباطنية) ، ج ٦ ، ص ٦٠ - ١ .
- (١٣١) ص ٣٥٣ .
- (١٣٢) الطبعة الثانية ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ .
- (١٣٣) الفهرست ، ص ٤٩٢ - ٤ .
- (١٣٤) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٦ ، إلا أنه ذكر عن الخرمية في مجال آخر بأنهم على طريقة المزدكية (وكان أهل جبله « يقصد بابك » خرمية على طريقة المزدكية) ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٤ .
- (١٣٥) التبصير ، ص ٦٢ .
- (١٣٦) البدء والتأريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ .
- (١٣٧) وچنان بود که زن مزدك خرمة بنت فاده بكريخته بوداز مداين بادوکی وپرستاق ري افتاده ومردم راجمذهب شوهرمي خواند تاباز خلقي در مذهب او آمدند ازکبران . ومردمان ايشان راخرم دينان لقب نهادند . . . سياست نامه ، باهتمام هيوبرت دارك ، طهران ، ١٩٦٢ ، ص ٢٦١ ، انظر الترجمة الروسية لسياست نامه ، زاخودير ، موسكو ١٩٤٩ ، ص ٢٠٥ .
- (١٣٨) ياكوففسكي في مقاله عن المقتنع في مجلة الاستشراق السوفيتية م ٥ لسنة ١٩٤٨ ص ٤٠ ، لويس . أصول الاسماعيلية ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، الدوري ، في اعتماده على براون ، تاريخ الأدب الفارسي ، المجلد الأول ، جاء بنص عن نظام الملك فيه قليل من التحريف ، العصر العباسي الأول ، ص ٨٤ ، العدوي ، الدولة الاسلامية ، الحاشية رقم ٢ ، ص ١٠٠ ، ايرجي تسيبيك ، بابك ، براغ ، ١٩٥٢ ، ص ١٦٣ - ٤ ، والملاحظ أن كريستنسن لم يشير إلى خورامه مطلقاً .
- (١٣٩) الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .
- (١٤٠) كتب ياكوففسكي « قال الشهرستاني أن الخرمية انقسمت إلى عدة فرق في القرنين الثامن والتاسع ، أبو مسلمية ، ماهانية ، كودكية ، أسيد جاماكية ، وغيرها » ، تاريخ ايران ، ص ١٠٧ ، راجع أيضاً مقاله عن المقتنع في مجلة الاستشراق السوفيتية المجلد الخامس لسنة ١٩٤٨ ، ص ٤٠ .
- (١٤١) الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٥٢ .
- (١٤٢) كتاب الأنساب ، لندن ١٩١٢ ، ص ٧٢ ، ويرى البغدادي أن المقتنعية « يستحلون الميتة والخنزير وكل واحد منهم يستمتع بامرأة غيره » ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٩ .
- (١٤٣) تلبيس إبليس ، ص ١٠٢ - ٣ .
- (١٤٤) كتاب الغبر ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ ، وتحت تأثير ابن خلدون وقع زيدان ، عبد الكريم في الخطأ حينما عدّ الخرمية من فرق المجوس ، أحكام الذميين ، ص ١٥ .
- (١٤٥) مجلة جمعية الاستشراق الألمانية ZDMG ليبزغ ١٨٦٩ ، ص ٥٣١ .
- (١٤٦) الدولة العربية ، ص ٤٠٧ - ٨ .
- (١٤٧) فان فلوتن ، السيادة العربية ، امستردام ، ١٨٩٤ ، م ، ص ٤٩ ، وقد سبق وإن قال شبيه هذا القول العالم الانكليزي ج. سيل G. Sale ، القرآن The Koran ، لندن ، ١٨٥٧ م ، ص ١٣٠ .
- (١٤٨) تاريخ الإسلام ، هامش ص ١٩٦ .
- (١٤٩) العصر العباسي الأول ، ص ٣٧ .
- (١٥٠) دائرة المعارف الإسلامية المختصرة (النسخة الانكليزية) ، ليدن ، ١٩٥٣ ، ص ٢٥٧ .
- (١٥١) من تاريخ الحركات ، ص ١٠٠ .
- (١٥٢) مجلة أخبار أ. ع. ج. أ. س. ، العدد ٢ ، ص ٤٨ ، أذربيجان ، ص ٢٣٣ .

- (١٥٢) م. تومارا ، بابك ، ص ٧ .
- (١٥٤) بونياتوف ، حول مصطلح الخرمية ، ص ٤٨ ، أذربيجان ، ص ٢٣٢ .
- (١٥٥) مروج الذهب ، ط ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ .
- (١٥٦) معجم البلدان ، بيروت ، ج ٧ ، ص ٣٦٢ .
- (١٥٧) أعمال صادق الأصفهاني الجغرافية ترجمت من قبل جي . سي . ، لندن ١٨٢٢ ، ص ٢٣ .
- (١٥٨) تاريخ الإسلام ، هامش ص ١٩٦ .
- (١٥٩) دائرة المعارف الإسلامية المختصرة (النسخة الانكليزية) ، ط ١٩٥٢ ، ص ٢٥٧ .
- (١٦٠) السيادة العربية ، ص ٤٩ .
- (١٦١) تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٤٠٠ .
- (١٦٢) من تاريخ الحركات ، ص ١٠٠ .
- (١٦٣) القرآن ، ص ١٣٠ .
- (١٦٤) الصراع ، ص ٥٦ .
- (١٦٥) في التاريخ العباسي ، ج ١ ، ص ١٢٢ .
- (١٦٦) حول مصطلح الخرمية ، مجلة أخبار أ. ع. أ. ج. أ. س. ، العدد ٢ ، ص ٤٥ ، أذربيجان ، ص ٢٣٦ .
- (١٦٧) مقالة الخرمية ، مجلة ، ص ٥٠ ، أذربيجان ، ص ٢٣٦ .
- (١٦٨) ايران ، ص ٣٤٧ .
- (١٦٩) تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٢٩٦ ، وكذلك يسميهم احياناً ياكوبفسكي «بالمزدكية» في مقالته عن المقنع في مجلة الاستشراق السوفيتية ، المجلد ٥ لسنة ٤٨ ، ص ٤٠ - ١ .
- (١٧٠) تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٢٣ .
- (١٧١) أذربيجان قهرماني بابك خرم دين ، باكو ١٩٦٠ ص ٢٠ .
- (١٧٢) الصراع ، ص ٥٦ .
- (١٧٣) تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٤٠٠ .
- (١٧٤) براون ، Browne, E.G. ، تاريخ الأدب الفارسي م ١٠ ، ص ٢٤٧ .
- (١٧٥) صديقي ، Sadighi, G.H. الحركات الدينية الإيرانية ، باريس ، ١٩٣٨ .
- (١٧٦) العرب في التاريخ ، ص ١٤٢ .
- (١٧٧) العصر العباسي الأول ، ص ٣٦ .
- (١٧٨) م. ن. ، ص ٨٥ .
- (١٧٩) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ .
- (١٨٠) نقد العلم والعلماء أو تلبيس ابليس ، ص ١٠١ .
- (١٨١) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ، انظر مرغليوت ، دائرة المعارف الإسلامية (النسخة الانكليزية) ، ١٩٥٢ م ، ص ٢٥٨ .
- (١٨٢) مروج الذهب ، ط ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ ، ويذكر البغدادي عن اتباع المازيار (وأتباع مازيار اليوم في جبلهم أكرة من يلبهم من سواد جرجان) ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ .
- (١٨٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٦٩ . ويقول بارتولد «فيثيرون المزارعين المحرومين من الأرض ضد أصحاب القبايع الواسعة الذين هم (حلفاء العرب)» ، الحضارة الإسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة ٦٦ .
- (١٨٤) ينقل لويس عن (صديقي ، الحركات الدينية ، ص ٦١) : «فصار زرادشتيون الطبقات الراقية من الفرس سنة وبقوا على امتيازاتهم ، أصول الاسماعيلية ، ص ٨٥ . بينما الزرادشتيون البسطاء انتقلوا إلى الشيعة - كما يشهر إلى ذلك بارتولد ، الحضارة الإسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة العربية ص ٦٦ .
- (١٨٥) الحرب الفلاحية في المانية ، ص ٣٤ .
- (١٨٦) الحضارة الإسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة ، ص ٦٦ .

- (١٨٧) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ ، راجع مرغليوث ، دائرة المعارف الاسلامية المختصرة ، ص ٢٥٨ .
- (١٨٨) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٠ ، انظر مقالة مرغليوث عن الخرمية في دائرة المعارف الاسلامية المختصرة ، ١٩٥٢م ، ص ٢٥٨ .
- (١٨٩) المنتظم ، ج ٥ ، ص ١١٠ .
- (١٩٠) المواعظ والاعتبار ، ج ٤ ، ص ١٩٠ .
- (١٩١) دخلت البرامج الاجتماعية والاقتصادية في تعاليم بعض الفرق الشيعية (قراطة - اسماعيلية) في القرنين التاسع والعاشر وحينئذ انتمت إليها بكثرة ، الجماهير المستغلة من مختلف الأجناس والبلدان .
- (١٩٢) يذكر لويس ، واستقى هؤلاء الشوار أكثر الهامهم الديني من الهرطقات الايرانية القديمة ، العرب ، ص ١٤٢ .
- (١٩٣) مثلاً حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٢ ، ص ٤١٩ .
- (١٩٤) أصول الاسماعيلية ، ص ٢٠٢ .
- (١٩٥) كما يسميهم الوردي ، علي جليل في كتابه وعاظ السلاطين .
- (١٩٦) بونياتوف ، مقالة حول مصطلح الخرمية ، ص ٤٩ .
- (١٩٧) تاريخ الإسلام ، ١٩٦ .
- (١٩٨) الدولة العربية ، ص ٤٠٧ - ٨ .
- (١٩٩) تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ١٤ .
- (٢٠٠) الحركات الدينية في ايران .
- (٢٠١) العصر العباسي الأول ، ص ١٦ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، دراسات ، ص ١٠ ، مقدمة ، و ص ٨٩ - ٩٠ ، والجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٢٤ ، ٢٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ويغلب التناقض على أقواله في كتبه المختلفة .
- (٢٠٢) الصراع ، ص ٥٥ .
- (٢٠٣) في التاريخ العباسي ، ج ١ ، ص ١٢٢ - ٣ .
- (٢٠٤) تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٢ ، ص ٤٣ .
- (٢٠٥) في قصور الخلفاء العباسيين ، ص ١٠١ .
- (٢٠٦) ليو ، تاريخ أرمينيا ، ج ٢ ، ص ٣٤٧ .
- (٢٠٧) مانانديان ، الانتفاضات الشعبية ، ص ٢١ .
- (٢٠٨) الحضارة الإسلامية ، ص ٦١ ، والترجمة العربية ، ص ٦٧ .
- (٢٠٩) م. ن. ص ٦٠ والترجمة ص ٦٥ ، ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٩١ ، بروكلمان تاريخ الشعوب ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ١٣٠ .
- (٢١٠) تاريخ الاتحاد السوفييتي ، القسم الأول ، ص ٤٨ .
- (٢١١) تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٣٨ .
- (٢١٢) كما في الدعوة العباسية انظر بارتولد ، الحضارة الاسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة ٦٥ ، لويس ، العرب ، ص ١١١ .
- (٢١٣) كاخوراج والشيعة والمختار وابن الأشعث والحارث ابن سريج وغيرهم ، ويعتبر عبد المال ، اضطهاد الامويين للموالي الذين انضموا إلى هذه الفرق والانتفاضات ، واجباً مارسوه كحكم ويستغرب اعتباره اضطهاداً ، حركات الشيعة المتطرفين ، ص ٢١٣ .
- (٢١٤) الطبري ، تاريخ ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٥٨٨ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٦٠ - ١ .
- المقريزي ، الخطط ، ج ٤ ، ص ١٩٠ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٧٨ .
- (٢١٥) الدولة العربية ، ص ٤٠٨ .
- (٢١٦) العصر العباسي الأول ، ص ٨٤ - ٥ .
- (٢١٧) الجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٢٦ ، دراسات ، ص ١٠ ، العصر العباسي الأول ، ص ٨٤ - ٥ .

(٢١٨) ذكر ابن قتيبة « فأما اشراف العجم وذوو الأخطار منهم وأهل الديانة فيعرفون ما لهم وما عليهم ويرون الشرف نسباً ثابتاً » ، رسائل البلغاء ، ص ٢٧٠ وكما قال أحد الايرانيين ، الشريف من كل قوم نسب الشريف من القوم الآخر .

(٢١٩) يسميه سنباذ ، كل من : اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ص ١٠٤ ، والطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ١١٩ . نظام الملك ، سياست نامه ، النص الفارسي ، ص ٢٦١ ، وابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٥٧ وابن طباطبا ، تاريخ الدولة الإسلامية ، ص ١٧١ ، وأبي الفداء ، البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ٢٢ ، وابن خلدون ، العبر ، ج ٣ ، ص ١٨٤ . وهناك تسميات أخرى ، فقد ذكره البلاذري ، سنفاذ ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٩ ، ويسميه اليعقوبي أيضاً ، سنفاذ ، كتاب البلدان ، ص ٢٠٢ ، وذكره المسمودي ، بسنفاذ ، المروج ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ ، ويسميه المقدسي ، سنفاذ ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٨٢ ، وذكرها المقرئ ، سنفاذ ، الخطط ، ج ٤ ، ص ١٩٠ ، وفي المراجع الحديثة يسميه سنباذ كل من : نكلسن ، تاريخ الأدب العربي ، ط ٣ ، ص ٢٥٨ ، ومارغليوث ، دائرة المعارف الإسلامية المختصرة ، ص ٢٥٧ وبروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ٦ ، ولويس ، العرب ، ص ١٤٢ ، والدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٨٦ ، والجذور التاريخية للشعبية ، ص ٤٢ ، ويسميه ياكوفسكي سنباذ وسينباذ (وحتى سنباذ) في مقاله عن المقنع - مجلة الاستشراق السوفيتية ، م ٥ ، ص ٤٠ ، ويذكر الدوري أن صديقي يسميه سنباذ (العصر العباسي الأول ، ص ٨٦) ، ويسميه لويس سنباذ ، أصول الاسماعيلية ، ص ٢٠٠ ، ويسميه مولر ، سمباذ ، تاريخ الإسلام ، ص ١٨٢ ، ويسميه سمينوف ، سمبات ، في مقاله عن المزدكية ، ص ٣٤٣ .

(٢٢٠) يعتبر مولر وفيكلسن وياكوفسكي (مقاله عن المقنع) والدوري (العصر العباسي الأول) وتاريخ العالم ، ج ٢ ، وتاريخ إيران ، أن سنة الانتفاضة هي ٧٧٥ م .

(٢٢١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٢٢٢) تاريخ الدول الإسلامية ، الفخري ، ص ١٧١ .

(٢٢٣) مروج ، ج ٣ ، ص ٣٠٦ ، ويأخذ بهذا الرأي مارغليوث ، دائرة المعارف الإسلامية المختصرة (١٩٥٣م) .

ص ٢٥٧ .

(٢٢٤) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ٦ ، لويس ، العرب ، ص ١٤٢ .

(٢٢٥) وردت في كتاب العبر ، لابن خلدون ، محرفة (طرق المغاظة) ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

(٢٢٦) م . ن . ج ٢ ، ص ١٨٤ .

(٢٢٧) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ١١٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٥٧ ، أبو الفداء ، البداية

والنهاية ، ج ١٠ ، ص ١٣١ .

(٢٢٨) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٣٥٤ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٨٦ .

(٢٢٩) ورد لدى الطبري والمقدسي وابن الأثير وابن خلدون (أستاذسيس) ويسميه مسكويه (استادسيس) ،

تجارب الأمم ، مخطوط ، الورقة ١٨٠ .

(٢٣٠) كتاب العبر ، ج ٢ ، ص ١٩٨ .

(٢٣١) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٣٥٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٨ .

(٢٣٢) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٨٧ .

(٢٣٣) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .

(٢٣٤) م . ن . ص ٣٥٤ .

(٢٣٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٤٧٠ ، ويسميه اليعقوبي ، يوسف البرم الحاروري ،

البلدان ٣٠٣ ، ويعتبره من موالى ثقيف في بخارى ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٢٠ ، انظر ابن العبري ، مختصر تاريخ

الدول ، ص ٢١٧ .

(٢٣٦) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٤٧٠ ، وقد ذكر أبو الفداء عام ١٦٢ هـ ، البداية والنهاية .

ج ١٠ ، ص ١٣١ .

(٢٣٧) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .

(٢٣٨) م . ن . ص ١٢٠ .

(٢٣٩) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٠٤ ، الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٤٨٤ ، ص ٤٩٤ ، المقدسي ، المظهر ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٩٧ ، وقد اعتبره الشهرستاني في أول أمره من الرزاسية ، والرزاسية فرقة من الكيسانية ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٢ ، ص ٥٨ ، والمنسوب لابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ٢٣ ، أبو الفداء ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ١٤٥ ، وابن خلدون ، العبر ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ - ٧ .

(٢٤٠) يعتبر الطبري قيام الحركة سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ م) ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٤٨٤ ، بينما يعتبر مسكويه خروج المقتنع في سنة ١٦١ هـ ، تجارب الأمم ، مخطوط ، الورقة ١٩١ ، ويرى ابن الأثير قيام الحركة في سنة ١٥٩ هـ ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٢ ، والصحيح ما أورده الطبري ، ويعتبر موللر قيام الحركة ١٦١ هـ (٧٧٨ م) (يؤيد رواية مسكويه) ، تاريخ الإسلام ، ص ١٨٤ ، بينما يؤيد ميور رواية ابن الأثير (١٥٩ هـ) ، الخلافة ، ص ٤٧٠ ، ويعتبر نيكلسن قيام الحركة ٧٨٠ - ٧٨٦ م ، تاريخ الأدب العربي ، ص ٢٥٨ ، ويعتبر أمير علي قيام حركة المقتنع ١٥٨ هـ ١٦١ هـ ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٣١ ، كما وأن كريسكي يعتبر قيام الحركة ٧٧٩ م ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ويعتبر بروكلمان تاريخ بدء الحركة عام ٧٧٨ م ، تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ١٣ ، ويعتبر ياكوبفسكي قيام الحركة في ثمانينيات القرن الثامن ، ولا شك أن نيكلسن وأمير علي وكريسكي وبروكلمان وياكوبفسكي لم يحددوا التاريخ المضبوط لبدء الحركة .

(٢٤١) ذكر الطبري نهاية الحركة في عام ١٦٢ هـ (٧٧٩ م) - م ، ج ١ ، ص ٤٩٤ . ولابد أن التحريف قد أصاب العام الذي ذكره ابن خلدون (٩٣ هـ) ، العبر ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ ، ولقد أخذ برواية الطبري كل من موللر (تاريخ الإسلام ، ص ١٨٥) وبروكلمان (تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ١٤) . وليس صحيحاً التاريخ الذي أورده تاريخ إيران (ص ١٠٧) وتاريخ العالم (ج ٣ ، ص ١١٥) ، وتاريخ الاتحاد السوفييتي (القسم الأول ص ٤٩) وتاريخ بلدان الشرق الأجنبية (ص ٢١٦) وسميتوف ، تاريخ العصور الوسطى (ص ١٢٣) حيث ذكروا (عام ٧٨٢ م) وقد ذكر كل من ميور (الخلافة - ص ٤٧٠) وأمير علي (مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٣١) انتهاء الحركة سنة ١٦١ هـ وهذا غير صحيح وكذلك ورد لدى لويس (العرب ، ص ١٤٤) تاريخ انتهاء الحركة ٧٨٩ م .

(٢٤٢) ذكر الجاحظ (وكان اسمه عطاء) ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ١٠٣ ، وذكر عنه ابن الأثير (وسمي حكيماً ثم تحول إلى هاشم وهاشم في دعواه هو المقتنع) ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٥٢ ، ويقول هذا جلب الغموض والتبس الأمر على من جاء بعده ، فقد ذكره ابن الساعي البغدادي (واسمه عطاء) ، مختصر اخبار الخلفاء (منسوب إليه) ، ص ٢٣ ، وأورده أبو الفداء «قال ابن خلكان كان اسم المقتنع عطاء وقيل حكيم الأول أشهر» ، ج ١٠ ، ص ١٤٥ ، وبهذا تحير ابن خلكان وأبو الفداء ، أما ابن خلدون فقد التبس عليه الأمر تماماً (كان هذا المقتنع من أهل مرو ويسمى حكيماً وهاشمياً) ، العبر ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ . ويرجع موللر تسمية الجاحظ له بـ «عطاء» ، تاريخ الإسلام ، ص ١٨٤ ، ويطلق عليه سيل ، ج ، اسم حكيم بن هاشم ، ثم يشير في الهامش (أو ابن عطاء) ، القرآن ، ص ١٢٩ ، وهو مخطئ ، ولا شك .

(٢٤٣) العرب في التاريخ ، ص ١٤٣ .

(٢٤٤) كان يعمل كقصار للثياب في مدينة مرو في خراسان - وهو بالأصل من قرية كاوه كيمردان - مهنته غسل الملابس وقصر ألوانها وليس صحيحاً ما كتبه المقدسي وابن الأثير وابن العبري وابن طباطبا من أنه كان قصيراً ، وإنما قصاراً كما ورد لدى الجاحظ (البيان والتبيين - ج ٣ ، ص ١٠٣) والبغدادي (الفرق بين الفرق - ص ٢٥٧) وابن الساعي البغدادي (مختصر اخبار الخلفاء - ص ٢٣) وابن الفداء (البداية والنهاية - ج ١٠ ، ص ١٤٥) .

(٢٤٥) في ما رآه النهر ، ويقول لويس عن الانتفاضة «اتخذت من بخارى مقلداً لها» ، العرب ص ١٤٤ . (٢٤٦) لقد توهم البغدادي بأن مدة الانتفاضة ١٤ سنة ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٨ ، كما وتوهم لويس بأن مدة الانتفاضة ١٣ سنة (العرب - ص ١٤٤) ، ويعتبر تاريخ الاتحاد السوفييتي ، المدة التي استغرقتها الانتفاضة ٧ أعوام (القسم الأول ، ص ٤٩) ، أما شريف فيعتبر المدة ١٤ عاماً (الصراع ، ص ٥٧) ، ان الانتفاضة لم تستمر أكثر من ثلاث سنوات .

(٢٤٧) لا يخلو مصدر أو مرجع عربي وغربي من هذه التهم .

- (٢٤٨) ذكر البغدادي «وأما المقنعية فهم المبيضة بما وراء نهر جيحون» (ص ٢٥٧) ... «واغتر به أهل ابلق وقوم من الصغد» ص ٢٥٨ ، الفرق بين الفرق ، ويذكر الشهرستاني «وتابعه مبيضة ما وراء النهر ، وهؤلاء صنف من الخرمية دانوا بترك الفرائض...» ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، ولكن سبق وأن لاحظنا أن الشهرستاني اعتبر المبيضة من فرق المزدكية وهذا راجع إلى خلطه بين المزدكية والخرمية . عن المبيضة راجع ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٢ ، وكتاب العبر ، لابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ ، ومختصر تاريخ الدول ، لابن العبري ، ص ٢١٧ .
- (٢٤٩) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٢ ، ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ ، ميور ، الخلافة ، ص ٤٧٠ .
- (٢٥٠) الطبري ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٤٩٤ .
- (٢٥١) تختلف الروايات بين السم والحرق ، والمرجح أنه السم لأنه عثر على جثته واحتز رأسه ، لاحظ سيل ، ج ، القرآن ، ص ١٢٩ .
- (٢٥٢) المقدسي ، شمس الدين ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٣ ، البغدادي ويذكر «أتباعه اليوم في جبال ابلق أكره أهلها ، الفرق ، ص ٢٥٩ ، البيروني ، الآثار ، ص ٢١١ ، ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٢١٨ ، ويشير سيل ، ج ، إلى رواية ابن العبري ، القرآن ، ص ١٢٩ .
- (٢٥٣) ورد اسم جورجان في السياست نامه (النسخة الفارسية) باسم كركان ، ص ٢٩٠ ، ولهذا ورد الاسم في الأدبيات السوفيتية باسم كوركمان ، تاريخ إيران ، ص ١٠٧ ، تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١١٥ ، تاريخ الاتحاد السوفيتي ص ٤٩ .
- (٢٥٤) اشار نظام الملك إلى أن خرمية جورجان المحمرة كانوا يرفعون الأعلام الأحمر ، سياست نامه ، ص ٢٩٠ ، والترجمة الروسية ، ص ٢٢٤ ، لاحظ ايفانوف ، موجز تاريخ إيران ، ص ٣٧ ، تاريخ إيران ، ص ١٠٨ .
- (٢٥٥) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٣٢٦ ، الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٤٩٣ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٩٨ .
- (٢٥٦) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٣٠ ، سعيد نفيسي ، بابك ، ص ١٦ .
- (٢٥٧) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٩٨ .
- (٢٥٨) تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج ٢ ، ص ١٤ .
- (٢٥٩) الطبري ، التاريخ ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ٧٢٢ .
- (٢٦٠) م . ن . م ٣ ، ج ٢ ، ص ٧٢٢ ، سياست نامه ، ص ٢٩٠ ، والترجمة الروسية ، ص ٢٢٤ ، تاريخ اذربيجان ، القسم الأول ، ص ١١٨ ، نفيسي ، بابك ، ص ١٦ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ١٢ .
- (٢٦١) ذكرها ابن فضلان «قرميسين» رسالة ابن فضلان ، ص ٧٣ ، وجاء شرحها في الهامش قرميسين (بالفتح ثم السكون) تعريب كرمان شاه ، بين همدان وحلوان وقريبة من الدينور .
- (٢٦٢) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١٠٣ .
- (٢٦٣) الفهرست ، ص ٤٩٧ .
- (٢٦٤) براون ، ج ١ ، ص ٣١٤ ، بارتولد ، تركستان ، ص ١٩٨ - ٩ ، لويس ، العرب ، ص ١٤٣ ، الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٨٨ ، والجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٤٢ ، ومصطفى ، في التاريخ العباسي ، ج ١ ، ص ١٢٤ .
- (٢٦٥) البغدادي ، الفرق ، ص ٢٦٩ ، الاسفرائيني ، التبصير ، ص ٦٢ ، ابن الجوزي ، نقد العلم ، ص ١٠١ .
- (٢٦٦) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٣٢٨ .
- (٢٦٧) تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٩٧ .
- (٢٦٨) التنبيه والاشراف ، ص ٣٥٣ - ٤ .
- (٢٦٩) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ١١٦ .
- (٢٧٠) م . ن . ج ٦ ، ص ٣٠ .
- (٢٧١) م . ن . ج ٦ ، ص ١١٦ . مع العلم بأن عائلته لم تكن معه في الأسر مما يدل على ضعف هذه الرواية .

- وقد أخذ بهذه الرواية ابن العربي أيضاً في مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٤٢ وقد ردها سيل ، ج ، القرآن ، ص ١٣٠ .
- (٢٧٢) الفرق ، ص ٢٦٩ .
- (٢٧٣) التبصير في الدين ، ص ٦٢ .
- (٢٧٤) نقد العلم أو تلبس إبليس ، ص ١٠١ .
- (٢٧٥) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ .
- (٢٧٦) من تاريخ الحركات ، ص ٩٩ .
- (٢٧٧) حول مصطلح خرم ، مجلة أخبار ، ص ٤٨ ، أذربيجان في القرون السابع - التاسع ، ص ٢٣٤ .
- (٢٧٨) ص ١٢٤ .
- (٢٧٩) ص ١٢٤ .
- (٢٨٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٥ ، لاحظ مقالة سورديل ، د . بعنوان : بابك ، في دائرة المعارف الإسلامية ، (طبعة جديدة ١٩٦٠) ، م ١ ، ص ٨٤٤ .
- (٢٨١) الأخبار الطوال ، ص ٣٣٨ .
- (٢٨٢) الفهرست ، ص ٤٩٤ .
- (٢٨٣) م . ن . ، ص ٤٩٤ .
- (٢٨٤) الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٠ - ١ .
- (٢٨٥) مختصر دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٠٤ .
- (٢٨٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٦٩ .
- (٢٨٧) الفهرست ، ص ٤٩٤ .
- (٢٨٨) سيل ، ج . ، القرآن ، ص ١٣٠ .
- (٢٨٩) ميور ، و . ، الخلافة ، ص ٥٠٤ .
- (٢٩٠) رايت ، اي ، ايم ، بابك البذي والافشين ، مجلة العالم الاسلامي ، كانون الثاني سنة ١٩٤٨ م ، ص ٤٩ .
- (٢٩١) العصر العباسي الأول ، ص ٢٢٢ .
- (٢٩٢) الجذور التاريخية للشعبوية ، ص ١٢ ، الجذور التاريخية للاشتراكية العربية ، مقالة في مجلة الآداب ، العدد الثالث (آذار ١٩٦٥) ، ص ٢١ .
- (٢٩٣) من تاريخ الحركات ، ص ٨٥ .
- (٢٩٤) م . ن . ، ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ .
- (٢٩٥) في قصور الخلفاء العباسيين ، ص ١٠١ .
- (٢٩٦) الروم ، ج ١ ، ص ٣٢٥ .
- (٢٩٧) الخلافة والدولة ، ص ٧٤ .
- (٢٩٨) الصراع ، ص ٦٢ .
- (٢٩٩) م . ن . ، ص ٦٢ .
- (٣٠٠) الدولة الإسلامية ، ص ١٠٠ .
- (٣٠١) احكام الذميين ، ص ١٥ .
- (٣٠٢) الفهرست ، ص ٤٩٦ ، وقد صور كثير من المؤلفين قولها - يرد المزدكية - والذي هو موضوع ولاشك - إلى أن البابكية تسعى إلى تحطيم الإسلام وإعادة المزدكية وعلى سبيل المثال راجع الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٣١ ، والجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٩ ، ومقالة (الجذور التاريخية للاشتراكية العربية) في العدد الثالث من مجلة الآداب اللبنانية (آذار ١٩٦٥) ، ص ٢١ .
- (٣٠٣) جوزي ، من تاريخ الحركات ، ص ٩١ ، تاريخ ايران ، ص ١٠٩ ، تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٣٨ .
- وكراسة الخلافة العربية لجيستياكوف ، ص ١١٨ - ٩ .
- (٣٠٤) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٦٩ ، وقد خلط الدوري بين طبرستان وجرجان ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٢ .

- (٣٠٥) تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٩٨ .
- (٣٠٦) ص ١٠٩ ، انظر تاريخ العالم أيضاً ، ج ٣ ، ص ١٢٨ .
- (٣٠٧) العرب في التاريخ ، ص ١٤٤ .
- (٣٠٨) تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٢١٦ .
- (٣٠٩) الجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٤٤-٥٠ .
- (٣١٠) الحضارة الإسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة العربية ، ص ٦٦ .
- (٣١١) من تاريخ الحركات ، ص ٩٤ ، ومقالة بابك والبابكية ، مجلة أخبار جامعة باكو ، العدد ١ ، ص ٢٠٩ .
- (٣١٢) مقالة بابك والبابكية ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ . وتاريخ الحركات الفكرية ، ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٧ .
- ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ولابد أنه قد تأثر من وصف كرىميسكي لبابك «بالشيوعي الجسور» ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٢٩٦ .
- (٣١٣) من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١١٥ ، ١١٧ .
- (٣١٤) م . ن . ص ٩٨ .
- (٣١٥) م . ن . ص ٩٨ .
- (٣١٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٣ .
- (٣١٧) م . ن . ص ١٢٢٧ .
- (٣١٨) الفهرست ، ص ٤٩٦ ، لاحظ تومارا ، بابك ، ص ٣٢ ، ومقالة (بابك) في دائرة المعارف الإسلامية (النسخة الألمانية) ، ص ٥٦٩ .
- (٣١٩) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ، انظر مقالة مارغليوث عن الخرمية ، دائرة المعارف الإسلامية (١٩٥٣) ، ص ٢٥٨ .
- (٣٢٠) تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٨٨٥ .
- (٣٢١) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٦ .
- (٣٢٢) مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٤٢ ، وعنه نقل سيل ، ج . القرآن ، ص ١٣٠ .
- (٣٢٣) انظر الطبري حيث يذكر عن أسر معاوية وام بابك (فأفلت «يقصد بابك» وأخذ معاوية وام بابك والمرأة التي كانت معه ومع بابك غلام له فوجه أبو الساج بمعاوية والمرأتين إلى العسكر) ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٢٢ . ورغم رواية الطبري هذه فإن جوزي يردد رواية المقدسي الضعيفة ، من تاريخ الحركات ، ص ١١٣ .
- (٣٢٤) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ .
- (٣٢٥) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ ، انظر مقالة مارغليوث عن الخرمية في دائرة المعارف الإسلامية (١٩٥٣) م .
- ص ٢٥٨ ، وينقل رواية الاصطخري ، انظر أيضاً مقالة جوزي عن بابك والبابكية ، مجلة أخبار جامعة باكو ، ص ٢٠٦ .
- (٣٢٦) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ .
- (٣٢٧) م . ن . ج ٤ ، ص ٣٠ .
- (٣٢٨) م . ن . ج ٤ ، ص ٣٠ .
- (٣٢٩) فتوح البلدان ، ص ٣٢٠ .
- (٣٣٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠١٥ .
- (٣٣١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، ص ٤٣٨ .
- (٣٣٢) الفهرست ، ص ٤٩٦ .
- (٣٣٣) م . ن . ص ٤٩٥ .
- (٣٣٤) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٥ .
- (٣٣٥) الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٢ .
- (٣٣٦) م . ن . ج ٥ ، ص ٥٢ ، انظر سيل ، ج . القرآن ، ص ١٢٩ .
- (٣٣٧) المختصر في أخبار البشر ، ج ١٠ ، ص ٢٤٨ .

- (٢٢٨) م. ن. ١٠، ج. ١٠، ص ٢٨٢ .
- (٢٢٩) مختصر دول الإسلام، ج. ١، ص ١٠٤، ابن خلدون، كتاب العبر، ج. ٢، ص ٢٥٦ وهما بهذا يرددان مقولة ابن الأثير، الكامل، ج. ٥، ص ١٨٤ .
- (٢٤٠) الفرق بين الفرق وينقل رواية اسطورية عن (أصل الديانة البابكية) فيقول: «البابكية ينسبون أصل دينهم إلى أمير كان لهم في الجاهلية اسمه شروين ويزعمون أن أباه كان من الزنج وأمه بعض بنات ملوك الفرس» ، ص ٢٦٩ .
- (٢٤١) راجع مناقشتنا لأراء المؤرخين حول علاقة الحزبيين بالمزدكية في بداية بحث الحزمية .
- (٢٤٢) تاريخ العالم، ج. ٣، ص ١١٦ .
- (٢٤٣) يقول لويس أنها تسربت إلى جنوب غربي فارس، العرب، ص ١٤٤، وهذا غير صحيح، وذكر في دائرة المعارف السوفيتية الواسعة اسم (خراسان)، ط ٢، م ٤، ص ٤، وهذا ليس بصحيح، راجع مقالة سوردييل عن بابك في دائرة المعارف الإسلامية، (١٩٦٠م) المجلد الأول، ص ٨٤٤ .
- (٢٤٤) كما يتصور الدوري بأن غاية البابكية ضرب السلطان العربي والدين الإسلامي، العصر العباسي الأول، ص ٢٣٢ .
- (٢٤٥) من تاريخ الحركات الفكرية، ص ٨٥ .
- (٢٤٦) م. ن. ٩٠ - ١ .
- (٢٤٧) أصول الاسماعيلية، لويس، ص ١٩٠ .
- (٢٤٨) انظر مقولة انكلز، ف. حول الأشكال التي اتخذتها المعارضة الثورية للاقطاع طيلة العصور الوسطى - الحرب الفلاحية في ألمانيا - ص ٣٤ . لاحظ هامشنا المرقم (٤)، الفصل الثالث .
- (٢٤٩) انكلز، ف. الحرب الفلاحية في ألمانيا، ص ٣١ .
- (٢٥٠) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٢٩، وتاريخ الاتحاد السوفيتي، القسم الأول، ص ٤٨ . كان غياب الملاكين عن أراضيهم سبباً آخر في عدم تطور الاقطاع السريع، إذ كانوا يفضلون السكنى في العاصمة، أما الآن فأخذوا يعودون إلى أملاكهم كال طاهر مثلاً، انظر لوكيكارد، الضريبة الإسلامية، ص ٦٦، حول أثر غياب الملاك في تطور الاقطاع .
- (٢٥١) العرب في التاريخ، ص ١٤٤ .
- (٢٥٢) العصر العباسي الأول ص ٢٣٤ .
- (٢٥٣) بيلاييف، يه. أ. تاريخ بلدان الشرق الأجنبية، ص ٢١٦، انظر الموسوعة التاريخية، م ٢، ص ١٤، وورد في تاريخ أذربيجان القسم الأول ص ١٢١ ما يشبه هذا القول .
- (٢٥٤) عن الصقالبة انظر تاريخ التمدن الإسلامي، ج. ٥، ص ٢٧، لجرجي زيدان .
- (٢٥٥) معجم البلدان، ج. ١، ص ١٢٨ .
- (٢٥٦) كذلك التي حلت بخراسان والري واصبهان (الأخيرتان من مناطق الانتفاضة) كما ذكر الطبري عن حوادث سنة ٢٠١ هـ، تاريخ الرسل، م ٣، ج ٢، ص ١٠١٥ ويرى المسعودي أن المجاعة وقعت في سنة ٢١٤ هـ، المروج، ج ٤، ص ٢٩، ورواية الطبري أدق .
- (٢٥٧) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٩ .
- (٢٥٨) تاريخ يعقوبي (طبع النجف)، ج ٣، ص ١٩٧ .
- (٢٥٩) تاريخ الرسل، م ٣، ج ٢، ص ١١٦٥، انظر الكامل لابن الأثير، ج ٥، ص ٢٣١، وتاريخ مختصر الدول لابن البري (أو كسوليا ١٦٦٢ م)، ص ٢٥٢ .
- (٢٦٠) تاريخ الرسل، م ٣، ج ٢، ص ١٢٦٩، والمآزير هو أصبهان طبرستان وليس جرجان كما توهم البغدادي في «الفرق بين الفرق» ص ٢٦٩ .
- (٢٦١) مروج الذهب، وقد ذكر عنهم «وأكثر الحزمية ببلاد خراسان والري واصبهان واذربيجان وكرج ابني دلف والبرج الموضع المعروف بالرد والورسجان ثم ببلاد الصيرون والصيمرة واربوجان من بلاد ماسبذان وغيرها من تلك الأمصار وأكثر هؤلاء في القرى والضياع» ، ط ٢، ج ٢، ص ٣٠٥، وعنه نقل مارغليوث في دائرة المعارف الإسلامية

المختصرة ، ص ٢٥٢ ، ونفيسي ، بابك ، ص ٣١ - ٣٢ ، إلا أن المسعودي يضيف إلى هذه الأماكن أماكن أخرى ذكرها في كتابه التنبيه والإشراف وهي : مهرجان قذق وهمذان وماء الكوفة وماء البصرة وأرمينية وقم وقاشان ، ص ٣٥٣ ، وقد بين المسعودي أنه ذكر ذلك في كتبه في المقالات في أصول الديانات وسر الحياة .

(٣٦٢) الفرق بين الفرق ، ص ٣٦٩ .

(٣٦٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ ، ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٨٤ ، تاريخ العالم ، ج ٣ ،

ص ١٣٧ .

(٣٦٤) انظر جوزي ، من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٨٦ .

(٣٦٥) تاريخ يعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٩١ .

(٣٦٦) م . ن . ج ٣ ، ص ١٩١ .

(٣٦٧) م . ن . ج ٣ ، ص ١٨٩ ، انظر مقالة د . سوريل بعنوان بابك ، دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة

١٩٦٠) ، ص ٨٤٤ .

(٣٦٨) تاريخ يعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٨٩ ، أذربيجان في القرون السابع - التاسع ، ص ٢٥٠ .

(٣٦٩) تاريخ يعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .

(٣٧٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٢ .

(٣٧١) مجلة العالم الإسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٤٨ .

(٣٧٢) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٩٩ ، أبو الفداء ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٢٦ .

(٣٧٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٠٨ ، انظر أيضاً يعقوبي ، تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٣ ، ابن

طيفور ، كتاب بغداد ، ص ١٤٥ .

(٣٧٤) كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ .

(٣٧٥) يشير الدينوري إلى وجود الأكراد في أرمينيا ، الأخبار الطوال ، ص ٣٤٠ ، لاحظ مينورسكي ، دراسات

في التاريخ القفقاسي ، ص ١١٢ ، حول اقليم الجبال والمناطق التي كان يسكنها الأكراد انظر ليستراخ ، أراضي الخلافة

الشرقية ، ص ١٨٥ ، ومقالة لوكهارت L.Lockhart في دائرة المعارف الإسلامية (١٩٦٣ م) المجلد ٢ ، ص ٥٢٤ .

(٣٧٦) كاوك أو كما يسميه الفرس كاوه ، فتحتفل قرى ومدن جبال كردستان بأشغال النيران في يوم النوروز -

تجيداً لنار الخداد كاوه .

(٣٧٧) ولكن نظراً لضعف درجة التطور الاقتصادي لدى الشعب الكردي فإنهم ساهموا بانتفاضات شعوب أخرى

كان اقتصادها أكثر تطوراً ودرجة وعيها تبعاً لذلك أعلى .

(٣٧٨) ذكر ابن طباطبا عن سباز « وكثر أشياعه وأطاعه أكثر أهل الجبال » ، تاريخ الدول الإسلامية ،

ص ١٧١ .

(٣٧٩) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .

(٣٨٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٦٥ . انظر أيضاً يعقوبي ، تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٧ ، المسعودي ،

المروج ج ٣ ، ص ٣٠٥ ، التنبيه والإشراف ، ص ٣٥٣ ، ابن النديم الفهرست ، ص ٤٩٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ،

ص ٢٣١ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول (اوكونيا سنة ١٦٦٣ م) ، ص ٢٥٢ ، فاسيليف ، بيزنطة والعرب ،

ص ١١٤ ، نفيسي ، بابك ، ص ٦٣ - ٤ .

(٣٨١) (طبعة مصر ١٩٤٨ م) ط ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

(٣٨٢) طبعة ليدن ، ص ٣٥٣ .

(٣٨٣) الفهرست ، ص ٤٩٣ .

(٣٨٤) الكامل (طبعة ١٣٥٧ هـ) ، ج ٥ ، ص ٢٣١ .

(٣٨٥) تاريخ مختصر الدول (اوكونيا ، ١٦٦٣ م) ، ص ٢٥٢ .

(٣٨٦) من تاريخ الحركات ، ص ٨٣ ، العرب في التاريخ ، ص ١٤٤ ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٣ .

(٣٨٧) من تاريخ الحركات ، ص ١١٦ .

- (٢٨٨) تاريخ أرمينيا (باللغة الأرمنية) م ٢٠ ص ٤٢٦ .
- (٢٨٩) أذربيجان : ص ٢٤٧ .
- (٢٩٠) راجع الهوامش ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ .
- (٢٩١) لويس ، العرب ، ص ١٤٤ ، تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٢٨ .
- (٢٩٢) جوزي ، من تاريخ الحركات ، ص ٨٩ ، لويس ، العرب ، ص ١٤٤ .
- (٢٩٣) انظر مقولة لويس ، العرب ، ص ١٤٤ .
- (٢٩٤) لأن ذلك يتعارض ومصالحهم بالذات .
- (٢٩٥) تاريخ الرسل م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٩٢ ، راجع البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣١٤ ، وابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٢ ، ويعتبر ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ ، الحادثة في سنة ٢١٤ هـ بعد تعيين علي بن هشام والياً ، ورواية الطبري أدق .
- (٢٩٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٩٣ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣١٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٢ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٣٥٥ .
- (٢٩٧) الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٢١ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ .
- (٢٩٨) سياسة نامه ، ص ٢٩٠ ، والترجمة الروسية ، ص ٢٢٤ .
- (٢٩٩) يشير ابن النديم إلى أن الخزمية منتشرون في بلاد الديلم أيضاً ، الفهرست ، ص ٤٩٣ ، عن الديلمة انظر مينورسكي ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١١٣ .
- (٤٠٠) الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٤ .
- (٤٠١) تومارا ، بابك ، ص ٨٨ .
- (٤٠٢) انكلز ، ف . ، الحرب الفلاحية في المانيا ، ص ٣١ .
- (٤٠٣) كما يشير ابن النديم والبغدادى وغيرهم .
- (٤٠٤) ذكر ليو بأن بابك هجم في ٨٢٩ م على المقاطعات الأرمنية التي رفض امراؤها الانضمام إليه وضرب الحصن المقدوني الشهير في « كيكديك » حيث لم يبق منه سوى طاحونة مائية واحدة وبلغ عدد القتلى ١٥ ألفاً ، تاريخ أرمينيا (بالأرمنية) ، م ٢ ، ص ٤٣١ .
- (٤٠٥) ذكر مينورسكي بأن « الأراضي الجبلية العالية التي تمتد تقريباً بين سيوان SEVAN وأراكس (أرس) تحمل في أرمينيا اسم سونيك » ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ٦٨ - ٩ .
- (٤٠٦) يرى مينورسكي بأن فاساك أعطى ابنته لبابك « وكان فاساك أول امير ظهر كمساعد للثائر المشهور والهرطقي بابك (في الأرمنية بابان) وأعطاه ابنته » ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ٦٩ ، بينما يشير المؤرخ السرياني موساس كاكانكاتفاسي « في تلك السنة توفي رئيس السنوكيين وفي نفس الوقت تزوج بابك من ابنة فاساك » ، بازمافيب ، بابك وسهل بن سباط ، صفحة من تاريخنا في القرن التاسع ، بالأرمنية ، ص ١٥ ، فهو يشير إلى أن الزواج تم بعد وفاة فاساك ويرى ليو ، تاريخ أرمينيا ، م ٢ ، ص ٤٣١ ، وبولنياتوف ، أذربيجان ، ص ٢٥٠ ، إن الزواج تم بعد وفاة فاساك ، راجع أيضاً تاريخ أذربيجان ، القسم الأول ، ص ١١٨ ، ١٢٠ ، حول اتفاق أهل سونيك مع بابك .
- (٤٠٧) تاريخ أرمينيا ، م ٢ ، ص ٤٣٦ .
- (٤٠٨) الوزراء والكتاب ، ص ٢٣٣ ، انظر مقدمة ابن خلدون ، ص ١٥١ ، حيث يذكر نفس المقدار .
- (٤٠٩) اشار اليعقوبي إلى أن المأمون ولي (الحسن بن علي الباذغيسي المعروف «بالمأموني» فقدّم والبلد مضطرب فقاتل أهل قلعة «لباعين» - الكلمة غير واضحة بالأصل - ففتحها وانصرف إلى «دبيل» جنوب بحيرة سيوان فأقام بها وكتب إلى اسحق بن اسماعيل التفليسي...) ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩١ .
- (٤١٠) من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٨٢ - ٣ .
- (٤١١) يذكر يامبولسكي « واتحدوا مع أخوتهم من شعوب أرمينيا وجورجيا » ، انتفاضة بابك ، ص ١١ .
- (٤١٢) جاء في تاريخ أذربيجان « الخرميون عقدوا ارتباطاً مع ثائري أرمينيا وجورجيا » ، القسم الأول ، ص ١١٨ ، ويكرر ذلك في ص ١٢٠ .

الفصل الرابع

الانتفاضة البابكية المملّحة
ضد الخلافة العباسية

THE
JOURNAL OF THE
ROYAL ANTHROPOLOGICAL INSTITUTE
VOLUME 31, PART 1, 1901

العوامل التي ساعدت على قيام ونجاح الانتفاضة المسلحة

بالرغم من أن الانتفاضات في مجتمع الرق والاقطاعية - كما لاحظنا - لم تستطع أن تضع حداً للاستغلال ، غير أنها في كثير من الأحيان لم تخل من خطورة وجسامة ، فقد تمكنت الانتفاضة البابكية المسلحة أن تقف بوجه الخلافة العباسية لمدة عشرين عاماً^(١) ، كان النجاح حليفها في عملياتها العسكرية في الفترة الأولى الطويلة ، وقد كان لضعف جيش الخلافة وانشغاله بفتن وحروب أخرى ولموقع مواطن الانتفاضة الجغرافي وطبيعة بلادها وحسن الاستفادة من ذلك ولبراعة الخرميين في أساليب القتال وللحلفاء الذين ساندوا الانتفاضة ، أثر في نجاحها واستمرارها الطويل ، هذا بالإضافة إلى استماتة الخرميين وتفانيهم في الدفاع عن حقوقهم وعقائدهم .

وما كان مقدراً لهذه الانتفاضة ذلك النجاح ، من حيث سعة الرقعة التي شغلتها وجسامة الأضرار التي كانت تلحقها بالخلافة^(٢) وطول المدة التي دامت ، لو لم تتضافر تلك العوامل جميعاً .

أ - ضعف جيش الخلافة: بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد - (١٩٣ هـ / ٨٠٩ م) انغمس الجيش العباسي بالخلافات والانقسامات بين الارستقراطيتين العربية والارانية وبين أفراد العائلة العباسية . فلما تولى المأمون (١٩٨ هـ / ٨١٣ م) الخلافة بعد مصرع أخيه الخليفة الأمين (١٩٣ هـ / ٨٠٩ م - ١٩٨ هـ / ٨١٣ م) كان الجيش منهوك القوى ضعيفاً حطمته الخصومات والأهواء وعصفت به الحروب الأهلية فخرج هزئلاً ليوواجه

انتفاضات فلاحي مصر والزلط في العراق وخرمية ايران والاضطرابات المتعددة وحروب الروم ، لهذا كان عاجزاً عن كسب النصر في معاركه مع البابكيين ، ويمكننا أن نوجز أهم أسباب ضعف جيش الخلافة بما يلي :

الحرب الأهلية (١٩٣ هـ / ٨٠٩ م - ١٩٨ هـ / ٨١٣ م) ، فتنة الأمين والمأمون وعصيان إبراهيم بن المهدي (٢٠٢ هـ / ٨١٧ م - ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م) وانشقاق وحدة جيش الخلافة .

أدى تقريب الارستقراطية الايرانية من قبل السلطة العباسية إلى عكس ما كان مؤملاً به ، فبدلاً من تقوية سلطة الخلافة ودعمها واسنادها ، أدى هذا التقريب - كما شاهدنا إلى سخط الجماهير الايرانية على ارستقراطيتها ونفض أيديها من التعاون مع العباسيين - كما أدى إلى تسعير أوار حقد وكراهية الارستقراطية العربية التي بدأت تشعر تدريجياً بازدياد خطر القوى المنافسة لها ، وقد زاد في حقد وكراهية الارستقراطية العربية على الارستقراطية الايرانية احتضان الأخيرة للكتاب والأدباء والعلماء الشعبيين وإغداقها الأموال الطائلة عليهم - كما لاحظنا ذلك سابقاً - . وكان من أسباب نكبة البرامة حقد الارستقراطية العربية التي أخذت توغر صدر الخليفة هارون الرشيد ، وكان هو بالذات يشعر بخطر توسع نفوذهم ويرغب في الاستيلاء على أملاكهم . وبعد نكبة البرامكة - التي تعد ضربة قوية للارستقراطية الايرانية - بدأت الارستقراطية الايرانية بالتفكير في الحصول على ضالتها المنشودة في ولي العهد عبد الله (المأمون) ، والذي كان وجوده في خراسان فرصة عظيمة لم تتوان الارستقراطية الايرانية عن استغلالها . إن وجود المأمون في خراسان في تلك الفترة كانت نتيجة لتنافس الارستقراطيتين وليس سبباً للنزاع بينهما كما يتوهم شلبي^(٢) .

لقد استغلت الارستقراطية الايرانية قضية النزاع على الخلافة ووجود المأمون بينها استغلالاً كلياً ، بحيث أصبحت الحرب الأهلية أو فتنة الأمين والمأمون ، ليست من أجل الخلافة كما تراءى للناس في الظاهر وإنما أصبحت في جوهرها نزاعاً بين الارستقراطيتين المتخاصمتين على السلطة والجاه والنفوذ ، وقد أشار إلى ذلك الفضل ابن الربيع عند حثه أسد بن يزيد بن مزيد على محاربة المأمون^(٣) . وقد عني فوز المأمون بالسلطة انتصار الارستقراطية الايرانية ، وكنتيجة لذلك أن وضع عن خراسان

ربع الخراج فحسن ذلك عند أهلها ، وترك لبس السواد شعار العباسيين ولبسوا الخضرة ، وجعل علي بن موسى الرضا ولياً للعهد وسيطر الفضل بن سهل - ذو الرياستين - عميد الارستقراطية الايرانية على السلطة وتوجيه الأمور ، وبعد اغتياله سيطر أخوه الحسن بن سهل . لقد لعب الفضل بن الربيع ممثل الارستقراطية العربية والفضل بن سهل ممثل الارستقراطية الايرانية أدواراً بارزة في إشعال نار الخصومة ، فقد سعى الفضل بن الربيع في إغراء الأميين وحثه على خلع المأمون وكان الفضل بن سهل يشير على المأمون بالامتناع عن الانصياع لأوامر الأميين^(٥) .

وكان ثمرد الارستقراطية العربية البغدادية (العباسية) بقيادة ابراهيم بن المهدي على الخليفة المأمون وعدم الاعتراف بخلافته رد فعل لانتصار الارستقراطية الايرانية واستمراراً لذلك النزاع الطويل . ففي سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م أراد أهل بغداد أن يبايعوا المنصور بن المهدي بالخلافة^(٦) كما وأنهم (أهل بغداد) خاضوا في أمر خلع المأمون ونصب ابراهيم بن المهدي^(٧) . ويذكر اليعقوبي في حوادث سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م فاجتمع قواد الحربية فبايعوا ابراهيم بن المهدي المعروف بـ (ابن شكله)^(٨) - ويذكر اليعقوبي أيضاً - ووثب محمد بن أبي خالد وأهل الحربية بالحسن بن سهل حتى أخرجوه من بغداد... وأتوا بمحمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن أنصار دولتكم وقد خشينا أن تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير المجوسي وقد أخذ المأمون البيعة لعلي بن موسى الرضا فهلهم نبايعك^(٩) . وقد أشار الثائر بوجه الخليفة المأمون ، نصر بن شبث صراحة إلى وجهة نظر الارستقراطية العربية في خلافة المأمون « وإنما هواي في بني العباس وإنما حاربتم محاماة عن العرب لأنهم يقومون عليهم العجم »^(١٠) ، لقد كان من جراء تلك الحروب والفتن أن فقد جيش الخلافة وحدته وتماسكه واحترامه لساتته فأصبح لا هم له إلا زيادة العطاء ولم يعد أهلاً لمواجهة الخرميين المنتفضين وغير مستعد لخوض معارك حاسمة معهم . بل إنه عجز حتى عن ضبط العاصمة حيث احتلها الشطار^(١١) .

انتفاضات الفلاحين في مصر : قامت جماهير مصر - غالبيتها من فلاحي القبط - بالاضافة إلى القيسية واليمانية^(١٢) من العرب - بانتفاضات عديدة معلنة سخطها واحتجاجها على تفاقم الجور^(١٣) الاقطاعي والتسلط الحكومي ، وقد بلغت هذه

الانتفاضات منتهى خطورتها في أعوام ٢١١ هـ ، ٢١٥ هـ ، ٢١٦ هـ ، ٢١٧ هـ / ٨٢٦ م ، ٨٣٠ م ، ٨٣١ م ، ٨٣٢ م) حيث اضطرت المأمون إلى أن يكلف أخاه المعتصم أو يحضر بنفسه ، وقد أرسل أو قاد جيوشاً عظيمة^(١٤) ، وقد ساهم الافشين في قيادة بعضها ، فيذكر اليعقوبي عن حوادث سنة ٢١٥ هـ ٨٣٠ م عند عودة المأمون من محاربة الروم « فنزل دمشق ثم أتاه الخبر أن أهل (البشرود) من كور مصر قد ثاروا فأمر أخاه أبا اسحاق (المعتصم) أن يواجه الافشين حيدر بن كاؤوس فوجه به وكف عاديته»^(١٥) ، ويذكر أيضاً : « واشتدت شوكة من كان يحارب الافشين بمصر من أهل الخوف والبيما والبشرود وهي كور أسفل الأرض فخرج المأمون إلى كور مصر وقدم الافشين في محاربة أهل الخوف فزحف اليهم بنفسه فقتلهم وسبى البيما وهم قبط البشرود»^(١٦) . ويروي اليعقوبي استياء الناس من شدة بطش الخليفة بالمنتفضين الذين خرجوا على الظلم وهم في ذلك أهل حق يقول اليعقوبي : « واستفتى في ذلك (القتل والسلب) فقيها بمصر يقال له الحارث بن مسكين ، مالكي ، فقال : إن كانوا خرجوا لظلم نالهم فلا تحق دماؤهم وأموالهم ، فقال المأمون (أنت تيس ومالك اتيس منك) هؤلاء كفار لهم ذمة إذا ظلموا تظلموا إلى الإمام وليس لهم أن يستنصروا بأسيا فهم»^(١٧) ، وقد اعترف المأمون بأنهم مظلومون ولكن لا يحق لهم الانتفاض . وتكاد تجمع كافة المصادر على ظلم العباسيين وسوء سيرة عمالهم^(١٨) ، وقد كانت الحروب مستعرة في كل أراضي مصر من الصعيد وأسفل الأرض حتى الاسكندرية وكانت تخمد دائماً بقساوة^(١٩) . ولئن تيسر للخلافة وبعد جهد قمع هذه الانتفاضات لكن جيشها أصبح ضعيفاً منهو كماً ، وقد صرفت انتفاضات فلاحي مصر هذه اهتمام الخليفة عن شؤون الجبهة الشرقية (الخرمية) ، رغم شعوره بجسامة خطرها ، كما افصح في وصيته لأخيه المعتصم .

انتفاضة الزط في العراق^(٢٠) : قامت انتفاضة الزط الساكنين في أواسط العراق وجنوبه (بين واسط والبصرة) في مناطق المستنقعات المعروفة بالبطائح حيث يربون الجاموس والبقر . ولا بد أن الجور قد لحقهم مما حدا بهم إلى التذمر والاحتجاج ومن ثم الانتفاض بوجه السلطة^(٢١) . وقد بدأت اضطراباتهم منذ سنة ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م فعين المأمون لمحاربتهم عيسى بن يزيد الجلودي^(٢٢) (أو الجلودي كما يذكر ابن

الاثير)^(٢٣) ، وفي سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م عين المأمون داود بن يزيد ماسجور^(٢٤) لقتالهم . ولم يتيسر لجيوش الخلافة القضاء على هذه الانتفاضة لعدم تمكنها من التوغل وسط الأهوار ، حيث يعتصم الزط ، وظلوا متمنعين بأهوارهم حتى عام ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م حيث أرسل الخليفة المعتصم ضدهم أحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلي^(٢٥) فهزموه فعدد المعتصم لعجيف بن عنيسة (جمادى الأول ٢١٩ هـ)^(٢٦) لمحاربتهم ، واستطاع عجيف بعد سد مسالك المياه ومحاصرتهم من التغلب عليهم وجاء بهم إلى بغداد^(٢٧) في ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م وكان رئيس الزط رجلاً يقال له محمد بن عثمان ومساعد سملق^(٢٨) . ولاشك في أن هذه الانتفاضة قد أشغلت الدولة وأنهكت قواها في عهدي المأمون والمعتصم مما خفف الضغط على البابكيين .

حروب الروم^(٢٩) : كانت الحروب الاقطاعية تنشب من حين لآخر بين الامبراطوريتين الاقطاعيتين المتجاوزتين ، المتنافستين على سيادة العالم ، «العباسية الإسلامية والبيزنطية المسيحية» وبالرغم من انهماك كلتا الامبراطوريتين في مشاكلهما الداخلية المستعصية كالاخلافات العقائدية : شيعة ، معتزلة ، خوارج ، ايقونات ، وفي قمع الانتفاضات في بلدانها ، فانهما لم تتورعا ، رغم انهماكهما ، من اشغال نيران الحروب بينهما مختلفتين حتى أتفه الأسباب لاشغالها . ولاشك في أن دوافع تلك الحروب هي لمناصرة المنتفضين^(٣٠) وذلك بتخفيض الضغط عليهم (بابك في البلاد الإسلامية وتوما الصقلي^(٣١) في بيزنطة) وللتخلص من المشاكل الداخلية وللتظاهر بالقوة والهيبة ولكسب ود المتدينين ، ومما لا شك فيه أن الهزائم التي حلت بجيوش المسلمين في أذربيجان قد تركت أثراً سيئاً في نفوس الناس فخارت العزائم وساد الشك في مقدرة الخلافة ، بل أن الكندي^(٣٢) استغل اندحار المسلمين أمام بابك^(٣٣) ، في دفاعه عن المسيحية في بلاط المأمون فقد افاد «بأن الحق أو الله إذا كان معكم فلم لم ينصركم وإنما ينصر بابك ؟»^(٣٤) ، وكان سؤالاً محرّجاً لمجمع العلماء الذي انعقد في القصر لمناقشة الكندي^(٣٥) ، وما كان في مقدور الكندي أن يشهر سلاحه هذا في وجه خصومه من علماء المسلمين لو لم يكن يعلم إلى أي درك هبطت فيه سمعة جيوش الخلافة المدحورة^(٣٦) ، ولذا نجد المأمون يقود بنفسه حملة قوية ضد بيزنطة^(٣٧) لاسترجاع هيبة الخلافة المفقودة في أذربيجان^(٣٨) وكان ذلك عام ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م أي

عقب اندحار محمد بن حميد الطوسي في عام ٢١٤ هـ في اذربيجان . ويظن ميور أن تجديد الحرب ربما كان بسبب عقد اتفاق عام بين بيزنطة وبابك ويعتقد أن سبب غزو المأمون عام ٢١٥ هـ ربما يرجع إلى ذلك ^(٢٩) . ولكن المباحثات بين بابك والبيزنطيين متأخرة عن هذا التاريخ ولا شك . ، وقد أشار فازيليف ^(٤٠) وبونيياتوف ^(٤١) إلى أن الاتفاق والارتباط بين البيزنطيين والخرميين قد نشأ في حدود عام ٨٢٣ م / ٢١٨ هـ . أما قبل هذا فإن البيزنطيين ساعدوا بابك نكاية بالمأمون الذي ساعد توما الصقلي ^(٤٢) . وتوما هذا قاد حركة شعبية مهمة في سنة ٨٢١ م ضد الامبراطور ميخائيل ^(٤٣) ، وبالرغم من أن توما كان يرمي الفوز بالامبراطورية وقد سمى نفسه امبراطوراً ، إلا أنه انهض العبيد ضد السادة ، وبسطاء الجند ضد رؤسائهم ^(٤٤) ، وكانت جماهير الحركة المنضمة تحت لواء توما مؤلفة من الفلاحين والجنود المظلومين من لدن الأشراف . ومن قسم من فقراء المدن ، وساهم في الانتفاضة العبيد والثوية وهراطقة آخرون ، لقد كان في عداد المنتفضين « كل أعداء السادة الذين أوقعهم نصيبهم في عبودية الاقطاع » ^(٤٥) . وبالرغم من عدم تقبل المأمون لمطالب جماهير الحركة واستنكاره لها لو حدثت في بلاده ، إلا أنه قدم المساعدات لتوما وكان يرمي أضعاف خصمه الامبراطور ميخائيل ، إلا أن المأمون لم تسمح له ظروفه بتقديم المزيد من المساعدات العسكرية ^(٤٦) حيث كان مكتوياً بنار الانتفاضة البابكية ، ولهذا أحبط ميخائيل انتفاضة توما بمساعدة أشراف البلغار ^(٤٧) وباستخدام قوى الامبراطور البلغاري امورتاغ ^(٤٨) . لهذا فإن مساعدة امبراطور الروم في هجومه على تخوم العرب من أجل التخفيف على بابك إنما يعزى إلى رغبة الامبراطور للانتقام من المسلمين الذين آزرُوا توما الصقلي . ، وأهم هذه الحروب كما يرويها اليعقوبي « وخرج المأمون متوجهاً إلى أرض الروم سنة ٢١٦ ففتح اثني عشر حصناً وعدة مطامير » ^(٤٩) . ويذكر أيضاً أنه « في سنة ٢١٧ هـ غزا بلاد الروم حتى بلغ حصن لؤلؤة عند طرطوس » ^(٥٠) . وآخر غزوة يذكرها اليعقوبي في سنة ٢١٨ هـ حيث أراد الوصول إلى حصن لؤلؤة « ولكنه مات (١٧ رجب ٢١٨ هـ) قرب البدندون » ^(٥١) . وهذه الحروب المهلكة المستنزفة للأموال والأرواح لم تكن - كما قلنا - إلا من قبيل رفع مغنوية الجيش وأعلاء هيبة الحكومة التي انهارت بسبب الهزائم المتكررة في جبهة اذربيجان . والحروب البيزنطية قد أعطت ولاشك فرصاً واسعة للخرميين لكي يكسبوا معارك عديدة في مختلف الميادين .

انتفاضات خرمية ايران:

قام خرميو ايران بانتفاضات عديدة في جهات مختلفة من ايران انهكت قوى الجيش العباسي . وقد أشرنا سابقاً إلى انتفاضات أهل قم في سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م وأصفهان ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م وأهل قم للمرة الثانية ٢١٦ هـ / ٨٢١ م وأهل الجبال الذين تجمعوا (عام ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) في مدينة همذان . وكانت الأخيرة أخطر انتفاضاتهم حيث أجبرت الخليفة المعتصم أن يرسل خيرة جيوشه ، منها جيش بقيادة هاشم بن باتيجور وقد انهزم هاشم وكان آخر الجيوش جيشاً بقيادة اسحق بن ابراهيم بن مصعب الذي وفق لسحق المنتفضين حيث قتل منهم ٦٠ ألفاً وهرب باقيهم إلى بلاد الروم ، والذين سيبرزون على مسرح الحوادث مرة أخرى كمساعدين للجيش البيزنطي في حربه ضد العباسيين^(٥٢) . إن الانتفاضات العديدة التي قام بها الخرميون الايرانيون بوجه الخلافة العباسية قد ساهمت بدورها في انهك جيش الخلافة وازعاج هيبته السلطة وفي تخفيف الضغط على الجبهة الاذربيجانية ، هذا مع العلم بأن خرمية شمال غربي ايران كانوا مندمجين مع خرمية اذربيجان في الانتفاضة البابكية ضد السلطة العباسية .

اضطرابات متعددة:

قامت فتن واضطرابات متعددة وحركات جماهيرية في أماكن مختلفة أشغلت بال الخلافة ولعبت دورها في إعاقة جيوش الخلافة من الانصراف الكلي لقمع انتفاضة البابكيين ، ومن تلك الاضطرابات حركة نصر بن سيار بن ثبت في شمال سوريا^(٥٣) ضد خلافة المأمون ، ويمكن اعتبارها احتجاج الارستقراطية العربية على فوز منافستها الارستقراطية الايرانية^(٥٤) ، وحركة العلويين^(٥٥) في العراق والحجاز واليمن ومنها تمرد بشر بن داود المهلبى عامل السند^(٥٦) وصدق بن علي المعروف بابن زريق^(٥٧) (٢١٢ هـ) بين الموصل واذربيجان ويعلى بن مرة وجماعته في اذربيجان وسودة بن عبد الحميد الجحافي في ارمينيا وجعفر بن داود القمي (في قم ٢١٦ هـ) وكذلك محمد بن عتاب والصنارية والقيسية في ارمينيا ، وعصيان موالي الجبال وقم وأصبهان على ابن هشام (٢١٧ هـ / ٨٣٢ م) .

ب - الموقع الجغرافي وطبيعة البلاد وحسن الاستفادة منهما :

كان لموقع الانتفاضة الجغرافي وطبيعة البلاد أثره الحسن في نجاح العمليات العسكرية حيث قامت الانتفاضة في مناطق جبلية وعرة كثيرة الادغال ومتطرفة عن مركز الخلافة ، ولهذا كانت الجيوش العباسية بعيدة عن مراكز تموينها ، فأذربيجان تقع إلى الشمال الشرقي من العراق ، مركز الخلافة ، واقصر الطرق إليها عبر الموصل يخترق الجبال الوعرة والمسالك الخطرة ، فكانت مراكز الانتفاضة والحالة هذه متطرفة نائية عن بغداد - عاصمة الخلافة - وكانت الامدادات السائرة عبر المسالك المؤدية إلى أذربيجان عرضة للنهب والسلب من قبل المتمردين على السلطة كعلي بن صدقة المعروف بزريق ويعلى بن مرة وغيرهم مما كان يؤخر وصول الإمدادات السريعة ، بينما كان المنتفضون في ديارهم غير بعيدين عن مراكز تموينهم واحتياجهم . وقد استغل الخرميون تطرف بلادهم في اضعاف جيوش الخلافة واجاعتها ومن ثم تمزيقها ، وذلك بمصادرة قوافل تموينها ، ولا يخفى استغلالهم لمناعة الجبال وكثرة الأدغال ، فغالبية مناطق الانتفاضة جبال وعرة كثيفة الادغال ، وكان البابكيون يعرفون مسالكها ويجيدون القتال فيها^(٥٨) . وقد أشار اليعقوبي إلى ذلك عند كلامه عن المعارك التي خاضها محمد بن حميد الطوسي : « فلما أمكنه محاربة بابك عباً لقتاله وزحف إليه فحاربه محاربة شديدة له في كل ذلك الظفر ثم صار إلى موضع ضيق فيه حزونة فترجل ابن حميد وجماعته وجماعة معه فحمل عليهم أصحاب بابك فقتل محمد وجماعة من وجوه أصحابه »^(٥٩) . وعلى نقیض جيش البابكيين كانت جيوش الخلافة - تتألف في غالبيتها من أهل بغداد وأهل البصرة (كالحربية من بغداد ومتطوعة البصرة) - تجهل تلك المسالك والمضايق وليست لها خبرة بقتال الجبال ، وقد أشار إلى ذلك القائد عيسى بن محمد عند انهزامه أمام بابك في أحد المضايق^(٦٠) « ليس لنا في قتال هؤلاء بخت إنما نخشى في قتال المسلمين وانصرف من أذربيجان إلى أرمينيا »^(٦١) وقد بين ميور كيف أن بابك كان يحطم الجيوش الإسلامية واحداً إثر الآخر والتي كانت أحياناً تجزأ كلياً إلى قطع عند ممرات الجبال حيث يتربصون بها^(٦٢) ، وإلى ذلك أشار أمير علي^(٦٣) والدوري^(٦٤) .

قلنا إن الخرميين كانوا يعرفون المسالك والدروب والمضايق معرفة جيدة إذ أنهم أبناء تلك المناطق وقد تمرسوا في حروب الجبال والأدغال وهذا ما يسر لهم التفوق والنجاح في معاركهم العديدة مع جيوش الخلافة حيث كانوا يباغتون المسلمين من حيث لا يشعرون وينزلون بهم الخسائر الفادحة لجهلهم بالأراضي ومسالكها وملاجئها وطبيعتها (وقد قيل قتلت أرضُ جاهلها) . ولم يقتصر نجاح البابكيين في معاركهم على معرفتهم لمسالك الجبال الوعرة فحسب ، وإنما يعود إلى تحصن البابكيين في المناطق المنيعّة أيضاً . ولما كانت غالبية مناطق اعتصام المتفضّضين جبلية تيسر لهم التمتع بها وذلك بتحصنهم في المناطق الشاهقة الصعبة المنال من الجبال وكانوا بذلك في مأمن من غزو الجيوش غير المدربة على تسلق الجبال الوعرة ، وكان البابكيون في نفس الوقت يحتلون المراكز الاستراتيجية ومشرفين على جيوش أعدائهم ومطلعين على حركاتهم وخفائهم ، وقد ذكر الدينوري ذلك فقال : « فكان بابك وأصحابه يقفون على جبال شاهقة فيشرفون منها على العسكر »^(٦٥) ، وذكر ابن الأثير « فكان بابك يشرف عليهم من الجبل »^(٦٦) كما وأشار إلى ما يشبه هذه الأقوال ابن خلدون . ولا شك أن التجاء البابكيين إلى ذرى الجبال المنيعّة وتحصنهم فيها قد يسر لهم المنعة والتفوق والنجاح في حركاتهم ومعاركهم فكانوا يباغتون الجيوش وقوافل تموينها ويحصرونها ويبيدونها بحكم سيطرتهم على المضايق والمشارف ولحسن اطلاعهم على مواقع أعدائهم وحركاتهم .

لقد ظل المسلمون إلى فترة طويلة يحاربون البابكيين في الأودية والمناطق المنخفضة وفي المضايق إذ كانت للمسلمين الطرق والمدن فقط ، أما بقية الأراضي فقد كانت بيد البابكيين . وكان البابكيون بحكم تسلطهم وتمنعهم بمعاقلة الحصينة يحبطون محاولات جيوش الخلافة للتوغل صعدا في الجبال . ولا شك في أن انفراد البابكيين في السيطرة على أعالي المرتفعات له أهميته العسكرية بحيث ظلوا متفوقين ما داموا متمنعين معتصمين بذرى جبالهم .

لقد استفاد الخرميون استفادة كلية من تطرف بلادهم ووعورة جبالهم التي تكسوها الأدغال ، وكان لحسن الاستفادة من موقع وطبيعة الأراضي الأثر الواضح في

نجاح العمليات العسكرية واستمرار التفوق لمدة طويلة قبل مجيء القادة والجيوش الإسلامية التي لها معرفة بقتال الجبال .

جـ - أساليب القتال:

قارع البابكيون المسلمين في قتال مرير طويل كانت الغلبة في الدور الأول منه لهم للأسباب التي ذكرناها آنفاً ، وكان لبراعة البابكيين في استخدام أساليب (تكتيكات) مختلفة في القتال أثر أيضاً في تلك الغلبة حيث الحقوا الهزائم الشديدة بجيوش المسلمين . وكان القائد الشاب المحنك بابك ذا مواهب عسكرية^(٦٧) عظيمة مكنته من ابتداع أساليب متنوعة لدحر القوات العباسية والتي منها : استخدام فصائل وسرايا خفيفة وسريعة . كانت جيوش البابكيين موزعة على سرايا يقودها قواد عديدون كعصمة الكردي وأذين ومعاوية وطرخان وغيرهم ولا يستقرون في محل واحد وإنما كانوا يغيرون وينقضون على الجيوش والقوافل أينما وجدوها . ولا ريب أن هذا الأسلوب اتبع عند بدء تولي بابك أمر الخرمية حين لم يكن أنصاره بتلك الخطورة^(٦٨) ، وعندما كانت الانتفاضة تشمل أراضي واسعة ، وأما في السنوات الأخيرة بعد تقليص رقعة الانتفاضة فكانت لبابك جيوش كبيرة . وبحركاتهم السريعة الخفيفة تلك كانوا يباغتون الجيوش ويفتكون بها ومن ثم ينتقلون إلى أماكن أخرى يعتصمون بها ، فكان يتعذر على الجيوش العباسية الظفر بها . وقد وردت إشارات في المصادر العربية إلى ذلك ، فعند ذكر الطبري لابن البعيث قال : « وكان ابن البعيث مصالحاً لبابك إذا توجهت سراياه نزلت بهم فأضافهم »^(٦٩) . إن إتباع أسلوب المناوشات السريعة الخاطفة في الحرب ، والذي يعرف اليوم بحرب الأنصار ، قد حقق للبابكيين انتصارات باهرة رغم تفوق جيوش الخلافة عددياً عليهم . ومنها : هدم قلاع وحصون الخلافة . فقد باشر بابك عند تسلمه قيادة انتفاضة الخرميين بتهديم قلاع وحصون الخلافة التي يمكن أن تلجأ إليها القوات العباسية عند انسحابها ، تلك الحصون الممتدة بين زنجان وأردبيل^(٧٠) ومثل حصن برزند^(٧١) وأرشق وأراغة وكحصن النهر مما يلي أردبيل . وقد ذكر الطبري وابن الاثير وابن خلدون بأن « بابك قد خرب تلك الحصون »^(٧٢) ، وقد أوضح الدينوري - وإن اتهم بابك بتدمير بعض القرى

والامصار المجاورة للبذ - بأن السبب الذي حدا ببابك إلى ذلك ، « لتصفو له البلاد ويصعب مطلبه وتشتد الموتة في التوصل اليه »^(٧٣) هو من أجل التحصن . إلا أن الدينوري اتهم بابك بالقتل الجماعي « فاستفتح أمره بقتل من حوله بالبذ »^(٧٤) ، ولا شك في أن الدينوري اختلط عليه الأمر ، فبابك سعى لتطهير المنطقة من القوات العباسية ودك معاقلها ولم يرم إلى قتل الناس الذين حواليه أي قتل كل المسلمين في أذربيجان . ولقد اعتمد اتهام الدينوري لبابك بالفتك بالناس المؤرخون الذين تلوه حتى أن ابن النديم اعتبر بابك مبدع القتل والفتك لدى الخرميين إذ يقول عنه : « أحدث في مذاهب الخرمية القتل والغصب والحروب والمثلة . ولم تكن الخرمية تعرف ذلك »^(٧٥) . ولا شك في أن ابن النديم يعلم بأن المنتفضين الخرميين كانوا قد رفعوا السلاح مرغمين بوجه السلطة والاقطاع في أزمان سابقة لأيام بابك ولكنه تجاهل هذه الحقيقة ليُشهر ببابك . ونجد المقدسي يصور بدء نشوء البابكيين بقيام المذابح والاعتيالات ويقول بأن بابك أوعز إلى جماعته باغتيال من حوالهم ، وسلمهم الخناجر والسيوف (وكانوا في قلة وذلة) وطلب منهم القيام بالاعتيالات في وقت حدده لهم ثم أرسلهم إلى النواحي النائية ليفعلوا ذلك^(٧٦) . وتجد الأفكار نفسها لدى ابن العبري^(٧٧) ، ولكن الحقائق تدحض هذه المفتريات وأولها أن الخرميين كانوا يحرمون القتل كمبدأ عام شأنهم شأن المزدكيين الذين كرهوا القتل وسفك الدماء . وقد ذكر كريستنسن : « وكل سفك للدماء إنما هو عمل يعوق الجهد في سبيل تخليص الأرواح »^(٧٨) ، والمقدسي نفسه أشار إلى أن الخرمية (يتجنبون الدماء جداً إلا عند عقد راية الخلاف)^(٧٩) . وثانيها أن المسلمين قد أنقذوا من الأسر عند فتح البذ سبعة آلاف وستمئة أسير مسلم كما ذكر اليعقوبي^(٨٠) ، وكان بإمكانه قتلهم بل إن النسوة اللواتي كن في الأسر شهدن بحسن معاملة بابك لهن^(٨١) هذا بالإضافة إلى أن المصادر شاهدة على كثرة تبادل الأسرى بين الطرفين . وثالثها يمكن القول بأن البابكيين قد هاجموا القلاع والحصون ودمروها وقضوا على مافيها من قوى عسكرية . أما أعمال القتل والسلب وترويع السكان الأمنين فلا بد أن ذلك من عمل قطاع الطرق واللصوص والقتلة الذين اندسوا في صفوف الحركة وقد أشار اليهم المقدسي نفسه : « وانضوى إليه القطاع والذعار وأصحاب الفتن وأرباب النحل الزائفة »^(٨٢) . لقد ردد

المؤرخون المتأخرون أقوال الدينوري وابن النديم والمقدسي وابن العبري ورددوا الباحثون الغربيون ، وكان لفلوكل الأسبقية في استخدام تلك الأقوال عند بدء كلامه في مقالته عن بابك « حسب عنوان هذه المقالة لا أريد أن أصف تلك المعارك الدامية والأهوال وتدمير الناس التي فعلها بابك لما أخذ السلطة بيده بمساعدة كثرة أنصاره الفاقدين للأخلاق »^(٨٢) ، ولكن المؤسف أن يعتمد يامبولسكي رواية المقدسي دون تمحيص ويردها بقوله « ماذا عمل بابك أول ما أصبح رئيساً للخرمية ، نظمهم للذبح الجماعي لأنصار الخليفة العائشين في ذلك الوقت في آذربيجان »^(٨٤) . لكن بونيياتوف ، بعد أن ينقل روايات ابن النديم والمقدسي الأنفة الذكر^(٨٥) ، يذكر بأن بابك اضطر إلى أن يدخل في جيوشه الطاعة الصارمة لاختضاعها من أجل هدفه الرئيس .. محو السيادة العربية في آذربيجان ومن ثم في مناطق أخرى^(٨٦) . فإذا كان الهدف - وحسب أقوال بونيياتوف - محو السيادة العربية فإنه لم يكن القضاء على المسلمين أو العرب . لقد عمد بابك إلى تهديم الحصون لإضعاف مقاومة المسلمين^(٨٧) وأما بالنسبة لجيوشه فقد عمد إلى النقيض من ذلك إذ اهتم ببناء القلاع والحصون المنيعة له على الربايا والمشارف والقمم للتحصن بها وأمر قواده عمل ذلك أيضا ، فيذكر الدينوري : « وأمر بابك أذين أن يحصن تلا مشرفاً على المدينة »^(٨٨) . وهكذا جعل جيوش الخلافة مكشوفة له غير حصينة بينما تحصن هو في قلاع العديدة الشاهقة وكان لغالبية القواد والأمراء المنضمين إليه قلاعهم وحصونهم كابن البعث الذي كانت له قلعتان^(٨٩) ، كما كانت لعصمة الكردي قلعته في مرند ، ولطرخان قلعة في قريته قرب مراغة . ولم يكتف بابك بإنشاء الحصون بل أنه كان يعمد إلى حفر الحفر ليوقع فيها فرسان العرب^(٩٠) ، وقد كبدت هذه الحفر جيوش العرب خسائر جسيمة .

ومنها المباغته والكمائن : لما كان البابكيون محتلين مشارف الجبال كانت لهم الدراية التامة بتحركات جيوش الخلافة وقوافل تموينها ، هذا بالإضافة إلى كثرة الجواسيس والعيون الذين كان يستخدمهم بابك والذين كان من الصعب التعرف عليهم لأنهم من أهل البلد . لهذا كانت الجيوش العباسية وقوافل تموينها عرضة للمباغته بحيث تتعرض فجأة إلى حملات غير متوقعة تخلق الذعر والارتباك في صفوفها مما يؤدي إلى اندحارها وهلاك الكثيرين من أفرادها ، وقد استخدم بابك هذا الأسلوب

(المباغثة) بطرائق عديدة منها اللجوء إلى الكهوف والمغاور الواقعة في طرق سير الجيوش^(٩١) والانقضاض عليها فجأة دون توقع ظهورها في تلك الأماكن ، إما على مقدمة الجيوش أو الانقضاض عليها من الخلف بعد أن تشتبك مقدمة الجيش العباسي بالنزال مع آخرين أو إيداع عدد كبير من القوات على الربايا والمشارف والسماح لجيوش العباسيين بالمرور دون أن تلاحظ كمائن الخرمية في تلك المشارف ، ومن ثم تنقض عليهم تلك الكمائن بسرعة بعد أن تبلغ الجيوش العباسية المضايق الوعرة الضيقة فتفتك بهم فتكاً ذريعاً ، كما وتختفي الكمائن وراء الصخور حتى إذا جاوزتها الجيوش انقضت عليها من الخلف ، وتنحدر عليها من الأعالي فيحصل الارتباك ويقع أفراد الجيش فريسة بين قبضتي « كماشة » الخرميين ، ومنها الغارات الليلية (البيات) وقد استخدمها بابك كثيراً ، ومنها حفر الحفر الواسعة في طريق الخيالة والانقضاض على من يقع فيها بسرعة ، وكانت الأدغال تساعد البابكيين على الاختباء والتجسس والانقضاض المفاجئ أيضاً .

قطع الميرة والتموين : كانت مراكز تموين الجيوش العباسية بعيدة عن جبهات القتال وكانت الميرة والمال والسلاح تنقل إليها بواسطة القوافل المحروسة ولكي يضغط بابك على الجيوش العباسية فإنه ركز قصارى جهده^(٩٢) للحيلولة دون وصول تلك الامدادات إلى الجيش العباسي لكي يقحطه ويولد التذمر بين صفوفه من جراء نفاد الأرزاق والأموال بينما يحصل هو على الميرة والأموال . وكان جواسيسه المنتشرون يأتونه بأخبار تحركات الجيوش وقوافل تموينها أولاً بأول ، فكانت سراياه المنتشرة الموزعة على المسالك والطرق تهاجم قوافل الميرة والتموين حسب تعليماته وارشاداته ، وكثيرا ما كان يقوم هو بنفسه بمهاجمتها وما كانت تفلت منهم قافلة إلا في القليل النادر . وتحفل المصادر التاريخية بذكر الهجمات العديدة التي قامت بها جيوش الخرميين من أجل الحصول على الأموال والذخيرة والتموين حتى في أيام القائد الأفسسين حيث أجاعوا جيشه مرتين .

وكانت مهاجمة قوافل تموين الجيش العباسي من القضايا الأساسية في حروب البابكيين والتي أولوها الأهمية القصوى وكانت من أشد الأمور خطورة بالنسبة للجيش العباسي .

د - الحلفاء الذين ساندوا الانتفاضة:

ذكرنا أن المأمون كان قد ساعد المنتفض توما الصقلي ضد امبراطور الروم ميخائيل الثاني فكان هذا ، مع الأسباب الأخرى التي يحقد من أجلها أباطرة الروم على الخلافة العباسية ، دافعا لهم على مساندة الخرميين في انتفاضاتهم بوجه الخلافة وكان الروم يشنون الحروب على الحدود الإسلامية لا من أجل تخفيف ضغط الجيش العباسي على الخرميين فحسب وإنما لأغراضهم الشخصية بصورة أساسية . هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا - بحكم عدائهم للعباسيين - ملجأ للمندحرين من الخرمية ، علما بأن الروم كانوا غير مخلصين لبابك وللخرمية لكرههم الانتفاضات الشعبية . أما الحلفاء الآخرون فهم أمراء الجزء الشرقي والجنوبي الشرقي في أرمينيا ، وقد بحثنا ذلك في نهاية الفصل السابق .

٢- أسباب اندحار الانتفاضة المسلحة في الدور الثاني

٢١٨ - ٢٢٢ هـ / ٨٣٣ - ٨٣٧ م

ظلت الانتفاضة البابكية المسلحة تبرز النصر تلو النصر في معاركها قرابة ١٨ عاماً ، وقد أوضحنا العوامل التي ساعدت على نجاحها في تلك الفترة فلما تفاقم خطرها وعجزت جيوش الخلافة عن إدراك النصر حرص الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م) ، بناء على وصية أخيه المأمون ، بالجد على الاجهاز عليها فأرسل جيوشاً مدربة ومتمرسه بقتال الجبال تحت إمرة قائد محنك هو الأفشين حيدر بن كاؤوس وأمدته بقيادة لا يقلون عنه مراساً وشدة وجهزه وأمدته بالأموال والسلاح فتمكن أن يحصن بها مواقعها ويحاصر بابك ، وكان لهروب الاقطاعيين ودور الانتهازيين التخريبي وتباطؤ الروم في مساعدة المنتفضين أثر في تلك الاندحارات .

أ- العوامل العسكرية:

عزل خرمية الجبال عن منتفضي أذربيجان:

لمس الخليفة المعتصم خطر خرمية الجبال في أذربيجان والذين تجمعوا في

(٢١٨هـ/ ٨٢٣م) في همدان فبادر إلى ضربهم قبل التفرغ والاستعداد لحرب بابك وقد أرسل عدة جيوش كما شاهدنا - لدحرهم حتى تمكن اسحق بن إبراهيم بن مصعب من دحرهم وأنزل بخرمية الجبال ضربة قاصمة حيث قُتِلَ من قُتِلَ وهرب قسم إلى الروم وأسير الباقي ، فأدت هذه الضربة إلى محق هذه الجهة وإضعاف مركز بابك حيث انعزل عن خرمي إيران الجبليين وقل احتمال الاعتماد عليهم لتلك الضربة الماحقة . ويشير الدوري إلى أن ساحة القتال انحصرت بأذربيجان معقل البابكية الأصلي^(٩٣) ويرى تومارا أن من نتائج هذه الضربة برودة الكثير من الفلاحين عن الحركة بحيث تخلوا عن بابك وعادوا إلى قراهم^(٩٤) . ولاشك في أن لتدرب الجيش العباسي وتمرسه بقتال الجبال من أثر في هذه التحولات التي حصلت بحيث أخذ الجيش العباسي ينتقل إلى الفوز بعد الهزائم التي كانت تحل به ، وكنتيجة لاشتباكات الجيوش العباسية العديدة مع خرمية إيران الجبليين ومع خرمية أذربيجان القاطنين في الجبال . تدرت تلك الجيوش على أساليب قتال الجبال وتعودت على ظروف المناخ القاسية بخلاف ما كانت عليه الجيوش السابقة والتي كانت غالبيتها ترسل رأساً من البصرة أو من بغداد ، والتي ليس لها سابق عهد بقتال الجبال وقساوة المناخ ، وتزوج فوراً بالمعارك مع الخرميين المتمنعين بذرى جبالهم ، فكانت تلك الجيوش العباسية غير المدربة صيداً سهلاً للجبليين المتربصين حيث كانوا يجرونها إلى النزال في المضائق الوعرة^(٩٥) وهناك ينقضون عليها فتتمزق تلك الجيوش نتيجة تضافر عوامل الطبيعة والمناخ وتمنع الخرميين الجبليين وتمرسهم بقتال الجبال . وهكذا كانت تقع كل الجيوش العباسية فريسة الجهل بطبيعة الأرض وعدم التمرن على حروب الجبال ، أما الجيوش المتأخرة فقد تدرت على حروب الجبال ، كما أن تأني الأفشين في حروبه أعطى فرصة لأفراد جيشه للاطلاع على مسالك البلد والتمرن على منازلة الأعداء في المناطق الوعرة .

وكان الأفشين ، (حيدر أو خيذر بن كاؤوس الاشروسي) قائداً ماهراً حنكته التجارب في خدمة مصالح سادته ، فقد لازم مولاه منذ كان ولياً للعهد وحارب تحت إمرته في مصر وشمال أفريقيا ، وقد أظهر نبوغاً وتفوقاً ومهارة وشجاعة^(٩٦) جعلت المعتصم يعتمد عليه في المهمات ويدخره للأيام العصيبة . وكانت خطة الأفشين البارعة هي في إطالة مدة الحرب وعدم التسرع وتضييق الخناق تدريجياً على بابك وتجويعه

وحصره في مركزه البذ بعد تمزيق فصائل الخرميين والاجهاز على قادة البابكيين وأعوان بابك المخلصين المهمين . ولم يفقه المحاربون هذه الخطة التي تجعل الطامعين والمتردددين والخائفين من المتصقين بالانتفاضة ينفضون أيديهم منها ويلتجئون إلى الحياد إن لم ينضموا إلى جيوش الخلافة ، لم يفقه المحاربون المسلمون تلك الخطة وتجروا بالشكوى من عدم مقارعة الأعداء وانتظارهم الطويل ، وقالوا عن الأفشين « هذا لا يشتهي إلا المماطلة... وأنه لا يحب المناجزة وإنما يريد التطويل »^(٩٧) ، بينما دوريات الخرميين تمزق بهم وتزعق بوجوههم وهم ساكتون بل إنهم أدركوا جدران قلاع البذ ولكنهم أمروا بالعودة ولم يستلموا أمراً بارتقائها . هذه الخطة التي بنيت على دراسة أحوال البلد الطبيعية والظروف المناخية وطريقة قتال الخرميين حيث وجد الأفشين أن حروب البابكيين تعتمد على هجمات الفصائل السريعة الخاطفة وعلى المباغثة وعلى الكمائن ، ولهذا عمد إلى افساد خطط البابكيين بخطط معاكسة فقد عمد إلى النقيض من أساليب البابكيين وذلك بزحف الجيش بأكمله رويداً رويداً والتحصن في المواقع الجديدة بحضر الخنادق وبناء الحصون والتحوط من المباغثة « وكان الأفشين أبدأ يخاف من كمين بابك »^(٩٨) . وكان يجعل نصف الجيش على إهبة الاستعداد دوماً خشية البيات . ويرى الطبري أن المعتصم أمره بهذه التعبئة : « وكتب إليه المعتصم يأمره أن يجعل الناس نواب كراديس تقف على ظهور الخيل كما يدور العسكر بالليل ، فبعض القوم معسكرون وبعض وقوف على ظهور دوابهم على ميل كما يدور العسكر بالليل والنهار مخافة البيات »^(٩٩) . وخطة الأفشين المبنية على التآني كانت الثغرة التي طعن منها « الأفشين » في إخلاصه وولائه على أساس أنه كان يحاول إعطاء الفرصة لعدوه بابك للتخلص من المأزق الحرج . وقد اهتم الأفشين بتحسين القلاع وتنظيم الاتصال والتجهيزات . وكان بابك - كما ذكرنا سابقاً - قد عمد إلى تهديم القلاع والحصون التي يمكن أن تلتجئ إليها جيوش الخلافة ، وذلك من أجل إضعاف مقاومة تلك الجيوش ، فلما آل الأمر إلى المعتصم وجه القائد أبا سعيد محمد بن يوسف إلى أردبيل وأمره أن يبنى الحصون ما بين زنجان وأردبيل^(١٠٠) ويترك فيها حاميات لتؤمن وصول قوافل الميرة التي ترسل إلى أردبيل^(١٠١) ففعل محمد ذلك فلما جاء الأفشين الذي عسكر في برزند^(١٠٢) أمر بترميم الحصون الواقعة

بين أردبيل وبرزند وأنزل تلك الحصون القادة التالية أسماؤهم : محمد بن يوسف^(١٠٣) في خش^(١٠٤) فاحتفر خندقاً فيه ، الهيثم الغنوي^(١٠٥) في أرشق^(١٠٦) فرم حصنه وحفر حوله خندقاً ، علوية الأعور^(١٠٧) في حصن النهر^(١٠٨) . وكانت قوافل الميرة تسير من أردبيل إلى برزند (١٤ فرسخاً - ١١٢ كيلومتراً)^(١٠٩) بخفارة دوريات من هذه المعسكرات حيث تخرج القافلة ومن يخفرها إلى حصن النهر فيتسلمها منهم أصحاب علوية الأعور ويبادلون بما لديهم مع أصحاب أردبيل ويعود كل إلى حصنه ، ثم يسير جماعة علوية الأعور بالقافلة بعد اجتيازهم قلعتهم (حصن النهر) حتى يتوجهوا إلى منتصف الطريق بينهم وبين أرشق ، وهناك تنتظرهم جماعة الهيثم الغنوي ويجري التبادل فتسير جماعة الهيثم الغنوي بالقافلة إلى أرشق وتعود جماعة علوية إلى حصن النهر بما استلموه من جماعة الهيثم الغنوي ، ومن أرشق تسير جماعة الهيثم بخفارة (بذرقة) القافلة إلى منتصف الطريق الذي بينهم وبين حصن خش^(١١٠) حيث تنتظرهم جماعة محمد بن يوسف ، ويتم التبادل بينهم فتستلم جماعة محمد القافلة من جماعة الهيثم وتتجه به نحو خش ، أما جماعة الهيثم فتعود إلى أرشق بما استلمته من جماعة محمد (الآتية من خش) ، وبعد أن تجتاز جماعة محمد حصنها في خش تتجه نحو برزند (بين خش وبرزند ٦ فراسخ = ٤٨ كيلومتراً)^(١١١) وفي منتصف الطريق تلتقي بها دوريات الافشين المقبلة من برزند فتستلم القافلة من جماعة محمد وتسير بها نحو برزند وتعود جماعة محمد بما استلمته من دورية الافشين إلى حصنها في خش^(١١٢) . وبالرغم من تعرض جيش الافشين عدة مرات لخطر المجاعة نتيجة استحواذ بابك على قوافله ، رغم تلك الحيلة والحراسة والخطة المتينة ، إلا أن الافشين ضمن - لحد ما - بهذا التنظيم حراسة قوافل الميرة والتموين ووصول القوافل والميرة إليه بسلام^(١١٣) . وبتزيمه للحصون وتأمينه وصول الميرة والامدادات استطاع أن يتغلب على أخطر عوامل إفناء جيوش الخلافة .

استخدام جماعات متمرسة بقتال الجبال:

لم تقتصر وحدات الجيش العباسي المحارب في أذربيجان على الجماعات العراقية من عربية وإيرانية بل ضمت بالإضافة إلى هؤلاء أعداداً كبيرة من الكلفرية^(١١٤)

والكوهبانية^(١١٥) والفراغة والاشروسنيين والعبيد والبربر^(١١٦) وكان الكوهبانيون والفراغة والاشروسنيون متمرسين بقتال الجبال (وغالبيتهم من غلمان الخليفة) وذوي صلابة وجلد .

وجيش الخلافة وإن كانت فيه عناصر هزيلة ضعيفة كالمطوعة^(١١٧) والتي كانت تجهل حرب الجبال وقد جاءت من أجل المغام إلا أن الاشروسنيين والكلغريين والكوهبانيين والفراغة كانوا عناصر قوة للجيش لمراسهم وطاعتهم وجلدهم ، وقد تذر الافشين من المطوعة والمرزقة من أفراد الجيش فصرخ فيهم يوماً « من صبر منكم فليصبر ومن لم يصبر فالطريق واسع فليصرف بسلام ، معي جند أمير المؤمنين ومن هم في أرزاقه يقيمون معي في الحر والبرد »^(١١٨) . لقد كان الغلمان الأتراك ، وهم غالبية جيش الأفشين لهم الدراية على حرب الجبال ويمتازون بالطاعة والانصياع لأوامر أمرائهم ولاسيما إذا كان الأمراء من بني جلدتهم كالافشين وايتاخ والفضل بن كاؤوس (أخو الافشين) وغيرهم من أمراء الجند الأتراك .

طول الحصار:

أطال الافشين الحصار على بابك وضيق عليه الخناق حتى أجبره على اللجوء إلى مركزه البذ . إن الزحف البطيء والتحصن في المناطق الجديدة وحفر الخنادق والاستحكامات وسد المسالك في المضائق المؤدية للبذ قد مكنت الأفشين ، الذي أمن وصول قوافل تموينه إليه ، من إضعاف بابك ودحره في عقر داره ، وقد ساعد على ذلك أيضاً قلة فرص تعرض بابك لقوافل تموين الافشين بسبب الخطة الحصينة التي وضعها لحماية قوافله ، فحرم بابك ولاسيما في العام الأخير من أهم موارد إعاشته بالإضافة إلى عدم تمكنه (بابك) من إجاعة جيش الخلافة والضغط عليه بحرمانه من موارد عيشه وتسليحه . لقد أصبح الطريق مفتوحاً من جهات عديدة أمام قوافل تموين وإمدادات جيوش الخلافة بينما بدأت المنافذ والمسالك التي توصل البابكيين باعوانهم تسد الواحدة تلو الأخرى ، وكان تحصين خط الدفاع الممتد من برزند إلى زنجان عبر أردبيل أكبر ضربة وجهت إلى البابكيين حيث عزلهم هذا الخط عن أقوى أنصارهم « خرمية الجبال » و« الديلم » .

استمالة جواسيس بابك:

عمد الأفشين إلى استمالة من يقع بيده من جواسيس بابك فقد كان يطلقهم ويبدل اليهم الأموال ويقول لهم « اذهبوا وكونوا جواسيس لنا . وبدءه هذا استمالة عدداً من جواسيس بابك الذين أخذوا يعملون لحساب الطرفين على ما يظهر . فكان يطلع على خفايا تحركات عدوه ولم تبق تنقلات وحدات بابك وتحوال قاداته سرّاً ، وبهذه الوساطة عرف مرة مكان أعظم قادة بابك ، طرخان ، حيث اغتيل .

شدة اهتمام الخليفة المعتصم بأمر الخرمية وحسن تجهيزه للجيش:

ترك المأمون لأخيه المعتصم وصيته التي جاء فيها : « والخرمية فاغزهم ذاحرمة وصرامة وجلد واكنفه بالأموال والجنود فإن طالت مدتهم فتجرد لهم فيمن معك من أنصارك وأوليائك وأعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه راجياً ثواب الله عليه...»^(١١٩) ولما كان المعتصم شاعراً بجسامة خطر الخرمية فإنه أخذ بوصية أخيه واهتم اهتماماً كبيراً بموضوع الخرمية وبأمر بابك حتى أن الدينوري يقول إنه لم يكن للمعتصم من شأن يشغله سوى بابك « فلما أفضى الأمر إلى أبي إسحاق المعتصم بالله لم تكن همته غيره (يقصد بابك) ...»^(١٢٠) . كم يا ترى كانت ملاحظة الدينوري صائبة! لقد نقل المعتصم الجيوش التي تحارب الروم وقذف بها إلى بابك وترك الجبهة البيزنطية هادئة^(١٢١) . وقد أرسل لمحاربة بابك كل جيوش الخلافة^(١٢٢) وقد تيسر له ذلك بعد القضاء على الفتن والاضطرابات والهدنة التي شملت الجبهة البيزنطية . لقد تيسر له أن يزوج بكل جيوشه في الحرب مع الخرميين حتى إذا أنزل الضربة القاضية بخرمية إيران - في همدان - توجهت كل الجيوش إلى أذربيجان . ويتجلى اهتمام الخليفة بأمر بابك وعزمه على القضاء عليه لا بإرسال كل جيوشه إلى أذربيجان فحسب وإنما في حرصه وتتبعه وفي إطلاعه وتوجيهه على الحركات الحربية حيث كان يطلع على الخرائط ويبيدي توصياته ، وكان الاتصال يتم بينه وبين الأفشين بسرعة بفضل تنظيم البريد واستخدام الحمام الزاجل للغرض نفسه . ويرى الدوري أن استعمال الحمام لنقل الأخبار كان لأول مرة في هذه الحرب^(١٢٣) . وننقل ما يذكره الطبري عن تنظيم البريد بين أذربيجان وسامراء (مقر الخلافة في الأيام الأخيرة من

الانتفاضة) ، يقول الطبري «... وإن المعتصم لعنايته بأمر بابك وأخباره ولفساد الطريق بالثلج وغيره جعل من سامراء إلى عقبة حلوان خيلاً مضرة على رأس كل فرسخ فرساً معه مجر مرتب فكان يركض بالخبز ركضاً حتى يؤديه من واحد إلى واحد يدا بيد وكان ما خلف حلوان إلى أذربيجان قد رتبوا فيه دواب المرح فكانت يُركضُ بها يوماً أو يومين ثم تبدل ، ويصير غيرها ويحمل عليها غلمان من أصحاب المرح كل دابة على رأس فرسخ وجعل لهم دياذبة (حراساً) ، على رؤوس الجبال بالليل والنهار ، وأمرهم أن ينعروا (يصيحوا) إذا جاءهم الخبر ، فإذا سمع الذي يليه النعير تهايأ فلا يبلغ إليه صاحبه الذي نعر حتى يقف له على الطريق فيأخذ الخريطة منه ، فكانت الخريطة تصل من معسكر الأفشين إلى سامراء في أربعة أيام أو أقل» (١٢٤) .

وقد صرف المعتصم من الأموال مبالغ طائلة ولم ييخل على جيشه بشيء ، وقد اهتم بتنظيم وصول الأموال والإمدادات إلى الأفشين وبذل للأفشين أموالاً وهدايا وعطايا كثيرة ، يذكر الطبري : « وكان يجزي الأفشين في مقامه بازاء بابك سوى الأرزاق والانزال والمعاون في كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم وفي كل يوم لا يركب فيه خمسة آلاف درهم » (١٢٥) . هذا للأفشين وحده أما نفقات جيشه كله فيكفي أن نعلم أنه حول للأفشين في عام ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م ثلاثين مليون درهم (١٢٦) ، حتى أن الذهبي يتصور أن المعتصم أنفق بيوت الأموال في حرب بابك (١٢٧) . لقد كان المعتصم سخياً في بذله للأموال من أجل القضاء على انتفاضة أذربيجان الخرمية ، وقد جهز قائده الأفشين بالجيش والمؤن ولم يتركه تحت غائلة الجوع أو الاحتياج ، وقد أمدّه بخيرة القواد ، إذ كان يعمل مع الأفشين ، حسب روايات المؤرخين ، قادة ذوو خبرة وصلابة وجلد كأبي سعيد محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي وأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي (١٢٨) وجعفر بن دينار الخياط والهيثم الغنوي وعلوية الأعور والفضل بن كاؤوس الاشروسني ومحمد بن خالد بخاراخذاه وأحمد بن الخليل بن هشام (ابن اخت علي بن هشام ، والي الجبال زمن المأمون) وبوزباره (١٢٩) وبغا الكبير وداود سياه وبشير التركي وجناح الأعور السكري وابن جوشن ومظفر بن كيدر وصالح آب كش (السقاء) وظفر بن العلاء والحسين بن خالد المدائني ومعاذ بن محمد (١٣٠) وإيتاخ (في الحقيقة أن إيتاخ جاء بالمؤن والأموال وعاد إلى سامراء) (١٣١) .

ب- موقف الاقطاعيين المعادي للانتفاضة:

ومن العوامل التي أضعفت البابكيين وبالتالي أدت إلى اندحارهم معاداة الاقطاعيين لهم ، فالاقطاعيون المجاورون كانوا بموقف معادي للحركة ، وهم وإن لم ينضموا إلى جانب الخلافة في بداية الأمر لضعف مركز الخلافة وانقطاع الصلة بينها وبينهم ، غير أنهم وقفوا بوجه الانتفاضة ، ولم يكن ذلك غير اعتيادي لأنهم كانوا يخشون على مصالحهم ونفوذهم واستغلالهم من الضياع ، لهذا كان طبيعياً أن يعلنوا الحرب على الحركة التي تهددهم . وكان بابك مرغماً على خوض المعارك مع هؤلاء الذين يهددون مواقعه من الخلف سواء كانوا متفقين مع الخلافة أم غير متفقين معها فالأمر سيان لدى بابك . إنهم كانوا خطراً على الحركة ولهذا كان الخرميون يحاربون علي جبهتين : جبهة الخلافة وجبهة الاقطاعيين سواء منهم الذين في أذربيجان أو في أرمينيا^(١٣٢) .

هروب الاقطاعيين من صفوف الانتفاضة والتجاؤهم إلى صفوف جيش الخلافة:

التجأ إلى الانتفاضة في أيام انتصاراتها المتلاحقة فريق من الاقطاعيين من مختلف الأقوام بدافع الخوف وعدم التمكن من الوقوف بوجه تيار الانتفاضة العارم أو بسبب كره السلطة العباسية أو لشعورهم بأن أيام العباسيين قد انتهت . إلا أن هؤلاء أصبحوا مصدر خطر للانتفاضة بحكم مركزهم وكثرة أتباعهم ومناعة قلاعهم ومعرفتهم للبلاد . ولهذا اعتبر الطبري خيانة ابن البعيث لبابك هزيمة حلت ببابك لا تختلف عن الهزائم العسكرية الأخرى^(١٣٣) . لأن ابن البعيث غدر بأحد قادة بابك عصمت الكردي وأتباعه ، وقتل قسماً من الأتباع وأرسل عصمت مخفوراً إلى المعتصم ، وقد شاهدنا كيف أن عصمت اضطر إلى الاعتراف والادلاء بما يعرف عن عورات البلاد ، وقد ظل عصمت مسجوناً حتى أيام الواصل . ولم يكتف ابن البعيث بتلك ، بل انضم إلى جيش الخلافة حيث ساهم في الحملة ضد بابك واشترك في معركة هشتادسر الثانية^(١٣٤) . إن خيانة الاقطاعيين (الملتجئين إلى الانتفاضة خوفاً) للحركة لم يكن نادراً كما يقول بيلاييف^(١٣٥) وقد علل يامبولسكي غدر هؤلاء للحركة وطعنها بسكين من الخلف بأن

الدهاقنة والبطارقة (الاقطاعيين) شعروا بأنفسهم بعمق الحركة الاجتماعية الفلاحية^(١٣٦). ويرى ايفانوف أن انتقال الخلافة في بداية ثلاثينيات القرن التاسع من الاندحارات إلى النجاحات في الأعمال العسكرية قد ساعد على خيانة الاقطاعيين لبابك ، هؤلاء الاقطاعيين الذين انحازوا في البداية إلى المنتفضين^(١٣٧). بينما جاء في تاريخ أذربيجان « خيانة الحلفاء المؤقتين - أضعفت الخرميين وساعدت العرب على بلوغ نقطة التحول في كفاحهم ضد حركة الشعب التحررية »^(*). والواقع أن هروب الاقطاعيين ساعد في إضعاف الحركة ، علماً بأنه لم يكن في إمكانهم الهروب أيام انتصارات البابكيين الأولى ، فابن البعيث لا بد وأنه قد شعر برجحان كفة الخلافة فسارع في عرض خدماته على الخليفة . يذكر اليعقوبي : « كان ابن البعيث قد كتب إلى المعتصم يعلمه أنه في الطاعة وأنه في التدبير على بابك وأصحابه »^(١٣٨). ولم يكن ابن البعيث إلا واحداً من عديدين انحازوا إلى جبهة الخلافة . إن انصراف هؤلاء الاقطاعيين قد أحدث ثغرات في مناطق دفاع البابكيين حيث فقدوا مواقع محصنة كثيرة كانت تحمي ظهورهم .

ج - العناصر التخريبية ودورها التخريبي في سير الحركة؛

كأية حركة جماهيرية واسعة لا بد وأن تتسلل إلى صفوفها الجماعات الانتهازية ولاسيما في أيام نجاحاتها ، وما أطولها بالنسبة لهذه الانتفاضة ، وكان من الصعب الكشف عن هوية هؤلاء لسعة المناطق التي شملتها الانتفاضة ولبراعة هؤلاء الانتهازيين في إخفاء هويتهم لخشيتهم المحاسبة والانتفاضة في عنفوانها ولصعوبة التعرف على خفايا الناس بسرعة ، إلا أن هؤلاء لم يتورعوا عن القيام بأخس الأعمال حينما أمنوا شر الملاحقة فكانوا يسرقون ويقتلون ويتجسسون لحساب الطرفين ويلتجئون بالتالي إلى الطرف القوي فيلعبون على الحبلين . وأخطر هذه الجماعات هم : قطاع الطرق واللصوص . وتشير بعض المصادر إلى انضمام هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق للانتفاضة ، فالمقدسي المطهر بن طاهر يقول : « وانضوى إليه القطاع والحراب والذعار وأصحاب الفتن... »^(١٣٩) ، وكتب ابن العبري : « واحتوى إليه القطاع وأصحاب

(*) م ١٦ ، ص ١٢١ .

الفتن»^(١٤٠) ، بينما يرى جوزي أن انضمام هؤلاء كان «لأغراض سافلة معلومة»^(١٤١) ، ويعلل الدوري انضمامهم (طمعاً في الفوائد المادية)^(١٤٢) . وقد أدى انضمام هؤلاء إلى صفوف الحركة إلى تشويه سمعتها باضفاء صفات النهب والسلب والقتل على رجال الحركة من أجل المنافع المادية . هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء كانوا عناصر خطيرة في صفوف الحركة إذ أنهم يثيرون الفزع والتطير ويحرضون على الهرب وعدم الصمود إذ أنهم لا يفكرون إلا بالمغائم ، أما أهداف الحركة فتلك أمور لا يفقهونها ولا يفكرون بها ، ولهذا يهزمون في أولى النزالات وفي أخف المعارك .

المترددون والطامعون : في عنفوان المد الثوري والانتصارات الباهرة والهيّاج الجماهيري تنضم الألوف من الناس التي تغمرها موجة الفوران غير مدركة ولا مفكرة بمستقبلها ولا منطلقة من مصالحها لقلة وعيها وإدراكها وتفهمها لواقع حالها ، وإنما تبهرها الانتصارات وتخشى عدم مجارة الانتفاضة ، لهذا لا تخلو حركة جماهيرية من انضمام هؤلاء المتتردين القلقين ، ولكن هؤلاء لا نفع فيهم بقدر ما يجلبون الضرر ، إذ أنهم كثيراً ما يحجمون في اللحظات الحاسمة فتضيع الفرصة فيسددون طعنة للحركة من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، إذ أنهم يرجحون مصالحهم الشخصية الآنية على مجموع مصالح المتفوضين ، وبسبب تخوفهم من سطوة الطبقة السائدة وعقوبة السلطان فهم لا يسهمون في مجمل نشاطات الحركة وإن ساهموا فبتحوط وحذر وتردد . أما الطامعون المتسللون إلى صفوف الحركة فهؤلاء لا تسيرهم إلا مصالحهم الشخصية الآنية وأطماعهم الذاتية . وفي عداد هؤلاء يدخل النفعيون وفئات من الاقطاعيين الصغار وكل الذين يفكرون بالحصول على المغائم عند انتصار الانتفاضة . ومن الطبيعي أن تأثير هؤلاء يكون ضعيفاً عندما تحرز الانتفاضة الانتصارات ، ولكن هؤلاء سرعان ما يقلبون ظهر المجن للانتفاضة ويولونها الأدبار ويذهبون عنها بعيداً عند أول انكسار يصيبها وحينذاك يأتي الخطر من تخلي هؤلاء حيث يضعفون معنويات الثائرين ويثبطون عزائمهم ، بل ويسارعون بالتودد إلى الطرف الآخر المنتصر .

عدم مساهمة جميع فلاحى مناطق الانتفاضة : صحيح أن انتفاضات الخرمية قامت على أكتاف الفلاحين ولكن ليس كل الفلاحين قد ساهموا فيها . فبالرغم من عناية

القائمين بالانتفاضة البابكية بمشاكل الفلاحين إلا أن فلاحى المناطق التي عمتها الانتفاضة لم تساهم بمجموعها في الانتفاضة البابكية ، ولا سيما في الفترة الأخيرة ، حيث فترت عزائمهم وعادوا إلى قراهم . فيذكر تومارا : « إن الاخفاقات التي بدأت تصيب بابك قد ساهمت في برودة الفلاحين إزاء الحركة ، وإن الكثيرين منهم بدأوا يتخلون عنه ويعودون إلى قراهم(*) . ولقد وضعنا سابقاً الأسباب التي تدعو إلى إحجام الفلاحين في القرون الوسطى عن المساهمة في الانتفاضات مسترشدين بتحليل انكلز لذلك عند بحثه الحروب الفلاحية في ألمانيا(**) . ولا حاجة بنا لتكراره(***) ، غير أننا نود أن نقول بأن إحجام أقسام واسعة من الفلاحين عن المساهمة في الانتفاضة البابكية ، ولا سيما في العهد الأخير ، قد أثر فيها تأثيراً واضحاً بينما كان للخلافة امكاناتها الواسعة في إعداد جيوشها الغفيرة وزجها في الجهة الأذربيجانية .

تباطؤ الروم في مساعدتهم للمتفضين بسبب تخوفهم من توسع الانتفاضة ذات البرامج الاجتماعية؛

مر بنا أن الخرميين الناجين من معركة همذان (٢١٨ هـ) قد التجأوا إلى الروم ، وأن الروم كانوا يهاجمون الثغور الإسلامية كمساعدة منهم لبابك ونكاية بالمسلمين الذين آزروا المنتفض توما الصقلي . والملاحظ أن الصلات بين بابك وبيزنطة لم تتوسع أكثر من ذلك ، فإن اتصال بابك بتيوفيل بن ميخائيل لم يتعد الطلب منه مهاجمة الحدود الإسلامية المكشوفة له(****) بعد أن زج العباسيون كل قواهم في أذربيجان ، وكان طلب بابك من أجل تخفيف الضغط^(١٤٢) عليه وكانت مصالح الطرفين في القضاء على الجيوش العباسية وتحطيم السيادة العربية تدعو إلى قيام تحالف بينهما ، ولكن الواقع أثبت أن امبراطور الروم كان لا يميل إلى نجاح الانتفاضة وإنما كان يريد لها وسيلة لضعاف العباسيين ، وإلا بماذا يفسر ذلك الهدوء النسبي الذي شمل الجهة البيزنطية قرابة الأعوام الأربعة لاسيما والجهة خالية من أي أثر للجيوش العباسية ،

(*) بابك ، ص ١١٨ .

(**) الحرب الفلاحية في ألمانيا ، ص ٣١ .

(***) راجع الصفحة ١٥٨ من بحثنا هذا - الهامش ٣٥٠ .

(****) أمير علي ويذكر مازندران بدلاً من أذربيجان كمحل للحركة وهو مخطئ . ولا شك . مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٧٢ ، ص ٢٨٤ ، فازيليف ، بيزنطة والعرب ، ص ١١٢ - ٤ .

اللهم سوى حاميات ضئيلة في ثغور مبعثرة ؟ لم أحجم تيوفيل عن مهاجمة الحدود الإسلامية بعد انسحاب الجيوش العباسية منها وانتقالها إلى أذربيجان ؟ لماذا هاجم امبراطور القسطنطينية الثغور الإسلامية بعد سقوط البذ ؟ لماذا لم يستجب تيوفيل لنداء بابك بمهاجمة الحدود الإسلامية وقد أخبره بعدم قدرة الخليفة على ملاقاته لأنه زج بكل جيوشه حتى أرسل خياطه وطباخه لمحاربة بابك في أذربيجان ؟(*) هل كان يجهل أمور الحرب بحيث يترك المسلمين ينتصرون على الخرمية ثم يغزوههم وبذلك تكون للجيوش الإسلامية القدرة على التفرغ له ومنازلته ودره ؟ اسئلة كثيرة تواجه المعني بهذه القضية حول إحجام تيوفيل خلال أربع سنوات كاملات عن غزو الحدود الإسلامية ، ولا جواب لها إلا أن الامبراطور كان يكره كل انتفاضة شعبية ولاسيما إذا كانت ذات برامج اجتماعية ، أما قبوله للخرميين الفارين من إيران فلكي يستخدمهم في حروبه مع المسلمين ، وأما مساعداته السابقة في مهاجمة المسلمين فكانت نكاية بالمسلمين وليس كواجب تجاه الخليف . لقد أثبت تيوفيل (أو تيوفيلوس)^(١٤٤) أنه لم يكن صادق النية تجاه حليفه بابك ، إذ لو كان مخلصاً لسارع لإنقاذه من محنته وذلك بتخفيف الضغط عنه بمهاجمة الحدود الإسلامية إبان اشتداد الحملة ، ولكنه على العكس أعطى فرصة كبيرة للمعتصم ليسحب جيوشه ويزج بها في أذربيجان^(١٤٥) ، وحتى هجومه على زبطرة (٢٢٣هـ) جاء بعد سقوط البذ . وقد يعلل ذلك بأنه تأخر في استلام استغاثة بابك ، ولكن الحوادث تدلنا على أنه أخبر بعد وصول امدادات الخليفة عام (٢٢٢ هـ) حيث جاء ذكر جعفر وإيتاخ في رسالة بابك إليه . ويذكر الطبري تلك الرسالة : « إن ملك العرب قد وجه عساكره ومقاتلته اليه حتى وجه خياطه يعني جعفر بن دينار وطباخه يعني ايتاخ ولم يبق على بابيه أحد فان أردت الخروج إليه فاعلم أنه ليس في وجهك أحد يمنعك »^(١٤٦) . وبالرغم من توضيح بابك له فإنه لم يقدم على مهاجمة زبطرة إلا في عام (٢٢٣ هـ) وبذلك برهن لا على حقه وكراهيته للانتفاضة فحسب ، وإنما على جهله بأبسط أمور الحرب ، إذ أنه ترك

(*) الطبري ، تاريخ الرسل ، ٢م ، ٢ ، ص ١٢٣٤ ، انظر : فازيليف حيث كتب : « لقد وقع بابك مع تيوفيل اتفاقاً وكان يأمل الآن في هذا الطرف المصيب أن يقوم تيوفيل بغزو على حدود العرب في الوقت الذي أرسل فيه المعتصم كل الجيش ضد بابك ومن ناحية حدود بيزنطة لم يكن باستطاعة الخليفة القيام بأي مقاومة لأنه بعث حتى خياطه وطباخه » ، بيزنطة والعرب ، ص ١١٢ - ٤ .

الجيوش الإسلامية تقضي على الانتفاضة ومن ثم بدأ بهجومه ، وما أحسب إلا أنه كان يتصور أن جيش المسلمين قد أنهك بالحروب مع الخرمية . ولكن كم كان واهماً فقد تيسر للمعتصم بسهولة توجيه ثلاثة جيوش^(١٤٧) ألحقت به شر هزيمة عند عمورية التي ذكر وقائعها أبو تمام وأشاد بانتصار المعتصم الذي قاد الجيش بنفسه يعينه الافشين ومن كان معه . لقد أنشد أبو تمام قصيدته المشهورة عن عمورية والتي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وما كان بمقدور المعتصم أن يفتح عمورية ويوجه تلك الضربة القوية لتيوفيل أيام محاربة جيوشه لبابك ، وقد أشار الطبري إلى ذلك عند توضيحه الأسباب التي دفعت بابك إلى أن يطلب من تيوفيل مهاجمة المسلمين إذ قال : « طمعاً منه و (يقصد بابك) بكتابه ذلك إليه في أن ملك الروم إن تحرك انكشف عنه بعض ما هو فيه بصرف المعتصم بعض من بإزائه من جيوشه إلى ملك الروم واشتغاله به عنه »^(١٤٨) . ولما لم يقم بذلك الهجوم إلا متأخراً فقد جنى نتيجة حمقه وتهوره .

٣- فترة النضال المسلح تحت قيادة بابك ومجريات الحوادث:

الفترة بين ٢٠١هـ / ٢١٨هـ ، ٨١٦م / ٨٣٣م:

في هذه الفترة الطويلة التي توافق سني حكم الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٣٣م) كان الفوز دائماً حليف بابك ، حيث كانت تنتصر جيوشه على الجيوش التي كان يبعثها الخليفة . وتتفق غالبية المصادر^(١٤٩) على بدء الفعاليات في سنة ٢٠١هـ - (٨١٦م) ، ولا شك في أن للمجاعة^(١٥٠) التي أصابت مناطق مختلفة من شمال وغرب إيران أثراً في التجاء جموع الفلاحين الجائعين المعدمين إلى الانتفاضة .

لكن المصادر لا توضح نوعية الفعاليات التي قام بها بابك سوى ذكرها لقيامه بقيادة الخرمية من جماعات جاويدان في منطقة البَذ . وتصف هذه الفعاليات بالعبث والفساد^(١٥١) ، غير أن الدينوري يشير الى ما يفهم منه احتلال بابك للحصون المجاورة له وتهديمها^(١٥٢) ، ومنذ عام ٢٠٤هـ (٨١٩م) تبرز الحوادث في المصادر

وتظل الى النهاية . ففي عام ٢٠٤هـ حصلت معركة بين يحيى بن معاذ بن مسلم وبابك ولكن دون ان يظفر أي منهما بنصر حاسم^(١٥٢) على خصمه فاضطر المأمون سنة ٢٠٥هـ (٨٢٠م) الى ان يعهد الى عيسى بن محمد بن خالد^(١٥٤) ولاية أرمينيا وأذربيجان ويطلب منه محاربة بابك فتوجه بجموع الحربية من بغداد حتى إذا كان في أرمينيا انضم اليه الاقطاعيون « كمحمد بن الرواد الأزدي وجميع رؤساء تلك البلاد »^(١٥٥) ، ورغم تلك الحشود فقد ألجأ بابك الى أحد المضايق حيث انقض عليه بشدة أذعرتة فولى عيسى هارباً من آذربيجان الى أرمينيا وهو يقول : « ليس لنا في قتال هؤلاء بخت إنما نخشى في قتال المسلمين »^(١٥٦) ، وأشغل هذا القائد الكبير نفسه بمشاكل أرمينيا ولم يتجاسر ثانية علي مواجهة بابك الذي استعظم أمره وبدأ الولاة يتهيبونه ونتيجة لتلكو عيسى في محاربة بابك طيلة ثلاثة أعوام اضطر المأمون الى تكليف علي بن صدقة المعروف بزريق الأزدي^(١٥٧) (٢٠٩هـ / ٨٢٣ - ٨٢٤م) ، ولما لم يقم علي بن صدقة بأي شيء ضد بابك عزله المأمون وعين محله إبراهيم بن الليث بن الفضل التجيبي فيذكر الطبري في حوادث سنة ٢٠٩هـ : « وفي هذه السنة ولى المأمون صدقة بن علي المعروف بزريق أرمينيا وأذربيجان ومحاربة بابك وانتدب للقيام بأمره أحمد بن الجنيد بن فرزندى الاسكافي ثم رجع أحمد بن الجنيد بن فرزندى الى بغداد ثم رجع الى الخرمية فأسره بابك فولى إبراهيم بن الليث بن الفضل التجيبي أذربيجان »^(١٥٨) ، وبعد ثلاثة أعوام من الفشل والهزائم وتهرب الوالي علي بن صدقة بن زريق من مواجهة بابك اضطر الخليفة إلى عزله ، فعصى فأصدر المأمون أمره بتعيين محمد بن حميد الطوسي^(١٥٩) والياً وقائداً لمحاربة بابك والعاصي علي بن صدقة بن زريق عام ٢١٢هـ / ٨٢٧م^(١٦٠) .

١- معركة هشتادسر الأولى^(١٦١) (٢٥ ربيع الأول ٢١٤هـ / ٣ حزيران

٨٢٩م)

انصرف الوالي الجديد محمد بن حميد الطوسي الى تثبيت مركزه في أذربيجان وتقوية جيشه قبل أن ينال خصمه بابك فلما تم له أسر علي ويعلى بن مرة وغيرهما من القائمين بوجه الخلافة جهز جيشاً وسار به لمواجهة بابك ، وكان معه مهدي بن

اصرم السعدي^(١٦٢) (وهو قريب لمحمد الطوسي ، وتولى قيادة الجيش بعد مقتل محمد) ومحمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي والعباس بن عبد الجبار اليقطيني . وقد عبأ جيشه تعبئة جيدة فكان على القلب محمد بن يوسف وعلى الميمنة مهدي بن اصرم وعلى الميسرة العباس بن عبد الجبار اليقطيني^(١٦٣) أما القائد محمد بن حميد نفسه فقد ظل في المؤخرة يحمي المواقع ويسد الشغرات التي قد تحصل في صفوف جيشه ، ورغم تحوطه الشديد حيث كان يترك في كل مضيق أو عقبة جماعة من رجاله لحفظ مؤخرته وتجنباً للمباغطة وكان يحفر الخنادق ، وهكذا فعل حينما وصل هشتادسر^(١٦٤) . ولكن يؤتى الحذر من مكمنه ، فقد كان بابك مشرفاً على تحركاته بحكم سيطرته على القمم العالية كما أنه كان قد خبأ الكمانين في الأودية وراء الصخور ، فلما توغل محمد بن حميد وجيشه (٢١٤هـ - ٣ حزيران ٨٢٩م)^(١٦٥) بعيداً عن مناطق تحصنهم ، وكانت غايتهم الاستحواذ على البذ^(١٦٦) ، وبلغوا بعض المضائق الوعرة ، خرج عليهم الكمناء من أسفل وانقض عليهم بابك من الأعلى^(١٦٧) في آن واحد ، فذعر جيش المسلمين (وكانت غالبيتهم من متطوعة الامصار المختلفة)^(١٦٨) وارتبكت صفوفه ولم يثبت رغم صيحة قائده الذي ثبت في المعركة الى آخرها ، ولما اراد الهرب بعد ان ينس لمح الخرميون فانقضوا عليه وارادوه قتيلاً ودفن على سفح هشتادسر^(١٦٩) . ترك فشل هذه الحملة ومصرع قائدها أثراً كبيراً لدى الخليفة المأمون كما أثارت مخاوف من ولاهم المأمون أمر محاربة بابك بعد محمد بن حميد الطوسي إذ يقول الدينوري : «وقد عظم أمر بابك وتهيبه الناس»^(١٧٠) ، فعبيد الله بن طاهر الذي عين بُعيد مصرع محمد بن حميد الطوسي والياً على أذربيجان ومحاربة بابك تلكاً في سيره نحو بابك رغم حسن تجهيزه وأثر البقاء في الدينور ، وكتب الى مهدي بن اصرم أن يتولى قيادة الجيش^(١٧١) مما اضطر المأمون أن يبعث اليه من يخيره بين خراسان ومحاربة بابك ، فآثر العافية وفضل خراسان على محاربة بابك^(١٧٢) . ولقد توهم الدينوري بأن عبد الله سار من الدينور إلى محاربة بابك وأن محمد بن حميد الطوسي قد قتل في تلك المعركة فقد كتب : «حتى وافى (يقصد عبد الله) البذ وقد عظم أمر بابك وتهيبه الناس فحاربوه فلم يقدرُوا عليه ففض جمعهم وقتل صناديدهم ، وكان ممن قتل في تلك الواقعة محمد بن حميد الطوسي»^(١٧٣) . إن كلام الدينوري

غير صحيح لأن عبد الله لم يبرح الدينور الى أذربيجان وإنما سار منها الى خراسان . يقول ابن الأثير : « وفيها خرج عبد الله بن طاهر الى الدينور فبعث المأمون اليه اسحاق بن إبراهيم ويحيى بن اكثم يخيرانه بين خراسان والجلال وأرمينية وأذربيجان ومحاربة بابك فاختار خراسان وشخص اليها » (١٧٤) . فاذن لم يذهب عبد الله الى أذربيجان وإنما سار الى خراسان كما أن محمد بن حميد كان قد قتل قبل مجيء عبد الله . يقول رأيث إن المأمون بعث عبد الله بن طاهر لمحاربة بابك في عام ٢٠٧هـ (١٧٥) وهذا غير صحيح لأن عبد الله كان يحارب في سورية نصر بن شبث (١٧٦) ولم يعين لمحاربة بابك الا بعد مصرع محمد بن حميد الطوسي . لقد امتنع عبد الله من السفر الى أذربيجان وفضل خراسان رهبة من بابك ورغبة في تثبيت مركز آل طاهر بعد وفاة أخيه (١٧٧) . واضطر المأمون بعد رفض عبد الله الى تعيين علي بن هشام والياً على الجبل وأرمينيا وأذربيجان ومحاربة بابك ، إلا أن علياً لم يجسر على محاربة بابك مما أثار حفيظة الخليفة عليه بالاضافة الى سوء سلوكه . وهكذا ظل جيش الخليفة غير قادر على مواجهة بابك في معارك كبيرة حتى وفاة المأمون عام ٢١٨هـ / ٨٣٣م .

الفترة ما بين ٢١٨هـ - ٢٢٢م / ٨٣٣م - ٨٣٧م؛

في هذه الفترة حكم الخليفة المعتصم (٢١٨هـ - ٢٢٧هـ / ٨٣٢م - ٤٨٣م) (١٧٨) وحصل تحول بالنسبة للموقف في أذربيجان فأخذت الجيوش الاسلامية تنتقل من الهزائم الى الانتصارات ، وقد بينا أسباب الاخفاقات التي منيت بها جيوش الخرمية وأهم تلك الهزائم ،

معركة همدان ٢١٨هـ / ٨٣٣م؛

أشرنا كثيراً الى هذه المعركة التي ألحقت بخرمية الجبال (في ايران) هزيمة منكرة إلا أننا نشير اليها هنا لأهمية الضرر الذي لحق بخرمية أذربيجان من هذه الهزيمة ، فالطبري يذكر عدد القتلى في المعركة ٦٠ ألفاً ، ويذكر أن مجموع القتلى بما فيهم الصبيان والنساء قد بلغ مائة ألف (١٧٩) وهرب الكثير من الناجين الى بيزنطة . لقد أدت هذه المعركة التي فاز بها القائد اسحق بن إبراهيم بن مصعب بعد أن فشل قادة آخرون منهم هاشم بن باتيجور ، الى ضعفة جيش بابك ، فاقتصرت فعالياته على

أذربيجان وقل اعتماده على خرمية ايران ولا سيما بعد ترميم الحصون ما بين زنجان وأردبيل . والملاحظ أن نظام الملك لا يضبط الأرقام فقد جعل عدد الخرمية في هذه المعركة ٢٥ ألفاً بينما يوصل أرقام القتلى الى ١٠٠ ألف ويعتبر الحادثة في زمن المأمون (١٨٠) .

جبهة أذربيجان ٢١٨هـ - ٢٢٠هـ / ٨٣٣م - ٨٣٥م:

انحسرت مواقع الخرميين بعد معركة همذان فاقتصرت على أذربيجان وكان القائد العام للجيش العباسية أبو سعيد محمد بن يوسف الطائي وقد أمره المعتصم بترميم الحصن بين زنجان وأردبيل والتحصن بها وذلك من أجل حراسة طريق تميمين أردبيل ، وقد أثر ذلك في اضعاف الاتصال بين من بقي من خرمية ايران والبابكيين .

هزيمة القائد معاوية:

ورغم قيام محمد بن يوسف بتحصين الحصون وحشد الرجال فيها فإنه لم يجسر على المبادرة لمهاجمة سرايا بابك ، إلا أنه قام بغارة معاكسة على أعقاب غارة قامت بها سرية لبابك يقودها معاوية (يسميه تومارا ب «مازيا»)(١٨١) ، وقد أبلى محمد ومن معه في تلك المعركة وحلت الهزيمة ببابك(١٨٢) حيث استطاع جيش محمد أن يقتل ويأسر الكثير من الخرميين بالاضافة الى انقاذهم الأسرى المسلمين(١٨٣) .

أسر عصمت الكردي في قلعة شاهي:

ذكرنا أن لمحمد بن البعيث قلعتا تبريز وشاهي ، وقد اتفق مع بابك وكان يد سرايا بابك حينما كانت تمر به بما تحتاجه ، وعندما أحس ابن البعيث بانتقال الجيوش العباسية من مواقع الدفاع الى الهجوم وكسبها بعض المعارك (همذان ٢١٨هـ وانتصار محمد على معاوية) بدأ بالتفكير بالانتقال الى الجانب القوي . يقول اليعقوبي « كتب ابن البعيث الى المعتصم يعلمه في الطاعة وأنه في التدبير على بابك واصحابه ثم مكر بعصمت»(١٨٤) . فلما مر به القائد عصمت الكردي أمير مرند اهتبلها فرصة للتقرب و اظهار الولاء للخليفة فأسره بعد أن أسكره وقتل قسماً من رجاله ، إذ كان يطلب من عصمت وهو موثوق أن ينادي على رجاله الذين كانوا أسفل القلعة ، واحداً واحداً

بأسمائهم ، وكل من كان يدعى فيرتقي يُقتل ، حتى أحس البقية بالوقية فهربوا . وقد بعث ابن البعيث بعصمت الى المعتصم وبذا طعن بابك من الخلف والحق به ضرراً كبيراً حيث فقد بابك أحسن اعوانه وأعظم قواد سراياه ، هذا بالإضافة الى اطلاع المعتصم على خفايا وعورة بلاد أذربيجان من قبل عصمت . ويعتبر المؤرخون هذا الحدث هزيمة ثانية لحقت ببابك بعد هزيمة قائده معاوية^(١٨٥) .

٢- الفترة ٢٢٠هـ - ٢٢٢هـ / ٨٣٥م - ٨٣٧م:

وهذه الفترة الحافلة بالمعارك الجسام هي الفترة التي قاد فيها الافشين ، حيدر بن كاؤوس الاشروسني ، جيوش الخلافة المحاربة في أذربيجان ضد بابك ، وكانت الحرب سجلاً بين قائدين عظيمين الافشين وبابك ، فقد حقق بابك فيها بعض الانتصارات ولكنه اضطر في الأخير نتيجة شدة الضربات ومقتل اعوانه الى اللجوء الى قلعة البذ حيث سقطت في النهاية بيد الافشين . لقد أرخت المصادر العربية تاريخ توجيه المعتصم للافشين لمحاربة بابك في عام ٢٢٠هـ ، فقد ذكر الطبري « ووجه به لحرب بابك وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة فعسكر بمصلى بغداد ثم صار الي برزند »^(١٨٦) ، وذلك في حوادث سنة ٢٢٠هـ . ولكن زاخودير ينفرد بذكر تاريخ ٢٢١هـ (٨٣٦م)^(١٨٧) .

١- معارك سنة ٢٢٠هـ / ٨٣٥م:

انصرف الافشين في بداية الأمر بعد نزوله في برزند الى تحصين القلاع وترميم الحصون بين أردبيل وبرزند ، وبهذا تكون له خط من القلاع ممتد من زنجان الى برزند^(١٨٨) ، فقد رم قبله محمد بن يوسف الحصون التي بين زنجان وأردبيل . وقد جعل في هذه الأماكن التي حصّنها حاميات على رأسها قادة كلفوا بحماية مواقعهم ومراقبة اعدائهم ومحافظة قوافل الميرة والتموين ، وقد مر بنا كيفية ذلك^(١٨٩) .

معركة أرسق^(١٩٠):

وهي أول معركة يساهم فيها الافشين ضد بابك . وتفصيل الأمر هو أن جاسوساً اسمه صالح قد أعلم الافشين بأن المال الذي بعثه الخليفة اليه مع بغا الكبير قد وصل

الى أردبيل وان بابك قد استعد للانقضاض عليه وقد أعد كميناً في مواضع مختلفة^(١٩١) ، وقد تأكد الافشين من اقوال الجاسوس حيث أرسل الى أبي سعيد يأمره التأكد من صحة الخبر فذهب أبو سعيد (محمد بن يوسف) وشاهد بنفسه الكمائن . وبعد تأكد الافشين من صحة الخبر طلب من بغا التريث في أردبيل وانتظار أوامره . ثم أشار عليه بأن يسير بالمال والرجال في قافلة حتى إذا وصلت القافلة قلعة النهر (حصن النهر) ترك الرجال يستمرون في سيرهم منفردين متجهين نحو برزند^(١٩٢) وأجل تسفير المال عن القافلة ، وهكذا فعل بغا الكبير حيث رجع بالمال من حصن النهر الى أردبيل واستمرت القافلة وكأن المال معها نحو برزند . وكان الافشين قد خرج بجنده من برزند متجهاً نحو خُشّ فبلغها عند الغروب وبات خارج معسكر ابي سعيد عند خُشّ ، ثم رحل في اليوم الثاني متجهاً نحو منطقة أرشق حيث قائد الهيثم الغنوي ، وكانت القافلة الخالية من المال قد خرجت من حصن النهر ومعها أمر حصن النهر علوية الأعور وكان بابك متهيناً لها فانقضض عليها وقتل من فيها واستولى على أمتعة وألبسة وعلى صاحب النهر^(١٩٣) فارتدوا ألبسة جند حصن النهر تنكراً ، ثم توجه بابك الى مقابلة هيثم الغنوي ولم يعلم بابك بالمصيدة التي نصبها الافشين له فلما وصل مكان التقاء فريقتي قلعتي النهر وأرشق لم يعرف الموضع الذي يقف فيه علوية الأعور عادة ، ولهذا وقف في مكان غيره ينتظر مجيء هيثم الغنوي ومن معه ، وقد أثار جهل بابك بالموضع المخصص لعلوية الأعور الشك والريبة ، حيث استراب الهيثم بعد وصوله الى المكان واستغرب من وقوف بابك وجماعته (وكان يظنهم جماعة علوية الأعور) في غير موضعهم فارسل طلائعه لمعرفة السبب ، وعند عودة الطليعة علم بأن الخرميين فتكوا بزميله علوية الأعور ومن معه فقفل راجعاً مسرعاً الى حيث توجد قافلته التي أتى بها من أرشق ليسلمها الى علوية الأعور فطلب منها الإسراع بالعودة الى حصن أرشق ، وظل هو مع رجاله يحمي مؤخرة القافلة وأرسل فارسيين مجدين ليخبرا القائد محمد بن يوسف والافشين بجلية الأمر ، وقد استطاع الهيثم أن يدرك وجنوده حصن أرشق ويحتمون به وما كاد يلجأ الهيثم الى الحصن حتى وافته سرية

بابك فأحاطت به واطل بابك من عل وطلب من الهيثم أن يترك الحصن ويستسلم . ولكن الهيثم (كان معه ستمائة راجل واربعمائة فارس)^(١٩٤) كان معتمداً على متانة حصنه الذي كان يحيطه خندق . وكان الفارسان قد أدركا جند الأفشين الذي كان متجهاً بدوره الى أرشق ولم يبق أمامه سوى أقل من فرسخ ، فلما علم الأفشين بمحاصرة بابك للقلعة أغار برجاله دفعة واحدة وأخذ بابك على حين غرة ، فلم يفق بابك الا وجيش الأفشين قد أحاق به وبعد معركة غير متكافئة أفلت بابك مع نفر من أصحابه بعد أن قضي على بقية رجاله المقاومين فهرب الى موقان^(١٩٥) الواقعة خلف خطوط اعدائه ، وهناك بعد فترة جاءه فريق من جنده فتسلل معهم عائداً الى البذ^(١٩٦) .

كانت هذه المعركة أول نصر أحرزه الأفشين وقد رفعت من معنويات جنوده .

مهاجمة قوافل المسلمين:

رغم الخسارة الفادحة التي حلت ببابك وبجنده فإنه لم يركن الى الدعة بل سارع الى إنزال ضربات مقابلة بجند الخلافة وكان يعلم أثر القحط في ارباك الجيش ولهذا آثر الضغط على خصمه من هذه الناحية فقرر استخدام سراياه للتعرض لقوافل تموين الأفشين لتجويعه من جهة وليحصل هو على الغنيمة . ومن هذه استيلاؤه على القافلة المتوجهة من خش الى برزند^(١٩٧) وكانت بقيادة صالح آب كش (السقاء)^(١٩٨) . فانقض عليها أحد قادة بابك^(١٩٩) واستولى على ما فيها وقتل رجالها ونجا صالح مع نفر من أصحابه وفروا بأرواحهم هاربين وقحط جيش الأفشين من جراء ذلك مما اضطر الأفشين ان يكتب الى حاكم مراغه أن يجهزه بالميرة ، وقد لبي حاكم مراغه^(٢٠٠) الطلب وجهاز « قافلة ضخمة فيها قريب من ألف ثور سوى الحمر والدواب وغير ذلك تحمل الميرة ومعها جند بيذرقونها »^(٢٠١) ، ولم تسلم هذه القافلة حيث انقضت عليها سرية لبابك بقيادة طرخان (او آذين)^(٢٠٢) فاستباحوها ، مما سبب القحط في جيش الأفشين ، وقد سارع الأفشين في طلب المعونة من آمر الشيروان (او السيروان)^(٢٠٣) فأمدّه بالطعام الكثير وبنفس الوقت وصل بغا بإمداده بما يحمل من المال والرجال .

٢- معارك سنة ٢٢١هـ / ٨٣٦م

معركة هشتادسر الثانية:

مر بنا ذكر معركة هشتادسر الأولى التي اندحر فيها جيش الخلافة وقتل القائد محمد بن حميد الطوسي ، وبعد سبعة أعوام حصلت معركة هشتادسر الثانية وقد اندحر فيها جيش الخلافة ثانية . وتفصيل الأمر : بعد وصول بغا الكبير بالامدادات وجهه الافشين (في ربيع سنة ٢٢١هـ بعد عيد النوروز) مع جيش كبير ليدور به حول جبل هشتادسر وينزل في خندق محمد بن حميد الطوسي ليحفره ويحكمه ويخندق فيه ، وكانت خطة الافشين على ما يظهر توجيه ثلاثة جيوش من جهات مختلفة تسير نحو البذ لانزال ضربة قوية محكمة بحيث يسير الافشين من برزند ويسير محمد بن يوسف من خش ويتوجه بغا الكبير من خندقه قرب هشتادسر ، وقد التقى جيشا الافشين ومحمد بن يوسف في موضع يعرف لدى مؤرخي العرب بـ «دروذ» (لا بد وانها دو الروذ) فحفرا خندقا وبنيا سوراً^(٢٠٤) ، إلا أن بغا تسرع فدار حول جبل هشتادسر القريب من البذ واشرف على البذ دون أن يعلم الافشين بالأمر حتى أنه وصل الى قرية البذ واقام فيها ثم أرسل الفا من رجاله في غلافة فانقض عليهم جيش بابك واستباح العلافة وقتل من قتل وأسر من قدر عليه وأرسل منهم رجلين للافشين ليطلعا على جلية الأمر فتألم الافشين لتلك الهزيمة ولأن بغا بتسارعه قد أفسد عليه خطته ، وكان بغا الكبير قد تراجع الى خنادقه متخاذلاً وسارع بابلاغ الافشين ويسأله المدد فأمداه الافشين بجيش عليه اخوه الفضل بن كاؤوس واحمد بن الخليل بن هشام وابن جوشن وجناح الأعور السكري وصاحب شرطة الحسين بن سهل فتوجه الجيش من دو الروذ ودار حول هشتادسر والتحق بجيش بغا الكبير المتحصن في الخندق .

ولقد أعلم الافشين بغا الكبير بأنه سيحارب بابك في يوم عينه له وأن خطته هي أن يوجه جيشين (ينقضان على بابك من جهتين) . وفي اليوم المقرر خرج الافشين من دو الروذ متجهاً نحو البذ وخرج بغا الكبير من خنادقه وصعد الى هشتادسر

وعسكر عند ربوة بجوار قبر محمد حميد الطوسي ، وقد أرغمت رداءة الأحوال الجوية ، لا سيما على المرتفعات ، حيث هبت ريح عاصفة مصحوبة بمطار غزيرة ، نيش بغا الكبير على العودة الى معسكره دون أن يقوم بما أسند اليه من واجب . أما جيش الافشين فقد استطاع ان يلحق ضربة بصفوف جيش بابك ، حتى أنه استولى على خيمته وامرأة كانت معه^(٢٠٥) . ولكن الافشين وإن الحق الهزيمة بغريه بابك لكنه لم يسدد الضربة القاضية كما كان يريد لأن بغا الكبير قد أفسد عليه خطته باستعجاله فلم يُطبقا على جيش بابك من ناحيتين وإنما تعرض الخرميون لهجوم لافشين فقط ، أما جيش بغا فقد تعذر عليه هذه المرة القيام بواجبه بسبب رداءة لأحوال الجوية . ولقد توجه بغا في اليوم التالي من أجل مقاتلة الجيش الخرمي الذي كان بازائه في هشتادسر ، ولكنه لم يحظ به لأنه انسحب في اليوم السابق حسب أوامر بابك الذي قرر الانسحاب والتحصن بقلعته البذ . ينس بغا من مواجهة عدوه هو يفتش عنه نهاره كله ولهذا طلب من داود سياه قائد مقدمته أن يفتش عن مكان مبن يلتجئون اليه ليلتهم . ومن ثم ينقضون في اليوم التالي على أعدائهم . فعثر القائد داود على محل مناسب ، وقد تراءت له من بعيد أعلام جيش الافشين^(٢٠٦) . وفي تلك الليلة بلغت الأحوال الجوية إلى أقصى ما يمكن أن تصل اليه من رداءة حيث لعواصف الثلجية والرياح الزمهريرية والضباب الحالك^(٢٠٧) . فلم يتمكنوا من مبارحة أماكنهم ثلاثة أيام . وقد نفذ زادهم واضطر بغا في اليوم الثالث ، بعد الحاح الناس عليه ، على مغادرة المكان والهبوط الى الوادي . في تلك الفترة التي كان بغا الكبير عتكفاً في أعالي جبل هشتادسر كانت جيوش بابك قد قامت بهجوم معاكس أجبرت بقية جيوش الافشين على التراجع الى معسكرها في دو الروذ ولم يكن بغا ليعلم لك ، فعندما هبط الوادي وتوجه صعدا نحو البذ (لتطبيق الخطة وظنا منه بأن الافشين لا يزال يحارب) حيث لم يبق أمامه الا مقدار نصف ميل عرف من طلائع مقدمته أن جيش الافشين قد تراجع تحت تأثير الهجوم المعاكس الذي قام به بابك وأن بابك متهيئ لملاقاته ، وقد أعد له عسكريين ، لقد عرف ذلك من التحذير الذي حذر به بعض رجال بابك لقريب له في جيش بغا ، من غلمان ابن البعيث ، يذكر الطبري «وكان على مقدمته جماعة فيها غلام لابن البعيث له قرابة بالبذ فلقيتهم طلائع لبابك

فعرف بعضهم الغلام فقال له فلان فقال من ههنا فسمى له من كان معه من أهل بيته
 فقال أدن حتى أكلمك فدنا الغلام منه فقال له ارجع وقل لمن تعنى به يتنحى فانا قد
 بيتنا الافشين وانهزم الى خندقه وقد هيأنا لكم عسكرين فعجل الانصراف لعلك
 تفلت . فرجع الغلام فاخبر ابن البغيث بذلك وسمى له الرجل فعرفه ابن البغيث فأخبر
 ابن البغيث بغا بذلك فوقف بغا وشاور أصحابه فقال بعضهم هذا باطل هذه خدعة ليس
 من هذا شيء ، فقال بعض الكوهبائية أن هذا رأس جبل أعرفه من صعد الى رأسه نظر
 الى عسكر الافشين فصعد بغا والفضل بن كاؤوس وجماعة منهم ممن نشط فاشرفوا
 على الموضع فلم يروا فيه عسكر الافشين فتيقنوا أنه قد مضى وتشاوروا فرأوا أن
 ينصرف الناس في صدر النهار قبل أن يجنهم الليل^(٢٠٨) ، ولكن هذا التحذير جاء
 متأخراً فبغا بعيد عن الافشين وقد توغل بعيداً وطريق عودته محفوف بالمخاطر ،
 ولكن رغم ذلك صمم على العودة الى معسكره عن طريق الاستدارة حول هشتادسر
 ليتجنب المضايق . وقد سار القائد داود سياه في المقدمة وكان بغا قد حثه على
 الاسراع بالسير . ولكن بعد أن أخذ التعب من الناس مأخذه طلب بغا من داود أن
 يفتش عن ملجأ يبيت فيه الجيش فلم يعثروا والتجأوا الى جبل شديد الانحدار فاتخذوه
 سترأ يحمون به ظهورهم وأقاموا الحراسة والتعبئة من جهة المصعد ، إلا أن البابكيين ،
 وقد كانوا يراقبون مسيرة الجيش ، حيث كانت طلائعهم غير بعيدة عنهم . قد شنوا
 هجوماً عنيفاً تمزقت من جرائه صفوف الجيش المتهاوي المتعب الجائع وفر القائد بغا
 على دابة بمساعدة ابن البغيث الذي دله على طريق في هشتادسر نزل منه على
 معسكره في الخندق . وقد خسر بغا كثيراً من رجاله فقد قتل جناح السكري وابن
 جوشن وجرح الفضل بن كاؤوس (وأخذ الخرمية المال والمعسكر والسلاح والأسير
 ابن جويدان)^(٢٠٩) ، وفرت فلول من الجيش والتجأت الى الخندق وهي منهوكة من هارة
 مذعورة . وهناك تخندق بغا خمسة عشر يوماً ثم جاء أمر الافشين بالتوجه الي
 المراغة على أن يعيد المدد الذي أمده به . وهكذا عاد الفضل بن كاؤوس وجميع الذين
 هم في الأصل من جيش الافشين عادوا بقيادة الفضل الى معسكر الافشين في دو
 الروذ . لقد اعتمدنا رواية الطبري^(٢١٠) وابن الأثير^(٢١١) في تبسيط هذه المعركة ، أما
 اليعقوبي فلم تكن لديه الفكرة واضحة حيث كتب « فكانت بينه وبين بابك وقائع

وكان عسكره بموضع يقال له (برزند) فصار بموضع يقال له (سادرست)^(٢١٢) فأقام في محاربته حولا حتى كثرت الثلوج ثم رجع الي برزند ثم وجه بخليفته^(٢١٣) الى (سادرست) وزحف وصير في كل ناحية... وصار بـ (دروذ الروذ) فخندق وبنى سوراً وكمّن الكمائن»^(٢١٤) .

لقد أثرت معركة هشتادسر في الافشين تأثيراً بليغاً فدفعته الى التروي والتريث في أمر مهاجمة البذ ، ولهذا فرق الناس الى حصونهم شتاء عام ٢٢١ منتظراً ربيع عام ٢٢٢ هـ^(٢١٥) .

مصرع طرخان شتاء ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م:

حينما عمد الافشين الى الهدوء في فصل الشتاء من عام ٢٢١ هـ استعداداً لربيع عام ٢٢٢ هـ وهدأت جبهات القتال طلب طرخان ، أعظم قادة الباكين الإذن من بابك في السماح له بأن يشتي في قريته الواقعة في ناحية هشتادسر^(٢١٦) ، فأذن له بابك لاعتقاده بعدم تمكن الافشين من القيام بالحرب - بعد معركة هشتادسر - في فصل الشتاء بعد اشتداد البرد وكثرة الثلوج . وسافر طرخان الى قريته . وكان الافشين يراقب تحركات قادة الجيش ويتربص بهم الدوائر ، لهذا علم بمغادرة طرخان الى قريته فأرسل الى «ترك مولى اسحاق بن إبراهيم بن مصعب»^(٢١٧) وهو في مراغة يأمره بقتل طرخان أو أسره وإرساله اليه ، وقد تمكن ترك من اغتيال طرخان ليلاً وبعث برأسه الى الأفشين . وكان لمصرع طرخان أثر كبير في معنوية بابك^(٢١٨) وفي صفوف جيشه لمكانته البارزة لدى بابك ولقدرته وقابليته وجراته .

٣- معارك سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م:

أخذ الافشين للهدوء شتاء سنة ٢٢١ هـ (٨٣٦ م) بانتظار تحسن الظروف المناخية وبانتظار الامدادات من العراق ، ولا سيما بعد أن حلت به الخسائر في معركة هشتادسر شتاء ٢٢١ هـ - كما شاهدنا - ، وجاءه المدد من سامراء فقد أمده المعتصم بجيش يقوده جعفر بن دينار الخياط^(٢١٩) ثم أتبعه بإيتاخ ومعه ٣٠ مليون درهم عطاء للجنود وللنفقات . «لم يمكث إيتاخ وإنما سلم ما لديه وعاد»^(٢٢٠) . وهكذا

تهيات الظروف للافشيين ليقوم بزحفه وهو أكثر أملاً في الفوز من السابق ولا سيما بعد مصرع طرخان . وأهم معارك هذا العام التي تكلفت بالاستيلاء على البذ كانت :
معركة نهر كلان رود^(٢٢١) :

بعد أن استجم الافشين شتاء ٢٢١هـ ، وكمل إعداده خرج في أوائل ربيع ٢٢٢هـ (٨٣٧م) من برزند وسار حتى نزل على نهر كلان رود « والذي يجري قرب البذ »^(٢٢٢) فاحتفر خندقاً الى الشمال الشرقي من البذ ، وكان قد كتب الي ابي سعيد أن يوافيه ، فجاء أبو سعيد محمد بن يوسف ونزل بحذائه على نهر كلان رود وعسكر في خندق على بعد ثلاثة أميال من معسكر الأفشين ولم يمكث أكثر من خمسة أيام حتى علم بأن جيشاً بقيادة آذين نزل قبالة جيش الافشين وقد أرسل هذا القائد عياله الى جبل يشرف على رود الروذ « وتقع هذه القرية الى الشمال من البذ على نهر ليكني على بعد ٦ فراسخ من برزند وعلى بعد فرسخ واحد من البذ »^(٢٢٣) وكان من جراء تهوره واستهتاره بمقدرة جيش الخلافة أن رفض نصيحة بابك بادخال عياله الحصن قائلاً « لا أنحصن من اليهود يعني المسلمين »^(٢٢٤) . ونصيحة بابك إن دلت على شيء ، فإنما تدل على شعور بابك بتعاضم بأس خصمه بحيث أخذ يحسب له حسابه ، إلا أن آذين دفع ثمن تهوره ، فإن الافشين لما علم بوجود عائلة آذين خارج الحصن أرسل جماعة من الخيالة معهم الكوهبانية بقيادة ظفر بن العلاء السعدي والحسين بن خالد المدائني^(٢٢٥) وهم من قواد أبي سعيد ، فخرجوا ليلاً من كلان رود وساروا عبر مضايق وعرة ضيقة وعند الفجر وصلوا نهر ليكني^(٢٢٦) - قبالة رود الروذ - فعبروه وارتقوا الجبل عند رود الروذ واستولوا على عيال القائد آذين^(٢٢٧) وعادوا بهم . وكان الافشين قد اتخذ الاحتياطات اللازمة فقد أمر قسماً من الكوهبانية أن يقفوا على القمم الشاهقة ومعهم الاعلام ليعطوا الإشارة فيما لو تعرض الجند للخطر^(٢٢٨) ، فلما عاد الجند من جبل رود الروذ - وقد كان القائد آذين قد علم بأخذ المسلمين لعياله - أرسل كتبتين إحداهما لتسيطر على المضايق وتسد الطريق بوجه الجند المسلمين والاخرى تهاجمهم من الخلف قبل بلوغهم المضايق . فلما عاد الجند بمن معهم من عيال آذين تعرضت لهم الكتيبة الثانية فقتلوا قسماً من جند المسلمين

وانقذوا بعض النساء ، وقد لاحظ الكوهبانيون الذين على القمم ذلك فحركوا اعلامهم منذرين بالخطر ، وكان الافشين قد هيا كتائب عديدة لمواجهة خطر تعرض جنده لهجوم مفاجئ ، فسارت الكتيبة الأولى مسرعة بقيادة مظفر بن كيدر ثم اتبعها الافشين بكتيبة يقودها محمد بن يوسف ، ثم بثالثة يقودها بخاراخذاء - وهذا يظهر أن الافشين كان يرمي الايقاع بجند الخرمية ومعرفة مدى شدة بأسهم أكثر من اهتمامه بالاستيلاء على عيال آذين - فلما اقتربت الكتائب الثلاث من المضايق تركها الخرميون الذين كانوا مسيطرين على المضايق وانضموا الى جماعتهم الذين يحاربون ، ولكن الكتائب الثلاثة سارعت الى نجدة جند المسلمين المشتبكين مع الخرميين وأدركتهم قبل أن يتمكن الخرميون منهم فأنقذوهم وعادوا جميعاً الى معسكر الافشين ومعهم بعض عيال آذين^(٢٢٨) . لقد أدت هذه المعركة التمهيدية للاستيلاء على البذ - كما قال يامبولسكي^(٢٢٠) - ، الى رفع معنوية جند الخلافة وإزالة تلك المخاوف التي كانت تسيطر على أذهان الناس من أن الخرميين لا يقهرون وأنهم شياطين الجبال ، فقد غزوهم في مقراتهم وسلبوهم في عقر دارهم وانتصروا عليهم بعد كسرهم اسطورة التفوق .

حصار قلعة البذ والهجوم عليها؛

تقع قلعة البذ الحصينة ، وهي معقل بابك ومركز الانتفاضة^(٢٢١) ، كما يعتقد بونيياتوف ، على جبل قرداغ الى الجنوب من نهر اراكس (أرس) والى الشرق من نهر كيرخو (بيفان) الذي هو أحد روافد أراكس^(٢٢٢) .

الحركات التمهيدية؛

كان كسب الافشين معركة كلان روز مقدمة لزحفه على البذ ، فقد شجع هذا الكسب القائد المحنك الافشين على المضي قدماً نحو غايته ، وهي سحق الانتفاضة والقضاء على بابك والاستيلاء على البذ . . غير أن الملاحظ ، برغم ازدياد الأمل في الانتصار والذي خلقه مصرع طرخان وكسب معركة كلان روز ، فإن الافشين ، على غير ما كان يتوقعه جنده والقادة الذين معه ، أخذ يبطئ في زحفه حتى أثار الريبة والشكوك لديهم ، ولعل وعورة المنطقة وعدم سيطرة جيش الخلافة على كل المسالك

والمنافذ المؤدية للبذ وتلافي الوقوع في كمائن مهلكة ، قد دفعت الافشين الى اللجوء الى ذلك ، فقد سار بتؤدة وبطء وحذر وتحوط شديد^(٢٣٣) بالرغم من ازدياد أمله في النصر عما كان عليه قبلاً ، وهناك قول بأنه كان يرغب في إتاحة الفرصة لبابك ليستعيد بأسه ويتمكن من المقاومة وأنه كاتب بابك في ذلك عارضاً عليه ميله اليه وناشده عدم التورط في أعمال حربية قد تعود عليه (على بابك) بالخسران . فالبغداد يذكّر مثلاً ، وذكروا أنه دخل في دعوتهم (الخرمية) « الافشين » صاحب جيش المعتصم وكان مراهناً لبابك الخرمي^(٢٣٤) . وذكر أيضاً « وأخرج الخليفة لقتالهم (الخرمية) الافشين فظنه ناصحاً للمسلمين ، وكان في سره مع بابك وتوانى في القتال معه ودله على عورات عساكر المسلمين »^(٢٣٥) . ولكن الوقائع تدحض تلك الاتهامات وتثبت أن الافشين كان مجبراً على التآني إذ أنه كان يدرك خطورة المسالك الجبلية الوعرة . « وكان الافشين أبداً يخاف من كمين بابك وكانت الخرمية تستبطن الأودية »^(٢٣٦) والتي كانت خطوط دفاع طبيعية لعاصمة الخرميين ومهالك خطيرة بالنسبة للمسلمين . هذا بالإضافة الى أن الخليفة قد أشار على الافشين بالتحوط التام والتآني . ويرى بونياتوف أن الزحف البطيء (٣٢ كيلو متراً في العام) والتريث في الزحف كان نتيجة الأوامر المختلفة المتناقضة الصادرة من الخليفة^(٢٣٧) . ولقد أجاب الافشين على تدمير جنده من الإبطاء في مواجهة العدو رغم تهيؤهم واستعدادهم التام ليل نهار ، أجاب بقوله « أنا والله أعلم أن ما تقولون حق ولكن أمير المؤمنين أمرني بهذا ولا أجد منه بدا »^(٢٣٨) . بدأ الافشين زحفه متجهاً نحو المضيق المؤدي الى روذ الروذ ، وكان يعسكر في المناطق الجبلية الشائكة ويجبر الرجال والخيالة على أن يبقوا على أهبة الاستعداد إذ كان يخشى البيات وكان الخليفة قد أشار عليه بذلك وطلب منه أن يستمر الجند بالاستعداد التام بالمناوبة بالرغم من ابتعادهم عن جند أعدائهم بحوالي ٣٢ كيلو متراً (أربعة فراسخ)^(٢٣٩) . وقد تمكن مع قليل من رجاله أن يبلغ قريباً من الربوة التي جرت عليها معركته مع بابك عام ٢٢١ هـ ، وقد شاهد عليها كتيبة خرمية ولكن لم تجر بينه وبينها معركة وعاد الى معسكره . وقد كرر التوغل الى هناك مرات وكان يقوم بتلك الجولات حسب ما يرى للاستطلاع والتعرف على أماكن عدوه وقواه ، وأمر الكوهبانية بالتفتيش عن القمم التي يمكن استخدامها

كمراكز إشراف للاستطلاع والتحذير ، فاختاروا له ثلاثاً ، فسار الافشين الى روذ الروذ مع الكلغرية (فرقة مؤلفة من العمال تستخدم لبناء الحصون أو المسالك أو لحفر الخنادق أو ما اشبهه) وأمر أبا سعيد بأن يشاغل كتيبة الخرميين حتى يستطيع الكلغرية بناء استحكامات على طول الطريق المؤدية الى القمم الثلاث وحفر الخنادق وراء الاستحكامات وسد المسالك الأخرى المؤدية الى القمم فتم له ذلك وأصبح الطريق الى القمم عبر استحكامات المسلمين فقط ، ونقل الى تلك القمم الرجال والمؤن والأغذية والعمال لبناء الاستحكامات عليها زيادة في الحيلة . وتم حفر خندق واسع لمعسكره وكان أبو سعيد يشاغل الخرمية أيضاً أثناء حفر الخندق الواسع . وبهذا أصبحت لدى الافشين أربعة خنادق^(٢٤٠) محكمة أساسية ، واحد في برزند وآخر في كلان روذ والثالث في دروذ (دو الروذ) والرابع عند روذ الروذ . هذا بالإضافة الى تحصن الرجال في القمم العالية الثلاث وتحصن بخاراخذاه على رأس العقبة القريبة من الربوة التي لا تبعد عن روذ الروذ وقد تركها لحماية مؤخرته عند زحفه من روذ الروذ الى البذ ، لأنه كان يخشى هجوم البابكيين من واد قرب تلك الربوة على جيش المسلمين عند زحفه نحو البذ وبذلك ينحصر الجيش العباسي بين فكين (كماشة)^(٢٤١) وكان بابك بالفعل قد أكنن قسماً من جيشه هناك . وبتحصن بخاراخذاه في مكانه ذاك حرم بابك من الاستفادة من ذلك الموقع الاستراتيجي . وكان يقع بالقرب من البذ واد وهو كخندق^(٢٤٢) طبيعي يعزل البذ عن جيش المسلمين ، ولكي يقلل الافشين من أهمية هذا الحائل الطبيعي فقد أجرى تطبيقاً لاحتلال ثلاثة أطراف منه عدا الطرف القريب من الطريق المؤدي الى باب قلعة البذ ، فقد أمر أبا يوسف أن يعبر الى الجانب الثاني من الوادي^(٢٤٣) ويحتل موضعاً عليه ، وأمر جعفر الخياط وأحمد الخليل بن هشام أن يعبرا ويحتلا مواضع أخرى^(٢٤٤) . وكان بخاراخذاه يشرف من ربوته على جهة من ذلك الوادي ، اما الافشين نفسه فكان يحتل جانب الوادي الذي يحاذي معسكره . أما الطريق المؤدي من الوادي الى باب قلعة البذ فإن بابك قد حشد فيه أهم جيوشه بقيادة آذين ليمنع وصول جند الخلافة الى باب الحصن . وكان تطبيق هذه الخطة قد جرى كثيراً حيث تنزل الجيوش العباسية صباحاً وتسير باتجاهات مختلفة عابرة الوادي وتحتل مواقعها من دون أن تقدم على مهاجمة البذ أو التعرض للخرمية^(٢٤٥) .

وأما جند بابك الذين هم خارج القعة فإنهم كانوا يتوارون مختفين حسب تعليمات بابك ولا يظهرون أنفسهم ، وتبقى جيوش الخلافة حتى العصر ثم تقفل راجعة ، وأول من يعبر عائداً الى روذ الروذ جيش أبي يوسف ثم يليه جيش أحمد الخليل ثم جيش جعفر الخياط^(٢٤٦) ، أما الجيش الذي مع الافشين على الطرف الثاني فانه يبقى لحماية مؤخرة الجيوش العابرة وكاحتياطي لها ، وأما الجيش الذي مع بخاراخذاه (قوامه ١٠٠٠ فارس و ٥٠٠ مشاة)^(٢٤٧) فانه كان لحماية مؤخرة الجيش برمته وكانت التعليمات المبلغة الى بخاراخذاه أن يظل في موقعه ولا يتحرك وإنما يحمي مؤخرة الجيش ويحافظ على خط الرجعة ويمنع احتمال قيام الحرميين بالانقضاض على الجيوش العباسية عند توجهها نحو البذ . لقد أجرى الافشين هذه التطبيقات مرارا ليطلع على مخابىء الكمائن ومقدار الجيوش التي اعدّها بابك للدفاع ومواقعها ، وقد نجح في معرفة تلك الأسرار بمحض الصدفة . ففي إحدى التطبيقات وعندما قفل الجيش العباسي عائداً من الجانب الثاني للوادي حسب الترتيب السابق وعبر أغلبه الوادي فتح قليل من الحرمية باب حصن البذ وأغاروا على جماعة جعفر الخياط ، فحمل عليهم جعفر وأعادهم الى باب حصنهم ، وفي هذه الاثناء ارتفع الصياح^(٢٤٨) وظن أناس من كلا الجانبين بأن الحرب قد قامت ، فعبّر المتطوعة الذين مع أبي دلف الوادي^(٢٤٩) دون أمر الافشين وخرجت كمائن الحرمية من مكانها دون أمر بابك ، وكان الافشين ، الذي لا يزال في موضعه في الجانب الثاني من الوادي ، يستشيط غضباً على جعفر ويعد عمله خرقاً لأوامره حتى أنه قال : «لقد أفسد علي تعبتي»^(٢٥٠) لأن الافشين لم يصمم على الزحف نحو البذ بعد لأنه لا يزال يخشى المباغتة وقطع الطريق عليه من قبل الجيوش الكامنة خارج القلعة ، ولهذا وبالرغم من بلوغ المتطوعة والجند الذي مع جعفر أسوار القلعة فإن الافشين أصر على عدم جدوى ذلك الهجوم . ولقد استنجد جعفر بالافشين أن يمدّه ب ٥٠٠ رجل من الناشئة ، غير أن الافشين أمره بتلافي الخطر والتخلص من المأزق والانسحاب المنتظم «فبعث اليه الافشين إنك أفسدت عليّ أمري فتخلص قليلاً قليلاً وخلص أصحابك وانصرف»^(٢٥١) . وطبعي لم يدرك جعفر خطة قائده وتحوطه الشديد إلا أن الافشين قد أطلع في حينه على مخابىء الحرمية حيث هبت منها الكمائن عند سماعها الصياح عند باب القلعة كما وأدرك الافشين

أهمية الموقع الذي يحنله بخاراخذة في حفظ مؤخرة الجيش العباسي برمته ، فقد كان ذلك الموقع يشرف على واد آخر اختبأ فيه جيش آخر للخرمية كان مهياً من بابك للانتقضاء على جيش الخلافة كله فيما لو تحرك نحو البذ بما فيهم بخاراخذة ، غير أن بقاء بخاراخذة في محله حال دون قيام جيش الخرمية ذاك بتنفيذ ما أوكل اليه ، ولكن موقع هذا الجيش قد انكشف للافشين أيضاً فقد تحرك عند سماعه الصيحة عند أبواب البذ . لقد عاتب جعفر الافشين بشدة على عدم تلبية استنجاهه بارسال المدد اليه والذي كان حسب تصوره قادراً على فتح البذ بهم . ولقد جرت مشادة بين جعفر والفضل بن كاؤوس حول الموضوع . عندئذ أفهمه الافشين بأنه لو سار اليه المدد وترك بخاراخذة محله حلت بهم الكارثة بعد احتلال الخرمية لموقع بخاراخذة . لقد كان لقصر مدة بقاء جعفر ولعدم اطلاعه الكافي على مجمل سير الحركات ما دفعه لأن يتصور بأن الافشين لا يرغب جدياً بالقضاء على بابك مما أتاح الفرصة للكتاب والمؤرخين أن يصوروا ذلك ، ولا سيما بعد تطاولات المتنوعة على الافشين لقلة اصطبارهم ، بأنه دليل على خيانة الافشين وتباطئه كما لاحظنا ذلك عند البغدادي مثلاً . لكن الافشين كما يتضح لنا لم يتخذ ذلك الموقف الا لشعوره بجسامة الخطر فيما لو جازف بقذف كل جيوشه لاحتلال البذ ذلك اليوم ، ولم يكن موقفه مبنياً على عطفه على بابك أو ميله نحوه ، بل العكس ، فإنه كان صارماً مع بابك حتى إنه عرض عليه مرة الأمان فطلب بابك أن يمهله يوماً واحداً فرفض الافشين وأصر عليه الآن وإلا فلا (٢٥٢) .

لقد كان لتلك الخطيئة التي ارتكبها بعض الخرمية بفتحهم باب القلعة ومهاجمتهم مؤخرة جيش جعفر ، أثرها فقد اطلعت الافشين على كثير من الأسرار الخطيرة ومهدت السبيل لاحتلال البذ فيما بعد .

احتلال البذ:

الزحف الأول:

بعد ان اطلع الافشين على مكامن الخرمية وأجرى تطبيقات كثيرة على عبور الوادي الفاصل بينه وبين البذ وتعرفت فصائل جيشه ووحداته على مواقعها وكيفية

عبورها وعودتها والواجبات الملقة عليها ، استراح في معسكره عند روذ الروذ في انتظار ذوبان الثلوج^(٢٥٣) ، غير أن المتطوعة ، وهم جند غير نظاميين برموا من الانتظار والابتعاد عن الغنائم ، ضجوا بالشكوى وحتى التناول ، فزجرهم الافشين قائلاً : « من صبر منكم فليصبر ومن ولم يصبر فالطريق واسع فلينصرف بسلام »^(٢٥٤) . فاتهموا الافشين بأنه يشتكي الماطلة ، لكن الافشين لم يعرهم أذناً صاغية ولم يلتفت لتلك الاحتجاجات والأقاويل بل صمم على انتظار اليوم الذي استعد له فلما قرب الموعد المحدد جهز جيشه بكامل عدته وسلاحه ومؤنثته وما يحتاج اليه من أدوات الحفر والهدم والحريق كالعراصات والمجانيق والنفط والصلالام والفؤوس والمعاول وأدوات تطبيب الجرحى والأغذية . وزحف الجيش نحو البذ تاركاً بخارخذه محتلاً موقعه المعين ، وعبرت الجيوش الثلاثة باتجاهاتها المعينة بعد أن أبلغ جعفر بأنه مفوض بأن يأخذ ما يشاء من الجند وأن بقية الجيش الذي سيمكث مع الافشين على الجانب الثاني من الوادي سيكون احتياطياً له ، وهكذا ابقى جيش ابي سعيد وجيش أحمد الخليل على اهمية الاستعداد للنجدة كما وأبلغ أبا دلف على المتطوعة الذين هم أضعف جيش الافشين أن يحاربوا في أخف المناطق عليهم . فلما بدأ الزحف وسارت الجيوش العباسية متجهة نحو باب القلعة لاقت مقاومة عنيفة من الجيش الذي كان يقوده آذين ، وقد استخدم الخرميون كل ما أمكنهم استخدامه للدفاع ، ولكن مقاومتهم لم تمنع المسلمين من إدراك باب القلعة كما أدرك قسم من الكلغرية والمتطوعة السور ، ولكن الخرميين الذين في الداخل خرجوا من باب القلعة وأزاحوا الجند المهاجمين وصدوهم ، فتراجع المسلمون وقد أثخنوا بالجراح وعادوا الى معسكراتهم في روذ الروذ .

الزحف النهائي؛

بعد اسبوعين من الحملة الفاشلة^(٢٥٥) عادو الافشين الزحف ثانية على البذ ، غير أنه فكر هذه المرة في التغلب السريع على مقاومة الجيش الذي يحمي الطريق المؤدي من الوادي الى باب القلعة والذي يقوده آذين ، لهذا وضع خطة محكمة للاجهاز على هذا الجيش فأرسل عند الغروب جنداً من الناشبة يقدرهم الطبري بألف^(٢٥٦) معهم أعلام

سود وزودهم بالغذاء وكلف الأدلاء أن يدوروا بهم من الجهة الثانية وأن يصعدوا بهم إلى أعالي الجبل الذي يشرف على موقع جيش آذين وطلب منهم أن ينحدروا ظهرا بعدما يرون أعلام العباسيين زاحفة على الخرميين ، وعند هبوطهم على جيش آذين عليهم أن يرموهم بالنشاب والصخور وهم يرفعون الأعلام العباسية السوداء (٢٥٧) .

كما أمر الافشين بشيرا التركي وبعض قواد الفراغنة أن يكمنوا في الوادي الذي يقع أسفل جيش آذين (٢٥٨) ليحولوا بين الكمائن التي وضعها بابك في أسفل الوادي من الهجوم المباغت على جيش المسلمين ، وليعزلوا هذه الكمائن ويمنعوها من مساعدة جيش آذين عند الحاجة ، فسار بشير والفراغنة ليلا وكمنوا في مواقعهم من الوادي .

وفي نهار اليوم التالي (٢٥٩) لذلك التهيو الذي جرى ليلا (٢٦٠) زحفت جنود الافشين على تعبنتها المعهودة ، فقد عبر الوادي ولأول مرة بخاراخذاء مع جنده وساروا في المقدمة مع جعفر الخياط الذي سار معه أيضاً أبو سعيد وأحمد الخليل ، وبذلك يكون الافشين قد قام بمحاولة انتحارية لفتح البذ ، حيث رمى في جبهة القتال كل جيشه وقواه الاحتياطية والجيش الذي يحمي مؤخرته . ويظهر لنا بأنه لم يقم بتلك المجازفة إلا نتيجة اعتقاده بأنه لا يستطيع فتح البذ ما لم يحطم الجيش المدافع خارج أسوار القلعة ، ولا يتم تحطيم هذا الجيش الذي يقوده آذين الا بعزله وإرباكه بالهجوم الصاعق عليه من الأعلى والأسفل والأمام ، وهذا يتطلب منه زج كل قواه . وبالفعل فقد ارتبكت صفوف ذلك الجيش حيث هوجم من أماكن لم يكن ليتوقعها ، كما وشلت كمائن بابك من القيام بما أسند اليها من مهام ، حيث واجهت بشيرا التركي مع الفراغنة .

وقد لجأ الخرميون الى كل ما ادخلوه لأجل دفاعهم فاستخدموا حتى الأكداس الهائلة من الحجارة اهملت على جند الافشين ، ولكن دون جدوى ، فهي وإن أخرت الجند قليلاً عن زحفهم ، فقد استمروا في زحفهم وأدركوا السور والباب . ولما شاهد بابك إحاطة الجند بقلعته وضعف مقاومته تسلسل من ناحية مع نفر من رجاله قاصداً الافشين للتفاوض معه على الصلح وطلب الأمان ، فترك جيشه يحارب ويقاوم وذهب هو الى الوادي ووقف قبالة الأفشين طالباً الصلح والأمان ، ويشير الى ذلك

اليعقوبي « وزحف الى البذ يوم الخميس لتسع خلون من شهر رمضان سنة ٢٢٢ فأرسل اليه بابك يسأله أن يكلمه فوافقه وبينهما نهر فعرض عليه الافشين الأمان فسأله أن يؤخره يومه ذلك فقال له إنما تريد أن تحصن مدينتك فإن أردت الأمان فاقطع الوادي ، فانصرف ، واشتدت الحرب ودخل المسلمون مدينة البذ »^(٢٦١) . لقد طلب بابك أن يهمل ليتجهز هو وعياله ويغادر المنطقة وكاد الأمر أن يتم غير أن الافشين قد أبلغ بأن الفراغة قد دخلوا البذ وأن اعلامهم ترفرف على قصور بابك فعند ذلك هروا الافشين وهو يدعو الناس الى الزحف والاجهاز على البقية ، وسارع الافشين ليشرف مع جماعته على نهاية البذ . ولدينا صورة أخرى للمقابلة التي تمت بين بابك والافشين وهي أكثر تفصيلاً ، ويرويها الطبري « فقال بابك أريد الأمان من أمير المؤمنين فقال له الافشين قد عرضت عليك هذا وهو لك مبدول متى شئت ، فقال قد شئت الآن على أن تؤجلني أجلاً أحمل فيه عيالي واتجهز . فقال له الافشين قد والله نصحتك غير مرة فلم تقبل نصيحتي وأنا أنصحك الساعة خروجك اليوم في الأمان خير من غد ، قال قد قبلت أيها الأمير وأنا على ذلك ، فقال له الافشين فابعث بالرهائن الذين كنت سألت قال نعم أما فلان وفلان فهم على ذلك التل فمر اصحابك بالتوقف قال فجاء رسول الافشين ليرد الناس فقبل له أن اعلام الفراغة قد دخلت البذ وصعدوا بها القصور فركب وصاح بالناس فدخل ودخلوا وصعد الناس بالاعلام فوق قصور بابك »^(٢٦٢) . ومن النص الذي أوردناه عن الطبري يتضح بأن مفاوضات الصلح قد جرت مراراً وكانت هذه هي المرة الأخيرة ويمكن اعتبار المطاعن التي وجهت الى الافشين بأنه يتصل به سرّاً بنيت على أساس هذه المفاوضات ، والمفاوضات من الأمور الطبيعية بين الأطراف المتخاصمة ، ولكن المؤرخين استغلوا مجالا للطعن كما شاهدنا البغدادي ، ويشير اليها نظام الملك أيضاً^(٢٦٣) . لقد سارع الافشين للاشراف بنفسه على نهاية البذ وكان في المدينة بقية من جند يعدهم الطبري ستمائة رجل « وكان قد كمن في قصوره ، وهي اربعة ، ستمائة رجل »^(٢٦٤) . ولكن صاحب العيون والحدائق يعدهم اربعة آلاف وستمائة « وكان بابك قد كمن في قصورها اربعة آلاف وستمائة رجل واشتبك الناس وخرج هؤلاء الكمءاء من القصور »^(٢٦٥) . ولا شك أنه نتيجة التحريف ارتفع العدد الى اربعة آلاف وستمائة لدى صاحب العيون والحدائق .

لقد أبى هؤلاء الجند أن يستسلموا فأمر الافشين النفاطين بتوجيه النيران عليهم فوجهت عليهم النيران وأحرقوا وأهملت عليهم الدور^(٢٦٦) ، وأسر بعض من عثر عليه من عائلة بابك ، أما بابك نفس فقد استطاع الإفلات الى واد يتجه الى هشتادسر ، ولم يكت الافشين في المدينة المغتصبة وإنما قفل بجيشه الى معسكره في روز الروذ ، ولهذا استطاع بابك والذين معه أن يعودوا الى مدينتهم عليهم يعثرون على ما تبقى من مال وطعام ، فاستطاعوا الحصول على ما يبغون ، وهربوا الى الوادي المطل على هشتادسر ، ثم تعرضت المدينة في اليوم الثاني الى تفتيش دقيق عمن بقي من الأحياء فيها فلم يجدوا أحداً ، فأمر الافشين الكلغرية بتهديم القصور وحرقتها ، وجرى ذلك لثلاثة أيام على التوالي ، ويقول الطبري : ولم يدع فيها بيتاً ولا قصراً إلا أحرقه وهدمه^(٢٦٧) . وجاء في العيون « ولم يزل الافشين يهدم ويحرق ثلاثة أيام ورجع وقد أفلت بابك في بعض أصحابه... »^(٢٦٨) . ولقد تم تحرير الأسرى المسلمين الذين كانوا في البذ ، يدهم اليعقوبي « وأخرج من كان بالبذ من أسارى المسلمين فكانوا سبعة آلاف وستمئة »^(٢٦٩) ، والطبري وإن اتفق مع اليعقوبي في العدد إلا أنه ذكر الرواية بصيغة أخرى « واستنقذ ممن كان في يده من المسلمات واولادهم سبعة آلاف وستمئة انسان »^(٢٧٠) . ولقد تم أسر (٣٣١٩) شخصاً^(٢٧١) من الخرمية ، ويدخل في هذا العدد بابك وعائلته .

تتفق غالبية المصادر على أن سقوط البذ قد تم يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ٢٢٢ هـ. إلا أن تلك المصادر لا تتفق على تاريخ اليوم ، فاليعقوبي يعتبره يوم (١٠ رمضان) وذلك عندما أرخ يوم الهجوم العام السابق للسقوط يوم الخميس فيقول « وزحف الى البذ يوم الخميس لتسع خلون (مضين) من شهر رمضان سنة ٢٢٢ »^(٢٧٢) . وأما الطبري فيذكر يوم الجمعة السابق لنهاية شهر رمضان بعشرة أيام « وفي هذه السنة (٢٢٢) فتحت البذ مدينة بابك ودخلها المسلمون واستباحوها وذلك في يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان في هذه السنة »^(٢٧٣) . ولما كان الشهر العربي بين ٢٨ يوماً و ٣٠ يوماً فيحتمل أن يكون تاريخ الاستيلاء ، حسب رواية الطبري هذه ، يوم ١٨ رمضان أو ١٩ رمضان أو ٢٠ رمضان . أما المسعودي فإنه لا يذكر اليوم ولا التاريخ ولا يحدد الشهر وإنما جعله بين رمضان وشوال : « وكان

الفتح وأسر بابك في شهر رمضان وقبل شوال سنة ٢٢٢هـ^(٢٧٤) ويكرر أبو الفداء رواية الطبري «وافتح الافشين البذ مدينة بابك واستباح ما فيها وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان»^(٢٧٥) . ونتيجة لاختلاف المؤرخين في تحديد تاريخ سقوط البذ فإن المراجع الحديثة «اختلفت أيضاً في تحديد تاريخ الاستيلاء على مدينة البذ ، ففي الموسوعة الاسلامية (بالألمانية) نجد تحديد التاريخ بـ ١٨ رمضان ٢٢٢هـ / ٢٦ نيسان ٨٣٧م^(٢٧٦) ، بينما حدد في الموسوعة الاسلامية (بالانكليزية) بـ ٩ رمضان سنة ٢٢٢هـ / ١٥ آب ٨٣٧م^(٢٧٧) ، وقد اكتفى كل من تاريخ إيران^(٢٧٨) وتاريخ أذربيجان^(٢٧٩) بذكر شهر آب ٨٣٧م لتحديد تاريخ سقوط البذ . ونجد الدوري يأخذ بروايته اليعقوبي والطبري رغم التفاوت بينهما «وأخيراً كان الزحف العام على البذ يوم الخميس ٩ رمضان سنة ٢٢٢هـ وفتحت المدينة ودخلها المسلمون لعشر بقين من رمضان»^(٢٨٠) ، بينما نجد يامبولسكي حدد تاريخ الاستيلاء على البذ بـ ١٨ رمضان ٢٢٢هـ / ٢٤ آب ٨٣٧م^(٢٨١) وقد حدد بونياتوف تاريخ الاستيلاء على البذ بـ ٢٠ رمضان ٢٢٢هـ / ٢٦ آب ٨٣٧م^(٢٨٢) .

إن رواية اليعقوبي^(٢٨٣) لا يمكن اعتمادها لأن يوم الخميس من شهر رمضان ٢٢٢هـ لا يصادف ٩ رمضان / ١٥ آب وإنما يصادف ١٠ رمضان / ١٦ آب حسب جداول يوسف أوربلي^(٢٨٤) وأن اليعقوبي لا بد وأنه يعني الخميس السابق ليوم الجمعة (يوم الفتح) . ولو رجعنا الى جداول أوربلي لوجدنا أن شهر رمضان سنة ٢٢٢هـ يبدأ يوم الثلاثاء المصادف ٧ آب ٨٣٧م وينتهي في يوم الأربعاء ٣٠ رمضان^(٢٨٥) المصادف ١٥ ايلول ٨٣٧م . وعلى هذا الاساس فإن يوم ٢٠ رمضان هو يوم الأحد المصادف ٢٦ آب ، وهذا ما أخذ به بونياتوف معتمداً على قول الطبري (لعشر بقين من رمضان) . ولكن الطبري ذكر يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان ، فإذا رجعنا الى الجداول وجدنا أن الجمعة تصادف يوم ١٨ رمضان ٢٢٢هـ / ٢٤ آب ، وهذا ما أخذ به يامبولسكي معتمداً رواية الطبري أيضاً ومعتبراً كالطبري شهر رمضان في ذلك العام ٢٨ يوماً وليس ٣٠ يوماً . إن قول الطبري يوم الجمعة لا يحتمل الشك ، ولما كان الطبري - حسب اعتقادنا - يعلم أن يوم السقوط هو ١٨ رمضان ، لهذا قال لعشر

بقين من رمضان ظناً منه أن رمضان ٢٨ يوماً . والصواب أن يقول في يوم الجمعة
لاثني عشر يوماً بقين من رمضان . وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار يوم الجمعة
١٨ رمضان ٢٢٢هـ / ٢٤ آب ٨٣٧م تاريخ سقوط قلعة ومدينة البذ على يد
الافشين .

هوامش الفصل الرابع

- (١) يحتبر المسمودي المدة ٢٢ عاماً إذ يقول : « فكان من أدركه من قتله بابك في اثنتين وعشرين سنة من جيوش المأمون والمعتصم... » ، التنبيه والإشراف ، ص ٣٥٣ ، وهو مخطئ ، ولا شك .
- (٢) ذكر الطبري : « وكان جميع من قتل بابك في عشرين سنة مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان » ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٢٣ ، ويأخذ بهذه الأرقام المبالغ بها كل من المقدسي ، البدء ، والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٦-٧ ، وابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٣ ، وابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ . ويبالغ المقدسي حتى يوصل القتل إلى المليون . البدء ، والتاريخ ج ٦ ، ص ١١٦-٧ ولكن المسمودي قد تواضع قبله فجعل العدد « في القول المقل خمسمائة ألف وقيل أكثر من ذلك وإن الإحصاء لا يحيط به كثرة » ، التنبيه والإشراف ، ص ٣٥٣ .
- (٣) يقول شلبي : « فليس في التاريخ ما يحدثنا عن أن تولية العهد لأكثر من واحد اسقطت الدولة أو كانت سبباً هاماً في اضطرابها وأما الحرب بين الأمين والمأمون فإنها وإن كانت حقيقة واقعة إلا أن لي فهماً خاصاً فيها ، وهو أنها وقعت بسبب تولية خراسان وما حولها » ، كيف تكتب بحثاً أو رسالة - ط ١٩٦٣/٤ ص ١٤ .
- (٤) الكامل ، لابن الأثير ، ج ٥ ، ص ١٤٩ .
- (٥) م . ن . ، ج ٣ ، ص ١٣٩ ، ويقول اليعقوبي : « وبويع للمأمون بالخلافة وخلع محمداً فأعطى جميع أهل خراسان الطاعة للمأمون » ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .
- (٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٨١ .
- (٧) م . ن . ، ج ٥ ، ص ١٨٤ .
- (٨) التاريخ ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .
- (٩) م . ن . ، ج ٣ ، ص ١٧٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٧٩ .
- (١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٧٩ .
- (١١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٨٢ - ٣ .
- (١٢) المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٧٩ ، ج ٢ ، ص ٤٩٤ ، الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٢٠ .
- (١٣) يذكر تروتون : « ونستدل على كثرة الثورات في مصر على أن الحكم الإسلامي كان عبثاً ثقيلاً على كاهل البلاد » ، أهل الذمة ، ص ٢٥٤ ، وأشار أيضاً إلى أن « الأقباط غير راضين عن الأوضاع » ، أهل الذمة ، ص ١٥٥ .
- (١٤) انظر ميور ، الخلافة ، ص ٥٠٤ ، الموسوعة التاريخية (السوفيتية) ، م ٢ ، ص ١٤ ، الدوري ، العصر العباسي الأول ، « فاضطر المأمون إلى القدوم بنفسه لضخامة هذه الثورة وخطورتها وكان على جيشه الإفشين » ، ص ٢٢٠ ، بيلاييف ، يه . ا . ، العرب ، الإسلام والخلافة العربية ، ص ٢١٦ ، بونياتوف ، أذربيجان ص ٢٥٣ .
- (١٥) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، انظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٢٠ - ١ ، أبو الفداء ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ .

- (١٦) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٢ ، ص ١٩٢ - ٣ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ .
- (١٧) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .
- (١٨) ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ ، المقرئ ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٠ .
- (١٩) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٣ ، المقرئ ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٠ ، بيلابيف ، ص ٢٤٠ .
- العرب ، الإسلام والخلافة العربية ، ص ٢١٦ .
- (٢٠) ذكر البلاذري « أن الزط كان من نصيب بني حنظلة » ، فتوح البلدان ، ص ٣٧٢ ، وذكر امير علي « قبائل الجت الهندية المعروفين لدى المؤرخين العرب بالزط » ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٨٢ .
- (٢١) يذكر الدوري « ... ويظهر أن وضعهم المعاشي كان واطناً جداً وهذا يدعو إلى الظن بأنهم كانوا يشاركون العميد الهاربين (الاباق) في التذمر من سوء الوضع المعاشي وأن ذلك التذمر كان سبب ثورتهم » ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٤٠ .
- (٢٢) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٤٤ .
- (٢٣) الكامل ، ج ٥ ، ص ١٩٧ .
- (٢٤) يسميه ابن الاثير في الكامل « ابن ماسحور » ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ ، ويسميه ابن خلدون في كتاب العبر « داود بن مسخور » ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ .
- (٢٥) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٨ .
- (٢٦) م ، ن ، ص ١٩٨ .
- (٢٧) كانوا جميعاً ٢٧ ألفاً والمقاتلة منهم ١٢ ألفاً ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٣ .
- (٢٨) م ، ن ، ص ٢٣٢ .
- (٢٩) انظر فازيليف ، بيزنطة والعرب ، ص ١١٣ - ٤ ، رستم ، الروم ، ج ١ ، ص ٢٢٠ - ٢٢٢ ، العدوي ، الدولة الإسلامية ، ص ٩٨ ، تاريخ القرون الوسطى ، (طبعة ١٩٥٢) ، م ١ ، ص ٢١٥ - ٧ ، وتاريخ القرون الوسطى (طبعة ١٩٦٤) ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .
- (٣٠) العدوي ، الدولة الإسلامية ، ص ٩٨ ، رستم ، الروم ، ج ١ ، ص ٣٢٠ .
- (٣١) بيلابيف ، ص ٢٤٤ ، ص ١٠٠ ، العرب ، ص ٢٤٤ .
- (٣٢) يعقوب بن اسحاق ، دفاع الكندي عن المسيحية ضد الإسلام ، وقد حضر يعقوب بن اسحاق المجلس العلمي الذي أعد في قصر المأمون للمناقشة حول أفضلية الإسلام على المسيحية ونشر هذا الكتاب بالانكليزية وليم موير .
- (٣٣) يرى بونيباتوف أن المناقشة جرت أيام نكبة محمد بن حميد الطوسي ، اذربيجان ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، وجاء في هامش ص ٤٦ - ٧ كتاب دفاع الكندي « أن المحاورة جرت في سنة ٢١٤ هـ أو قبلها بقليل » .
- (٣٤) دفاع الكندي ، ص ٢٥ ، ص ٤٥ - ٤٦ ، انظر ايضاً موير ، الخلافة ، ص ٥٠٤ ، ص ٥١٥ ، وبونيباتوف ، اذربيجان ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ حيث استخدموا كلام الكندي الآنف الذكر .
- (٣٥) المصادر المذكورة سابقاً .
- (٣٦) بونيباتوف ، اذربيجان ، ص ٢٤٩ .
- (٣٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٠٢ - ٣ ، حوادث سنة ٢١٥ هـ ، وص ١١٠٤ حوادث سنة ٢١٦ هـ ، انظر مولر ، تاريخ الإسلام ، ص ١٩٩ .
- (٣٨) بعد انكسار الجيش العباسي في معركة هشتادستر سنة ٢١٤ هـ ومصرع القائد محمد الطوسي .
- (٣٩) الخلافة ، ص ٥٠٥ .
- (٤٠) بيزنطة والعرب ، ص ١١٣ - ٤ .
- (٤١) بابك وبيزنطة ، محاضرة منشورة في مجلة اكااديمية العلوم الاذربيجانية السوفياتية ، المجلد ١٥ ، عدد ٧ ، ١٩٥٩ ، ص ٦١٣ .
- (٤٢) يرد اسمه في المؤلفات العربية توماس الصقلي أو توما الصقلي .

- (٤٣) تاريخ القرون الوسطى (ط ١٩٥٢) ، م ١ ، ص ٢١٦ .
- (٤٤) م . ن . ٢١٦٠٠ .
- (٤٥) م . ن . ١٠٠٠ ، ص ٢١٦ .
- (٤٦) رستم ، الروم ، ج ١ ، ص ٣٢٢ .
- (٤٧) بيلاييف ، به . ١٠ ، العرب ، ص ٢٤٤ .
- (٤٨) تاريخ القرون الوسطى ، ط ١٩٥٢ ، م ١ ، ص ٢١٦ .
- (٤٩) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، انظر الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٠٢ ، ص ١١٠٣ ، ص ١١٠٤ .
- (٥٠) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، الطبري ، ص ١١٠٩ - ١١١٠ .
- (٥١) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٦ ، انظر الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٣٤ ، الذهبي ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ٩٥ - ٦ .
- (٥٢) ذكر الطبري في حوادث سنة ٢٢٢ هـ عن تيوفيل بن ميخائيل : «حتى صار الى زبطرة ومعه من المحمرة ، الذين كانوا خرجوا بالجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم اسحاق بن ابراهيم بن مصعب ، جماعة رئيسهم بارسييس ، وكان ملك الروم (تيوفيل) قد فرض لهم وزوجهم وصيرهم مقاتلة يستعين بهم في أهم أموره اليه » ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٥ ، وذكر المسعودي : «فانكشف الملك (يقصد توفيل بن ميخائيل) وحماه من كان معه من المحمرة والخرمية ممن كان استأمن اليه من ناحية أذربيجان والجبال لما واقعهم اسحاق بن ابراهيم بن مصعب الطاهري وكانوا الوقاً » ، تنبيه الاشراف ، ص ١٦٩ ، انظر فازيليف ، بيزنطة والعرب ، ص ١١٤ .
- (٥٣) بونيباتوف ، أذربيجان ، ص ٢٥٣ .
- (٥٤) راجع هامشنا المرقم ١٠ الفصل الرابع .
- (٥٥) كاتنفاضة ابي السرايا الفخمة (السري بن منصور الشيباني) ومعه ابن طباطبا بالكوفة سنة ١٩٩ هـ / ٨١٥ م . انظر الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٠٤ .
- (٥٦) البعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٤ .
- (٥٧) يسميه البلازي «صدقة بن علي» ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ ، ويسميه البعقوبي «زريق بن علي بن صدقة» ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٠ .
- (٥٨) الدوري «وكان أصحاب بابك أدري بمسالك الجبال وأعرف بالخطط اللازمة لها فكانوا يحصرون أعداءهم في المضائق وينقضون عليهم» ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٦ .
- (٥٩) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٠ .
- (٦٠) ذكر البعقوبي : «وأخذ في مضيق فلقه بابك فيه فهزمه فمر عيسى مولياً لا يقف على شيء ، فصاح به بعض شطار الخريبة الى أين يا ابا موسى فقال (ليس لنا في قتال هؤلاء بخت...)» ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٩ .
- (٦١) م . ن . ١٨٩ .
- (٦٢) الخلافة ، ص ٥٠٤ .
- (٦٣) مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٧٢ .
- (٦٤) العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٦ .
- (٦٥) الاخبار الطوال ، ص ٢٣٩ .
- (٦٦) الكامل ج ٥ ص ٢١٨ .

- (٦٧) لويس : « وكان بابك من الهراطقة وذا مواهب عسكرية وسياسية عظيمة » ، العرب في التاريخ ، ص ١٤٤ .
- (٦٨) يامبولسكي : « كانوا قلة ومحتقرين » ، انتفاضة بابك ، ص ١٩ ، وهو يردد أقوال المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٦ ، انظر بونيباتوف « عندما تولى بابك رئاسة الخرميين في البذل فان عدد أتباعه لم يكن عظيماً » ، أذربيجان ، ص ٢٤٤ .
- (٦٩) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٢ ، انظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ .
- (٧٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧١ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ .
- (٧١) يقول ابن خرداذبة : « وكانت برزند خراباً فعمرها الافشين » ، المسالك والممالك ، ص ١٢٠ .
- (٧٢) الهامش رقم ٧٠ .
- (٧٣) الاخبار الطوال ، ص ٣٢٨ .
- (٧٤) م . ن . ص ٣٢٨ .
- (٧٥) الفهرست ، ص ٤٩٤ .
- (٧٦) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٦ .
- (٧٧) مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٤٠ .
- (٧٨) إيران ، يقول : « ومن أجل ذلك حرم على المزدكية أكل لحم الحيوان » ، ص ٢٢٨ .
- (٧٩) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ .
- (٨٠) التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ ، انظر الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٣ .
- (٨١) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٢٧ .
- (٨٢) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٦ ، والشئ نفسه قد حصل للمزدكية وقد نبه عليه الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٨٨٥ ، راجع هامشنا ٥٩ .
- (٨٣) مجلة جمعية الاستشراق الألمانية ZDMG لايبزغ ١٨٦٩ ، ص ٥٣١ .
- (٨٤) الانتفاضة البابكية ص ١٩ .
- (٨٥) أذربيجان ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ .
- (٨٦) أذربيجان ص ٢٤٥ .
- (٨٧) وقد أشار الدوري إلى أن ضرب بابك لخصون أذربيجان التابعة للعباسيين قد أضعف دفاعهم ، العصر العباسي الأول ص ٢٣٦ .
- (٨٨) الأخبار الطوال ، ص ٣٣٩ .
- (٨٩) ذكر اليعقوبي قلعة لابن البيهت (التي يقال لها شاهي) ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، وذكر الطبري (شاهي وتبريز) ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧١ - ٢ ، غير أن البلاذري قد ذكر مرند أيضاً : « وأما مرند فكانت قرية صغيرة فنزلها حليس أبو البيهت ، ثم حصنها البيهت ، ثم ابنه محمد بن البيهت وبنى بها محمد قصوراً... » ، فتوح البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ ، انظر : ابن الأثير الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ .

- (٩٠) الدينوري «وقد كان احتفر حوله الأبار ليمتنع الخيل منهم» ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٩ .
- (٩١) وكانت الخرمية تستبطن الأودية فلا يقدم المسلمون على التقدم ، العيون والحدائق ، ص ١٨ .
- (٩٢) الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٦ .
- (٩٣) العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٦ .
- (٩٤) يقول تومارا «لحقت بابك الهزيمة تلو الهزيمة . ومع ذلك فإن وضعيته لا تزال بعيدة عن اليأس . عشرات الألوف من جنوده سقطوا عند همدان في أذربيجان . عشرات الألوف هربوا الى الامبراطورية الرومية . كثير من الفلاحين بردوا عن الحركة تخلوا عنه وعادوا الى قراهم » بابك ، ص ١١٨ . ولا بد أن أذربيجان حلت خطأ محل الجبال .
- (٩٥) انظر موير ، الخلافة ، ص ٥٠٤ .
- (٩٦) يقول عنه ابو الفداء «فسار الافشين وقد أحكم صناعة الحرب في الارصاد» ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٨٢ - ٣ ، انظر ، رايت - مجلة العالم الاسلامي - ص ٥١ ، هامش رقم ١٧ ، انظر : الموسوعة التاريخية (السوفيتية) ، ص ٢٠ ، ص ١٤ ، موير ، الخلافة ، ص ٥١٤ ، انظر عن «الافشين» بارتولد ، وقد بين بأن هذا اللقب قد اشتهر به ، وهذا اللقب معروف في اشروسة في أواسط آسيا من قبل الاسلام ، وهو لقب حكام محليين ، المؤلفات ، المجلد الثاني ، القسم الثاني (بالروسية) ، موسكو ، ١٩٦٤ ، ص ٤٩٦ .
- (٩٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٣ ، ص ٢ ، ص ١٢٠٩ .
- (٩٨) العيون والحدائق ، وكان الافشين لا يتقدم الا على تعبئة ولا يرجع الا على تعبئة ، ص ١٨ .
- (٩٩) العيون والحدائق .
- (١٠٠) العيون والحدائق ، ص ٩ .
- (١٠١) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٣ ، ص ٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ .
- (١٠٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٢٠ ، العيون والحدائق ، ص ١٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ ، وبرزند الى الشمال الشرقي من البذ والى الشمال من أردبيل والى الجنوب من نهر أراكس في إقليم موقان ، وليست ناحية من نواحي تفليس كما توهم الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٧ .
- (١٠٣) ابو سعيد محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي الشغري وكان على قلب جيش محمد بن حميد الطوسي في معركة هشتادسر الأولى سنة ٢١٤هـ ، وقد مدحه ابو تمام والبحثري كثيراً ، انظر الملحق الشعري .
- (١٠٤) من أردبيل الى خش ثمانية فراسخ (٦٤ كيلو متراً) ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٢٠ ، الفرسخ يساوي ٨ كيلو مترات تقريباً .
- (١٠٥) يقول عنه الطبري «الهيثم الغنوي القائد من أهل الجزيرة» ، تاريخ الرسل ، ج ٣ ، ص ٢ ، ص ١١٧٣ .
- (١٠٦) ذكر ياقوت الحموي عن أرشق «جبل بأرض موقان من نواحي أذربيجان عند البذ مدينة بابك الخرمي» ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٥٢ .
- (١٠٧) ذكر عنه الطبري أنه «من قواد الابناء» ، تاريخ الرسل ، ج ٣ ، ص ٢ ، ص ١١٧٣ .
- (١٠٨) مما يلي أردبيل ، الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٣ ، ص ٢ ، ص ١١٧٣ .
- (١٠٩) بين أردبيل وخش ثمانية فراسخ وبين خش وبرزند ستة فراسخ ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٢٠ ، ويقول قدامة بن جعفر : «ومن أردبيل الى خان بابك ثمانية فراسخ ومن خان بابك الى برزند ستة فراسخ» ، نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٢١٢ . ولا بد أن خان بابك هي خش .

- (١١٠) من أهم مراكز تحصينات الافشين .
- (١١١) ابن خردادبة ، ص ١٢٠ ، قدامة ، ص ٢١٢ .
- (١١٢) هذه الصورة لتنقلات الدوريات التي تخفر (تبذرق) قوافل التموين اعتمداها عن الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٢ - ٣ .
- (١١٣) الدوري ، « ثم اهتم قواد الخليفة بتأمين المواصلات لايصال الميرة بسلام الى جيش الافشين فنجحوا في ذلك الى حد كبير » ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٧ .
- (١١٤) الكلغرية - العمال المسكريون - يقول عنهم الطبري : هم الفعلة ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٩٩ .
- (١١٥) الكوهانية - الجبليون ، وتعني كلمة كوه بالفارسية والكردية جبل - انظر : الموسوعة الاسلامية (بالألمانية) ، م ١ ، ص ٥٦٨ .
- (١١٦) ايفانوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٤٠ ، يذكر رايث أن الجيش كان خليطاً من الصغد والأتراك ومتطوعة الكوفة ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٢٨ ، ص ٥١ .
- (١١٧) يقول ابن الأثير عن المتطوعة « وهؤلاء ليس لهم ثابت في الحرب » ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٨ .
- (١١٨) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٠٩ .
- (١١٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٢٧ ، وجاء في كتاب مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعي البغدادي : « والحربية فاغزهم... » ، ص ٥٧ ، ولا شك في أن كلمة الحربية تحريف لكلمة الخرمية .
- (١٢٠) الاخبار الطوال ، ص ٢٣٩ .
- (١٢١) جاء في الموسوعة التاريخية (السوفييتية) : «... وبعد وفاة المأمون عقد الخليفة المعتصم سلماً مع بيزنطة وبعث كل قواه لاختاد الانتفاضة » ، م ٢ ، ص ١٤ ، والحقيقة أنه سحب كل الجيوش ولم يترك في الثغور سوى حاميات قليلة ، ولم يهجم لجهة الروم ولم يعقد سلماً .
- (١٢٢) سميل ، القرآن ، ص ١٣٠ ، والملاحظ أنه يسمي الافشين بالافشيد Afshid انظر بونيئاتوف ، أذربيجان ، ص ٢٥٦ .
- (١٢٣) العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٧ .
- (١٢٤) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٢٩ .
- (١٢٥) م . ن . ، ص ١٢٣٢ - ٢ .
- (١٢٦) م . ن . ، ص ١١٩٥ .
- (١٢٧) دول الاسلام ، « وقد أنفق المعتصم بيوت الأموال في حرب هذا فانفق في ذلك في هذا العام (٢٢٢هـ) نحواً من ألف ألف دينار » ، ج ١ ، ص ٩٧ .
- (١٢٨) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٤ .
- (١٢٩) ذكره الطبري بوزباره ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٢٥ ، بينما يذكره الدينوري ، بوزباره ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٩ .
- (١٣٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ص ١٢٢٦ ، والطبري غير متأكد من الاسم حيث يقول « محمد بن معاذ » .
- (١٣١) م . ن . ، ص ١١٩٥ ، ابن الأثير ، « ووجه اليه إيتاخ... فأوصل ذلك للافشين وعاد » ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٨ .

- (١٣٢) انظر الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٢٨ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٦ ، ليو ، تاريخ أرمينيا ، م ٢ ، ص ٤٣١ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٠ .
- (١٣٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧١ - ٢ .
- (١٣٤) م . ن . ص ١١٩٠ - ١ .
- (١٣٥) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٢١٦ .
- (١٣٦) انتفاضة بابك ، ص ١٥ - ٦ .
- (١٣٧) مختصر تاريخ إيران ، ص ٤٠ ، وجاء في الموسوعة التاريخية السوفييتية « اندحار بابك ساعد على خيانة الاقطاعيين... » ، م ٢ ، ص ١٤ .
- (١٣٨) التاريخ ، ص ١٩٩ ، ج ٦ . انظر : الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧١ - ٢ .
- (١٣٩) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٥ .
- (١٤٠) تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤١ .
- (١٤١) من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ١٠١ .
- (١٤٢) العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٥ .
- (١٤٣) تومارا ، بابك ، ص ١١٨ ، ليو ، تاريخ أرمينيا ، م ٢ ، ص ٤٣٥ .
- (١٤٤) تيوفيل في المصادر العربية وقد ورد لدى رستم ، أسد ، باسم « تيوفيلوس » أي حبيب الله ، الروم ، ج ١ ، ص ٣٢٤ .
- (١٤٥) بونيباتوف ، أذربيجان ، ص ٢٥٦ .
- (١٤٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٤ .
- (١٤٧) رستم ، أسد « ولكن المعتصم استطاع أن يقضي على ثورة بابك في أواخر ٨٣٧م ففرغ للروم وأعد ثلاثة جيوش سبى أحدها بقيادة الافشين عبر طوروس من درب الحدث وقاد هو الجيشين الآخرين وعبر بهما من أبواب قلبية » ، الروم ، ج ١ ، ص ٣٢٦ .
- (١٤٨) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٤ .
- (١٤٩) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠١٥ . ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٨٤ .
- (١٥٠) يشير الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠١٥ ، وابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٨٩ الى أن المجاعة حدثت سنة ٢٠١هـ ، وينفرد المسعودي ، مروج ، ج ٤ ، ص ٢٩ بأن المجاعة حدثت سنة ٢٠٤هـ وأن خروج بابك كذلك عام ٢٠٤هـ . ورواية الطبري وابن الأثير أدق من رواية المسعودي .
- (١٥١) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠١٥ . ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٨٤ .
- (١٥٢) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٨ .
- (١٥٣) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٣٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٩٦ ، الموسوعة الاسلامية (الانكليزية) ، م ١ ، ص ٨٤٤ ، (الألمانية) - ص ٥٦٩ ، رابت ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥٠ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٠ ، بونيباتوف ، أذربيجان ، ص ١٥٤ .
- (١٥٤) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٩ ، لقد ورد في تاريخ أذربيجان « وجه الخليفة المأمون جيشاً كبيراً

ضد الخيرية تحت قيادة عيسى بن محمد في معركة قرب بردعة كسر الشائرون العدو وحطموا الخضم ، وكان القائد العربي قد قتل » ، ويذكر التاريخ عام ٨٢٢م ، ج١ ، ص ١٢٠ ، ولا أدري علام يُحسد تأريخ أذربيجان! فلم تحدث الواقعة في ٨٢٢م وإنما في ٨٢١م ، وثانياً فر القائد عيسى بجده ولم يقتل ، وثالثاً من أين جاء بمدينة بردعة ؟ لا أدري . انظر : يامبولسكي ، حيث يسميه عيسى بن محمد بن ابي حامد ، والصواب ابي خالد ، انتفاضة بابك ، ص ٢٠ .

(١٥٥) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص ١٨٩ .

(١٥٦) م . ن . ص ١٨٩ .

(١٥٧) م . ن . ص ١٩٠ ، ويسميه زريق بن علي بن صدقة الأزدي ، أما الطبري فيسميه تارة صدقة بن علي وتارة علي بن صدقة بن زريق وأخرى يسميه زريق بن علي بن صدقة ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج٢ ، ص ١٠٧٢ ، ص ١٠٩٩ ، ص ١٢٢٣ ، انظر نظام الملك ، ويسميه خطأ «زريق بن علي بن صادق» ، سياست نامه ، النص الفارسي ، ص ٢٩٢ .

(١٥٨) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج٢ ، ص ١٠٧٢ ، عن احمد بن الحنيد بن فرزند ، انظر البلاذري ، فتوح ، ج٢ ، ص ٤٠٥ ، انظر بونياتوف ، حيث يذكر تعيين ابراهيم بن الليث بن الفضل بعد مصرع محمد بن حميد الطوسي في سنوات ٨٢٩ - ٨٣٠م (أي في عام ٢١٤هـ) ، أذربيجان ، ص ٢٤٨ .

(١٥٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج٢ ، ص ١٠٩٩ .

(١٦٠) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص ١٩٩ .

(١٦١) هشتادسر - جبل وواد . يقع الجبل الى الشرق من البذ على بعد أقل من فرسخ (حوالي سبعة كيلومترات) ذو موقع استراتيجي حيث يسيطر على السبل المؤدية الى البذ ، والكلمة فارسية تعني ثمانين رأساً لتدل على مناعة المنطقة وكثرة القمم ويسمىها اليعقوبي (ساد راس) الكلمة دون نقط ، التاريخ ، ج٢ ، ص ١٩٩ ، ويسميه ابن خرداذبة في المسالك والممالك (سادارسب) ، ص ١٢٠ . وجاء في العيون والحدائق ذكرها بـ(هشنادس) ، ونعتقد أن تسمية الطبري (هشتادسر) اصحها .

(١٦٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ٢١٧ .

(١٦٣) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص ١٩٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج٢ ، ص ١١٠٢ .

(١٦٤) يتصور تاريخ أذربيجان أن هشتادسر تقع بقرب مراغة ومراغة تقع الى الجنوب الشرقي من بحيرة أورمية . بينما يقع جبل هشتادسر الى الشرق من البذ . تاريخ أذربيجان ، م ١ ، ص ١٢٠ .

(١٦٥) بونياتوف ، أذربيجان ، ص ٢٤٨ .

(١٦٦) م . ن . ص ٢٤٨ .

(١٦٧) يقول ابن الأثير : « فلما تقدم اصحاب محمد وصعدوا في الجبل مقدار ثلاث فراسخ (حوالي ٢٤ كيلومترا) خرج عليهم الكمناء وانحدر بابك اليهم فيمن معه وانهمز الناس... » ، الكامل ، ج٥ ، ص ٢١٨ .

(١٦٨) م . ن . ص ٢١٨ . ويقول عنهم « وهؤلاء ليس لهم ثابت في الحرب » .

(١٦٩) الطبري ، م ٣ ، ج٢ ، ص ١١٠١ .

(١٧٠) الاخبار الطوال ، ص ٣٢٨ - ٩ .

(١٧١) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص ١٩٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ٢١٨ .

(١٧٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج٢ ، ص ١١٠٢ .

- (١٧٣) الاخبار الطوال ، ص ٣٢٨ - ٩ .
- (١٧٤) الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٨ .
- (١٧٥) مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥٠ .
- (١٧٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٠٧ .
- (١٧٧) يقول بونيباتوف : «إن عبد الله كان مرعماً على تولي إدارة خراسان بعد وفاة أخيه » ، أذربيجان ، ص ٢٤٩ .
- (١٧٨) بويغ لابي اسحاق محمد بن هارون الرشيد -المعتصم- بالخلافة الخميس ١٨ رجب ٢١٨ هـ (الطبري ١١٦٤) / ١٠ آب ٨٣٣ م (بونيباتوف ، أذربيجان ، ٢٥٣) .
- (١٧٩) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٦٦ .
- (١٨٠) ساست نامه ، النص الفارسي ص ٢٩٢ والنص الروسي ص ٢٢٥ .
- (١٨١) بابك ، ص ١١٧ .
- (١٨٢) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٥ ، ص ١١٧١ .
- (١٨٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ .
- (١٨٤) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .
- (١٨٥) م . ن . ، ص ١٩٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧١ ، انظر المراجع أيضاً ..
يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢١ ، رايت ، بابك البذي والافشين ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥١ ، بونيباتوف ، أذربيجان ، ص ٢٥٨ .
- (١٨٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧١ ، لاحظ بونيباتوف «٢ حزيران ٨٣٥ م عين الخليفة المعتصم الافشين حيدر بن كاؤوس قائداً على كل الجيش المحارب للخرميين » ، أذربيجان ، ص ٢٥٧ .
- (١٨٧) الترجمة الروسية لـ «سياسة نامه» - الحاشية رقم ٤٧٦ ، ص ٣٥٠ .
- (١٨٨) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ ، العيون والحدائق ، ص ١٠ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٢ ، بونيباتوف ، أذربيجان ، ص ٢٥٩ .
- (١٨٩) العيون والحدائق ، ص ١٠ .
- (١٩٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٤ - ٥ ، العيون والحدائق ، ص ١٠ - ١ .
- (١٩١) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٥ .
- (١٩٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٥ .
- (١٩٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٥ .
- (١٩٤) م . ن . ، ص ١١٧٧ .
- (١٩٥) العيون والحدائق ، ص ١٠ - ١ .
- (١٩٦) الكامل ، لابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٢٣٥ ، العيون والحدائق ، ص ١١ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٤ .
- (١٩٧) في سنة ٢٢٠ .

- (١٩٨) الطبري ، ويقول تفسيره السقاء ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٨ .
- (١٩٩) يسميه يامبولسكي « سعيد الاصبهذ » ، انتفاضة بابك ، ص ٢٤ .
- (٢٠٠) يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٤ .
- (٢٠١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٥ .
- (٢٠٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، لم يتأكد فذكرهما معاً ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٩ ، يذكر يامبولسكي ، طرخان فقط ، انتفاضة بابك ، ص ٢٤ .
- (٢٠٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٩ ، وقد ذكر السيروان فقط . انظر يامبولسكي ويذكر السيروان فقط ، انتفاضة بابك ، ص ٢٤ ، انظر بونياتوف ، يذكر الشيروان والسيروان ، أذربيجان ، ص ٢٥٩ .
- (٢٠٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٨٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٧ - ٨ ، انظر يامبولسكي ويسمياها : درواز ، انتفاضة بابك ، ص ٢٤ ، بونياتوف ، دولزود ، أذربيجان ، ص ٢٤٤ .
- (٢٠٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٨٩ .
- (٢٠٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٨ .
- (٢٠٧) م . ن . ، ص ٢٢٨ .
- (٢٠٨) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٩٠ - ١ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٨ - ٩ .
- (٢٠٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٩٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٩ ، انظر يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٥ - ٦ .
- (٢١٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٨٧ - ١١٩٣ .
- (٢١١) الكامل ج ٥ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٩ ، انظر أيضاً ، العيون والحدائق ، ص ١٥ .
- (٢١٢) الكلمة كما ذكرنا سابقاً غير منقوطة ولا بد وأن يعقوبي يقصد بها هشتادسر .
- (٢١٣) المقصود به بغا الكبير .
- (٢١٤) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .
- (٢١٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٩٣ ، انظر يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٦ .
- (٢١٦) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٩٣ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٦ ، بونياتوف ، أذربيجان ، ص ٢٦٠ .
- (٢١٧) الطبري ، تاريخ الرسل م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٩٣ - ٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٩ .
- (٢١٨) بونياتوف ، أذربيجان ، ص ٢٦٠ .
- (٢١٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٩٤ .
- (٢٢٠) م . ن . ص ١١٩٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٩ ، العيون والحدائق ، ص ١٧ .
- (٢٢١) بونياتوف ، أذربيجان ، ص ٢٤٤ .
- (٢٢٢) بونياتوف ، أذربيجان ، ص ٢٤٤ .
- (٢٢٣) م . ن . ، ص ٢٤٤ .
- (٢٢٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٩٦ .

- (٢٢٥) م. ن. ، ص ١١٩٦ .
- (٢٢٦) م. ن. ، ص ١١٩٦ . بونيياتوف ، أذربيجان ، ص ٢٤٤ .
- (٢٢٧) توهم يامبولسكي بأنهم عائلة طرخان ، انتفاضة بابك ، ص ٢٦ .
- (٢٢٨) كجنود المخابرة في أيامنا ، ولا بد أنها أول مرة تستخدم الأعلام للإشارة .
- (٢٢٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١١٩٦ .
- (٢٣٠) انتفاضة بابك ، ص ٢٦ .
- (٢٣١) ذكر أبو دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي عن البذ « وبالبذين موضع... وفيه تمقد أعلام المحمرة المعروفين بالخرمية ومنه خرج بابك... » ، الرسالة الثانية ، ص ١٢ - ٣ ، وكتب ياقوت الحموي « بذ بتشديد الذال المعجمة كورة بين أذربيجان وأران بها كان مخرج بابك الخرمي أيام المعتصم » ، م ١ كراسة رقم ٢ ص ٣٦١ ، ويقول سورديل في الموسوعة الإسلامية (بالانكليزية) ، بأن موقع البذ لم يتحقق لحد الآن ، يقع في المنطقة الجبلية من أران ليس بعيداً عن أراكس ، م ١ ص ٨٤٤ (ط لندن ، ١٩٦٠م) ، انظر حول موقع البذ ، مينورسكي ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١٠٤ . يامبولسكي ، انتفاضة بابك ص ٢٧-٨ ، زابت ، بابك البذي والأفشين ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٢٨ لسنة ١٩٤٨ ص ٤٦ .
- (٢٣٢) انظر مناقشة بونيياتوف لمختلف الآراء المتضاربة حول تحديد مكان مدينة البذ ، أذربيجان ، ص ٢٤٠-٤ ، ومقالاته عن مدينة وقلعة البذ في مجلة أخبار المجمع العلمي الأذربيجاني ، العدد ٥ لسنة ١٩٥٩ ، ص ٢٧-٣٢ .
- (٢٣٣) وعلى الضد من قولنا يذكر روبرت باين « بعد عدة معارك سريعة استولى الافشين على قلعة الثائر وجاء ببابك الى سامراء أسيراً » ، السيف الذهبي ، ص ١٧٨ ، فهو يرى أن الافشين سار بمعارك سريعة نحو هدفه ، وهو يذكر اسم بابك دائماً باسم (باربك) .
- (٢٣٤) الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٤ .
- (٢٣٥) م. ن. ، ص ٢٨٤ .
- (٢٣٦) العيون والحدائق ، ص ١٨ .
- (٢٣٧) أذربيجان ، ص ٢٦٠ .
- (٢٣٨) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١١٩٨ .
- (٢٣٩) م. ن. ، ص ١١٩٩ .
- (٢٤٠) بونيياتوف ، أذربيجان ص ٢٤٤ .
- (٢٤١) الكماشة أداة من حديد تشبه الملقط لمسك المسامير وغيرها وتستعمل اللفظة في الجيش كاصطلاح حين الهجوم على جيش ما من ناحيتين .
- (٢٤٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٠٤ .
- (٢٤٣) م. ن. ، ص ١٢٠٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ص ٢٤١ .
- (٢٤٤) م. ن. ، ص ١٢٠٤ .
- (٢٤٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ص ٢٤١ .
- (٢٤٦) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١١٠٤ .

- (٢٤٧) م. ن. ، . ص ١٢٠٢ .
- (٢٤٨) م. ن. ، . ص ١٢٠٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ص ٢٤١ .
- (٢٤٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ص ٢٤١ .
- (٢٥٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٠٦ .
- (٢٥١) م. ن. ، . ص ١٢٠٦ - ٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ص ٢٤١ .
- (٢٥٢) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ص ٢٠٠ .
- (٢٥٣) الاسبوع الأول من شهر رمضان سنة ٢٢٢ هـ . الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١١٩٧ .
- (٢٥٤) م. ن. ، . ص ١٢٠٩ .
- (٢٥٥) م. ن. ، . ص ١٢١٤ ، وجاء في الموسوعة الإسلامية (باللغة الألمانية) : « وبعد محاولات غير موفقة في احتلال البذ من قبل قوات المتطوعة من البصرة جاءت القوات الفرغانية واحتلت مدينة البذ وأبيحت ونهبت » م. ١ ص ٥٦٩ ، والملاحظ أن القوات المهاجمة في الزحف الأول لم تكن من المتطوعة فقط .
- (٢٥٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢١٤ .
- (٢٥٧) م. ن. ، . ص ١٢١٤ .
- (٢٥٨) م. ن. ، . ص ١٢١٥ .
- (٢٥٩) يوم الجمعة ، الطبري « يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان في هذه السنة (٢٢٢ هـ) » ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١١٩٧ .
- (٢٦٠) يوم الخميس ، اليعقوبي « من شهر رمضان سنة ٢٢٢ » ، التاريخ ج ٣ ص ٢٠٠ .
- (٢٦١) م. ن. ، . ص ٢٠٠ .
- (٢٦٢) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ، ص ١٢١٧ - ٨ ، انظر العيون والحداثق ، ص ٢٠ - ٢١ .
- (٢٦٣) سياست نامه ، النص الفارسي ، ص ٢٩٢ ، والترجمة الروسية ، ص ٢٢٦ حيث يشير الى وجود اتفاق سري بين بابك والافشين .
- (٢٦٤) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢١٨ .
- (٢٦٥) العيون والحداثق ، ص ٢٠ - ١ .
- (٢٦٦) م. ن. ، . ص ٢١ .
- (٢٦٧) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢١٩ .
- (٢٦٨) ص ٢١ .
- (٢٦٩) التاريخ ، ج ٣ ص ٢٠٠ .
- (٢٧٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٣٣ .
- (٢٧١) م. ن. ، . ص ١٢٣٣ .
- (٢٧٢) التاريخ ، ج ٣ ص ٢٠٠ .
- (٢٧٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١١٩٧ .

- (٢٧٤) التنبيه والاشراف ص ٣٥٣ .
- (٢٧٥) البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٢٨٣ .
- (٢٧٦) م ١ ص ٥٦٩ .
- (٢٧٧) م ١ ص ٨٤٤ .
- (٢٧٨) ص ١٠٩ .
- (٢٧٩) م ١ ص ١٢٤ .
- (٢٨٠) العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٨ .
- (٢٨١) وهو بهذا يطابق الطبري في اليوم الذي حدده لسقوط البذ ، انتفاضة بابك ، ص ٣٤ .
- (٢٨٢) مقالة عن موقع مدينة وقلعة البذ ، مجلة المجمع العلمي الأذربيجاني ، العدد ٥ لسنة ١٩٥٩ ، ص ٢٠ . وهو محق باعتبار رمضان ٣٠ يوما فمند طرح ١٠ يكون الأحد المصادف ٢٦ آب ، انظر كتابه ، أذربيجان ، ص ٢٦٣ . وهنا اكتفى بـ ٢٦ آب ٨٣٧م ولم يشر الى التاريخ الهجري .
- (٢٨٣) أخذ بهذه الرواية الدوري والموسوعة الاسلامية (بالانكليزية) .
- (٢٨٤) جداول لتحويل السنوات الهجرية الى السنوات الميلادية ، موسكو ، ١٩٦١ ، ص ٥١ .
- (٢٨٥) انظر جدول شهر رمضان لسنة ٢٢٢ ومطابقته لاشهر سنة ٨٣٧م في الملحق رقم - د - .

1. The first part of the document discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions and activities. It emphasizes that this is essential for ensuring transparency and accountability in the organization's operations.

2. The second part of the document outlines the various methods and tools used to collect and analyze data. It highlights the need for a systematic approach to data collection and the importance of using reliable sources of information.

3. The third part of the document describes the process of identifying and addressing potential risks and challenges. It stresses the importance of proactive risk management and the need to develop effective strategies to mitigate potential threats.

4. The fourth part of the document discusses the role of communication and collaboration in achieving the organization's goals. It emphasizes the importance of clear communication and the need for all team members to work together effectively.

5. The fifth part of the document provides a summary of the key findings and conclusions of the study. It highlights the main points discussed in the document and provides a final assessment of the organization's current state and future prospects.

الفصل الخامس

حياة بابك وآثار الانتفاضة
ثبت بأسماء المصادر

من القضايا المعقدة في تاريخ الحركة البابكية معرفة حياة قائدها بابك من حيث مولده ونشأته وأصله وأهله والقادة الذين عمل معهم ، فالآراء متضاربة والأقوال فيها اختلافات واسعة نتيجة تحامل المؤرخين على الحركة ووصمهم إياها بكل ما هو شنيع ، ولأن بابك ولد في وسط معدم لا يأبه أفرادها بتاريخ ولادة أطفالهم . وأقدم رواية كتبت عن بابك هي المنسوبة إلى واقد بن عمرو التميمي^(١) حيث أشار إليها ابن النديم «وعمل أخبار بابك»^(٢) ، غير أن هذا المؤلف لم يصل إلينا مع الأسف .

يرجع الدينوري أصل بابك إلى أبي مسلم الخراساني حيث كتب عنه : «وقد اختلف الناس في نسبه ومذهبه والذي صح عندنا وثبت أنه كان من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم هذه التي ينتسب إليها الفاطمية من الحرمية»^(٣) . أما الطبري فلا يشير إلى هذا النسب بل يعتبر بابك من أصل وضع حيث ينقل رواية مصدرها محمد بن عمران كاتب علي بن مر يقول فيها إن علياً بن مر حدث كاتبه محمداً بأن رجلاً من الصعاليك يقال له مطر قال له (أي لعلي بن مر) : «كان والله يا أبا الحسن (يعني علياً بن مر) بابك ابني قلت» ، وكيف ؟ قال كنا مع ابن الرواد وكانت أمه (بروميد)^(٤) العوراء من علوج (فلاحين) ابن الرواد فكنت أنزل عليها وكانت مصكة فكانت تخدمني وتغسل ثيابي فنظرت إليها يوماً فواثبتها بشبق السفر وطول الغربة فأقررته في رحمها ، ثم قال : غبنا غيبة بعد ذلك ثم قدمنا فإذا هي تطلق فنزلت في منزل آخر فصارت إلي يوماً فقالت : حين ملأت بطني تنزل ههنا وتتركني ، فأذاعت أنه مني قلت والله لئن ذكرتني لأقتلنك فأمسكت عني فهو والله ابني»^(٥) . أما ابن النديم ، الذي اعتمد رواية واقد فيما كتبه عن بابك ، وعن الفهرست تناقلت المصادر^(٦) والمراجع^(٧) أخبار بابك ، يذكر في الفهرست : قال واقد (وكان أبوه رجلاً من أهل

المدائن -دهانا- نزع إلى ثغر أذربيجان فسكن قرية تدعى بلال آباذ من رستاق ميمد . وكان يحمل دهنه في وعاء على ظهره ويطوف في قرى الرستاق فهوى امرأة عوراء وهي أم بابك . وكان يفجر بها برهة من دهره فيما هي وهو منتبذان عن القرية . متوحدان في غيضة ومعهم شراب يعتكفان عليه إذ خرج من القرية نسوة يسقين الماء من عين الغيضة فسمعن صوتاً نبطياً يترنم به . فقصدن إليه فهجمن عليهما . فهرب عبد الله وأخذن بشعر أم بابك وجئن بها إلى القرية وفضحنها فيها . قال واقد : ثم أن ذلك الدهان رغب إلى أبيها فزوجه منها فأولدها بابكا ثم خرج في بعض سفراته إلى جبل سبلان واعترضه من استقفاه وجرحه فقتله فمات بعد مُدَّة^(٨) ، وأخذ بهذه الرواية مع الإيجاز والتحوير من تلا ابن النديم من المؤرخين والمؤلفين ، فالمقدسي كتب عن أصل بابك «ذكروا أنه كان لغير رشدة وأن أمه كانت امرأة عوراء فقيرة من قرى أذربيجان فشغف بها رجل من نبط السواد يقال له عبد الله فحملت منه وقتل الرجل وبابك حمل»^(٩) . ويقول ابن الجوزي عنه «وأصله أنه ولد زنا»^(١٠) . وقد ذكر المؤرخ فاردان «رجل من الفرس المسمى باب^(١١) الخارج من بغداد . . .»^(١٢) . وينسبه المؤرخ السرياني ميخائيل إلى أبي مسلم «وإن أتباعه اعتبروه كملك وينتظرونه وهذا يعني أنه المهدي المنسوب إلى أبي مسلم الخراساني»^(١٣) . وكتب تومارا عن بابك «من الممكن أنه ولد ٧٩٨-٨٠٠ واسم أبيه كان عبد الله . كان عبد الله نبطياً من المدائن والاسم العربي الأصل عبد الله يشير إلى أنه كان مسلماً . مات عبد الله تاركاً زوجه وطفلين حسن وغبد الله ، الابن الأكبر حسن سمي بعدئذ بالتسمية الإيرانية بابك»^(١٤) ، ويذكر عنه مارغليوث (وتاريخه الخاص كتب بواسطة واقد بن عمرو التميمي الذي لوحظ في الفهرست ، وقد ترجم بواسطة فلوك في ZDMGXXXIII . هذا الكتاب يتفق مع الطبري الذي يعتبره خلفاً لجاويدان . والبغدادى (الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٢) يؤكد أن أتباع بابك يجعلون مؤسس دينهم أميرهم الذي عاش قبل الإسلام المدعو شارون Sharwin الذي كان أبوه زندي Zandi^(١٥) ، بينما والدته كانت ابنة ملك فارسي . وهذا يظهر شكلاً آخر لقصة ابن اسفنديار (ترجمة براون ص ٢٣٧) ذلك أن شارون من بيوتات باو Baw (الذي يسمى في الطبري شارون بن سورخاب بن باب Bab) على أنه أول

شخص يلقب بملك الجبال^(١٦) . ويعتمد رايت رواية ابن النديم وينقلها بحذافيرها^(١٧) .
ويذكر بونياتوف (خلال عام توفي عبد الله فانتقلت برومند مع ابنها بابك إلى
سراب)^(١٨) .

أمامنا اذن ثلاث روايات حول أصل ومنشأ بابك . أولها رواية ترجع أصله إلى
أبي مسلم الخراساني وهذه الرواية التي أول من ذكرها الدينوري ، الذي لم يحاول المس
بسمعة بابك وطعن نسبه بالرغم من اطلاعه على مختلف الروايات التي طعنت بابك ،
إن هذه الرواية تستند على الآراء التي تعزو ظهور الخرمية إلى مقتل أبي مسلم وظهور
حفيدة كمطالب بالثأر لجده ، وقد أشرنا سابقاً إلى ضعف الآراء وبيننا أن الخرمية فرقة
متطورة عن المزدكية وسابقة لعهد أبي مسلم . ورغم تأكيد الدينوري (والذي صح
عندنا وثبت) على صحة روايته فانه ، كما يرى ، يصعب الأخذ بها . وقد ردد هذه
الرواية بشكل أو آخر المؤرخون السريان والأرمن فهم يذكرون مؤسس الخرمية
جاويتان (جاويدان) ثم هارون ثم المهدي ، والذي هو بابان (بابك) ، وهذا الخلط
العجيب تجده أيضاً لدى الكاتب الأرمني المعاصر ليو^(١٩) . والرواية الثانية تجعل بابك
إبناً غير شرعي لصلوك اسمه مطر وقد ظل هذا الأب منكراً لابنه حتى ذاع صيته
(بابك) فأسر هذا الصلوك يوماً إلى علي بن مر بأن بابك ابنه . هذه الرواية التي
أوردها الطبري يتضح فيها طابع الاختلاق والطعن ويصعب الأخذ بها لأن المصادر
الباقية تشير إلى أن والد بابك (والذي هو من العراق) توفي بعد زواجه من أم ابنه
بابك وبعد ولادته بمدة قصيرة ، إثر طعنة قاتلة . فالطبري لم يذكر موطن هذا
الصلوك وقد اعتبره حياً حتى ذاع اسم بابك ، بينما نجد المقدسي الذي اعتمد روايتي
الطبري وابن النديم حدد موطن الرجل وأشار إلى مصرعه وذكر أن ذلك حدث قبل
ولادة بابك ، ويشير المؤرخون إلى أن عبد الله (نبطي أو إيراني ، من أهل العراق)
وتجد ترديد اسم عبد الله وموطنه العراق في الأدبيات المعاصرة ، ويشار هنا سؤال
وهو : كيف يصح أن يكون اسم والد بابك عبد الله واسم أخيه الذي أسر معه عبد
الله ؟ ألا يكون ذلك تناقضاً أو اضطراباً في المصادر ؟ أعتقد أنه من الميسور افتراض
زواج أم بابك برجل ثان بعد مصرع زوجها الأول الذي ترك لها طفلاً واحداً هو الحسن
(بابك فيما بعد) ومن الزوج الثاني خلفت الآخرين حيث هناك عبد الله ومعاوية ، إن

تسمية الطبري لوالد بابك بمطر لا تعطي مسوغاً لقبول روايته على أنها أقرب للقبول على أساس أن رواية الفهرست التي تذكر اسم والد بابك عبد الله تناقض تسمية أخيه عبد الله .

أما الرواية الثالثة فتجعل بابكا اليتيم الابن الوحيد الشرعي لكاسب عراقي اسمه عبد الله . وهذه الرواية التي ينقلها ابن النديم عن واقد بالرغم من التشويش والطعن والمس بسمعة بابك فإنها كما نرى أكثر الروايات قبولاً ، لا لأن الكثير من المصادر والمراجع اعتمدتها ولكنها تحوي وقائع أكثر احتمالاً للصدق من الروايتين الأخريين . أما أم بابك فلا تختلف الروايات على كونها امرأة فقيرة من فلاحات أذربيجان يسميها الطبري (بروميد) ، وتذكر المصادر أنها عوراء فقيرة امتهنت حرفاً عديدة كمرضعة وغسالة وخادمة لتربي ابنها اليتيم حسن (بابك فيما بعد) . يمكننا أن نتوصل في ضوء المصادر العربية إلى أن بابك الخرمي عراقي الأصل (من ناحية أبيه) أذربيجاني المولد والمنشأ وأنه تربي ونشأ في أحضان الفقر وذاق مرارة العوز والفاقة وانحدر من فئة الكسبة وعاش وسط الفلاحين ، لهذا كان متفهماً وشاعراً بأحاسيس ومشاكل مجتمعه . أما أصله فالآراء متضاربة فيه أيضاً ، فهل هو من أصل عربي أم من النبط أم من الإيرانيين الساكنين في العراق أم أذربيجاني ؟ أكثرية المصادر تشير إلى أن والده من نبط العراق أو من نبط السواد أو المدائن ، إلا أن الطبري لم يحدد أصله واكتفى الفهرست بقوله بأنه من أهل المدائن . وهنا لا يمكن تحديد أصله ، لأن في المدائن كان يعيش السكان الاصليون (النبط) والإيرانيون والعرب . أما الدينوري فيشير إلى أن أصله من الإيرانيين وهذه الرواية ضعيفة كما قلنا . وحتى يتم العثور على ما كتبه واقد التميمي ، والذي فصل فيه أخبار بابك كما يظهر من أقوال ابن النديم ، وعلى ما يعثر عليه من أخبار في صفحات مطوية ، فإنه من الصعوبة تحديد أصل بابك (عنصره) في ضوء ما لدينا من مصادر ، أما اعتباره أذربيجانياً من ناحية الأم ، فإن ذلك راجع لجهل المصادر لأصل والد بابك لأن العادة الجارية أن ينسب الولد إلى أصل والده ولا ينظر إلى أمه فأولاد الإماء اعتبروا عرباً ولو أن أمهاتهم أجنبيات حتى لدى الأمويين المتعصبين ، لأن آباء هؤلاء من العرب . ولكن لا يعني هذا أننا لا نعتبر بابك أذربيجانياً من حيث الموطن والوسط الذي عاش فيه ، فهو قد عاش وسط

المجتمع الأذربيجاني وكان يمت لهم بصلة من ناحية أمه ويشعر بشعور وأحاسيس الشعب الأذربيجاني ، ولا يستبعد أن والدته قد أطلعتة على أصل والده وموطنه الأصلي ، غير أن ذلك لم يخلق لديه شعوراً وتحسناً نحو أصل وموطن والده كالشعور والتحسس الذي تولد لديه نحو موطنه وابناء الشعب الأذربيجاني .

أما محل ولادة وسكنى بابك فالآراء متضاربة أيضاً ، إذ لم يحدد محل سكنى والدة بابك وإن اتفق الجميع على أنها من أذربيجان ، فابن النديم ينفرد بتحديد سكانها في قرية بلال آباد في رستاق ميمد بينما يعتبرها الطبري من سكان منطقة تبريز ، لأنه ذكر بأنها كانت من علوج ابن الرواد ، وابن الرواد كان ينزل تبريز كما يذكر البلاذري (وإما تبريز فنزلها الرواد الأزدي ثم الوجناء بن الرواد وبني بها وأخوته بناء وحصنها بسور فنزلها الناس معه)^(٢٠) . ولهذا لا يمكن تحديد المكان الذي قضى فيه بابك طفولته وردحا من شبابه وذلك لأنه نشأ تيمماً^(٢١) معدماً لا يعنى بمولده ومنشئه أحد . وإما لغته فهي الآذرية ، يقول اليعقوبي : (وأهل مدن أذربيجان وكورها أخلاط من العجم الآذرية والجاودانية القدم أصحاب مدينة البذ التي كان فيها بابك ثم نزلتها العرب لما افتتحت...)^(٢٢) ، وإما ابن حوقل فلا يذكر الآذرية وإنما يعد العربية والفارسية فقط من اللغات الموجودة في أذربيجان وأرمينيا (فأما لسان أهل أذربيجان وأكثر أهل أرمينية الفارسية والعربية)^(٢٣) ، ويشير ابن النديم إلى ما يفهم منه بأن أم بابك كانت تفهم النبطية (لغة سكان العراق القدماء)^(٢٤) ، ويذكر في مكان آخر (وناطقه «يشير إلى اتصال جاويدان ببابك» فوجده ، على رداءة حاله وتعدد لسانه ، بالاعجمية فهماً ورآه خبيثاً...)^(٢٥) . وأما ياقوت الحموي فيقول عن أهل أذربيجان : (ولهم لغة يقال لها الآذرية لا يفهمها غيرهم)^(٢٦) . ولقد أشار مينورسكي عند كلامه عن لغات ولهجات أذربيجان إلى وجود الآذرية : (ويتكلمون العديد من اللهجات «آذرية تاليشي Talishi»^(٢٧) التي بقي قسم منها كجزر عائشة وسط متكلمي التركية ، هذه هي القاعدة التي اعتمد عليها بابك في انتفاضته ضد الخلافة)^(٢٨) . إذن فلغة بابك الأصلية هي الآذرية ويعرف الفارسية والعربية ، ومعرفته للفارسية يكن استخلاصها من رواية ابن النديم (وتعدد لسانه بالاعجمية) ، وأما معرفته للعربية فبحكم اشتغاله أثناء طفولته مع سادة عرب ، فقد عمل حسب رواية

واقده مع (الشبل بن المنقى الأزدي برستاق سراة) (٢٩) ، واشتغل مع محمد بن الرواد الأزدي نحو سنتين في تبريز (٣٠) ، لقد قضى بابك طفولته وردحاً من شبابه في أعمال جسمانية مرهقة بعيداً عن والدته ثم عاد إليها وسكن معها بعد بلوغه الثامنة عشرة من عمره ثم التحق بجماعة جاويدان الخرمية . أما ديالته فقد كان مسلماً قبل أن ينضم إلى الخرمية حيث تخلى تدريجياً عن الاسلام .

اتصال بابك بالقيادة الخرميين:

تشير المصادر إلى وجود خصومات فردية بين قادة الخرمية السابقين لرئاسة بابك ، وكان للضربة القوية التي وجهت للخرميين أيام هارون الرشيد أثر في تفكك وحدة الخرميين وضعفها ، وقد أشار ابن النديم إلى أن جاويدان كان يحاذر من عقد اجتماع موسع للخرمية خشية شر العرب (٣١) ، فكانت الخرمية ضعيفة منقسمة إلى جماعات حتى أخذنا نسمع حسب أقوال المؤرخين بوجود قائد باسم أبي عمران وآخر جاويدان وكانا متنازعين تقوم الحروب بينهما . ويقول ابن النديم حسب رواية واقده : (وكان بجبل البذ وما يليه من جباله رجالان من العلوج متخرمين (٣٢) ولهما جدة وثروة وكانا متشاجرين في التملك على من بجبال البذ من الخرمية ليتوحد أحدهما بالرياسة يقال لأحدهما جاويدان بن سهرك والآخر غلبت عليه الكنية يعرف بأبي عمران وكانت تقوم الحرب بينهما صيفاً وتحول بينهما الثلوج في الشتاء لانسداد العقاب) (٣٣) . فاذن كان هناك خصام وحروب مستمرة ويظهر أن هؤلاء كانوا منصرفين لأعمالهم واشغالهم أكثر من انصرافهم لشؤون الانتفاضة الخرمية أو أن الأطماع الشخصية كانت طاغية لديهم بحيث دفعت بهم إلى شن الحرب بعضهم ضد بعض ، ويتضح انصرافهم إلى الأعمال الخاصة من أن جاويدان بن سهرك حسب رواية ابن النديم (٣٤) أما الطبري فيسميه جاويدان بن سهل (٣٥) والمسعودي جاويدان بن شهر (٣٦) وابن الاثير يسميه جاويدان بن سهل (٣٧) ، وفي المصادر الأرمنية (٣٨) والسريانية (٣٩) جاويتان بن سهل أو سهل ذهب مرة إلى زنجان لبيع هناك ٢٠٠٠ شاة له ، وعند عودته تعرف على بابك ، وتصف الرواية العربية هذا اللقاء بأن جاويدان بعد أن عاد من زنجان مر ليلاً بقريّة أم بابك (كان بابك يبلغ الثامنة

عشرة^(٤٠) فنزل مع غلمانه لديها فهيات لهم بمساعدة بابك ما استطاعت تهيئته وقاء بابك ، بنشاط ملحوظ ، في خدمة جاويدان ، فأعجب جاويدان به لذكائه وبراعته وعرض على والده بابك موافقتها في استخدامه بمرتب قدره ٥٠ درهماً شهرياً^(٤١) هكذا تصور الرواية العربية اتصال بابك بالخرمية . صحيح أن بابك كان فقيراً معدماً وكان مرغماً على القيام بمختلف الأعمال لمساعدة والدته ومنها الخدمة لدى الاغنياء ولكن رواية اتصال بابك بالحركة الخرمية وبرئيسها جاويدان على تلك الصورة لا يمكن قبولها ، لأنه عقيب اتصال بابك بجاويدان تعرض الأخير لطعنة قاتلة في إحدى حروب مع أبي عمران (الذي قتل هو الآخر في تلك المعركة) ، وبعد وفاة القائد جاويدان انتخب الخرمية بابك رئيساً لهم . فكيف يا ترى تيسر للخرمية اكتشاف المواهب والميزات العظيمة لدى خادم يافع حديث العهد بخدمة رئيسهم لكي ينتخبوه خلفاً لرئيسهم الراحل ؟ هل أجذبت الخرمية الى ذلك القدر بحيث استعصى عليها أن تجد ضالتها المنشودة بين رجالها البارزين حتى راحت تفتش بين الخدم ؟ هناك احتمالات للقضية ، إما أن بابك عمل في خدمة سيده مدة طويلة واكتسب احترام وثقة جاويدان وأهله والمقربين اليه ورؤساء الخرمية ، وإما أن بابك عمل مع الخرمية كعضو بارز في الفرقة ساهم في فعاليتها بنشاط وتحمس مما جلب الانتباه اليه وكان في مركز أرفع من خادم ، وهذا الاحتمال الأخير هو المقبول بنظري لأن اتصال بابك (حسب الروايات) بخدمة جاويدان كان قصيراً لا يتيح الفرصة لكسب الثقة والاحترام لخادم يافع . ولهذا يستبعد انتخاب الخرمية لخادم شاب مع احتمال وجود من هم أعلى منه مركزاً وشأناً ، ومهما يعزو ابن النديم لزوجة جاويدان الشابة من دور في تفضيل بابك على غيره على أساس انه كان عشيقها - حسب مزاعمه من اجل الطعن وتشويه السمعة - فإن ذلك لا يعطي مبرراً لتخطي مساعدي جاويدان والرؤساء الذين كانوا يعملون معه وانتخاب غلام حديث العهد بخدمة رئيسهم ، إذن ، لا بد وأن بابك قد انضم الى فرقة الخرمية كفرد مساهم في نشاطاتها وأعمالها (على ضعفها في ذلك الحين) تحت قيادة جاويدان وأن الأخير وجد (أثناء الحروب وفي الحياة العامة) في الشاب المتحمس من القابلية والشخصية ما يؤهله لقيادة الفرقة ولا بد وانه أستر بذلك الى خلصائه ومن بينهم زوجته الشابة ، فلما مات من جرحه البليغ دعت زوجته الى

انتخاب بابك حسب وصية زوجها الراحل ، ولاقت هذه الدعوة استحسان الجميع لما عهدوا في بابك من الأهلية لذلك ولما سبق وان سمعوه من رئيسهم جاويدان من اطراء لشجاعة واقدام وقابلية بابك للرئاسة . قد يقال بأن في حروب القرون الوسطى كان العبيد والخدم يحاربون مع أسيادهم^(٤٢) وهذا صحيح ، ولكن هذا لا يبرر سرعة انتخاب الخرمية لخدم . إن وصية جاويدان لانتخاب بابك من بعده لتنفي رواية استخدام جاويدان لبابك لأن جاويدان وزوجته وبقية الخرمية لمسوا شدة بأس وجرأة واقدام بابك وحسن تصريفه للامور ، وهذه تلمس في الحروب والاعمال العامة وقلمما تكتشف في الخدمات الخاصة التي يقدمها الخدم .

زوجات بابك:

يرد بين دفات المصادر أسماء أو ذكر لزوجات بابك ، فالطبري يذكر عن هرب بابك : (فخرج هو وأخواه عبد الله ومعاوية وأمه وامرأة له يقال لها ابنة الكلندانية)^(٤٣) ، ولدينا قصة واقد عن زواج بابك بأرملة رئيس الخرمية الشابة^(٤٤) . فمن هاتين الروايتين يفهم أن بابك باشر الحياة الزوجية بامرأة واحدة وانتهى ولديه زوجة واحدة ، ولكن هنالك روايات تفيد بوجود زوجات عديدات لدى بابك . فهل كان يباشر تعدد الزوجات ؟ أم كان يعاشر زوجة واحدة ؟ . الطبري يذكر ما يفهم منه وجود زوجات عديدات عند تفسيره لقول سهل بن سنباط لبابك (وكل من ههنا (في أرمينيا) من البطارقة انما هم أهل بيتك قد صار لك منهم أولاد)^(٤٥) فهو يفسر قول سهل هذا ، هكذا : (وذلك أن بابك كان إذا علم عند بعض البطارقة ابنة أو أختا جميلة وجه اليها يطلبها فاذا بعث بها اليه والا بيَّته وأخذها وأخذ جميع ما له من متاع وغير ذلك وصار به الى بلده غصبا)^(٤٦) ، ان تفسير الطبري لقول سهل بن سنباط يشم منه رائحة الطعن اذ لا يعقل زواج بابك من كل بنات أو أخوات البطارقة ورؤساء الأرمن وانما أشار سهل الى زواج بابك من ابنة سافاك وبهذه الصورة اعتبره الأرمن قريبا لهم . ولربما كان زواج بابك ببعض بنات وأخوات البطارقة في فترات متفاوتة خلال الاعوام العشرين وعلى انفراد وليس بصورة مجتمعة . هذا التفسير من جانب الطبري قد أوحى للكثيرين بأن لدى بابك كان الكثير من الزوجات . يذكر كوردريان في (بازما

فيب) عن زوجة بابك التي هربت معه (ومع واحدة من زوجاته الخالندانية «الكلندانية»)(٤٧) ويقول عنها أيضاً : (لم يذكر ابن خلدون عنها أي شيء ولم يسمها الطبري . فمن كانت هي من بين زوجات بابك الكثيرات التي نالت ذلك الشرف . يمكن التفكير بأن هذه الابنة الخالندانية (الكلندانية) يمكن أن تكون ابنة سافاك التي تزوجها بابك والتي أبدت مساعدتها لزوجها في انقاذه...)(٤٨) . لا يمكن التصديق بأن بابك قد جمع لديه ذلك الحشد من الزوجات كما يصوره الطبري في تفسيره لقول سهل ، وذلك لأن الخرميين كانوا يدعون الى الاكتفاء بامرأة واحدة وذلك بموجب دعوتهم لاحترام مركز المرأة . يقول تومارا : إننا لم نواجه مشاعية النساء طيلة تاريخ الحركة الخرمية بل على العكس شاهدنا حتى القادة كانت لكل واحد منهم زوجة واحدة)(٤٩) ، كما أن الحوادث تشير الى أن بابك هرب مع زوجة واحدة وليس مع زوجات . قد يقال بأنها المفضلة ولكن لم يشر الى البقية حتى ولو بحرف واحد ؟ . فعند ذكر الطبري للأسرى من عائلة بابك بقوله : (وعدة من صار في يد الافشين من بني بابك سبعة عشر رجلاً ومن البنات والكنات)(٥٠) (زوجات الابناء أو الاخوة) ثلاث وعشرون امرأة)(٥١) ، قد اشار الى بنات بابك وبنات إخوته وأولاده وزوجات أخوة بابك وابنائهم ولم يشر الى زوجات بابك وإنما سبق وأن أشار الى أسر زوجة بابك ابنة الكلندانية مع والدته ، وهذا يعني وجود امرأة واحدة لدى بابك في أيامه الأخيرة .

هروب بابك:

اضطر بابك بعد سقوط البذ الى الهروب وسلك وادي هشتادسر المكتظ بالأدغال ، وقد هرب معه أخواه عبد الله ومعاوية(٥٢) وأمه وزوجته وغلام له وبعض خاصته . ولما علم الافشين بافلات بابك شدد الحراسة على المسالك والطرق المؤدية للفيضة التي التجأ اليها الفارون ، فقد كان الافشين يخشى من لجوء بابك الى مكان أمين منيع يستعيد فيه قواه ويجدد نشاطه ويعود فيهدد الخلافة بالخطر(٥٣) . ولهذا حرص على أن لا يفلت من قبضته فأرسل الكتابب العديدة(٥٤) وكتب الرسائل الى جميع الجهات(٥٥) ، ووعد بالمبالغ الطائلة(٥٦) . ولما كاد الزاد يفنى لدى بابك ورهطه في الفيضة صمم بابك على اختراق الطوق المضروب عليه فاجتاز مسلحاً خلوا من

الحراس لتطرفه وقلّة المياه فيه فعبّره مسرعاً غير أن هروبه قد انكشف بعد هنيهة من قبل المراقبين الذين كانوا يراقبون ذلك المسلك من بعيد فأخبروا بأنهم رأوا جماعة يغادرون الغيضة ووصل الخبر الى الجند فانطلقوا في إثرهم وكان على رأس الجند ابو الساج^(٥٧) فأدركوهم واسروا معاوية وأم بابك وزوجته وافلت بابك وأخوه عبد الله و غلام لهم واجتازوا الحدود الى أرمينيا^(٥٨) . ورد أمان الخليفة لبابك في الفترة التي كان فيها مختبئاً في الغيضة . فبعثه الافشين مع اثنين من البابكية الأسرى لديه وقد أرفقه بكتاب من ابن بابك لابيه يناشده الرضوخ والانصياع للامر الواقع وقد خاف الجميع عدا هذين الاسيرين من توصيل كتاب الأمان والرسالة الى بابك لما يعلمونه من أنفته . فقد وافقا على نقل الامان الى بابك في الغيضة بعد أن وعدهما الافشين بتأمين عيش ذويهما ، ولقد أوصلا الأمان والرسالة الى بابك ، الذي تأثر جداً من انهيار ابنه الأسير ، ورفض الأمان واجاب ابنه بتوبيخ شديد^(٥٩) . ويعتقد رايت بأن الأمان قد وصل ولما يمض على هروب بابك اكثر من عشرة أيام . سلك بابك طريقه في الهرب عبر أرمينيا متجها نحو الشمال ويشير قسم من المصادر الى انه كان يروم الذهاب الى بلاد الروم ، فالدينوري يقول : « توجه الى أرمينية وسار حتى عبر نهر الرّس (أرس) متوجهاً الى الروم »^(٦٠) . ويذكر الطبري ان سهل بن سنباط سأل بابك عن وجهته فأجابه (قال اريد بلاد الروم او موضعاً سمّاه)^(٦١) ، ويقول ابن العبري (فلما ضاق أمره خرج هارباً ومعه أهله الى بلاد الروم)^(٦٢) . فهل يا ترى فكر بابك باللجوء الى امبراطور الروم علّه يجد لديه بارقة من أمل في معاودة نشاطه بعد ان يلم شعته ؟ ولكن لم اتجه شمالاً عبر سونيك ولم يسر غرباً نحو بيزنطة ؟ قد يقال بأن المطاردة أجبرته ان يسلك هذا الطريق ، ولكن بعد أن عبر نهر أراكس وأمن الطرد لماذا استمر شمالاً أيضاً ؟ قد يقال ان زوجته أوحى اليه بالأمان الذي يلاقيه عند السونيكيين لو وصل اليهم ؟ ولكن بابك اجتاز القسم الشرقي من سونيك ولم يسر غرباً بل سار شمالاً ودخل مقاطعة أران حيث وقع في أراضي سهل بن سنباط . يخيّل الي بأن بابك لم يفكر جدياً في موضوع اللجوء الى بيزنطة والاعتماد على امبراطورها تيوفيل وإنما كان يريد اللجوء الى مكان أمين يختفي فيه ويكون قريباً من أتباعه الذين تبعثروا ونستدل على ذلك من تجاهل العديد من المصادر^(٦٣) لذكر الروم أو اللجوء الى

امبراطور الروم ومن أقوال بابك وآماله في معاودة النضال والاهتمام بشؤون فرقة الخرمية . فقد جاء على لسان بابك بأنه لا يحبذ بقاء أخيه عبد الله معه في قلعة سهل بن سنباط اذ قال له : (ليس يستقيم ان أكون أنا وأخي في موضع واحد فلعله أن يعثر بأحدنا فيبقى الآخر ، ولكن أقيم عندك أنا ويتوجه عبد الله أخي الى ابن اصفانوس ، لا ندري ما يكون وليس لنا خلف يقوم بدعوتنا)^(٦٤) فرى تأكيده على الاستمرار في الدعوة ويقول يامبولسكي (وهذا يعني أنه لم ينفص عنه فكرة استمرار النضال في ذات الموضوع الذي حارب من أجله الخرميون بثفان)^(٦٥) . لهذا فان تفكير بابك في اللجوء الى الروم لم يكن واضحا أو لم يكن ليحظى باهتمامه بصورة رئيسية ولا سيما وقد تباطأ الامبراطور تيوفيل ولم يصغ الى استنجاهه بالضغط على المسلمين من ناحية ليخفف من شدة الحملة على بابك ويتضح كذلك من ذكر بابك لاسم محل آخر غير بلاد الروم في جوابه لسهل بن سنباط ، ويعتقد يامبولسكي ان بابك لم يذكر بلاد الروم امام سهل الا قتلصا من الجواب^(٦٦) .

اجتاز بابك الحدود الأذربيجانية الأرمنية بعد عبوره نهر أراكس في نقطة التقائه برافده نهر كيرخسو ودخل أراضي سونيك من طرفها الشرقي ولكنه لم يلبث في مقاطعة سونيك رغم وجود حلفائه^(٦٧) فيها ولكنه غادرها الى أران حيث بلغ أراضي سهل بن سنباط صاحب قلعة شاكي^(٦٨) Waku . وهناك تعرف عليه ابن سنباط الأرمني بعد ان أعلمه أتباعه بوجود بابك وأخيه وغلამه . وبخطة بارعة في التمويه والخداع استطاع سهل أن يقنع بابك بالذهاب معه الى قلعته والاختفاء فيها ، وكان ان سنباط من الأمراء الأرمن الذين سبق وأن تحالفوا مع بابك ولكنهم انجسوا بعد تغير الموقف وشاهدوا رجحان كفة الخلافة ، الا أن سهلا « المستلم رسالة مغرية جدا من الافشين) أخفى نواياه عن بابك وأظهر أنه لا يزال على موقفه السابق من السلطة ، وبهذا استدراج بابك الى النزول في قلعته . وسار بابك معه وهو غير مطمئن على سلامته فقد أصر على أن ينزل هو لدى سهل ويذهب أخوه عبد الله الى عيسى بن اصفانوس صاحب قلعة كتيش^(٦٩) في البيلقان وكان بابك يثق به . وكان سهل يحاول ان يثني بابك عن رأيه ويهون لديه الأمر ، إلا أن بابك أفهمه بخطورة بقائهما في محل واحد^(٧٠) . وهكذا غادر عبد الله اليوم الثاني قلعة شاكي وتوجه الى ابن

اصطيفانوس . أما ابن سهل فلم يتوان حيث أخطر الافشين بوجود بابك لديه واتفق الطرفان بعد تأكد الأفشين من الخبر على إرسال قوة تسير حسب مشورة ابن سنباط لالقاء القبض على بابك وقد أبلغ سهل القاندين اللذين بعثهما الافشين على رأس القوة ، وهما أبو سعيد وبوزياره^(٧١) ، أبلغهما بأنه يفضل اللقاء القبض على بابك خارج قلعته . ويامبولسكي على صواب حين يعلل ذلك (بان سهلاً كان يخشى من بطش الحرمية ان هو سلم بابك في قلعته)^(٧٢) . وكان ان دبر سهل الخروج الى الصيد وعرض فكرة الخروج على بابك الذي وافق دون تردد بعد أن ذكر له سهل أهمية التنزه والتخلص من جو القلعة الذي يدعو الى السأم وكان قد بعث برسله الى أبي سعيد وبوزياره يعلمهما عن خروجه مع بابك في اليوم التالي ، وعيّن لهما الوادي الذي سيكونان فيه وطلب منهما أن ينقضا عليهما من سفحي الجبل المشرف على الوادي ويقبضا عليهما . وقد نفذت خطة سهل بحذافيرها غير أن بابك قد عرف في آخر لحظة خيانة سهل حيث بادره بالقول عند القبض عليه إنما بعثني لليهود (يقصد المسلمين) بالشيء اليسير^(٧٣) . أراد سهل أن يظهر الحادثة وكأنها وقعت صدفة ولكنها لم تنطل على بابك . وكوفئ سهل على ذلك حيث أنعم عليه بالامارة (البطرقة) وأعفيت بلاده مما عليها من واجبات ومنح مليون درهم ومنطقة مغرقة بالجواهر^(٧٤) . أقتيد بابك أسيراً وأوصل بحراسة شديدة الى الافشين بمعسكره في برزند ، وإذا أخذنا برواية الطبري^(٧٥) فإن وصوله الى الافشين يكون يوم السبت ١٠ شوال ٢٢٢ هـ المصادف ١٥ ايلول ٨٣٧م ، فتكون المدة بين هروبه ووصوله الى الافشين اقل من شهر ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على شدة اهتمام الافشين بأمر القاء القبض على بابك ، وإلى أي مدى كان تأثير الوعيد والاعراء قوياً! أعلم الخليفة بالأمر بأسرع وقت . ويشير المسعودي الى استخدام الحمام الزاجل لذلك الغرض^(٧٦) . وكان للخبر وقع عظيم لدى الخليفة والخاصة لزوال ذلك الخطر الجسيم ولدى سكان العاصمة الذين اكتوى ذووهم بنار الانتفاضة وفقدوا الكثير من اهلهم في معاركها ، فكان يوماً مشهوداً . كما تصف المصادر - او عيذاً كبيراً ، ضج الناس فيه بالتكبير ، وكتب الخليفة الى الامصار معلناً فرحته بالانتصار ولأجل بعث الثقة واعادة الهيبة لسمعة الخلافة المتداعية . إن استقبال الخبر بذلك الوقع وبذلك الصورة ليدل على عظم وجسامه خطر

الانتفاضة البابكية على الخلافة^(٧٧) . ولما استلم الافشين بابك بمفرده علم بأن عبد الله لا يزال طليقاً وهو لدى عيسى بن اصفيفانوس (يسميه الطبري ؛ عيسى بن يوسف المعروف بابن أخت اصفيفانوس ملك البيلقان^(٧٨) ، وفي المصادر الارمنية يعرف بـ ياي ابو موسى)^(٧٩) . فأرسل الافشين الى عيسى يأمره بارسال عبد الله اليه فبعثه اليه ، وللمسعودي رواية أخرى عن أسر بابك لا تحتل التصديق وتحتوي كثيراً من الطرف قد ضللت بعضاً من المؤرخين والمؤلفين يقول فيها : « وقال له : ايها الملك ، قم الى قصرك الذي فيه وليك وموضع يمنعك الله فيه من عدوك فسار معه الى أن أتى قلعته وأجلسه على سريره ورفع منزلته ووطأ له منزله ومن معه وقدمت المائدة وقعد سهل يأكل معه فقال له بابك بجهله وقلة معرفته بما هو فيه وما دفع اليه : أمثلك يأكل معي ؟ فقام سهل عن المائدة وقال : اخطأت أيها الملك ، وأنت أحق من احتل عبده ، إذ كانت منزلتي ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك ، وجاءه بحداد ، وقال له : مد رجلك أيها الملك وأوثقه بالحديد فقال له بابك أغدرا يا سهل ؟ قال يا ابن الخبيثة إنما أنت راعي غنم ويقر ، ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات وتدبير الجيوش ؟ . وقيد من كان معه وأرسل الى الافشين يخبره الخبر وان الرجل عنده فسرح اليه الافشين اربعة آلاف فارس عليهم الحديد وعليهم خليفة يقال له بوماده ، فتسلموا بابك ومن معه واتى به الافشين ومعه سهل بن سنباط^(٨٠) ، وقد اعتمد هذه الرواية المقدسي^(٨١) ، وابن العبري^(٨٢) بشيء من التحوير ، ويظن جوزي بأن سهلاً قد سلم بابك واخاه « فقبض عليه وعلى أخيه عبد الله ومن كان معهما من الأهل والأصدقاء وسلمهم جميعاً بعد أن أمنهم ، الى رسول الخليفة^(٨٣) . لكن مصادر أخرى غير المسعودي والمقدسي وابن العبري تذكر عن لجوء عبد الله الى قلعة كتيش ، العائدة لعيسى بن اصفيفانوس ، بعد ان بات ليلة واحدة مع أخيه في قلعة شاكي عند سهل .

استقبل الافشين بابك بعرضه بين صفين من جنده لا احتراماً لمقام بابك ولكن ليظهر للجند عظمتهم وفخره بقهره بابك الذي روع الجميع ، ثم حبسه في دار منتظراً مقدم أخيه عبد الله فلما قدم عبد الله مرسلاً من عيسى أودعه الدار التي حبس فيها بابك ، فلما جاءه أمر الخليفة بالشخص اليه أخبر بابك بأمر السفر وعرض عليه أنه بوسعه أن يعلن رغبته في شيء قبل مغادرته أذربيجان فرجاء بابك أن يسمح له

بالقاء آخر نظرة على مركز الحركة البذ فسمح له ليلا وسار به الحراس بخشوع في ليلة هادئة مقمرة من ليالي خريف ٢٨٧م وتحول البطل في قلعة الخاوية المهدمة مرت بخاطره سني النضال المريعة الطويلة وكيف كانت البذ على طرف كل لسان وكان منظرها الكئيب وهي خاوية على عروشها تحت ظلال أشعة البدر الباردة لا يمكن احتماله فقفل راجعاً بصمت مهيب ولم يجسر الحرس على تعكير ذلك الصمت كأنهم في موكب جنائزي وأخبر الافشين بأنه لم يبق لديه مطلب آخر فعزم الافشين على السفر وكان طيلة أيام السفر من برزند الى سامراء يخبر الخليفة إذ كانت رسله تترى وقد جئنا سابقاً على وصف سعادة البريد المنتشرين على طول الطريق والذين نصبهم الخليفة خصيصةً للاطلاع على اخبار بابك أولاً بأول .

متى ابتدأ الركب يغادر برزند وهو محمل ببابك وأخيه عبد الله ؟ هذا أمر لم يعن به المؤرخون إلا أنهم يشيرون الى تاريخ وصول الركب الى سامراء وإن اختلفوا في تاريخ اليوم إلا أنهم يكادون يجمعون على شهر صفر سنة ٢٢٢هـ ، فاليعقوبي يذكر «وقدم (يقصد الافشين) على المعتصم وهو بسر من رأى فتلقيه القواد والناس على مراحل ودخلها لليلتين خلتا من صفر سنة ٢٢٢»^(٨٤) ، أي في ٢ صفر بينما يقول الطبري «ذكر أن قدومه عليه به كان ليلة الخميس لثلاث خلون من صفر بسامراء»^(٨٥) أي ٣ صفر ، أما المسعودي فيقول : «دخل سامراء يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين»^(٨٦) ، ولما كان اليوم الثاني من صفر سنة ٢٢٢هـ يصادف الخميس ٣ كانون الثاني عام ٨٢٨م لهذا فان روايتي اليعقوبي والمسعودي أضبط من رواية الطبري وإن اتفق الطبري مع المسعودي بذكر الخميس . ولما بلغ الموكب قناطر حذيفة استقبلهم هارون بن المعتصم وآخرون من عائلة الخليفة ثم انزل الافشين بابكا في قصره بالمطيرة عند بلوغهم سامراء وزاره الوزير أحمد بن أبي داود متنكراً وكان الخليفة يتلهف لرؤية بابك فلما عاد وزيره واخبره بما رأى لم يصطبر الى غد وانما سار إليه في جوف الليل متنكراً وسأله بعض الأسئلة أجاب عليها دون أن يميز سائلها وفي اليوم الثاني نقل بابك من قصر الافشين الى الدار العامة باستعراض مهيب كما يصفه الطبري «واصطف الناس من باب العامة الى المطيرة وأراد المعتصم أن يشهره ويريه الناس... فأمر بتهينة الفيل وأمر به فجعل في قباء ديباج

قولنسوة سمور مدورة وهو وحده فقال محمد بن عبد الملك الزيات :

قد خُضِبَ الفيل كعادته يحمل شيطان خراسار
والفيل لا تخضب اعضاؤه الا لذي شأن من الشار

فاستشرفه الناس من المطيرة (حيث قصر الافشين) الى باب العامة فأدخل الدار العامة^(٨٧) . اما المسعودي ، الذي يُطنب في الوصف ، فيذكر ان العرض بدأ من القاطول (على بعد خمسة فراسخ من سامراء = ٤٠ كيلو متراً) حيث استقبله هارون^(٨٨) ، ولكن رواية الطبري أقرب الى التصديق إذ لا يعقل أن يستعرض ببابك هذه المسافة الطويلة والفيل لا يسير الا على مهل والخليفة متلهف لرؤية أسيره بابك .

لم يمهل بابك طويلاً إذ نطق الخليفة باعدامه فور وصوله لديه وقد قطعت اطرافه أولاً فلطخ وجهه لكي لا يترك شحوب وجهه إثر نزف دمه انطباعاً بأن ذلك الشحوب من خشية الموت . هكذا أجاب بابك حينما سئل عن سبب صبغه وجهه بدمائه^(٨٩) . ثم علق جسده على خشبة طويلة في طرف من سامراء ظل يحمل اسم بابك ، اما رأسه فقد أرسل الى بغداد برفقة أخيه عبد الله حيث علق رأس بابك هناك^(٩٠) ومنها الى خراسان . متى أعدم بابك؟ المصادر لا تحدد اليوم والتاريخ فالطبري يقول كان ذلك يوم الاثنين او الخميس^(٩١) إلا أن المصادر تشير الى أنه أعدم بعد العرض . فحسب رواية الطبري كان يوم العرض هو اليوم التالي لبلوغ موكب الافشين مدينة سامراء ، ولما كان يوم البلوغ هو الخميس (٣ كانون الثاني ٨٢٨م - ٢ صفر ٢٢٣هـ) فان يوم اعدام بابك على هذا الأساس يكون الجمعة (٣ صفر ٢٢٣هـ / كانون الثاني ٨٢٨م) ولقي عبد الله المصير نفسه في بغداد على يد اميرها اسحاق بن إبراهيم^(٩٢) ، حيث أمر اسحاق بقطع اربعة أطراف عبد الله وصلب في الرصافة (الجانب الشرقي من بغداد) علي رأس الجسر^(٩٣) وقد أبدى عبد الله شجاعة وجلداً كأخيه بابك حيث أشار الطبري الى أنه لم ينطق ولم يتكلم حينما قُطعت أطرافه^(٩٤) .

هل كان بابك ملكاً أو أميراً اقطاعياً؟ أم ظل ثورياً (فكرياً وسياسياً وعسكرياً) للانتفاضة البابكية؟ وإذا كان رئيساً أو قائداً ثوريا في أول أيامه ألم يتحول تدريجياً

وبمرور الزمن الى أمير اقطاعي أو ملك في الجزء المحرر من أراضي الخلافة ؟ هذه من المسائل المعقدة أيضاً في تاريخ الانتفاضة البابكية وذلك لأن أغلبية المصادر لم تتطرق الى نوعية الحكم أو تصريف الأمور أو شكل الإدارة في الأجزاء التي حررتها الانتفاضة ، فليست هنالك صورة واضحة عن ماهية الحكم طيلة السنوات العشرين ، ومن ناحية ثانية ترد في بعض المصادر كلمات (ملك ، تملك ، ملوكية) عند وصفها لبابك أو أسلافه ، والشيء الثالث عدم ورود تلك الكلمات التي تشير إلى الملوكية في أقرب المصادر زمنياً للانتفاضة . فالدينوري (أبو حنيفة) واليعقوبي لم يشيرا بأدنى كلمة وإشارة الى الملوكية أو التملك وهما أقرب المؤرخين عهداً بالانتفاضة ، بل إن الصورة التي تعكسها رواياتهما عن بابك كقائد ثوري للحركة حسب . وأما الطبري فقد وردت لديه رواية تفيد بأن بابك كان ملكاً إذ يقول إن بابكا قد بعث بجوابه الى ابنه (الذي كتب الى أبيه عندما كان في الغيضة يطلب من أبيه أن يستجيب للأمان الذي بعثه اليه الأفشين) يقول بابك في جوابه « عسى أن أعيش بعد اليوم قد كنت باسم هذه الرياسة وحيث ما كنت أو ذكرت ملكاً ولكنك من جنس آخر... »^(٩٥) . وبالرغم من أنها الحالة الوحيدة التي يذكر الطبري فيها كلمة ملك فإن بابك قد قدم موضوع الرئاسة على الملوكية وهذا يعني أنه رئيس الطائفة البابكية ، إلا أن الناس يذكرونه كملك وبابك يؤكد كثيراً على موضوع رئاسة الحركة الخرمية . فقد أصر عند التجائه الى قلعة سهل بن سنباط على أن يظل هو لدى سهل ويذهب أخوه الى عيسى بن اصفيفانوس ، وقد علل ذلك « فلعله أن يعثر بأحدنا فيبقى الآخر ، ولكن أقيم عندك أنا ويتوجه عبد الله أخي الى ابن اصفيفانوس لا ندري ما يكون وليس لنا خلف يقوم بدعوتنا . فقال له ابن سنباط ولدك كثير ، قال ليس فيهم خير وعزم »^(٩٦) فهنا تأكيد على رئاسة الفرقة الخرمية (وليس لنا خلف يقوم بدعوتنا) فحتى الأيام الأخيرة ظل بابك يعتبر نفسه رئيساً روحياً وقائداً فكرياً لفرقة الخرمية آخذاً على نفسه مهمة نشر دعوتها . ويذكر الطبري في مجال آخر بصورة غير مباشرة ما يوهم بأن بابك كان من الاقطاعيين ، فقد ذكر أن عبد الله سأل ابن شروين الطبري (الذي اقتاده من سامراء الى بغداد) عشية اعدامه أن يطعمه فالزوج ويسقيه خمراً ثم سأله (من أنت ؟ فقال : ابن شروين ملك طبرستان . فقال الحمد لله الذي وفق لي رجلاً من الدهاقين

يتولى قتلي... ثم قال : يا أبا فلان ستعلم غداً أنني دهقان إن شاء الله» (٩٧) . وأما المسعودي الذي لا يلتزم الدقة في تعابيره وأقواله فقد وردت لديه أقوال تشير بصراحة الى الملوكية فهو يذكر عن سهل بن سباط «... ترجل له ودنا منه وسلم عليه بالملك...» وقال له : أيها الملك قم الى قصرك ، اخطأت أيها الملك وأنت أحق من احتمل عبده إذ كانت منزلتي ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك... مد رجلك أيها الملك... ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات وتدبير الجيوش ؟» (٩٨) . ويذكر الأقوال هذه عند المقابلة الأولى وفي القصر ، لكن هذه الأقوال لا يمكن أن تؤخذ أساساً للحكم ، لأنها من تصورات المسعودي ومن بنات أفكاره . أما ابن النديم فيورد نصوصاً كثيرة تذكر الملوكية والتملك فهو يذكر عن جاويدان وأبي عمران من قادة الخرمية السابقين لبابك (وكان بجبل البذ وما يليه من جباله رجلان من العلوج متخرمين ولهما جدة وثروة وكانا متشاجرين في التملك على من بجبال البذ من الخرمية ليتوحد أحدهما بالرياسة ، يقال لأحدهما جاويدان بن سهرك والآخر غلبت عليه الكنية يعرف بأبي عمران) (٩٩) . إلا أن كلمة التملك هنا لا تعني حسب رأينا سوى الاستحواذ ولا تعني الملوكية ولأن جاويدان قد سافر بعد ذلك الى زنجان لبيع فيها أغنامه وليس من عادة الملوك التنقل بين المدن لبيع الأغنام . إذن فالنزاع كان بينهما للانفراد برئاسة الفرقة . لذا لم يكن جاويدان ملكاً حتى يورث من بعده ، ولهذا لم يرث بابك الملوكية عن أحد وإنما تولى قيادة فرقة الخرمية بعد مقتل رئيسها . ويشير ابن النديم الى أن زوجة جاويدان قالت عن بابك... (وإنه يملك الأرض) (١٠٠) . ويذكر عن لسانها أنها قالت بان زوجها أخبرها قبل وفاته (... وقد رأيت أن أملكه على أصحابي) (١٠١) والظاهر من القولين أن بابك يملك الأرض ويكون ملكاً على اصحاب جاويدان ، ولكن لا يصح اعتبار هذين القولين أساساً لافتراض ملوكية بابك على رقاب الناس أو تملكه للأرض ، فقد سبق وأن دحضنا ملوكية جاويدان فلا يمكن والحالة هذه أن يرث كملك على الناس أو مالك على الأرض . فما تفسير قولها إذن ؟ بيتنا سابقاً أن قولها (وإنه يملك الأرض) يفسر على أنه يستحوذ على الأراضي من الاقطاعيين ويتم ذلك بمساعدة الخرمية له ويتم توزيعها على الفلاحين مشاعاً حسب برامج الخرمية . وأما قولها (وقد رأيت أن أملكه على أصحابي) فهذا القول يستعمل مجازاً على أن يعني ترؤسه

للجماعة أيضاً كما يعني تملكه على الجماعة ، ولهذا فإن جاويدان لم يعنِ إلا الاستعمال المجازي لقوله . ولقد وردت إشارات في المراجع أيضاً إلى أنه ملك لدى سيل^(١٠٢) ورايت^(١٠٣) ، ويقول شلبي عنه (وبابك هو زعيم الخرمية بعد جاويدان بن سهرك ملك جبال البَذَّ ورئيس الخرمية الأكبر)^(١٠٤) ، فهو يرى أن بابك جاء بعد ملك جبال البَذَّ .

علاقة المازيارية بالبابية:

يرد ذكر الانتفاضة التي قامت في طبرستان (٢٢٤هـ / ٨٣٩م) مقروناً بالانتفاضة البابية على أساس الاتصالات والمراسلات بين المازيار وبابك أساس اتفاقهما مع الأفشين على الانتفاض بوجه الخلافة ، فمن هو المازيار ؟ وما علاقة الانتفاضة الطبرستانية المعروفة بالمازيارية بالبابية ؟ وما هو طابعها ؟ المازيار واسمه محمد بن قارن بن بندار هرمز أصبهذ طبرستان من الأمراء المحليين وكان ذا طموح في التخلص من السلطة الأجنبية ، ولما كانت المناطق الشمالية من إيران مسرحاً للانتفاضات والحروب التي قامت بوجه الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول كما مر بنا في الفصل الثاني (١٢١ ص - ١٣٧ ص) ولا سيما انتفاضات الخرمية في إقليم الجبال أو في جرجان وطبرستان وخراسان ، فإن بلاده ظلت تحتفظ بذكريات الانتفاضات الفلاحية ، وظل فلاحو طبرستان يشكون من التعسف والارهاق وكانت الارستقراطية الاقطاعية من العرب أو من الابناء (الارستقراطية الايرانية) قد ربطت مصيرها مع السلطة العباسية . يقول الطبري إن سرخاستان ، أحد ولاة المازيار ، أعلم الفلاحين بأن الارستقراطية المحلية (الابناء) يكونون خطراً عليهم فقال لهم (إن الأبناء هوامم مع العرب والمسودة (العباسيين) ولست آمن غدرهم ومكرهم وقد جمعت أهل الظئنة ممن أخاف ناحيته فاقتلوهم لتأمينوا)^(١٠٥) ، ولما كان المازيار قد وطد نفسه على الانفصال وكانت الأرستقراطية متعاونة مع الخلافة لهذا لم يكن أمامه إلا أن يلتجئ الى الجماهير الشعبية ، الساخطة على السلطة وعلى الاقطاعيين ، فتعاون معها لأجل تحطيم القوة المحلية التي تعتمد الخلافة عليها وهي الارستقراطية . وتذكر المصادر بأنه كاتب بابك وشجعه على المضي في انتفاضته الأذريجانية ضد السلطة ، وكان يرمي من كل ذلك الى اضعاف السلطة لكي يتسنى له من ناحيته النهوض بوجه

الخلافة فهو قد سعى لإضعاف الخلافة من الداخل وشجع على إضعافها من الخارج . يقول الطبري : (إن المازيار لما عزم على الخلاف دعا الناس إلى البيعة فبايعوه كرها وأخذ منهم الرهان فحبسهم في برج الأصبهذ (الكلام عن الأرستقراطية) وأمر أكره الضياع (الفلاحين) بالوثوب بأرباب الضياع واثتهاب أموالهم ، وكان المازيار يكتب بابك ويحرضه ويعرض عليه النصرة^(١٠٦) . لقد استغل المازيار النزاع القائم بين الفلاحين والملاكين حول الأرض من أجل مطامحه ووجهه نحو السلطة وذلك بتشجيعه هو وأعوانه للفلاحين بنهب الضياع وقتل أصحابها لتضعف شوكة الأرستقراطية ، السند الرئيسي للخلافة هناك . يذكر الطبري (إن سرخاستان كان معه ممن اختاره من أبناء القواد وغيرهم من أهل آمل... في داره مئتان وستون فتى ممن يخاف ناحيته... ثم أمر بكتفهم ودفعهم إلى الأكره ليلاً فدفعوهم إليهم وصاروا بهم إلى قناة هناك فقتلوهم ورموا بهم في آبار تلك القناة)^(١٠٧) . ويذكر الطبري عن المازيار نفسه أنه طلب من الفلاحين قتل الأمراء الأقطاعيين (وقال لهم صيروا إلى الحبس فاقتلوا أرباب الضياع جميعهم قبل ذلك ثم حوزوا بعد ذلك ما وهبت لكم من المنازل والحرم ، فجنب القوم عن ذلك وخافوا وحذروا فلم يفعلوا ما أمرهم به)^(١٠٨) . وكان خوف الفلاحين مبعثه ما تراكم لديهم من تهيب الأرستقراطية وخشية نفوذها ، ولو انصاع الفلاحون لأوامر المازيار لربما كان للانتفاضة نتيجة أخرى ، ولكن الفلاحين لم يذهبوا كثيراً مع الانتفاضة^(١٠٩) ، وهذا كان أحد عناصر ضعفها .

أما اتصال الانتفاضة بالافشين فالمصادر تشير إلى المكاتبات التي قامت بين الطرفين وكان كلاهما يسعى لاتخاذ الآخر وسيلة لتحقيق مطامحه ، فالأفشين كان يطمع بولاية خراسان التي أصبحت وقفاً على آل طاهر ، وكان يسمع تدمير المعتصم من عبد الله بن طاهر ، ولما كانت طبرستان تابعة في إدارتها إلى خراسان فكان يتصور في حالة اشتداد الخصومة بين المازيار وعبد الله أن يعجز الأخير عن القضاء على الانتفاضة ، وحينئذ يعهد إليه الخليفة بمحاربة المازيار ويوليه خراسان ، وكان قد بعث بالرسائل المشجعة للمازيار على عصيان أوامر عبد الله ولقيت هذه التشجيعات قبولاً لدى المازيار واعتبرها ركيزة آماله في تعجيز السلطة والتحرر من نفوذها لاعتقاده بأن عبد الله أعجز من أن ينتصر عليه ، وإذا اضطر الخليفة أن يرسل جيوشاً

غير الخراسانية فمن المحتم أنه سيعهد بقيادتها الى الأفشين الذي يطمئن اليه حسب ما اتفقا عليه . وهناك آراء وأقوال للطبري حول سعي الأفشين وبابك والمازيار إلى تقويض السلطة العربية والدين الاسلامي وإعادة الأمور الى الأكاسرة والديانة القديمة ، وتنسب هذه الأقوال تارة الى بابك وأخرى الى الأفشين وتارة الى المازيار ، بل وأشرك معهم خاش أخو الأفشين وفوهيار أخو المازيار كالرسالة التي قيل إن خاش بعثها الى فوهيار والتي جاء فيها (... أنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك... ويعود الدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم)^(١١٠) ، وهذه المزاعم وإن تكررت لدى المسعودي « فأقر (المازيار) على الأفشين ، إنه بعثه على الخروج والعصيان لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس »^(١١١) . وما يرويه ابن اسفنديار وكلامه مليء بالاطحاء والتفقيقات ويسرد الحوادث المسهبة على شكل قصص ، يقول عن المازيار « قال المازيار وهو مأسور عند عبد الله - أنا والأفشين حيدر بن كاؤوس وبابك قد اتفقنا أربعتنا (لم يخبرنا براون لماذا هم اربعة) على أخذ الامبراطورية من العرب وإعادتها لأكاسرة الفرس »^(١١٢) . هذه الأقوال والآراء والتهم التي وجهت للأفشين من أجل الاطاحة به والقضاء عليه وإن تكررت ولكن من الصعوبة تصديق قيام تفاهم بين بابك والأفشين ، وعلى ماذا ؟ على إعادة الكسروية والمجوسية ؟ وكلنا يعلم أن المزدكية خاصمت الكسروية والديانة الزرادشتية ، فكيف يسعى الخرميون لإعادة ذلك والخرميون متطورون عن المزدكية ؟ فلا يمكن قيام تفاهم بين بابك والأفشين حيث كانا على طرفي نقيض ، لقد تكونت لدى الأفشين (الذي هو تركي وليس إيرانياً) مطامح وميول في السيطرة وقد يكون إسلامه ضعيفاً ويرغب في العودة الى دينه السابق ولكن اتفاق الثلاثة على إعادة مجد الأكاسرة والديانة المجوسية لا يمكن قبوله ، أما مكاتبات المازيار الى بابك والأفشين وإن أنكرها المازيار نفسه فيمكن قبولها ، وكان الدافع له في ذلك توطيد حركته . متى بدأت الحركة ؟ وأين ؟ هنالك اختلافات في المصادر عن تأريخ الحركة فالبلاذري يقول عن المازيار إنه قام (بعد ست سنوات وأشهر من خلافة «المعتصم»)^(١١٣) ، أي في عام ٢٢٤هـ - ٨٣٩م ، ويذكر عنه أنه ضرب بالسياط فلما رفعت السياط عنه مات فصلب بسر من رأى مع بابك الخرمي وذلك سنة ٢٢٥)^(١١٤) . ولا يشير الدينوري الى

السنة ولكنه يذكر أنه قام في طبرستان (حتى قتله وصلبه الى جنب بابك)^(١١٥) ولا شك في أن المقصود الى جانب خشبة بابك وليس في زمن واحد حيث صلب بابك في عام ٢٢٣ هـ . أما اليعقوبي فيذكر روايتين يعتبر المازيار أولاً انتفض في عهد الإمامون^(١١٦) وفي الثانية في عهد المعتصم ويقول فيها (... وقدم به سنة ٢٢٦ فضرب بالسياط حتى مات وصلب الى جانب بابك)^(١١٧) ، ، أما الطبري فيعتبر الانتفاضة في طبرستان فقط وبدأت في عام ٢٢٤ هـ^(١١٨) ويعتبر وفاته تحت السياط سنة ٢٢٥ هـ^(١١٩) ، أما المسعودي فيذكر في عام ٢٢٥ هـ صلب المازيار الى جانب بابك^(١٢٠) ، وأما البغدادي فلا يذكر السنوات وقد ذكر جرجان كميدان لحركة المازيار بالإضافة الى ذكره طبرستان . يقول البغدادي (وأما المازيارية منهم فهم أتباع مازيار الذي أظهر دين المحمرة بجرجان)^(١٢١) وله أيضاً (وكانت فتنة مازيار قد عظمت في ناحيته الى أن أخذ في أيام المعتصم وصلب بسر من رأى بحذاء بابك الخرمي)^(١٢٢) . ويظل البغدادي يصر على ذكر جرجان فعند كلامه عن المتأخرين من الخرمية يقول (واتباع مازيار اليوم في جبلهم أكرة من يليهم من سواد جرجان)^(١٢٣) ، ثم يعود فيذكر طبرستان مع جرجان وذلك عند كلامه عن عبد الله أخي بابك) ثم أخذ أخوه اسحاق وصلب ببغداد مع مازيار صاحب المحمرة بطبرستان وجرجان)^(١٢٤) . وقد وقع البغدادي في أخطاء كثيرة هنا فقد أورد النص على شكل يظهر فيه اسحاق كأنما هو أخو بابك ، بينما اسحاق هو أمير بغداد الذي عهد اليه صلب عبد الله كما مر بنا ، ثم يذكر ان المازيار صلب في بغداد وكل المصادر تشير الى صلبه في سامراء ، ان جملة (أخذ أخوه اسحاق) لا يمكن أن تعني سوى أن اسحاق هو أخو بابك لأن الفعل صيغ على هيئة المبني للمجهول ولهذا يتعذر اعتبار اسحاق فاعلاً وكان الصحيح أن يكتب وأخذ أخاه اسحاق . لقد انفرد البغدادي بجعل جرجان ميداناً لفعاليات المازيار وأظنه حسب محاولة غزو جرجان من قبل اتباع المازيار ، والتي لم يكتب لها النجاح كما يوضح الطبري^(١٢٥) ، حسب ذلك توسعاً لفعاليات المازيارية حتى شملت جرجان ، ولوجود بقايا الخرمية (المحمرة) والذين لعبوا دوراً نشطاً من خرمية طبرستان فيما مضى غير أنهم لم يستطيعوا الانضمام الى خرمية طبرستان ابان انتفاضة المازيار . لقد أخذ باقوال البغدادي كل من

يامبولسكي^(١٢٦) والدوري^(١٢٧) وبونيياتوف^(١٢٨) ، ولكنني لا أميل الى الأخذ به لأن غالبية المصادر ذكرت طبرستان دون غيرها ميداناً للحركة ، إلا الذهبي ، وهو من المتأخرين ، فقد ذكر جرجان^(١٢٩) أيضاً ، ولأن عبد الله بن طاهر والي خراسان الدائم كان قد سارع في إرسال جيش الى حدود طبرستان ليمنع قوات المازيار من التوغل في الأراضي الجرجانية ، لأنه كان يخشى من انتشار الحركة بين محمرة جرجان حيث كانوا بعدد يحسب له حسابه . ولقد وفق في صد القوات الزاحفة نحو جرجان وأوقفها عند الحدود كما يروي ذلك الطبري : (ثم وجه مازيار أخاه فوهيار الى مدينة طميس وهي على حد جرجان من عمل طبرستان فخرّب سورها ومدينتها... ثم توجه بعد ذلك الى طميس سرخاستان وانصرف عنها فوهيار فلحق بأخيه المازيار... وانتهى الخبر الى عبد الله بن طاهر والي المعتصم فوجه اليه عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب وضم اليه جيشاً كثيفاً يحفظ جرجان وأمره أن يعسكر على الخندق الذي عمله سرخاستان في طميس الى البحر على الحدود بين طبرستان وجرجان ، فنزل الحسن بن الحسين معسكراً على الخندق الذي عمله سرخاستان وصار بين العسكرين عرض الخندق)^(١٣٠) .

من المصادر المتقدمة نعلم أن الانتفاضة كانت قصيرة الأمد حيث اتفقت غالبية المصادر على أن عام ٢٢٤هـ هو بداية الانتفاضة وأن المازيار صلب في سامراء بعد أن مات تحت السياط في عام ٢٢٥هـ ، ولا شك في أن المازيار لم يحسن توقيت انتفاضته إذ أنه لو قام بها في سنوات سابقة أيام كانت جهود الخلافة كلها موجهة للقضاء على الانتفاضة البابكية في أذربيجان لربما كانت الظروف مواتية له أكثر من التاريخ الذي قام به ، هذا الى أن المازيار لم يكن زعيماً روحياً أو رئيساً لفرقة الخرمية في طبرستان كما كان بابك ، وإنما كان أميراً ذا مطامح في التحرر من نفوذ السلطة استخدم حقد الخرمية على الاقطاع والسلطة ، لهذا لم يكن هنالك تجاوب روحي تام بينه وبين الجماهير المنضمة الى حركته . إن استغلاله حقد خرمية طبرستان وقيادته لانتفاضة الفلاحين الخرمية وتشجيعه لبابك قد أوحته مصالحه الشخصية ، وإلا فبماذا يبرر تفاهمه مع الأقشين والذي هو عدو الخرمية وعدو الجماهير المنتفضة سواء في شمال أفريقيا بما فيها مصر أم في ايران وأرمينيا وأذربيجان ، أليس هو الذي قضى على

الانتفاضة البابكية ؟ . وما كان الأفشين مخلصاً أبداً لقضايا الجماهير وإنما كان في اتفاه مع المازيار يسعى لأغراضه الشخصية . لقد قاد المازيار الحركة الفلاحية وشجع الفلاحين على قتل ونهب أملاك الاقطاعيين من أجل تحطيم ركائز السلطة والقضاء على الخطر الذي يهدده من الخلف . إن المازيار وإن قاد حركة فلاحية اجتماعية سعت الى تحرر الفلاحين من ربقة الاقطاعيين إلا أن تلك الحلول بالنسبة له كانت وسائل لتحقيق أغراضه لا غايات يسعى لها من أجل تحقيق أهداف جماعته ، ولهذا وجدنا تقاعس الفلاحين وترددهم وعدم مشاركتهم بصورة جماعية ، ولهذا كان عمر الانتفاضة قصيراً . أما السبب الذي أدى الى قيام المازيار بالانتفاض حسب رأي المصادر فإنه كان يطمح بالتخلص من نفوذ السلطة ويكره ويحسد آل طاهر ولاة خراسان ، حيث كان يتبعهم مباشرة ، ولهذا استنكف عن تحويل الضرائب السنوية الى خراسان ، وبدأ بتوجيهها الى العاصمة . إلا أن المعتصم كان يعيدها من منتصف الطريق الى عبد الله بن طاهر والي خراسان ، مما كان يثير حقد عبد الله على المازيار حتى إذا اطمأن الى الأفشين وشجعه هذا الأخير انتفض . ولم تشر المصادر الى تعاضم جور الاستغلال الاقطاعي ، والذي ادى الى اشتداد حقد المستغلين ونفرتهم من التسلط ، وكان المازيار بين أمرين : إما الوقوف مع الارستقراطية المساندة للسلطة ، وإما مع الجماهير ، فمال الى استغلال حقد الجماهير وتحويله لمصلحه .

علاقة منكجور الفرغاني خال ولد الأفشين بالبابكية:

في العام الذي انتفض فيه فلاحو طبرستان بقيادة المازيار حصل تمرد منكجور الفرغاني وكيل الأفشين على أذربيجان . وكان الأفشين قد عُين والياً على أذربيجان ، وبعد أن تم اخماد الانتفاضة البابكية قفل راجعاً الى العراق واصطحب معه بابك وبقيّة الأسرى بعد أن وضع يده على جميع خزائن وأموال البابكية وترك منكجور الفرغاني وكيلاً عنه على ولاية أذربيجان ، وبعد عامين (٢٢٤هـ / ٨٣٩م) تمرد منكجور على الخلافة ، وقد انضمّت اليه فلول الحرورية التي نجت من الموت وأفلتت من الأسر ولم يكن انضمام بقايا البابكية لتمرّد منكجور بسبب تأييدهم له وموافقتهم لنهجه ومطلبه ولكن - كما يخيل لنا - انضموا بدافع أخذ الثأر وبسبب تعاضم حقدهم على ازدياد

الجور والتعسف . أما اسباب تمرد منكجور فهناك روايتان ، يذكر اليعقوبي (وكان أول سبب حبس الأفشين أن منكجور الفرغاني خال ولد الأفشين وخليفته بأذربيجان خلع هناك وجمع اليه أصحاب بابك وسار الى ورثان فقتل محمد بن عبيد الله الورثاني وجماعة من أولياء السلطان ، فقال المعتصم للأفشين أحضر منكجور فوجه اليه المعتصم بأبي الساج المعروف بديوداذ في جيش عظيم ثم بلغ المعتصم أن منكجور إنما خلع بأمر الأفشين وإنما وجه اليه بأبي الساج مددا ، فوجه محمد بن حماد على البريد ووجه بغا التركي فحارب منكجور فطلب الأمان فأعطى وجيء به الي سامراء» (١٣١) ، فاليعقوبي لم يوضح بدقة سبب تمرد منكجور وإنما عزاه الى الأفشين وأن الخليفة سخط عليه لما قتل محمد الورثاني وجماعة الخليفة في مدينة ورثان . أما الرواية الثانية التي يرويها الطبري تقول « خالف منكجور الاشروسني قرابة الأفشين بأذربيجان... فأصاب في قرية بابك في بعض منازلها مالا عظيماً ، فاحتجزه لنفسه ولم يعلم به الأفشين ولا المعتصم ، وكان على البريد بأذربيجان رجل من الشيعة يقال له عبد الله بن عبد الرحمن فكتب الى المعتصم بخبر ذلك المال وكتب منكجور يكذب ذلك ، ف وقعت المناظرة بين منكجور وعبد الله بن عبد الرحمن حتى هم منكجور بقتل عبد الله بن عبد الرحمن ، فاستغاث عبد الله بن عبد الرحمن بأهل أردبيل فمنعوه مما أراد به منكجور فقاتلهم وبلغ ذلك المعتصم فأمر الأفشين أن يوجه رجلاً بعزل منكجور ووجه رجلاً من قواده في عسكر ضخم فلما بلغ منكجور ذلك خلع وجمع اليه الصعاليك وخرج من أردبيل فرآه القائد فواقعه فانهزم» (١٣٢) يجعل الطبري سبب الخلاف هنا هو عثور منكجور على اموال وامتناعه عن تسليمها . هاتان الروايتان وإن اختلفتا بالاسباب لكنهما صورتا حقيقة الوضع المتردي في أذربيجان . وإن انضمام البابكية للمتمرد الفرغاني عكس التذمر الشعبي ودل على أن انتصار الخلافة على بابك لم يمهز النزاع ولم يضع حداً لسخط الجماهير على الاستغلال والارهاق .

نهاية الافشين:

ارتبط اسم الأفشين بالانتفاضة البابكية حيث تم على يده - كما مر بنا - سقوط البند وأسر بابك ، ولأن لنهايته علاقة بالانتفاضة البابكية ، لا بد لنا أن نطلع على

نهايته . حُكِمَ الأفشين متهما بالزندقة والاحاد وبسرقة الاموال التي وضع يده عليها بعد احتلال البذ وبالخيانة بممالأته بابك وتهاونه مع وكيله على أذربيجان منكجور وتشجيعه للمازيار على الانتفاض . ولم يشفع له إخلاصه ولا حسن بلائه في الحروب التي قادها ظافراً منتصراً سواء في إخماده الانتفاضات الجماهيرية في شمال افريقيا بما فيها مصر أو في أذربيجان أو في حروبه مع الروم ، فقد حُكِمَ عليه بالحبس ومات في سجنه وصلب وأحرقت جثته^(١٣٣) وانتهى نتيجة صراع الارستقراطية الملتفة حول القصر . يقول الدينوري « ثم أن أحمد بن أبي داود وَجَدَ على الأفشين لكلام بلغه عنه فأشار على المعتصم أن يجعل الجيش نصفين نصف مع الأفشين ونصف مع اشناس وفعل المعتصم ذلك فَوَجَدَ الأفشين منه وطال حزنه واشتد حقه»^(١٣٤) . ونتيجة أطماعه الشخصية فقد أثار خصماً عنيداً هو عبد الله بن طاهر والي خراسان ، ويرجع الطبري الخصومة بينهما الى أيام حروبه في أذربيجان .^(١٣٥) وكان في اطماعه يمثل بداية محاولات تسلط الامراء الاتراك وقد اشار الذهبي « وخافه أيضاً المعتصم»^(١٣٦) . ولم يكن الأفشين ليعدم منافسين له من بين الاتراك أنفسهم . ولقد أبدى ملاحظته حينما اقتاده بغا الكبير الي السجن حيث قال « قد كنت أتوقع هذا منكم قبل اليوم»^(١٣٧) . ويشير ليفي الى أن الأفشين « قد أثار غيرة منافسيه وعداوتهم فعملوا على إسقاطه باتهامه بالزندقة»^(١٣٨) قام بمحاكمة الأفشين جماعة على رأسهم أحمد بن داود ومحمد بن عبد الملك الزيات . وقد وجهت اليه تهمة عديدة وجوبه بشهود عديدين منهم المازيار صاحب طبرستان والموبذ والمرزبان بن تركش ، أمير من الصغد ، ومسلمين من الصغد أحدهما مؤذن المسجد والآخر إمام فيه . ويفصل الطبري المحاكمة^(١٣٩) وملخصها : سأل محمد بن عبد الملك الزيات الأفشين عن سبب جلده لإمام ومؤذن جامع الصغد ، فأجاب الأفشين بأنه ضرب كل واحد منهما ألف سوط (الرقم مبالغ فيه كثيراً) لأنهما بنيا مسجداً بأشروسنه ، وبينه وبين ملوك الصغد عهدٌ وشرطٌ أن يترك كل قوم على دينهم . سأل محمد عن سبب احتفاظه بكتاب الحاد مزين بالذهب والجواهر والديباج . أجاب الأفشين بأنه ورثه عن أبيه وكان يعني بأدبه ويهمل كفره ، وكان في غنى عما فيه من الجواهر ، ثم طعن بشهادة الموبذان (الذي ذكر بأن الأفشين كان يأكل المخنوقة وهو غير مطهر) ، وقال عنه بأنه لم يكن ثقة .

ولما تقدم المرزبان بشهادته التي جاء فيها أن الأفشين كان يستلم رسائل الاشروسيين التي يبدؤونها الى الاله من عبده فلان بن فلان ، صرخ محمد بوجه الأفشين : فماذا أبقيت لفرعون ؟ فأجابه الأفشين : هذه عادة القوم لأبي وجدي من قبل ولي قبل أن أدخل الإسلام فكرهت أن أضع نفسي دونهم فتفسد علي طاعتهم . ثم جيء بالمازيار وسئل عن الرسائل المتبادلة بينهما فأنكرها المازيار ولكنه قال بأن خاش أخوا الأفشين كتب الى أخي قوهيار (لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك... ويعود الدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم)^(١٤٠) فاستغرب من تحمله مسؤولية رسالة بين أخويهما وحتى لو صدرت منه فهي وسيلة لاستدراج المازيار . وتوجه بالسؤال الأخير اليه أحمد بن أبي داود فسأله أمظهر أنت ؟ فأجاب بالنفي . فسأله أحمد ولكن ذلك يكمل إسلامك ؟ فأجاب أن الذي منعه من ذلك هو الخوف . وقال فيما بعد أنه خشي أن يقول نعم فلا يصدق وتكشف عورته . وبعد أن طرح أحمد سؤاله الأخير أعلن للحكام : قد بان لكم أمره . يا بغا عليك به فضر ببيده بغا على منطقته فجذبها^(١٤١) ولم يسأل الأفشين عن ممالأته لبابك أو تهاونه مع منكجور . ولكن المؤرخين يوجهون هذين الاتهامين اليه في مناسبات عديدة ويروي الطبري رواية عن محاولة الأفشين لسم المعتصم أو كبار القواد الاتراك في وليمة يعدها لذلك الغرض^(١٤٢) . ولقد صورها ابن اسفنديار في كتابه تاريخ طبرستان وأشار الى أن المازيار أعلم عبد الله بن طاهر بقرب نهاية المعتصم على يد الأفشين ولما سقاه كثيراً من الخمر وسكر ذكر تفاصيل المؤامرة^(١٤٣) . ولكن طابع الاختلاق فيها واضح ، إذ كيف تسنى للمازيار أن يعرف نوايا الأفشين واليوم الذي ستم فيه المؤامرة كما وأنه يسمي أولاد المعتصم بالقابهم (الوائق والمتوكل) مع العلم بأن اللقب لقبوا بها عند توليهم الخلافة أي بعد ممات المازيار^(١٤٤) . لا يستبعد ضعف ايمان الأفشين بالاسلام ولا مجال لنكران مطامحه ومساهمته مع ارستقراطيين في دس الدسائس بناء على تنافس الارستقراطيات الثلاث (العربية والایرانية والتركية) وتشجيعه للمازيار على الانتفاض ومنكجور الفرغاني على التمرد ولكن ممالأته لبابك لا أساس لها من الصحة وإن وردت في كثير من المصادر العربية كما مر بنا - ونورد على سبيل المثال اقوال البغدادى في الأفشين : «واتهم أفشين الحاجب بممالأة بابك في حربه وقتل لأجل

ذلك .»^(١٤٥) ، وذكروا أنه دخل في دعوتهم (الخرمية) الأفشين صاحب جيش المعتصم وكان مراهناً لبابك الخرمي... وأخرج الخليفة لقتالهم الأفشين فظنه ناصحاً للمسلمين وكان في سره مع بابك وتوانى بالقتال معه ودله على عورات عسكر المسلمين وقتل الكثيرين منه... ولما قُتِلَ بابك ظهر للخليفة غدر الأفشين وخيائته للمسلمين في حروبه مع بابك فأمر بقتله وصلبه فصولب لذلك»^(١٤٦) . ولقد بينا في حينه خطأ هذه الآراء وأن الأفشين كان جاداً في حربه مع بابك وأن الظروف الطبيعية والمناخية وقمرس الخرميين في القتال بمنطقهم الوعرة قد أجبرت الأفشين على التواني كما وأن المعتصم أنعم على الأفشين بأعظم التقدير والتبجيل وأمر الشعراء بمدحه . يذكر الطبري «فتوح المعتصم الأفشين وأنبسه وشاحين بالجواهر ووصله بعشرين ألف ألف درهم (عشرين مليوناً) منها عشرة آلاف الف صلة وعشرة آلاف درهم يفرقها في أهل عسكره . وعقد له على السند وأدخل عليه الشعراء يمدحونه»^(١٤٧) . ويقول المسعودي «وتَوَجَّ الأفشين بتاج من ذهب مرصع بالجواهر واكليل ليس فيه من الجواهر الا الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر قد شبك بالذهب ، وألبس وشاحين وزوج المعتصم الحسن بن الأفشين بأترجة بنت اشناس وزفت اليه»^(١٤٨) . فلا يعقل أن يكرم المعتصم الأفشين بعد تهادنه أو تعاونه مع عدوه بابك . وقد يقال إن ذلك التعاون ربما كان في الخفاء ، ولكن ألم يكن للخليفة العيون والأرصاد ؟ وهؤلاء منبثون بين الجند والثوار ويخبرون الخليفة بكل شيء . ولم لم يرد ذكر الخيانة في المحاكمة ؟ إن ابن أبي داود وابن الزيات وغيرهم لم يشيروا الى تعاونه مع بابك . لكن ذلك الاتهام جادت به قرائح المؤرخين لتبرير الحكم أكثر . إن السبب المباشر والحقيقي هو تنافس الارستقراطيين المتنافسين حول القصر ومعاداة آل طاهر ولأطماع الأفشين وتخوف المعتصم من تعاظم نفوذ الأفشين كما قال الذهبي «وخافه أيضاً المعتصم»^(١٤٩) .

أثر الانتفاضة البابكية في النظام الاجتماعي والسياسي للخلافة

إن الانتفاضة البابكية ، التي دامت عشرين عاماً ، لم تستطع ، شأنها شأن باقي انتفاضات الخرمية ، وكل انتفاضات مجتمعات العبودية والاقطاع ، أن تضع حداً للاستغلال وذلك لعدم نضوج الشروط الضرورية لمثل هذا الأمر ، فمستوى الانتاج لم يكن يسمح بعد بالانتقال الى نظام خال من الاستغلال والاضطهاد ، لأنها كانت

تفتقر الى التنظيم . ولم يكن لدى المنتفضين أنفسهم إدراك واضح لا لأهداف النضال ولا لطرق تحقيقها . فلم يكن المنتفضون في تلك العهود يملكون نظرية تقدمية تنير طريقهم في النضال ولا حزباً . وهذان الشرطان الأخيران تكونا فقط في عهد الرأسمالية(*) . ولكن الانتفاضة البابكية لم تمر كسحابة عابرة في سماء الخلافة العباسية دون ان تحدث تأثيراً ، بل إنها تركت أثراً جسيماً في النظام الاجتماعي والسياسي معاً إذ أنها زعزعت كيان الخلافة وكبدتها الخسائر الفادحة في الأموال والأرواح ، والتي تضاربت اقوال المؤرخين في تقديرها بين ربع مليون الى مليون قتيل ، مما أضعف معنوياتها وأهبط سمعتها فتقلص نفوذها المركزي على الأطراف مما شجع الأمراء الارستقراطيين على الاستقلال المحلي ، كالطاهريين ، كما وتشجع الاتراك ، فيما بعد ، على التناول على شخص الخليفة ، بل أن المعتصم خشي من زعماء الاتراك وكان قد خشي الأفشين كما مر بنا .

نشوء وتوطد الامارات الاقطاعية وتطور الاقطاع،

واكبنا - سابقاً - مسيرة الاقطاع ونموه ، وقلنا إن عدم تطور الاقطاع بوتائر أسرع كان يعود الى عدم اكتمال شروط التملك الاقطاعي للارض وهذا يرجع عدا العوامل الطبيعية وطريقة الارواء ، الى قوة السلطة المركزية والى غياب الأمراء الاقطاعيين عن أراضيهم وسكناتهم في العاصمة ، غير أن هذه الحال لم تدم بعد تعرض الخلافة للهزة العنيفة التي حلت بها من جراء الحروب المهلكة التي خاضتها لاختماد الانتفاضة البابكية . فقد أظهرت الخلافة طيلة عشرين عاماً عجزها عن القضاء على بابك بل كانت جيوشها في أغلب الأحيان تنهزم أمام قوات البابكيين مما ترك انطباعاً سيئاً حول مقدرة الخلافة وزعزع هيبتها لدرجة تجرأ فيها الكندي على الطعن بمقدرة الجيوش العباسية والتهكم عليها نتيجة انتصارات جيوش بابك عليها . ولهذا وجدت الامكانات الطبيعية لتقليص الارتباط بالمركز . ومهما عد المؤرخون والباحثون عصر المأمون من العصور الزاهية العظيمة فإن في ذلك العصر بالذات نشأت الامارات الاقطاعية نتيجة ضعف السلطة المركزية في بغداد حيث نشأت الإمارة الطاهرية في

(*) ف . افناسييف ، أسس الفلسفة الماركسية ، ترجمة عبد الرزاق الصافي ، بيروت ، ص ٢٢١ .

خراسان والمازارية في طبرستان وبعد وفاته (المأمون) بطريقية سهل بن سنباط في أران . ولم يغير انتصار الخلافة على بابك من الموضوع شيئاً ، فإن هيبة الخلافة السابقة ونفوذها السابق لم يعودا إلى الوجود . يذكر مينورسكي « بالرغم من إعدام بابك فإن احتلال العباسيين للقفقاز قد ضعف تدريجياً كما ظهر من تطور الابتعاد عن السلطة المركزية في العائلة الساجية »^(١٥٠) . ويعزو خدابخش نجاح الطاهريين في جعل الولاية وراثية في أسرهم في عهد المأمون إلى السياسة وليس إلى القوة^(١٥١) ، ولكن فات خدابخش أن الخلافة كانت مكرهة على قبول إمارة الطاهريين وأن لا سبيل لها في إزاحتهم لضعفها فلم يحتاجوا للقوة .

تسلط الأتراك على الخلفاء:

كان الصراع بين الارستقراطيتين العربية والایرانية قد بلغ أوجه في الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون . وانعكس هذا الصراع على الجيش العباسي فلم يأمن المعتصم الاعتماد على الجيش المؤلف بصورة رئيسة من العرب والایرانيين ومعهم البربر وأسرى الحروب ، والذي انقسم على نفسه وقل احترامه لرؤسائه وفقد الثقة بنفسه ، نتيجة الانكسارات والانحدارات والهزائم المتلاحقة في الجبهة الأذربيجانية مع الخرميين ، ولجهل غالبية افراد الجيوش العباسية الحرب في الجبال دفع المعتصم إلى ان يستعمل غلمانه الأتراك الذين كان قد استجلبهم لاستخدامهم كرقيق وحرس له ، دفعته الاسباب الأنفة إلى ان يستعمل غلمانه الأتراك ويزج بهم في حروب أذربيجان ضد بابك ، وكانت براعتهم في قتال الجبال وقرسهم فيها خير معين لهم في كسب المعارك ، وكانت هزيمة بابك وانتصار القادة الأتراك المساهمين في الحملة وعلى رأسهم الأفشين قد تركا لديهم انطباعاً بأن لهم الفضل وحدهم في ذلك الانتصار الحاسم . يضاف إلى ذلك مساهمتهم في فتح عمورية فتكونت لديهم دالة على الخلافة وبدأوا يساهمون في الخصومات الدائرة بين الارستقراطيين الملتفين حول القصر ، كاشتراك البعض منهم في مؤامرة العباس بن المأمون ضد المعتصم^(١٥٢) ، كما وأن القضاء على الأفشين كان بسبب التنافس على النفوذ . ولئن ذهب الأفشين ضحيتها فان البقية لم يكفوا عن النشاط والمساهمة في الخصومات والدسائس والمكائد البلاطية حتى استطاعوا ان

يكونوا لهم نفوذاً بارزاً ويلعبوا دوراً رئيساً في تعيين وعزل الخلفاء وسمل أعينهم وقتلهم حتى غدا الخلفاء ألعبوبة بأيديهم وحتى تنذر عليهم الشعراء فقالوا :

خليفة في قفص بين وصيف وبغفا
يقول ما قال له كما تقول الببغا

وقال دعبل في ذم المعتصم :

لقد ضاع أمرُ الناسِ حيث يسوسهم وصيفٌ واشناسٌ وقد عَظُمَ الخطبُ
وإني لأرجو أن ترى من مغيبها مطالعُ شمسٍ قد يَغصُّ بها الشربُ
وهمك تركي عليه مهانةٌ فأنْتَ له أم وأنتَ له أب (١٥٢)

ويقول شاعر الزط :

قاستنصروا العبد من أبناء دولتكم من يازمان ومن بلج ومن توز
ومن شناس وأفشين ومن فرج المعلمين بديجاج وإبرز (١٥٤)

ويشير خدابخش الى أن بداية سيطرة الأتراك على جيش الخلافة كانت واحداً من الأسباب الكثيرة التي أدت الى سقوط الدولة العباسية (١٥٥) . وإلى هذا المعنى أشار الدوري (١٥٦) . ولم يقتصر ضرر تقريب الأتراك على الخلفاء وحدهم بل سبق وأن لحق جماهير بغداد أذى هؤلاء الجفاة ، فيذكر ابن الطقطقي « وقيل إن المعتصم استكشر الممالك فضاقت بهم بغداد وتأذى بهم الناس وزاحموهم في دورهم وتعرضوا بالنساء » (١٥٧) .

ومن آثار الانتفاضة العميقة في الحياة السياسية للخلافة :

انقسام الامبراطورية الإسلامية العظيمة اثناء وبعد انتهاء الانتفاضة:

قبل مجيء المأمون كانت الخلافة العباسية امبراطورية شاسعة مترامية الأطراف لم

يخرج من حوزتها إلا الأندلس (شبه جزيرة ايبيريا) وكانت تمتاز بقوة السلطة المركزية وبهيبة السلطان . ولكن الحروب المستمرة التي خاضها الخرميون والمكلمة بالانتصارات دوماً أضعفت قوة السلطة المركزية فبدأت تظهر الامارات الاقطاعية الوراثية المستقلة في الولايات حيث نشأت الطاهرية (٨٢١ - ٨٧٣م) في أثناء الاندحارات والهزائم التي منيت بها الخلافة ، وبالرغم من تمكنها أخيراً من الاجهاز على بابك إلا أن تأثير الانتفاضة ظل يعمل في زعزعة نفوذ السلطة المركزية ، وهكذا نشأت الامارة الصفارية (٨٧٦ - ٩٠٣م) والسامانية (٨٧٥ - ٩٩٨م) والغزنوية (٩٦٢ - ١١٨٦) في الجهات الشرقية من الخلافة وال طولونية (٨٦٨ - ٩٠٥) في الجهات الغربية من الخلافة (مصر) . ولا يخفى أن نشوء هذه الامارات الأرسقراطية الوراثية كان مرجعه ضعف نفوذ الخلفاء وتقليص سلطانه في الاطراف بسبب عجزهم عن مقاومة الانتفاضة الخرمية في حينه ، ولهذا فنشوء الامارات هو أسلوب لتطور الاقطاع ونمو اللامركزية . ولم تعد عاصمة الخلافة سامراء أو بغداد ، فيما بعد ، لتغري الطامعين من الأمراء على المكوث فيهما والتردد على السلطان ، بل أخذ هؤلاء يتوجهون الى الأطراف لتكوين كيانات مستقلة لها عواصمها وجيوشها ونفوذها مكتفية بالاعتراف الاسمي بسيطرة الخلافة ، اما من الناحية الفعلية فلم يكن للخلافة أي نفوذ عليها . ولقد شجع هذا الاستقلال على تطوير الاقطاع بوتائر أسرع مما كان عليه في بداية العصر العباسي الأول .

سقوط هيبة الخلافة:

كان للخلافة قبل الانتفاضة سمعتها وقديستها وهيبتها لدى الشعوب وكان اسم الخلافة يتردد بهيبة وخشوع ، ولئن تعرضت الخلافة العباسية الى انتفاضات وتمردات وحروب واسعة إلا أن سمعة الخلافة وجلال السلطان ظلا مرتفعين . ولئن هددت الانتفاضات والحروب أمن الخلافة وسلامة البلاد بالخطر فإن هيبة الخلافة ظلت محافظة على مكانها المرموق . إلا أنه في الانتفاضة البابكية لم تتعرض سلامة الخلافة للخطر فقط ، بل ارتعش جلال السلطان وسقطت هيبة الخلافة من عليائها من جراء تخاذلها

وعجزها عن كسب المعارك مع المنتفضين رغم توفر الامكانيات الواسعة لديها ، وقد ولد عجز الخلافة عن احراز النصر انطباعاً سيئاً لدى الشعوب نجم عنه استصغار شأن الخلافة وعدم المبالاة بسلطانها وسطوتها وهذا ما جرأ الكندي المسيحي على أن يقف في بلاط المأمون وأمام علماء المسلمين ليتناول على أقدم ما يعتز به المسلمون ، وكانت حججه الدامغة انتصارات بابك نفسها وعجز جيوش المسلمين عن الوقوف أمامه . يقول الكندي : لو كان الله مع المسلمين والمسلمون على حق فلماذا ينصر الله بابك الكافر؟^(١٥٨) ، وبمرارة وأسى أبلغ المأمون أخاه المعتصم بأن يبذل قصارى جهوده لإعادة هيبة الخلافة وذلك بالقضاء على الخرمية ، ولم يكن المعتصم بحاجة الى من يوصيه بخطر الانتفاضة البابكية وتأثيرها البالغ في هيبة الخلافة وما تسببه من تنامي فرص التخلص من نفوذ السلطة المركزية لدى الأطراف ، وأن استقلال الامارات الوراثية دليل على فقدان الخلافة لهيبتها وسلطانها . لقد فكر المعتصم بكل شيء واستخدم جل طاقاته للقضاء على الانتفاضة ولم ييخل بمال أو أي شيء . يقول الذهبي : «وقد أنفق المعتصم بيوت الأموال في حرب هذا (يقصد بابك)»^(١٥٩) . لقد أراد أن يستعيد هيبة الخلافة وجلال السلطان بأي ثمن ، ولكنه وإن حقق النصر على بابك فإنه لم يستطع أن يعيد للخلافة رونقها وصيتها وجلالها . لقد فقدت ذلك الى الأبد . وكان هؤلاء الغلمان الاتراك الذين استخدمهم للقضاء على الانتفاضة قد أجهزوا على ما تبقى من هيبة مهلهلة متداعية ، فكان تسلط الاتراك على الخلفاء الضربة القاضية التي سددت الى سمعة الخلافة المتدنية .

ولئن تيسر للخلافة بعدئذ الفرصة لأن تتظاهر بالوقوف على قدميها ، ولو على وهن ، فإنها دون شك لم تعد ذلك الجبار المارد المهيب الذائع الصيت وإنما أصبحت كياناً هزياً وأهياً معتمدة على ما لها من سابق عز ومجد ، فلها لم يبق للخلافة بعد خروجها من الانتفاضة البابكية وما رافقها من إرهابات ، لم يبق لها رونقها وصيتها المجلجل المدوي .

بقايا الخرمية:

هل قضي على الخرميين عند القضاء على الانتفاضة بابك بعد سقوط البند ؟ هل

ركدوا وسكنوا؟ أم حافظوا على تقاليدهم الثورية؟ يخبرنا اليعقوبي عن انضمام الخرمية بعد عامين من سقوط البذل إلى تمرد منكجور الفرغاني^(١٦٠)، وما كان انضمامهم إلى هذا التمرد الذي يخالفونه في العقيدة والأهداف إلا لطلب الثأر ومقاومة التعسف والاستغلال. وفي الرسالة الثانية لأبي دلف الذي سافر وتجول في تلك المناطق بين ٣٣١ - ٣٤١ هـ / ٩٤٢ - ٩٥٢ م يرد كلام عن جبل البذل (وفيه تعقد اعلام المحمرة المعروفين بالخرمية ومنه خرج بابك وفيه يتوقعون المهدي...) ^(١٦١)، ولقد ذكر المسعودي أنه زار مناطق الخرمية - والتي ذكرناها في مناسبات سابقة - في عام ٣٣٢ هـ (أي بعد مائة وعشرة أعوام من سقوط البذل) فوجد أكثر هؤلاء الخرمية في القرى والضياع وسيكون لهم عند أنفسهم شأن وظهور يراعونه وينتظرونه في المستقبل من الزمان الآتي^(١٦٢). كما أن المقدسي المتوفى ٥٠٧ هـ ذكر بأنه زارهم في مناطقهم وشاهدهم وناقشهم^(١٦٣) فمن هذه الاخبار نعلم أن الخرمية ظلوا بعقائدهم وآرائهم. وإذا لم يكتب للانتفاضة البابكية، رغم عمقها وشمولها واتساع ميادينها واستطالة فترات أزمانها، إذا لم يكتب لها النجاح لاسباب موضوعية وذاتية لاحظناها، وإذا لم تستطع، شأن كل الانتفاضات والثورات التي قامت في عهود الرق والاقطاع، أن تضع حدا للاستغلال، فإن هذه الانتفاضة الواسعة لم تفقد، ولا شك، التأثير الكبير المدوي الذي لازمها فجأة وإنما تناقص ولا ريب ذلك التأثير الذي كان لها تدريجياً وخلال عدة قرون. إذ لا يمكن قلع جذور حركة اجتماعية من محيطها بمجرد كسب معارك حربية على معتنقي مبادئها، ولهذا ظلت الخرمية وظل أنصارها لأحقاب وإن لم يكن لهم ذلك التأثير. ونتيجة عدم الدقة في استخدام التعابير والمصطلحات الحديثة واطلاقها على عهود سابقة لأوانها وقع جوزي في ارتباك فكري حينما يقول: «إن البابكيين غلبوا على أمرهم وماتوا كحزب اشتراكي (؟) إلا أنهم عاشوا إلى أيام سلجوق ومن ورثهم من سلاطين خوارزم كنحلة دينية لا أهمية لها كبرى»^(١٦٤). وعلى النقيض من هذه الأقوال المرتبكة استخلص يامبولسكي عدم فقدان تأثير أي حركة اجتماعية في مسيرة تطور المجتمع. فقد كتب عن نهاية الانتفاضة البابكية: «فشل أي حركة اجتماعية واسعة لا ينهي تأثيرها الجدي في مسيرة تطور المجتمع الذي نمت ونضجت وتوسعت فيه»^(١٦٥)، وهذا ما أكدته الحوادث وما اشرنا إليه سابقاً.

وقد نفت الموسوعة الاسلامية أن تكون نهاية بابك قد وضعت حداً لحركة
الخرمية^(١٦٦) ، وقد أشار بونياتوف الى أن تلك النهاية لا تعني أن جماهير أذربيجان
والمناطق المجاورة قد سكنت وهدأت^(١٦٧) . ويخبرنا جوزي بأن المتأخرين من الخرمية
اضطروا ان يتستروا ويخففوا دعوتهم وأن ينشروها بطرق خفية^(١٦٨) . ويتوصل
يامبولسكي من دراسته للشاعر نظامي^(١٦٩) ، وفي اعتماده على آراء كريمسكي في
تحليل الصوفية^(١٧٠) ، إلى أنه دخل في صوفية أذربيجان الكثير من البابكيين -
الخرميين بعد اندحار الانتفاضة الأذربيجانية^(١٧١) . إن تقوقع الخرمية وتسربلهم
بلباس الصوفية حصل تدريجياً مع ذوبان الروح الثورية لديهم بمرور الزمن ، ولا ريب
أنهم نقلوا معهم الى الصوفية بعضاً من مفاهيمهم الاجتماعية حيث تركت انطباعاتاً او
تأثيراً لدى هذا الشاعر او ذاك .

الخاتمة

لم تكن البابكية - انتفاضة الشعب الأذربيجاني بمغونة شعوب أخرى ضد الخلافة العباسية - وليدة الصدفة ، وإنما هي نتيجة حتمية طبيعية ولها جذورها العميقة في التاريخ . فمن أجل تشخيص أسبابها الحقيقية ودوافعها الرئيسة وأهدافها وبرامجها التي سعت الى تطبيقها تحتم الضرورة دراسة الفرقة الخرمية التي تنتمي اليها البابكية . ولما كانت الخرمية متطورة عن المزدكية اقتضى الأمر دراسة أحوال معتنقي أفكار هذه الفرقة وأهم مبادئها لكي تتوضح المعتقدات والمبادئ ، والبرامج في تسلسلها التاريخي وتطورها الزمني . لأن الانتفاضة البابكية وان كانت انتفاضة فلاحية ضد الجور والاستغلال الطبقي الاقطاعي والتسلط الحكومي ، فإنها اتخذت التعاليم الخرمية الدينية اطاراً ايديولوجياً لها . وكما هو معروف فإنّ المعارضة الثورية ضد الاقطاع كانت تتخذ أحياناً - كما بين انكلز - شكلاً دينياً^(١٧٢) . لقد قامت الانتفاضة البابكية في أذربيجان وفي جزء من أرمينيا وفي الجزء الشمالي الغربي من إيران ، فمن أجل معرفة ظروف وأحوال سكان تلك المناطق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ولأجل دراسة سير تطور أساليب الانتاج وأثر ذلك في تغيير العلاقات الانتاجية ومشاهدة أثر كل ذلك في تغيير بناء المجتمع وتكوينه الاجتماعي والسياسي وتشخيص الصراع الطبقي والمفاهيم التي استغلت في تلك الميادين ، حتمت الضرورة دراسة الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لتلك البلدان قبل وبعد الفتح الاسلامي ومن ثم في العصرين الأموي والعباسي .

نشأت في تلك الاقطار ، بأوقات متفاوتة نسبياً ، بعد انحلال المشاعية ، مجتمعات العبيد ومن ثم مجتمعات الاقطاع ، وقد ظهرت الديانة الزرادشتية في إيران لمساندة الملاك ولتجبيذ الطاعة وخدمة الأسياد فناهضتها المانوية بفرديتها السلبية

وتقشفها وزهدا . وكان المجتمع الإيراني والأذربيجاني والأرمني ، بحكم السيطرة الساسانية ، يئن طيلة عهود مجتمع الرق من الظلم والاستغلال الطبقي المرهق ، فلما بلغت أزمة مجتمع العبيد ذروتها وكانت قد نمت الحرف والتجارة الى جانب الزراعة ، تصدت المزدكية ، التي كانت تعبيراً لأزمة مجتمع العبيد ، تصدت لمحاربة الاستغلال البشع وناهضت الزرادشتية ، دين الدولة الساسانية الرسمي ، المؤيد لتسلط الاشراف . وكان الصراع سجلاً حقق فيه الشعب بفلاحيه وعبيده وكسبته بعض المكاسب وأذعنت الارستقراطية ومعها الملك قباز للواقع ولاقى المقاومون مختلف المصائر من قتل وتشريد ونهب أملاك ، ولكن الارستقراطية التي ضربت مصالحها وولي العهد (كسرى أنوشروان فيما بعد) الحاقده على المزدكية دبروا مؤامرة للقضاء على الحركة المزدكية وبرضى من قباز وتحت علمه فأجهزوا على قسم من المزدكيين ، بضمنهم مزدك ، وأجهز أنوشروان على من تبقى عقب توليه الحكم . لقد نادت المزدكية بمشاعية الأرض الزراعية واحترام مركز المرأة إضافة الى اهتمامها بقضايا فلسفية دينية ، وكانت برامجها الاجتماعية عناصر جذب قوية وسط الفلاحين المعدمين والعبيد والكسبة وفقراء المدن وصغار التجار . ولئن أجهز على الغالبية من معتنقي المزدكية ، فإن المزدكية كفرقة لم تمت وعاشت سرية حيث ظهرت متطورة في العهد الاسلامي باسم الخرمية . لقد ساهمت المزدكية في الاجهاز على عهد الرق وساعدت على نشوء الاقطاع ، وكانت الضرائب التي وضعها أنوشروان وتوزيعه الأراضي على الأشراف ومساعدتهم مالياً نتيجة الحركة المزدكية ، قد ساعدت على الاسراع في نشوء الاقطاع أيضاً .

لقد كانت أذربيجان وأرمينيا وإيران مسرحاً للحروب بين الامبراطوريتين الساسانية والرومانية - البيزنطية وكان المجتمع يئن من نير الاستغلال الاقطاعي الذي نشأ ونما أبان الحركة المزدكية وفي أعقابها . وقد أنهكت الحروب كلتا الامبراطوريتين مما ساعد على تقدم الفتوحات الاسلامية بسرعة . ومن جراء محاولة العرب فرض الارستقراطية القبلية ولطبيعة الأرض ولعوامل المناخ وأثر ذلك في طريقة الارواء وابتعاد الملاك عن أملاكهم فان الاقطاع سار بوتائر أبطأ بالرغم من أن الخلفاء كانوا يقطعون الأرض لاعوانهم ، فلم تظهر الأراضي المكتملة فيها شروط التملك الاقطاعي

حتى نهاية العصر العباسي الأول . ومع ذلك فإن المجتمع كان اقطاعياً ، ومن أجل ذلك تتوجب دراسة الاقطاع ونموه في العهد الاسلامي ودراسة المجتمع وطبقاته الاساسية والثانوية المختلفة ودراسة الضرائب التي هي استمرار لأنظمة الضرائب البيزنطية والساسانية مع بعض التغييرات ، ودراسة معاملة أهل البلد المفتوح الموالي (المسلمين) والذميين (غير المسلمين) . ولقد عانت شعوب تلك البلدان من نير الاستغلال الاقطاعي والجور الحكومي المتمثل بفداحة الضرائب وازديادها على مر الأعوام ، فقد استسلمت المدن على قدر معين وحددت الجزية على الأفراد بالنسبة الى دخولهم ، ولكن الأمويين زادوا في كمية الضرائب على المدن وعلى الأفراد فجعلوها (على قدر الطاقة) بالرغم من أنها كانت محدودة (على قدر مسمى) مما أثار حفيظة الشعوب على الضرائب المتزايدة . ولقد أحتقرت الشعوب المحكومة غير العربية ، ولهذا ساهم أبناء الشعوب المغلوبة (مسلمون وذميون) في انتفاضات عديدة من أجل تخفيف الضائقة الاقتصادية ومن أجل المساواة . لقد ناضلت الشعوب سياسياً وفكرياً من أجل تخلصها من نير الاستغلال الاقطاعي والجور والاحتقار الحكومي ، وأبرز مساهماتهم كانت مساهمة الشعب الإيراني في الدعوة العباسية . ولما لم يحقق العباسيون الوعود التي وعدوا بها انتفضت جماهير الفلاحين والكسبة والعبيد ضد السلطة بقيادة الخرميين ، الذين باشرُوا بدعايتهم الى مشاعية الأراضي الزراعية والتخلص من الضرائب المتزايدة والى احترام مركز المرأة ، منذ أواخر الحكم الأموي . وقد تميزت في العصر العباسي الصفات الطبقية في انتفاضات الخرميين أكثر من الانتفاضات التي ساهمت فيها الشعوب في العصر الأموي حيث كانت الارستقراطية المحلية ، المتضررة مصالحها ، مساهمة غالباً في الانتفاضات ضد الأمويين ، أما في انتفاضات الفلاحين الخرمية فكانت الارستقراطية المحلية مع السلطة ، وقد رفعت هذه الارستقراطية لواء الشعوبية بطابع رجعي ومعاد للعرب فتخلت عنها الجماهير اذ اعتمدت على النضال المسلح دون النضال الفكري . لقد قمعت الانتفاضات الفلاحية الخرمية ، الواحدة تلو الأخرى ، لكن أعظمها كانت الانتفاضة البابكية التي أنهكت قوى الخلافة العباسية طيلة عشرين عاماً وكان النجاح في سنوات (٢٠١هـ - ٢١٨هـ) حليف البابكيين بسبب درايتهم بحروب الجبال وتمنعهم في المناطق المنيعه ولانهماك الجيش العباسي

الضعيف في قمع انتفاضات فلاحي مصر والزلط في العراق وخرمية إيران ولانشغاله في حروب الروم ، وكان ذلك في عهد الخليفة المأمون ، فلما جاء المعتصم وقد أخدمت الانتفاضات وأهمل شأن الجبهة البيزنطية ، تيسر للجيش العباسي ، الذي طعم بعناصر كفوّة متدربة على قتال الجبال وأسندت قيادته الى قائد محنك وُضِعَ تحت تصرفه ما يبتغي من الأموال والرجال هو الأفشين وقد تمّ بناء الحصون والقلاع وترميمها من قبل قادة سبقوا الأفشين في أعوام ٢١٨ - ٢٢٠ هـ ، فتمكن الجيش بقيادة الأفشين ومعه قادة ذوو مهارة وجلد ، في حروبه ٢٢٠ - ٢٢٢ هـ أن يحقق انتصارات ويقلل من رقعة الأرض التي تحتلها الانتفاضة تدريجياً حتى تيسر للأفشين أخيراً محاصرة البَدْءِ ، قلعة البابكيين الحصينة ومركزهم المنيع ، وفتحها . وكان لانتقال الاقطاعيين ، المنضمين الى الانتفاضة خوفاً ، من صفوفها الى صفوف جيش الخلافة وتهاون إمبراطور الروم في مساعدة الانتفاضة ، ذات البرامج الاجتماعية الخطرة على مصالحه ، كان لذلك أثر أيضاً في اندحار الانتفاضة . أما بابك ، الذي التجأ الى أرمينيا هرباً ، فقد سلّمه غدرأ أمير أرميني اقطاعي (سهل بن سنباط) ، الذي كوفئ على خيانتته لحليفه السابق . وقد أعدم بابك في سامراء وأخوه عبد الله في بغداد واعتبر يوم القاء القبض عليه يوماً عظيماً وعيداً كبيراً ونصراً مؤزراً لجسامة الانتفاضة البابكية على الخلافة . لقد صورت الانتفاضة الفلاحية الأذربيجانية أبشع تصوير من لدن المؤرخين الحاقدين على كل انتفاضة جماهيرية ضد السلطة ، ولا غرابة في ذلك والانتفاضة قد أنزلت بالخلافة خسائر جسيمة بالأرواح والأموال وهددت المصالح الشخصية للطبقة الارستقراطية ، لهذا انبرى المؤرخون للهجوم عليها بأشد ما على كل انتفاضة أو حركة فلاحية قامت بوجه الاستغلال والجور . فقد وُصِفَتْ بالدعر والفسق والانحلال والإباحية وبالقساوة والوحشية والنهب والسلب ، تماماً مثل ما وصمت به الحركة المزدكية وسائر انتفاضات الخرمية ، واستخدمت التعابير السابقة وأضيفت عليها مستحدثات جديدة ، ووصم بابك بأنه ابن زنا وإباحي وكافر ومجرم ، وبجهود مثابرة توصلنا ، بالقدر الضئيل من الأقوال المنصفة المبعثرة هنا وهناك ، الى مناقشة تلك المفتريات ودحض الأقول المعادية والآراء الخاطئة . ولم يكن ذلك سهلاً يسيراً نتيجة تراكم الأكاذيب والمفتريات واجترارها عبر سنين طوال ولتبني علماء برجوازيين

تلك المزايم والطعون لاستخدامها من أجل تشويه الاشتراكية العلمية لافتراضهم أن الحلول الاجتماعية التي نادى بها تلك الانتفاضات شيوعية . ولقد انطلت تضليلاتهم ومع الأسف على بعض الكتاب السوفييت . لقد كان بابك ، العراقي الأصل الأذربيجاني الأم والمولد والمنشأ المسلم في حداته ، رئيساً روحياً وفكرياً وقائداً سياسياً وعسكرياً لفرقة الخرمية ولم يصبح ملكاً أو أميراً إقطاعياً ولم يباشر تعدد الزوجات ، ولم يعتد على الأمنين المسلمين ، وإنما حارب المستغلين والسلطة ومن تعاون بها من إقطاعيي أذربيجان وأرمينيا وإيران ، فهو لم يحارب الإسلام أو العروبة ولم يسع لإعادة مجد الأكاسرة أو دين المجوس ، وإنما حارب الخلافة وحارب الاستغلال والتسلط . ففي صفوف الانتفاضة كان العرب والديالمة والإيرانيون والأكراد والأرمن ، كما أنه لم يتهاون مع القائد الطامع الأمير التركي الأفشين ولم يتفق معه سراً ولا علانية حيث لم ترد في محاكمة الأفشين الاشروسني أية اشارة الى ذلك ، ولكن المؤرخين دسوا ذلك ليبرروا إعدام القائد الطموح . لا يمكن قبول افتراض تفاهم بابك مع الأفشين لأن بابك قاوم الاقطاع والسلطة الممثلة لمصلحه والأفشين خير ممثل وأداة لمصالح الارستقراطية .

ولئن فُتحت البذَّ وأعدم بابك فان الحركة العميقة الجذور في مجتمعها لم يقض عليها بسهولة ، وقد تركت آثارها الجسيمة في حياة الخلافة العباسية السياسية والاجتماعية أبرزها انقسام الامبراطورية ونشوء الامارات الاقطاعية وتوطد الاقطاع وتدني هيبة الخلافة وتسلط الاثرار على الخلفاء ، فضعفت السلطة المركزية وخرجت الخلافة من حروبها مع بابك واهنة ضعيفة فاقدة ذلك الصيت المدوي والجلال والهيبة . ولئن تيسر لها الوقوف على قدميها بعدئذ لكنها لم تسترجع مركزها المفقود أبداً فظلت تعيش على ذكريات أمجادها القديمة . أما من أفلت من الانصار المخلصين من البابكيين فقد ظلوا يحملون في طياتهم حبههم وولاءهم ، فما أن ترمد الوالي منكجور في أذربيجان حتى انضموا اليه رغم اختلافهم معه في الأهداف ، وما كان انضمامهم الا حقداً وكراهية للسلطة التي نكلت بهم .

لقد ظل الخرميون في أذربيجان طويلاً وترد في المصادر إشارات كثيرة إلى

ذكرهم واجتماعاتهم في جبل البَدْ . وتظل المصادر ترداد كلمات بابكية ، محمّرة ،
خرمية حتى القرن الثاني عشر الميلادي . ولا ريب أنهم تفتتوا بعد ضعف ثوريتهم
وتفوق البعض منهم في صوفية أذربيجان ناقلين معهم ما احتفظوا به من مفاهيمهم
الاجتماعية ، ولربما تركوا أثراً في هذا الشاعر أو ذاك المفكر .

هوامش الفصل الخامس

- (١) الفهرست ، ص ٤٩٤ .
- (٢) المرجع نفسه ، ص ٤٩٤ .
- (٣) الأخبار الطوال ، ص ٣٣٨ .
- (٤) جاء في الهامش «يومئذ» . والكلمة غير واضحة ولا بد أنها اسم أم بابك ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٣٢ ، يسميها بونيباتوف (برومند) تاريخ أذربيجان ، ص ٢٣٧ .
- (٥) م ٣ ج ٢ ص ١٢٣٢ .
- (٦) يشير فلوك الى أن الشهرستاني أهمل ذكر بابك - مقالة بابك ص ٥٣١ .
- (٧) اعتمد تومارا ، بابك ص ٣٣ - ٤ ، ورايت مجلة العالم الاسلامي العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، علي رواية الفهرست ، ولقد وردت لدى الخصري مشوهة (نشأ بابك بن بهرام بقرية تدعى بلال أباد من رستاق ميمد ثم اتصل بجاويدان ابن سهرك ملك جبال البذ ورئيس من بها من الحرمية) ، تاريخ الأمم الاسلامية ، ط ٩ ص ١٩٧ ، ولا نعلم من أين أتى باسم بهرام والدأ لبابك .
- (٨) الفهرست ، ص ٤٩٤ .
- (٩) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٤ - ٥ .
- (١٠) نقد العلم والعلماء ، ص ١٠٠ .
- (١١) يسميه المؤرخون السريان والأرمن (باب ، وبابان) بدلاً من بابك .
- (١٢) بازمافيب ، صفحة من تاريخنا في القرون الوسطى ، ص ١٥ .
- (١٣) م ن . ، ص ١٤ ، ٥ ، انظر ذلك لدى المؤرخ ابن العبري (بار - أبروس) م ن . ، ص ٧٢ ، انظر ليو ، تاريخ أرمينيا ، م ٢ ص ٤٢٧ .
- (١٤) بابك ، ص ٣٣ - ٤ . بينما تشير غالبية المصادر الى أن عبد الله خلف وراءه زوجته وطفلاً واحداً وليس طفلين .
- (١٥) هكذا وردت لديه . أما لدى البغدادي فقد وردت كالأتي (والبابكية ينسبون أصل دينهم الى أمير كان لهم في الجاهلية اسمه شروين ، ويزعمون ان أباه كان من الزنج ، وأمه بعض بنات ملوك الفرس) ، الفرق بين الفرق ،

- ص ٢٦٩ ، فهنا وردت الزنج بيما وردت لدى مارغليوث زندي Zandi وهناك فرق كبير ولا شك بينهما .
- (١٦) الموسوعة الاسلامية المختصرة ، ص ٢٥٨ .
- (١٧) مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٢٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .
- (١٨) أذربيجان ، ص ٢٣٦ - ٧ ، وقد أشار الى اختلاف المؤرخين في تسمية والد بابك .
- (١٩) لاحظ أقوال فاردان ص ١٤ وميخائيل ص ١٤ - ١٥ (وبار - أبروس) ص ٧٣ في كتاب بازماغيب ، صفحة من تاريخنا في القرون الوسطى ، باللغة الأرمنية ، انظر أيضاً ليو ، تاريخ أرمينيا ، م ٢ ص ٤٢٦ - ٧ .
- (٢٠) فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ .
- (٢١) يتيماً حسب رواية ابن النديم والمقدسي ، وأما رواية الطبري فتعتبر بابك غير يتيم حيث ظل مطر والد بابك عائشاً حتى عرف بابك ، وهذه الرواية ضعيفة كما قلنا .
- (٢٢) البلدان ، ص ٢٧١ .
- (٢٣) المسالك والممالك ، ص ٢٥٠ .
- (٢٤) الفهرست ، ص ٤٩٤ .
- (٢٥) م . ن . ، ص ٤٩٥ .
- (٢٦) معجم البلدان ، ج ١ ص ١٢٨ .
- (٢٧) أشار مينورسكي في الهامش الى (الآن مثل هذه اللهجات عادة تسمى شمالية غربية ومن المحتمل أنها تكمل التقاليد الميدية كمناقص للتقاليد (الجنوبية) الفارسية ، واعتماداً على ابن حوقل ٢٤٩ (باعتناء كريم ج. ، ٢٤٧) فيما جاور جبل سبلان Sablan (سافالان Savalan) قرب أردبيل ، كل قرية امتلكت لهجة خاصة ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١١٢ - ٣ .
- (٢٨) م . ن . ، ص ١١٢ - ٣ .
- (٢٩) الفهرست ، ص ٤٩٤ .
- (٣٠) م . ن . ، ص ٤٩٥ .
- (٣١) م . ن . ، ص ٤٩٦ .
- (٣٢) يسمى ابن النديم بالخرمية بالخرمية (بالحاء دون الحاء) ولا بد أن ذلك تحريف للكلمة .
- (٣٣) الفهرست ، ص ٤٩٥ .
- (٣٤) م . ن . ، ص ٤٩٥ .
- (٣٥) تاريخ الرسل ، م ٢ ج ٢ ص ١٠١٥ .
- (٣٦) مروج الذهب ، ج ٤ ص ٢٩ .
- (٣٧) الكامل ، ج ٥ ص ١٨٤ .
- (٣٨) انظر الهامش رقم ١٩ الفصل الرابع .
- (٣٩) انظر الهامش ١٩ الفصل الرابع .
- (٤٠) وذلك سنة ٢٠١ هـ ٨١٦ م .
- (٤١) الفهرست ، ص ٤٩٥ .

(٤٢) هكذا كان المألوف حسب قوانين القرون الوسطى ، لاحظ إشارة ولها وزن حول استخدام العرب للموالي ، الدولة العربية ، ص ٢٠٠ .

(٤٣) تاريخ الرسل ، م ٢ ج ٢ ص ١٢٢١ ، ويقول بونيباتوف (من الواضح أن ابنة الكلندائية ربما كانت ابنة فاساك أمير سونيك التي تزوجها بابك بعد مساعدته لفاساك ضد العرب ، فبعد أن حطم بابك العرب في ٨١٨م أخذ بابك ابنته (فاساك) ومد سلطته على هذه المنطقة (سونيك) . وهذه هي التي أغرته على الهرب عبر موطنها الى بلاد بيزنطة ، أذربيجان ، ص ٢٦٦ ، انظر مينورسكي ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ٦٩ .

(٤٤) الفهرست ، ص ٤٩٦ .

(٤٥) تاريخ الرسل ، م ٢ ج ٢ ص ١٢٢٢ .

(٤٦) م . ن . ، ص ١٢٢٢ .

(٤٧) مجلة بازماقيب ، بابك وسهل بن سنباط ، صفحة من تاريخنا في القرن التاسع ، ص ٩ ، هل هناك علاقة بين تسمية كورديان لآخر زوجات بابك بالخالندية وبين الدولة الكردية الخلدية (نسبة الى الهم القومي) والتي تعرف بالدولة الأزاراتية (نسبة لموقعهم الجغرافي في منطقة أرارات - أراراتو) أيضاً ، لاسيما وإن أراضي الأمير فاساك الذي تعاقد مع بابك في نفس منطقة الدولة الخلدية التي ظهرت في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد (٨٨٣ ق م - ٧١٤ ق م) التي عاصرت الدولة الآشورية من عهد الملك الآشوري آشور ناصريال الى الملك الآشوري سرجون الثاني الذي غزا الدولة الخلدية وقضى عليها الى الأبد عام ٧١٤ ق م . فهل كان فاساك منحدرًا من أسرة تمتد جذورها الى الخلديين الأكراد حتى يطلق على ابنته : ابنة الخالندانية ؟

(٤٨) م . ن . ، ص ٢٠ .

(٤٩) تاريخ الرسل ، م ٢ ج ٢ ص ١٢٢٢ .

(٥٠) وردت الكنائس محرفة عند الخفزي على شكل (الكتاب) ، تاريخ الأم الإسلامية ، ط ٩ ص ١٩٩ .

(٥١) تاريخ الرسل ، م ٢ ج ٢ ص ١٢٢٢ .

(٥٢) يقول رايت عن معاوية ، الذي هو أخو بابك ، بأنه أحد جنرالاته ، وهذا التباس وقع فيه ولا شك ، مجلة العالم الإسلامي ، العدد ٢٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥٢ .

(٥٣) انظر المسعودي ، مروج ، ج ٤ ص ٥٦ .

(٥٤) قدرها الطبري بـ ١٥ كتيبة ، م ٢ ج ٢ ص ١٢١٩ ، ويقول رايت بأن الافشين أرسل ٥٠٠٠ رجل على شكل جماعات في كل جماعة ١٠٠ أو ٢٠٠ للبحث في المسالك ومراقبة الهاربين ، مجلة العالم الإسلامي ، العدد ٢٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥٢ .

(٥٥) الدينوري (وقد كان الافشين كتب الى أصحاب تلك النواحي والى الأكراد بأرمينية والبطارقة بأخذ الطرق عليه ، الأخبار الطوال ، ص ٣٤٠ .

(٥٦) اليعقوبي ، وضمن لمن جاء به ألف درهم والصفح عن بلادهم ، التاريخ ، ص ٢٠٠ .

(٥٧) يسميه ابن خلدون : (أبا السفاح) ، العبر ، ج ٣ ص ٢٩١ ، وهذا تحريف ولا شك .

(٥٨) العميون والحدائق ، ص ٢١ - ٢ .

(٥٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٢ ج ٢ ص ١٢٢٠ - ١ .

(٦٠) الأخبار الطوال ، ص ٣٤٠ .

(٦١) تاريخ الرسل ، م ٢ ج ٢ ص ١٢٢٢ .

- (٦٢) تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤١ . ويأخذ بهذه الأقوال جوزي ، من تاريخ الحركات ، ص ١١٣ والدوري . العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٥ .
- (٦٣) لم يذكر اليعقوبي والمسعودي وابن النديم وصاحب العيون والحدائق موضوع اللجوء الى بيزنطة .
- (٦٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ص ١٢٢٤ .
- (٦٥) انتفاضة بابك ، ص ٣٦ - ٧ .
- (٦٦) م . ن . ، ص ٣٦ .
- (٦٧) انظر ليو . تاريخ أرمينيا ، م ٢ ص ٤٣٦ .
- (٦٨) جوزي ، من تاريخ الحركات ، ص ١١٢ . يرى بونياتوف أن قلعة شاكي العائدة لسهل بن سنباط تقع في القرية التي تحمل الاسم نفسه ، شاكي (في مقاطعة سيسيان الأرمنية السوفياتية) وليس في مدينة نوخا الأذربيجانية السوفياتية ، معلومات جديدة عن موقع قلعة شاكي ، مجلة المجمع العلمي الأذربيجاني ، العدد ٩ لسنة ١٩٥٩ ، ص ٨٧١ .
- (٦٩) بونياتوف ، م . ن . ، ص ٨٦٩ - ٨٧٠ . وذكرت القلعة في تجارب الام الملحق بكتاب العيون (كبيش . وفي الهامش كيس ، كيش ، كيش) ، ص ٥٤٨ .
- (٧٠) انظر هامش الفصل الرابع رقم ٦٣ .
- (٧١) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ص ١٢٢٥ ، يسميه المسعودي (يوماده) المروج ، ج ١ ص ٥٦ .
- (٧٢) انتفاضة بابك ، ص ٣٧ .
- (٧٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ص ١٢٣١ .
- (٧٤) م . ن . ، ص ١٢٢٢ ، انظر أيضاً بارتولد ، المؤلفات ، المجلد الثاني القسم الأول (بالروسية) ، موسكو ١٩٦٣ ، ص ٦٨١ - ٢ .
- (٧٥) تاريخ الرسل ، ويقول : (وكان وصول بابك الى الافشين ببرزند لعشر خلون من شوال سنة ٢٢٢ هـ) بين بوزياره وديوداذ) م ٢ ، ج ٢ ص ١٢٢٨ ، وديوداذ هو أبو الساج ، ويعتبر المقدسي (المطهر) تاريخ القاء القبض علي بابك يوم الجمعة ١٤ رمضان سنة ٢٢٢ هـ ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ص ١١٨ ، وهو مخطئ ولا شك إذ أن بابك قد أعدم قبل هذا التاريخ ، أنظر أوريلي ، يوسف ، جداول لتحويل السنوات الهجرية الى السنوات الميلادية ، ص ٥١ .
- (٧٦) المروج ، ج ١ ص ٥٦ ويشير حتي ، فيليب ، الى أن أول ذكر لاستخدام الحمام الزاجل ورد في نقل خبر القاء القبض على بابك ، تاريخ العرب (المطول) ج ١ ط ٣ لسنة ١٩٦١ ، ص ٤٠٠ .
- (٧٧) يقول المسعودي : (وأطلقت الطيور الى المعتصم ، وكتب اليه بالفتح فلما وصل اليه ذلك ضج الناس بالتكبير وعمهم الفرح) ، المروج ، ج ١ ص ٥٦ ، ويقول المقدسي (وكان ذلك من اعظم الفتوح في الاسلام) ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٨ .
- (٧٨) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ص ١٢٢٢ ، كذلك التسمية في تجارب الام الملحق بكتاب العيون ، ص ٥٤٨ .
- (٧٩) بازمانيب ، صفحة من تاريخنا في القرن التاسع ، ص ١٢٤ ، بارخوداريان ، تاريخ أغوان ، م ١ ص ١٣٦ .
- (٨٠) المروج ، ج ١ ص ٥٦ .
- (٨١) البدء والتاريخ ، ج ٦ ص ١١٧ - ٨ .
- (٨٢) تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٣ - ٤ .

- (٨٣) من تاريخ الحركات ، ص ١١٣ .
- (٨٤) التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ .
- (٨٥) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٢٩ .
- (٨٦) المروج ، ج ٤ ، ص ٥٧ .
- (٨٧) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٠ ، والشعر الذي يرويه هنا قد ذكره أيضاً عن حادث وصول المازيار الى بغداد ، في ص ١٣٠٣ (قد خضب الفيل كمعاده - يحمل كيلان خراسان) ، وأعتقد ان الشعر يخص فقط المازيار ولا ينطبق على بابك ، والا فما علاقة خراسان ببابك ؟
- (٨٨) المروج ، ج ٤ ، ص ٥٦ - ٧ .
- (٨٩) حول هذه الحادثة راجع ، التنوخي ، جامع التواريخ ، ج ١ ، ص ٧٥ ، سياست نامه ، لنظام الملك ، ص ٢٩٥ (الترجمة الروسية ص ٢٢٧) ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٧ - ٨ .
- (٩٠) حسب رواية المسعودي ، المروج ج ٤ ، ص ٥٨ ، وأما الطبري فلا يشير الى بغداد وإنما يذكر خراسان مباشرة ، تاريخ الرسل م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣١ ، ويقول باين . روبرت (ثم قطع رأس باريك (يقصد بابك) وعلق على جسر بغداد لإخطار الثوار البغداديين بينما قرر الخليفة إرساله بعد ذلك الى خراسان) ، السيف المقدس ، ص ١٧٨ ، ولا أجد معنى (لإخطار الثوار البغداديين) هنا حيث لم تكن في بغداد أية ثورة في عهد المعتصم ؟ .
- (٩١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٠ .
- (٩٢) م . ن . ، ص ١٢٣١ .
- (٩٣) البيعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ ، أما الطبري فيذكر انه شق في الرصافة بين الجسرين ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣١ .
- (٩٤) الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٢٣١ .
- (٩٥) م . ن . ، ص ١٢٢١ .
- (٩٦) م . ن . ، ص ١٢٢٤ .
- (٩٧) م . ن . ، ص ١٢٣١ .
- (٩٨) المروج ، ج ٤ ، ص ٥٦ ، ابن أبي السرور ، عيون الاخبار ، مخطوط الورقة ٥٦ أ ، ب .
- (٩٩) الفهرست ، ص ٤٩٥ .
- (١٠٠) م . ن . ، ص ٤٩٦ .
- (١٠١) م . ن . ، ص ٤٩٦ .
- (١٠٢) القرآن ، ص ١٣٠ .
- (١٠٣) مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥٤ .
- (١٠٤) في قصور الخلفاء العباسيين ، ص ١٠١ .
- (١٠٥) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٧٨ .
- (١٠٦) م . ن . ، ص ١٢٦٩ .
- (١٠٧) م . ن . ، ص ١٢٧٨ .

- (١٠٨) م . ن . ص ١٢٧٨ - ٩ .
- (١٠٩) م . ن . ص ١٣١١ - ٢ .
- (١١٠) نفسه ، ص ١٣١٢ .
- (١١١) المروج ، ج ٤ ، ص ٦١ ، انظر الدوري الذي آمن بهذه الأقوال . العصر العباسي الأول ، ص ٢٤١ - ٢ .
- (١١٢) تاريخ طبرستان ، ترجمة براون ، ص ١٥٥ .
- (١١٣) فتوح البلدان ، ص ٣٣٩ .
- (١١٤) م . ن . ص ٢٤٠ .
- (١١٥) الاخبار الطوال ، ص ٣٢٨ .
- (١١٦) التاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .
- (١١٧) م . ن . ص ٢٠٢ - ٣ .
- (١١٨) تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٢٧٤ - ٥ .
- (١١٩) م . ن . ص ١٣٠٣ .
- (١٢٠) المروج ، ج ٤ ، ص ٦١ .
- (١٢١) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٨ .
- (١٢٢) م . ن . ص ٢٦٨ .
- (١٢٣) م . ن . ص ٢٦٩ .
- (١٢٤) م . ن . ص ٢٨٤ .
- (١٢٥) تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٢٧٥ .
- (١٢٦) انتفاضة بابك ، ص ٤١ .
- (١٢٧) العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٤ .
- (١٢٨) اذربيجان ، ص ٢٤٦ .
- (١٢٩) دول الاسلام ، وذكر خروجه عام ٢٢٤ هـ ونهايته ٢٢٥ هـ ، ج ١ ، ص ٩٨ .
- (١٣٠) تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٢٧٥ .
- (١٣١) التاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، يعتبر الطبري أن الورثاني قد امتنع عن الخلافة في ورثان (تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٥ ، ص ١٣٠١) وبهذا يكون قد خالف ما ذهب اليه اليعقوبي .
- (١٣٢) تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٥ ، ص ١٣٠١ .
- (١٣٣) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ ، المسعودي ، المروج ، م ٤ ، ص ٦١ - ٢ ، ابن أبي السرور ، عيون الاخبار ، مخطوط ، الورقة ٥٦ ب ، بارتولد ، المؤلفات ، المجلد الثاني / القسم الثاني (بالروسية) ، موسكو ، ١٩٦٤ ، ص ٤٩٦ .
- (١٣٤) الاخبار الطوال ، ص ٣٤١ .
- (١٣٥) تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٣٠٣ - ٤ ، انظر العيون والحدائق ، ص ٦١ .

- (١٢٦) دول الاسلام ، ج١ ، ص٩٨ .
- (١٢٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، ج٢ ، ص١٣١٢ .
- (١٢٨) تراث فارس ، ص١١٦ .
- (١٢٩) تاريخ الرسل ، م٣ ، ج٢ ، ص١٣٠٤ الى ١٣١٣ .
- (١٤٠) م . ن . ، ص١٣١١ ، العيون ، ص٦٥ .
- (١٤١) م . ن . ، ص١٣١٣ .
- (١٤٢) م . ن . ، ص١٣٠٦ .
- (١٤٣) تاريخ طبرستان ، ص١٥٥ .
- (١٤٤) م . ن . ، ص١٥٥ .
- (١٤٥) الفرق بين الفرق ، ص٢٦٨ .
- (١٤٦) م . ن . ، ص٢٨٤ .
- (١٤٧) تاريخ الرسل ، م٣ ، ج٢ ، ص١٢٣٣ .
- (١٤٨) المروج ، ج٤ ، ص٥٩ .
- (١٤٩) دول الاسلام ، ج١ ، ص٩٨ .
- (١٥٠) دراسات في التاريخ القفقياسي ، ص١١١ ، ويقول ماكوفلسكي «ومع أن انتفاضة بابك قد أخدمت إلا أنها وجهت للخلافة البغدادية (كانت العاصمة حينذاك سامراء) تلك الضربة التي لم تصح منها» ، اعمال القسم الفلسفي ، المجلد السادس ، ١١ باكو ، ١٩٦٠ ، من التاريخ الفلسفي في أذربيجان في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، ص٥ (بالروسية) .
- (١٥١) الحضارة الاسلامية ، ص١٤٢ - ٣ .
- (١٥٢) انظر الطبري (عن حوادث سنة ٢٢٣هـ) ويفصل المؤامرة التي ساهم فيها الامراء الاتراك الذين منهم عمرو الفرغاني وأحمد بن الخليل ، تاريخ الرسل ، م٣ ، ج٢ ، ص١٢٥٦ - ١٢٦٦ .
- (١٥٣) ابن البغدادي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص٥٩ .
- (١٥٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، ج٢ ، ص١١٦٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص٢٣٢ - ٤ .
- (١٥٥) الحضارة الاسلامية ، ص٦٤ .
- (١٥٦) العصر العباسي الأول ، ص٢٢٩ ، دراسات ، ص١٣ .
- (١٥٧) الفخري في الآداب السلطانية - ص٢٣١ . ابن أبي السرور ، عيون الاخبار ، مخطوط ، الورقة ٥٩ ب .
- (١٥٨) محاور الكندي ، الصفحات ٤٥ - ٤٦ .
- (١٥٩) دول الاسلام ، ج١ ، ص٩٧ .
- (١٦٠) التاريخ ، ج٣ ، ص٢٠٣ .
- (١٦١) ص١٣ .
- (١٦٢) المروج ، ج٣ ، ص٣٠٥ - ٦ ، التنبيه ، ص٢٥٣ - ٤ .

- (١٦٣) البدء والتاريخ ، ج٤ ، ص٣٠ .
(١٦٤) من تاريخ الحركات ، ص١١٧ .
(١٦٥) انتفاضة بابك ، ص٣٩ .
(١٦٦) م١ ، ص٨٤٤ (بالانكليزية) .
(١٦٧) أذربيجان ، ص٢٧٠ .
(١٦٨) من تاريخ الحركات ، ص١١٧ .
(١٦٩) نظامي ، الياس يوسف أوغلي (ولد حوالي ١١٤٤م وتوفي حوالي ١٢٠٢) من كبار شعراء ومفكري أذربيجان .
(١٧٠) مختصر تطور الصوفية ، موسكو ، ١٨٩٥ ، ص٦ .
(١٧١) انتفاضة بابك ، ص٤٢ .
(١٧٢) الحرب الفلاحية في ألمانيا ، ص٣٤ .

الملاحق

الملحق (أ)

قوائم الخراج

١. قائمة الجهشيارى^(١)، كتاب الوزراء والكتاب^(٢) ص ٢٢٧ - ٢٣٥

اسم المنطقة	مجموع الدراهم	موارد أخرى
أثمان غلات السواد	٧٨٠.٠٠٠	الحلل النجرانية مائتا حلة ، الطين للختم
أبواب المال بالسواد	١٤٨.٠٠٠	مائتان وأربعون رطلا .
كسكر	١١٦.٠٠٠	
كور دجلة	٢٠٨.٠٠٠	
حلوان	٤٨.٠٠٠	
الاهواز	٢٥.٠٠٠	السكر ثلاثون ألف رطل
فارس	٢٧.٠٠٠	ماء الزبيب الأسود عشرون ألف رطل ، الرمان والسفرجل مائتا ألف وخمسون ألف ، ماء الورد ثلاثون ألف قارورة الخ .
كرمان	٤٢٠.٠٠٠	المتاع اليمني والخبيصي خمسمائة ثوب ، التمر عشرون ألف رطل .
مكران	٤.٠٠٠	
السند وما يليه	١١٥٠.٠٠٠	الطعام بالقفيز الكيرخ : مليون قفيز ، النيلة ثلاثة ، الثياب ألف ثوب ، الفوط ٤ الاف ، العود ٣٠٠ منا .

اسم المنطقة	مجموع الدراهم	مصادر أخرى
سجستان	٤٦٠٠٠٠٠	الشياب المعينة ثلاثمائة ثوب . الفانيذ عشرون ألف رطل .
خراسان	٢٨٠٠٠٠٠	نقر الفضة الامناء ألف نقرة . البراذين ٤ آلاف برذون ، الرقيق ألف رأس ، المتاع ٢٧ ألف ثوب ، الإهليلج ٣٠٠ رطل ، الابرسيم ألف من . الابرسيم ألف من .
جرجان	١٢٠٠٠٠٠	نقر الفضة الامناء ألف نقرة . الاكسية سبعون كساء .
قومس	١٥٠٠٠٠٠	الفرش الطبري ستمائة قطعة ، الاكسية مائتا كساء ، الشياب خمسمائة ثوب ، المناديل ٣٠٠ منديل ، الجامات ٦٠٠ .
طبرستان والدوبان ودونباوند	٦٣٠٠٠٠٠	الري الريمان مليون رمانة ، الخوخ ألف رطل .
اصفهان (سوى خمتش ورساتيق عيسى واويس)	١١٠٠٠٠٠	العسل عشرون ألف رطل ، الشمع عشرون ألف رطل .
همذان ودستبي	١١٨٠٠٠٠٠	رب والرياقس ألف من . العسل الاروندي عشرون ألف رطل .
ماهي البصرة والكوفة	٢٠٧٠٠٠٠٠	
شهرزور وما يليها	٢٤٠٠٠٠٠٠	
الموصل وما يليها	٢٤٠٠٠٠٠٠	العسل الأبيض عشرون ألف رطل .
الجزيرة والديارات والفرات	٣٤٠٠٠٠٠٠	
آذربيجان	٠٤٠٠٠٠٠٠	
موقان وكرخ	٣٠٠٠٠٠٠	
جيلان	—	من الرقيق مائة رأس
التتر والطيلسان	—	من العسل اثنا عشر زقا ومن البزاه عشرة بزاه ومن الاكسية عشرون كساء .

أرمينية	١٣٠٠٠٠٠	البسط المحفورة عشرون بساط ، الرقم خمسمائة وثمانون قطعة ، البغال ٢٠٠ بغل .
قنسرين والعواصم	٤٩٠٠٠٠	الزبيب ألف راحلة .
حمص	٢٢٠٠٠٠	
دمشق	٤٢٠٠٠٠	
الأردن	٠٩٦٠٠٠	
فلسطين	٢٢٠٠٠٠	ومن جميع أجناد الشام من الزبيب ٣٠٠ ألف رطل .
مصر		
سوى تنيس ودمياط والاشمونين (فان هذه وقفت للنفقات)	١٩٢٠٠٠٠	
برقة	١٠٠٠٠٠٠	
افريقيا	١٣٠٠٠٠٠	ومن البسط مائة وعشرون بساط .
اليمن (سوى الثياب)	٨٧٠٠٠٠	
مكة والمدينة	٣٠٠٠٠٠	

المجموع:

العملة الورق : ٤١٤٠٤٠٨٠٠٠ درهم
العينية وقيمتها : ١١٠٠٠٠٠٠٠ درهم

٥٢٤٠٤٠٨٠٠٠ درهم

لقد ورد في الصفحة ٢٣٥ ما يلي : فذلك العين خمسة الاف دينار قيمتها حساب اثنين وعشرين درهماً بدينار مائة ألف درهم وخمسة وعشرون ألف وخمسمائة واثنان وثلاثون الف درهم . الورق اربعمائة الف الف وأربعة الاف الف وسبعمائة الف وثمانية آلاف درهم . يكون الورق مع قيمة العين - خمسمائة ألف ألف وثلاثين الف الف وثلثمائة ألف واثنى عشر الفا . أي = ٣١٢ ٠٠٠ ٥٣٠ درهم وهذا غير صحيح من حيث الجمع إذ يجب أن يكون = ٥٢٤٠٤٠٨٠٠٠ درهم .

٢- قائمة ابن خردادبة «المسالك والممالك»^(٢)

اسم المنطقة	المبلغ مثقال درهم	موارد أخرى
السواد	١٠٠٠٠٠٠٠	جياه الملك قباذ بن فيروز - ص ١٤
السواد	١٢٨٠٠٠٠٠	جياه عمر بن الخطاب - ص ١٤
السواد	١٢٤٠٠٠٠٠	جياه عمر بن عبد العزيز - ص ١٤
السواد	١٨٠٠٠٠٠	جياه الحجاج بن يوسف - ص ١٤-١٥
خراج مملكة الفرس	٤٢٠٠٠٠٠٠	اجتباه كسرى ابرميز بعد مضي ١٨ سنة من حكمه - ص ١٥
<p>الجبل واذريجان والري وهمذان والماهين وطبرستان ودنباوند وماسبذان ومهرجان فذق وحلوان وقومس (الماهين ماه الكوفة وماء البصرة ص ٢٠) خراسان^(٤)</p>		
	٠٤٤٠٠٠٠٠	الدواب للركوب ١٣ رأساً ومن الغنم الفا شاة ومن السبي العزبة الفا رأس قيمتها ستمائة الف درهم ومن الثياب ١١٨٧ ثوباً ومن المرمر وصفائح الحديد ١٣٠٠ قطعة - ص ٣٩ .
اذريجان	٠٠٢٠٠٠٠٠	خراج . ص ١٢١
ارمينية	٠٠٤٠٠٠٠٠	خراج - ص ١٢٣
الدينور (وهي ماء الكوفة)	٠٠٣٨٠٠٠٠٠	خراج . ص ٢٠
اصبهان وقم	٠٠١٦٠٠٠٠٠	قبلها الفضل بن مروان بالكفاية - ص ٢١ .

٣ - ملخص مجموعة قوائم واردة في كتاب التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري^(٥)

اسم المنطقة	في عهد معاوية	في عهد الرشيد	في عهد المأمون	في عهد المتوكل	ورد لدى ابن خرداذبة	ورد لدى اليعقوبي المقدسي	ورد لدى
الاهواز	٤٠٠٠	٢٥٠٠	١٨٠٠	٤٩٠٠	٣٠٠٠	-	٣٠٠٠
فارس	٧٠٠٠	٢٧٠٠	٢٤٠٠	٣٥٠٠	٣٣٠٠	-	-
كرمان	-	٠٤٠٢	٠٦٠٠	-	٠٥٠٠	-	-
سجستان	-	٠٤٠٦	١٠٠٠	-	-	١١٠٠	-
أصفهان	-	١١٠٠	١٠٠٥	١٦٠٠	٠٧٠٠	٠٢٠٠	-
نهادند	٣٠٠٠	٢٠٠٧	٠٤٠٨	-	٠٣٠٨	٠٢٠٠	-
(ماه البصرة)	مع الدينور والجيل	مع الدينور والجيل	-	٠٣٠٨	-	-	-
الدينور	-	-	٠٥٠٠	-	٣٧٠٠	٤٠٠٠	٤٤٠٠
(ماء الكوفة)	-	-	-	-	-	-	١٥٠٠٠
خراسان	٣٠٠٠	٢٨٠٠	٣٨٠٠	-	-	-	دينار
البيامة والبحرين	٠٠١٥	-	-	-	-	-	-
عشور البصرة	١٣٠٧	٠٦٠٠	-	٠٦٠٠	-	-	-
(بما فيها الكوفة وبغداد)	-	-	-	-	-	-	-

يذكر العلي ، صالح أحمد في ص ١١٧ : «أورد لنا اليعقوبي في تاريخه قائمة بمقدار ما كانت تدفعه المقاطعات في زمن معاوية ، كما رويت لنا أرقام عن جباية بعض المقاطعات في أزمنة مختلفة من العصر الأموي إلا أنه ليس لدينا عن الخراج فيما عدا ذلك أخبار حتى العصر العباسي» .

ملاحظة حول قوائم العلي:

١ - المبالغ مقدرة بالدرهم ٢٠ - لقد ورد في قائمة ابن خرداذبة مبلغ ٤٤ مليون درهم وارد خراسان بينما نقله العلي ٣٧ مليوناً ٣٠ - أشار العلي إلى أن الأرقام المذكورة تبين ما جبي في سنوات مختلفة تمتد إلى ٢٠٠ سنة وأن الأرقام الصحيحة تمثل الملايين والكسور مئات الألوف .

٤- قائمة قدامة بن جعفر كتاب الخراج وصناعة الكتابة^(١)

اسم المنطقة	المبالغ المستحصلة درهم	أرقام مختلفة للمبالغ المستحصلة
الاهواز	١٨٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	وورد في ص ٢٤٩ : وارد الاهواز ٢٣٠٠٠٠٠ درهم
فارس	٢٤٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	
كرمان (مقاطعة في السنة)	١٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	وورد في ص ٢٥٠ : وارد كرمـان ٠٦٠٠٠٠٠ درهم
أصبهان	١٠٥٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	
سجستان	١٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	
خراسان (وارتفاع خراسان على ما كان عليه عبد الله بن طاهر لسنة ٢٢١ هـ عن ثمن السبي والغنم والكرايبس)	٣٨٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	وورد في ص ٢٥٠ : وارد خراسان ^(٧) ٣٧٠٠٠٠٠ درهم
ماء الكوفة	٥٠٠٠٠٠٠	
ماء البصرة	٤٨٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	
ماسبذان	١١٠٠٠٠٠	وورد في ص ٢٥٠ : وارد ماسبذان ١٢٠٠٠٠٠ درهم
مهرجان قذق	١١٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	
الايغارين	٣١٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	
اذربيجان	٤٥٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٤)	

اسم المنطقة	المبالغ المستحصلة	أرقام مختلفة للمبالغ المستحصلة
قم وقاشان	٠٣٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٤)	
الري	٢٠٢٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٤)	وورد في ص ٢٥٠ : وارد الري ودموند ٢٠٠٨٠٠٠٠٠ درهم
قزوين على عبره سنة ٢٣٧ هـ	٠١٦٢٨٠٠٠ (ص ٢٤٤)	وورد في ص ٢٥٠ قزوين وزنجان وابهر ١٨٢٨٠٠٠٠٠٩ درهم
قوس	٠١١٥٠٠٠٠ (ص ٢٤٤)	
جرجان	٠٤٠٠٠٠٠٠ (٢٤٥)	
طبرستان على عبره سنة ٢٣٤ هـ	١١٦٣٠٧٠ (ص ٢٤٥)	وورد في ص ٢٥٠ : وارد طبرستان ٤٢٨٠٧٠٠ درهم
أرمينيا	٤٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٦)	
السواد على عبره سنة ٢٠٤ هـ	١٣٠٢٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٩)	
حلوان (المكتوب عن وارد حلوان في ص ٢٥٠ بانه ٩٠٠٠٠٠٠٠٠ وهذا غير صحيح وأظنه ٩٠٠٠٠٠٠ درهم)	٩٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٥١)	
تكريت والطيرهان والسن والبوازيج	٦٣٠٠٠٠٠ (ص ٢٥١)	
كورة الموصل	٣٢٠٠٠٠٠ (ص ٢٥١)	
قردي ويزيدي	٩٦٣٥٠٠٠ ٤٢٠٠٠٠٠	
ديار ربيعة		
ارزن وميفارقين		

اسم المنطقة	المبالغ المستحصلة درهم	أرقام مختلفة للمبالغ المستحصلة
مقاطعة طرون	١٠٠٠٠٠	
أرمينيا	٤٠٠٠٠٠	
آمد	٢٠٠٠٠٠	
ديار مضر	٦٠٠٠٠٠	
اعمال طريق الفرات	٢٩٠٠٠٠	
قنسرين والعواصم	٣٦٠٠٠٠ (ص ٢٥١)	
جند حمص	٢٢٨٠٠٠ (ص ٢٥١)	
جند دمشق	١١٠٠٠٠ (ص ٢٥١)	
جند الاردن	١٠٩٠٠٠	
جند فلسطين	٢٥٩٠٠٠	
مصر والاسكندرية	٢٥٠٠٠٠	
الحرمين	١٠٠٠٠٠	
اليمن	٦٠٠٠٠٠	
اليمامة والبحرين	٥١٠٠٠٠	
عمان	٣٠٠٠٠٠	

المجموع:

١ - مجموع الدراهم : ٣١٦ ٤٧٦ . ٧٠ درهماً

٢ - مجموع الدينار : ٥ . ٧٦ . ٠٠٠ دينار

وبتحويل الدينار إلى دراهم (بقيمة ١٥ درهماً للدينار) يكون مجموع الدراهم المحولة عن الدينار ٧٦ ١٣٠ . ٠٠٠ درهم . والمجموع الكلي للواردات ٣٩٢٦٠٦٠٧٠ درهماً .

ذكر قدامة أن حساب السواد اعتبره على معدل سنة ٢٠٤ هـ لأن الحسابات القديمة قد أحرقت أيام فتنة الأمين والمأمون (ص ٢٣٦ - ٧) . وذكر أيضاً : ويقال أن كسرى ابرويز أحصى جباية مملكته في سنة ثمانين عشرة من ملكه... من العين سبع مائة ألف وعشرين ألف مثقال يكون من الورق ستمائة ألف ألف درهم (ص ٢٥٢) ، أي ما يعادل ٦٠٠ مليون درهم .

٥- قائمة ابن خلدون، عبد الرحمن كما وردت في المقدمة (٨)

اسم المكان	المبالغ	المواد العينية وغيرها	الملاحظات
غلات	٢٧ مليون درهم مرتين	الحلل النجرائية مائتا حلة ومن	كما وردت لدى الجهشياري
السود	وثمانمائة ألف درهم	طين الختم مائتان وأربعون رطلاً	مرتين - زائدة وذكر الجهشياري
كنكر	١١ مليون درهم مرتين	كنكر تحريف عن كسكر	١٤٨٠٠٠٠٠ درهم
	وستمائة ألف درهم		في الجهشياري كسكر بدون مرتين
كور دجلة	٢٠ مليون درهم و٨ دراهم		في الجهشياري ٢٢٨٠٠٠٠٠ درهم
حلوان	٤ ملايين درهم مرتين		مرتين زائدة
	وثمانمائة ألف درهم		
الاهواز	٢٥ ألف درهم مرة	من السكر ثلاثون ألف رطل	
فارس	٢٧ مليون درهم	من ماء الورد ٣٠ ألف قارورة	في الجهشياري ماء الزبيب الأسود
		ومن الزيت الأسود ٢٠ ألف رطل	
كرمان	٤ ملايين مرتين ومائتا ألف درهم	ومن المتاع اليماني خمسمائة ثوب	بدون مرتين
		ومن التمر عشرون ألف رطل	
مكران	أربعمائة ألف درهم مرة		
الشند وما يليه	١١ مليون درهم مرتين وخمسمائة ألف درهم	من العود الهندي ١٥٠ رطلاً	بدون مرتين - وخمسون منا
سجستان	٤ ملايين مرتين	ومن الثياب المعينة ٣٠٠ ثوب	٤٦٠٠٠٠٠ بدون مرتين
		ومن الفانيذ عشرون رطلاً	ومن الفانيذ عشرون ألف رطل
خراسان	٢٨ مليون درهم مرتين	ومن نقر الفضة الفا نقرة	من دون مرتين
		ومن البراذين ٤ آلاف ومن الرقيق	
		الف رأس ومن المتاع عشرون ألف	
		ثوب ومن الاهليلج ٣٠ ألف رطل	
جرجان	١٢ مليون درهم مرتين	ومن الابريسم الف شقة	بدون مرتين ألف من
قومس	٥٠٠ مليون درهم مرتين و٥٠٠ ألف درهم	من نقر الفضة (٩)	بدون مرتين ٠ من نقر الفضة الفا نقرة

اسم المكان	المبالغ	المواد العينية وغيرها	الملاحظات
طبرستان	٦ ملايين درهم وثلاثمائة	ومن الفرش الطبري ٦٠٠ قطعة	طبرستان والدويان ودنباوند
والريوان ونباوند	ألف درهم	ومن الاكسية ٢٠٠ والثياب ٥٠٠	بدون مرتين
		ثوب ومن المناديل ٢٠٠ ومن الجامات ٣٠٠	٦٠٠ جام
الري	١٢ مليون مرتين	ومن العسل ٢٠ ألف رطل	بدون مرتين بدون عسل
		ومن الرمانين ألف رطل	
		ومن العسل ١٢ ألف رطل	
همدان	١١ مليون درهم مرتين	ومن الرمانين الف رطل	١١٨٠٠٠٠٠ بدون مرتين رب
	وثلاثمائة الف درهم	ومن العسل اثنا عشر الف رطل	والريباس الف من والعسل ٢٠ الف رطل
ما بين البصرة	١٠ ملايين درهم مرتين		ما هي البصرة والكوفة
والكوفة	و ٧٧٠ الف درهم		٢٠٧٠٠٠٠٠ درهم
ماسبذان	٤ ملايين درهم مرتين		لا وجود لهما عند الجهشياري
والدينبار			٢٤٠٠٠٠٠٠ درهم عند الجهشياري
شهرزور	٦ ملايين درهم مرتين		
	و ٧٠٠ الف درهم		
الموصل وما إليها	٢٤ مليون مرتين	ومن العسل الأبيض عشرون مليون رطل	بدون مرتين والعسل ٣٠ ألف رطل
اذربيجان	٤ ملايين مرتين		بدون مرتين
الجزيرة وما يليها من أعمال الفرات	٣٤ مليون درهم مرتين	ومن الرقيق الف رأس ومن العسل ١٢ ألف زق ومن البزاة عشرة ومن الاكسية عشرون	بدون مرتين أما المواد العينية فلا وجود لها لدى الجهشياري
ارمينيا	١٢ مليون درهم مرتين	ومن القسط المحفور عشرون	
		ومن الزقم خمسمائة وثلاثون رطلا	بدون مرتين البسط المحفورة ٢٠
		ومن البغال ٢٠٠ ومن المهر ٣٠	والزقم ٥٨٠ قطعة والبزاة ٣٠ بازيا
قنسرين	٤٠٠ ألف دينار	ومن الزيت الف حمل	٤٩٠ دينار بدون زيت
دمشق	٤٢٠ ألف دينار		

اسم المكان	المبالغ	المواد العينية وغيرها	الملاحظات كما وردت لدى الجهشيارى
الاردن	٩٧ ألف دينار		٩٦ ألف دينار
فلسطين	٣١٠ ألف دينار	ومن الزيت ٣٠٠ ألف رطل	٣٢٠ ألف دينار ومن الزيت
مصر	١٩٢ ٠٠٠٠ دينار		
برقه	مليون درهم مرتين		بدون مرتين
البريقيا	١٣ ألف درهم مرتين	ومن البسط ١٢٠ بساطاً	١٣ مليون درهم
اليمن	٣٧٠ ألف دينار	سوى المتاع	٨٧٠ ألف دينار
الحجاز	٣٠٠ ألف دينار		

الملحق (ب) الزنادقة والغنوص

١ - الزنادقة:

الزندقة حركة ذوي الآراء الحرة من الملحدين لمناهضة الأديان . ويعرف الأشخاص بالزندقة (جمع زنديق) - نسبة إلى كتاب الزند - وهو تفسير كتاب (الافستا المجوسي) ، وقد اختلف العلماء والمؤرخون والباحثون قديماً وحديثاً في أصل اشتقاق الكلمة ، وعلى أي الجماعات تطلق ، هل ينفرد بها المانيون - أتباع ماني - ؟ أم كل الذين يبطنون الشرك ويظهرون التوحيد ؟ . ولكنهم - أي العلماء - لم يختلفوا على حقيقة أن الكثيرين من ذوي الآراء الحرة والأفكار الجريئة اتهموا جزافاً بالزندقة . وأرى بأن الزندقة لم تناهض الإسلام كدين ، وإنما ناهضت السلطة الإسلامية الحامية لمصالح الطبقة السائدة والمضطهدة لكل معارضة ، ولو أن مناهضة الزنادقة للسلطة كانت سلبية ضعيفة وفردية ليست جماهيرية . ذكر الألوسي ، محمود شكري ، والزنديق بكسر الزاي من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان أو من لا يؤمن بالآخرة والربوبية^(٩) ، وقد ذكر كولدتسهير عن الزندقة «وكانت تطلق في العصر العباسي على من ينحو من المسلمين في تفكيره الديني نحو العقائد الزرادشتية والمناوية»^(١٠) ، يقول ابن كمال باشا : لفظ الزنديق ، فارسي معرب . على ما نص ائمة اللغة - أصله زنده ، أو زندي ، على اختلاف القولين ، والراجح هو الأول على ما حققناه في مسألتنا المعمولة في تحقيق التعريب ، وعلى الوجهين نسبته إلى زند^(١١) . وقد أورد محفوظ ، حسين علي في تعليقه على هذا النص^(١٢) ، مختلف الآراء حول كلمة زنديق إذ يقول : وقد اختلفوا في أصله اختلافاً كبيراً ففي جمهرة اللغة - ابن دريد الأزدي^(١٣) : زنده كر ، وفي المخصص - ابن سيده - مصر ١٣٢٠ هـ - ج ١٤ ص ٤٣ : زندكر ، وفي لسان العرب - ابن منظور الإفريقي - مصر ١٣٠٢ هـ - ج ١٢ ص ١٢ : زندكر ، وفي المزهري في علوم اللغة وأنواعها - جلال الدين السيوطي - مصر (طبعة البجاوي) ج ١ ص ٢٧٨ - ٩ : زنده كرد ، وفي المحيط - صاحب بن عباد (مخطوط ١٣٥٤ هـ كتبه الشيخ محمد السماوي بالنجف) ج ١ ص ٤٤٠ : زنده ،

وفي شفاء الغليل فيما في كلام العرب من دخيل - الخفاجي - مصر ١٢٨٢ هـ ص ١١٢ : زنده كرد زند زندي زن دين زنده ، وفي تاج العروس - السيد مرتضى الزبيدي - مصر ط ١ - ١٣٠٦ هـ ج ٧ ص ٦٣٧ : زن دين ، وفي المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم - الجواليقي - مصر - ١٣٦١ هـ ص ١٦٦ - ٧ : زنده كرد ، زنيده ، وفي منتهى الأرب في لغة العرب - الصفي بوري - طهران - ١٢٩٦ هـ ج ١ ص ٥١٨ - ٩ : زن دين ، وفي مجمع البحرين - الطريحي - طهران - ١٢٩٨ هـ . مادة زن (دق) زند زندا زن دين ، وفي القاموس - الفيروز ابادي - مصر - ١٣٥٢ هـ ج ٣ ص ٢٤٢ : زن دين ، وفي أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد ، الشرطوني بيروت ١٨٨٩ م ج ١ ص ٤٧٧ : زنده ، وفي محيط المحيط - المعلم بطرس البستاني - بيروت ١٨٦٧ م ج ١ ص ٨٨٩ : زن دين ، وفي البستان - الشيخ عبد الله البستاني - بيروت ١٩٣٧ م ج ١ ص ١٠١٧ : زن دين ، راجع المصباح المنير - الفيومي - مصر - ١٩٣٩ م ج ١ ص ٢٤٩ ، وصاح اللغة - الجوهري - مصر - ١٢٩٢ هـ ج ٢ ص ٨٨ ، ودائرة المعارف - البستاني - بيروت - ١٨٨٧ م ج ٩ ص ٢٧٠ ، ودائرة معارف القرن الرابع عشر - محمد فريد وجدي - مصر ١٣٤٢ هـ ج ٤ ص ٦٠٨ ، وفرنود سار - ناظم الأطباء - طهران - ١٣١٩ - ١٣٢٠ هـ ج ٣ ص ١٧٨٣ ، وبرهان قاطع - محمد حسين بن خلف التبريزي - طهران - ١٣٣١ ش ج ٢ ص ١٠٣٩ ، وكتاب صديقي - ص ٢١ و ٩٠ ، والبديع في معرفة اللغة - السيد علي الميبيدي - طهران - (؟) - ص ٩٥ ، والألفاظ الفارسية المعربة - أدي شير - بيروت - ١٩٠٨ م ص ٨٠ - ١ ، وترجمان ولغة - محمد يحيى بن محمد شفيع القزويني - طهران ١٢٧٣ هـ : مادة (زن دي ق) ، والانساب - السمعاني - ليدن - ١٩١٢ م (ورقة ٢٨٠/ب) في مادة الزندي ، وجامع التعريب بالطريق القريب (مخطوط ١٢٠٢ هـ) نسخة (مكتبة الأوقاف العامة ببغداد) المرقومة ٦٠١٥ (ورقة ٧١ أ - ورقة ٧٢ أ) ، وضياء الخلوم المختصر من كتاب شمس العلوم - محمد بن نشوان بن سعيد الحميري (نسخة خزائن المشكاة بطهران) مخطوط ج ٢ (ورقة ٥٠/ب) ^(١٤) ، انتهى تعليق محفوظ .

حول الزنادقة راجع أيضاً الدوري ، عبد العزيز في كتابه العصر العباسي الأول ^(١٥)

الصفحات ١٠٩ - ١١٦ ويذكر في ص ١١١ ما يلي : ولكن يجب أن نلاحظ أن الزنادقة لم يكونوا جميعاً مانوية وأن الاسم تدرج معناه فشمّل جميع أتباع الديانات الفارسية الذين يظهرون الإسلام ، ثم صار يشمل الملحدين أو المتشككين في الدين . ويعرض الدوري آراء براون Browne وديفن Deven وفون كيرمر Von Kremer ، القائلة بأن الزنادقة هم من المانوية .

وذكر الدوري في كتابه « الجذور التاريخية للشعبوية »^(١٦) : « وقد استمرت الحركة المانوية باسم الزندقة في المجتمع الاسلامي » - ص ٢٤ ، كما ذكر الدوري في كتابه مقدمة في تاريخ صدر الإسلام^(١٧) : « وانتشرت الزندقة وهي تمثل نزاعاً سياسياً دينياً بين الديانات الفارسية ، والطموح الفارسي وبين الروح العربية والدين الإسلامي » ص ٩١ . راجع أيضاً جب H.A.R. Gibb في كتابه Studies on the Civilisation of Islam^(١٨) وفيه فصل عن الشعبوية والزندقة العربية ص (٨٢ - ٩٤) .

أما في المصادر العربية فيمكن مراجعة الملطي ، كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، طبع استانبول ، ١٩٣٦ م ص ٧٢ . والجاحظ - البيان والتبيين ، ج ٣ ، ولو أننا لا نتفق مع قوله : فإنما عامة من أرتاب بالإسلام إنما جاءه هذا عن طريق الشعبوية فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام إذ كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف ، الجزء الثالث طبع القاهرة ، ١٩٣٢ م ص ١٤ ، إذ أن بين الزنادقة كان هناك عرب ، مثل صالح بن عبد القدوس ومطيع بن اياس ، كما أن الجاحظ أرجع الزندقة إلى العنصرية وهذا غير صحيح . وابن النديم ، الفهرست^(١٩) ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، والجهمشيري ، الوزراء والكتاب^(٢٠) ، والمسعودي ، مروج الذهب ج ١ ص ٢٥٠^(٢١) ، والبغدادى ، الفرق بين الفرق^(٢٢) ، والشهرستاني ، الملل والنحل^(٢٣) وابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية^(٢٤) .

راجع ، حتي ، فيليب ، تاريخ العرب (مطول)^(٢٥) حيث يذكر : زندقة في العربية مأخوذة من زنديك الفارسية - مجوسي عباد نار ، - ج ١ ط ٢ لسنة ١٩٦١ ص

١١٤ ، هامش رقم ٢ ، وذكر أيضاً : أطلق قدماء العرب لفظة زنديق (وهي مشتقة من زنديك البهلوية) على كل مسلم أظهر عقائد الفرس لا سيما المانوية وصارت لفظة زنديق فيما بعد تدل على من اتصف بالحرية الفكرية . ص ٤٤٠ هامش رقم ٢ . راجع أيضاً بارتولد ، الحضارة الإسلامية^(٢٦) (مترجم للعربية) ص ١١ - ١٢ ، ويذكر شلبي ، أحمد : وقد ظهرت الزندقة قبل أن يظهر الإسلام فالزندقة ليست خروجاً على الإسلام خاصة وإنما هي خروج على جميع الأديان وعلى كل القيم والمعايير الأخلاقية السليمة ، في قصور الخلفاء العباسيين^(٢٧) ، - ص ٣٤ .

ب - الغنوصية :

يقترن بذكر ماني والتعاليم المانوية ذكر الغنوصية والديصانية والمرقيونية . فما هي الغنوصية ؟ وما علاقة الغنوص بكل من الديصانية والمرقيونية ؟ ومن ثم بالمانوية ؟

ذكر ابن النديم عن الديصانية : إنما سمي صاحبهم بالديصان باسم نهر ولد عليه ، وهو قبل ماني ، والمذهبان (يقصد الديصانية والمانوية) قريب بعضهما من بعض ، وإنما بينهما خلاف (اختلاف) في اختلاط النور بالظلمة ، فإن الديصانية اختلفت في ذلك على فرقتين : فرقة زعمت أن النور خالط الظلمة باختيار منه ليصلحها ، فلما حصل فيها ورام الخروج عنها امتنع ذلك عليه ، وفرقة زعمت أن النور أراد أن يرفع الظلمة عنه لما أحس بخشوتها وتتنها ، شابكها بغير اختياره... وزعم ابن ديصان أن النور جنس واحد والظلمة جنس واحد ، الفهرست^(٢٨) ص ٤٨٨ .

ويقول الشهرستاني عن الديصانية - وهو تقريباً يردد أقوال ابن النديم : « أصحاب ديصان اثبتوا أصليين ، نورا ، وظلاما . فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً فما كان من خير ونفع ، وطيب وحسن فمن النور . وما كان من شر وضرر ، ونتن وقبح ، فمن الظلام . وزعموا أن النور : حي ، عالم ، قادر ، حساس ، ذاك ، ومنه تتكون الحركة والحياة . والظلم ميت ، جاهل ، عاجز ، جماد ، موات ، ولا فعل له ولا تمييز - الملل والنحل^(٢٩) ، ج ١ ص ٢٥٠ . وكتب ابن النديم عن المرقيونية : أصحاب مرقيون ، وهم قبل الديصانية ، وهم طائفة من النصارى ، أقرب من المانية والديصانية ، وزعمت المرقونية أن الأصليين القديمين النور والظلمة ،

وأن ههنا كونا ثالثاً مزجها وخلطها... واختلفوا في الكون الثالث ما هو ، فقالت منهم طائفة هو الحياة ، وهو عيسى ، وزعمت طائفة أن عيسى رسول ذلك الكون الثالث - الفهرست ص ٤٨٨ - ٩ . وبشيء من التفصيل يضيف الشهرستاني إلى أقوال ابن النديم عن المرقيونية ، فيقول : أصحاب مرقيون اثبتوا أصليين قديمين متضادين ، أحدهما، النور والثاني الظلمة . واثبوا أصلاً ثالثاً هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج . فإن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع . وقالوا : إن الجامع دون النور في المرتبة ، وفوق الظلمة ، وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم... وهذا خلاف ما قالته المانوية ، وإن كان ديسان أقدم ، وإنما أخذ ماني منه مذهبه وخالفه في المعدل . وهو أيضاً خلاف ما قال زردشت ، فإنه يثبت التضاد بين النور والظلمة ، ويثبت المعدل كالحاكم على الخصمين ، الجامع بين المتضادين . - الملل والنحل - ج ١ ص ٢٥٢ .

ويذكر ابن النديم عن ماني : « واستخرج ماني مذهبه من المجوسية والنصرانية » - الفهرست ص ٤٧٢ . ويذكر البيروني عن ماني : وكان عرف مذهب المجوس والنصارى والثنية - الآثار الباقية^(٢٠) - ص ٢٠٧ . وقال عنه الشهرستاني : أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية - الملل والنحل - ج ١ ص ٢٤٤ .

أما الغنوص فهو مجموعة آراء وثنية ذات أصول مختلفة لهذا احتوى على عقائد مختلفة بضمنها ثنائية الوجود وقد تسربت هذه الآراء إلى المسيحية وإلى المانوية . يذكر كريستنسن ، آرثر عن ماني : وقد نشأ الطفل الصغير (يقصد ماني) على مذهب المغتسلة (يقصد الصابئة) . ولكنه تعمق بعد ذلك في درس أديان زمانه الزرادشتية والمسيحية والمذاهب الكنيسيتيكية (الغنوصية) وخاصة مذهبي ابن ديسان ومرقيون فترك مذهب المغتسلة - إيران في عهد الساسانيين^(٢١) - ص ٢٧١ - ٢ ... ولا يستطيع الباحث أن يغفل الأصل الكنوسيتيكي (الغنوصي) لخلق الدنيا والمعاد عند ماني . وقد وجد شيدر في ملخص عقائد ماني الذي ذكره الكسندر اليكوبوليسي في صورة فلسفية (يحتمل أن يكون حوالي سنة ٣٠٠) أساس الفلسفة الهيلينية التي بنى عليها ماني ، تلميذ ابن ديسان ، نظريته - إيران في عهد الساسانيين^(٢٢) - ص ١٧٩ وقد أشار بارتولد ، فاسيلي فلاديميروفيتش إلى تأثير الغنوصية في المانوية : إن آراء

بردسان الكاتب السرياني الذي حاول التأليف بين الفلسفة الوثنية المسماة الغنوسية (الغنوصية) Ganosticisme وبين بعض آراء النصرانية ، ولا ريب قد أثرت في المانوية التي ظهرت في القرن الثالث^(٢٣) . ويعلق المؤرخ التركي كوبريلي ، محمد فؤاد على كلام بارتولد ، ف . فيقول : ... فالغنوص gnosis معناها (المعرفة العليا ذات الأسرار) وتسمى العقائد الدينية الفلسفية المختلفة التي تتصل بالـ (غنوص) الغنوصية... ومع وجود أسرار مشتركة بين الغنوصيين الذين يؤمنون بوقوفهم على معرفة عالية ذات أسرار لا يطلع عليها غيرهم ، فإن هنالك مذاهب غنوصية قد نشأت من أصول مختلفة ومتميزة عن بعضها من حيث عقائدها . وتشاهد تحت هذا الاسم مذاهب مختلفة نشأت من الوثنية واليهودية والمسيحية ، اختلطت عقائدها بعضها ببعض ونسأت من أصول قديمة جداً^(٢٤) .

ويرى الدوري ، عبد العزيز : أن كلا من ابن ديسان ومركيون سبق ماني في المزج بين الزردشتية والمسيحية وتكوين مذهب خاص من الاثنين ، العصر العباسي الأول^(٢٥) ، أما بروكلمان ، كارل فيقول : ظهر ماني كمؤسس لديانة غنوصية جديدة متأثرة بالنصرانية من ناحية وببابل وإيران من ناحية أخرى ، تاريخ الشعوب الإسلامية^(٢٦) .

الملحق (جـ)

القصائد والأشعار التي قيلت بمناسبة الانتفاضة وما يتعلق بها

١ - الشاعر علي بن الجهم، أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود القرشي الشامي، ١٨٨ هـ - ٢٤٩٩ هـ.

قال (*) علي بن الجهم بن بدر يمدح المعتصم بالله (٣٧) ،

١ - متى عطلت رباك من الخيام

سقيت معاهدا صوب الغمام - ٣ -

٣٦ - وليت (فلم) (٣٨) تدع للدين ثارا

سيوفك والمشقة الدوامي - ٩ -

٣٧ - نصبت المازيار على سحوق

وبابك والنصارى في نظام (٣٩) - ٩ -

٣٨ - مناظر لا يزال الدين منها

عزيز النصير ممنوع المرام - ٩ -

٤٢ - وجمع الزط حين عموا وصموا

عن الداعي إلى دار السلام - ١٠ -

٤٤ - أطلّ عليهم يوم عبوس

(تعوذ) منه أيام الخمام - ١١ -

٢ - الشاعر البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى،

٢٠٦ هـ / ٨٢١ م - ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م (٤٠)

قال يمدح أبا سعيد (٤١) (القائد محمد بن يوسف) ،

١ - زعم الغراب منبى الانبياء

أن الأحبة آذنوا بتناء - ٢٢٧ -

(*) ملاحظة : ان الأرقام التي تسبق بيت الشعر تعود إلى تسلسل الأبيات في القصيدة بينما الأرقام التي في نهاية بيت الشعر تعود إلى صفحات الديوان أو المصدر المنقولة عنه القصيدة .

- ٣٢- ثَار مَحْمَد^(١٢) لَهُمْ عَلَى
 ٢٢٨- كَلْبِ الْعَدَى وَتَخَاذِلِ الْأَحْيَاءِ
 ٣٣- مَا أَنْفَكَ سَيْفُكَ غَادِيًا أَوْ رَانِحًا
 ٢٢٨- فِي خَصْدِرِهَا مَاتَ وَسَفَكَ دِمَاءَ
 ٣٤- حَتَّى كَفَيْتَهُمَ الَّذِي اسْتَكْفَوْكَ مِنْ
 ٢٢٨- أَمْرِ الْعَدَا وَوَفَيْتَ أَيَّ وَفَاءِ
 ٣٥- مَا زِلْتَ تَقْرَعُ بَابَ بَابِكَ بِالْقَنَا
 ٢٢٨- وَتَزُورُهُ فِي غَارَةِ شِعْوَاءِ
 ٣٦- حَتَّى أَخَذْتَ بِنَصْلِ سَيْفِكَ عَنُوءَ
 ٢٢٨- مِنْهُ الَّذِي أَعْيَا عَلَى الْأُمْرَاءِ
 ٣٧- أَخْلَيْتَ مِنْهُ الْبَيْدَ وَهِيَ قَرَارُهُ
 ٢٢٨- وَنَصَبْتَهُ عِلْمًا بِسَامِرَاءِ
 ٣٨- لَمْ يُبْقِ فِيهِ خَوْفٌ بِأَسْكَ مَطْمَعًا
 ٢٢٨- لِلطَّيْرِ فِي عَوْدِهِ وَلَا إِبْدَاءِ
 ٣٩- فَتَرَاهُ مُطْرَدًا عَلَى أَعْوَادِهِ
 ٢٢٨- مِثْلَ أَطْرَادِ كَوَاكِبِ الْجُوزَاءِ
 ٤٠- مُسْتَشْفَعًا لِلشَّمْسِ مَتَّصِبًا لَهَا
 ٢٢٨- فِي أَخْرِيَاتِ الْجَذَعِ كَالْحَرِبَاءِ

* * *

وَقَالَ يَمْدَحُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ^(١٣) :

- ١- عَارِضُنَا أَصْلًا فَغَلَبْنَا الرَّبْرُبُ
 حَتَّى أَضَاءَ الْأَقْحَوَانُ الْأَشْنَبُ - ١٨٧-
 ٢٧- وَلِخَرِبَةِ الْإِسْلَامِ حِينَ يَهْزُهَا
 خَوَلٌ يَرَاغُ لَهُ النِّفَاقُ وَيُرْعَبُ - ١٨٨-
 ٢٨- تِلْكَ الْمَخْمَرَةُ الَّذِينَ تَهَافَتُوا
 فَمُشْرِقٌ فِي غَيِّهِ وَمُغْرِبٌ - ١٨٨-

- ٢٩- والخرمية إذ تَجَمَّعَ منهم
 بجبالِ قرآنِ الحصى والأثلبِ ١٨٨-
 ٣٧- سَلِبُوا وَأَشْرَقَتِ الدماءُ عليهم
 مُخَمَّرَةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلَبُوا ١٨٨-

* * *

- وقال يمدح محمد بن يوسف^(٤٤) (أبا سعيد) :
 ١- فِيمَ ابْتَدَارُكُمْ الملامَ ولوعا
 أبكيتَ إلَّا دُمْنَةً وربوعا ١٦٧-
 ٢٥- لله ذرْك^(٤٥) يومَ بابكَ فارسأ
 بطلاً لأبوابِ الحتوفِ قُروعا ١٦٨-
 ٢٦- لما أتاك يقودُ جيشاً أرعناً
 يمشي إليه كشافَةً وجموعا ١٦٨-
 ٢٧- وزعتهم بين الأسنة والطبى
 حتى أبذنت جموعهم توزيعا ١٦٨-
 ٢٨- في معركِ ضنكٍ تخالُ به القنا
 بين الضلوع إذا انحينَ ضلوعا ١٦٨-
 ٢٩- ما إن ثنى فيه الأسنة والطبى
 لطى الفوارسُ سجداً وركوعا ١٦٨-
 ٣٠- جلبته بشساع رأس رده
 لبس الترانك للمهياج صليعا ١٦٨-
 ٣١- فدعوتهم بطبى السيوفِ إلى الردى
 فأتوك طراً مهطعين خشوعا ١٦٨-
 ٣٢- حتى ظفرت بذرهم فتركته
 للذل^(٤٦) جانبُه وكان منيعا ١٦٨-

* * *

وقال البحري يرتني بني حميد ويخص أبا مسلم^(٤٧) :

- ١- اقصر حميداً لا عزاء لمفرم
ولا قصّر عن دمع وإن كان من دم - ٥٥-
- ٩- بشاهقة البذين قبر محمد
بعيد عن الباكين في كل ماتم - ٥٥-
- ١٠- تشق عليه الريح كل عشية
جيوب الغمام بين بكر وأيم - ٥٥-

* * *

وقال يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف (الصامتي)^(٤٨) :

- ١- لا دمنة بلوى خربت ولا طل
يردّ قولاً على ذي لوعة يسيل - ١٧٥٨-
- ٢٩- تهفوبه راية صفراء تحسبها
أردية صبغتها الهون والشلل - ١٧٦٢-
- ٣٠- أمسى يردّ حريق الشمس جانبه
عن (بابك) ، وهي في الباقيين تشتعل - ١٧٦٣-
- ٣١- كأنهم ركبوا للحرب وهو لهم
بند ، فما لقا مذ أوفى ولا نزلوا - ١٧٦٣-

* * *

ذكر ابن الأثير - في الكامل^(٤٩) - عن الزط بعد اندحارهم لما جلبهم عجيف بن
عنيسة أسرى بسفنهم إلى بغداد ما يلي : وأقام الزط في سفنهم ثلاثة أيام ثم نُقِلُوا
إلى الجانب الشرقي وسلّموا إلى بشر بن السميدع ، فذهب بهم إلى خانتين ثم نُقِلُوا
إلى الشجر إلى عين زربة فأغارت الروم عليهم فاجتاحوهم فلم يفلت منهم أحد . فقال
شاعرهم في ذلك^(٥٠) :

يا أهل بغداد موتوا دأماً غيظكم
شوقاً إلى تمر برني وسهريز - ٢٣٣-

نحن الذين ضربناكم مُجَاهَرَةً
قَسْرًا وسَقْنَاكم سوقَ المعاجيز - ٢٣٣
لم تشكروا اللهَ نَعْمَاءَ التي سَلَقَتْ
ولم تحسبوا أياديهِ بتعـزيز - ٢٣٣
فاستنصروا العبدَ من أبناءِ دولتكم
من يا زَمَانٍ ومن بلجٍ ومن تُوزٍ - ٢٣٣
ومن شناسٍ وأفـشينٍ ومن فـرجٍ
المُغْلِمِـيْنِ بديبـاجٍ وابـريز - ٢٣٣
واللابسينِ كـخَانِ الصينِ قَدِ خَرُطَتْ
أردائُهُ دَرَزَ بروازِ الدخـساريز - ٢٣٣
والحاملينِ الشكـي نِيَطَتْ عَلائِقُهَا^(٥١)
إلى مناطقٍ خاصٍ غيرِ مـخـروز - ٢٣٣
يغـري ببـيض من الهند هـامـهم
بنو بهلة في أبناءِ فيـروز^(٥٢) - ٢٣٣
فوارسٌ خَيلُهَا دهمٌ مُودَعَةٌ
على الخـراطيمِ مِنْهَا والفـراريز^(٥٣) - ٢٣٣
مـسـخرات لها في المـاء أجنحة
كالآبنوس إذا استـحـضرن والشـيز - ٢٣٣
مـتـى ترموا لنا في غـمر لـجـتنا
حذرا نصيدكم صيد المقاقـيز - ٢٣٣
أو اختطافاً وارهـا كـما اختـطفت
طير الرجال حثانا بالشـناقـيز - ٢٣٤
ليس الجـلاد جـلاد الزط فاعـترفوا
أكل الثريد ولا شرب القواقـيز - ٢٣٤
نحن الذين سقينا الحـرب ذرتهـا
ونقتنيها مقاسات الكوالـيز - ٢٣٤

لنسفـعنكم سفـعـما يذل له
رب السرير ويشجى صاحب التيز ٢٣٤-
فابكوا على التمر أبكى الله أعينكم
في كل أضحى وفي فطر ونيروز^(٥٤) ٢٣٤-

* * *

ذكر الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود في كتابه «الأخبار الطوال»^(٥٥) : ولما
قدّم الأفشين ومعه بابك أجلسه المعتصم على سرير أمامه وعقد التاج على رأسه وفي
ذلك يقول اسحاق بن خلف الشاعر في قصيدته التي مدح فيها المعتصم بالله^(٥٦) :
ما غبت عن حرب تحرق نازها
بالبد كنت هنا وأنت هناك ٣٤١-
عزت بأفشين حسامك أمة
والدين ممتسك به استمساكا ٣٤١-
لما أتاك ببابك توجتته
وأحق من أضحى له تاجاكا ٣٤١-

* * *

وذكر الدينوري ، أبو حنيفة أيضاً^(٥٧) : إن أبا تمام رثى محمد بن حميد الطوسي
بقصيدة يقول فيها :

كان بني نبهان يوم وفاته
نجوم سماء خز من بينها البدر ٣٣٩-
وفيها يقول :
فأثبت في مستنقع الموت رجلاً
وقال لها من تحت أخمصك الحشر ٣٣٩-

* * *

قصيدة إبراهيم بن المهدي

ذكر المسعودي في «مروج الذهب»^(٥٨) : ولما قُتِلَ بابكُ وأخوه وكان من أمره ما تقدم ذكره قام في مجلس المعتصم الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء ، فممن قام في ذلك اليوم إبراهيم بن المهدي فقال شعراً بدلاً من الخطبة وهو :

١- يا أمينَ الله أنَّ الحمدَ لله كثيرًا - ٥٨

٢- هكذا النصرُ ، فلا زالَ لك الله نصيرًا - ٥٨

٣- وعلى الأعداءِ أعطيتَ من الله ظهيرًا - ٥٨

٤- وهنيئاً هياً الله لك الفتحَ الخطيرًا - ٥٨

٥- فهو فتحٌ لم ير الناسُ له فتحاً نظيرًا - ٥٨

٦- وجزى الأفشين عبد الله خيراً وحبوراً - ٥٩

٧- فلقد لاقى به بابكُ يوماً قمطريراً - ٥٩

٨- ذاك مولاك الذي ألفيته جلدا صبوراً - ٥٩

٩- لك حتى ضرج السيف له خدا نظيرًا - ٥٩

١٠- ضربة القت على الدهر له في الوجه نورا - ٥٩

* * *

أورد ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، في المسالك والممالك^(٥٩) بيتاً للشاعر الحسين بن الضحاک :

لم يدغ للبلد من سـاكنه

غير أمثالٍ كأمثالِ إرم - ٢٢٠

* * *

وقد أورد هذا البيت مع بيتين آخرين ، المقدسي ، المطهر بن طاهر في كتابه «البدء والتاريخ»^(٦٠) دون أن يذكر قائله إذ كتب : وأمر (الخليفة) بمدحه (للافشين) وجعل صلتهم عنده فمما قيل فيه :

كل مجد غير ما أثله

لبني كـاوس أولاد العـجم - ١١٧

إنما الأفشين سيف سله
قد ر الله لكف المعصم - ١١٧
لم يدغ في البس من ساكنه
غير أمثال كأمثال إرم - ١١٧

* * *

كتب الطبري يصف عرض بابك في سامراء حيث أركبوه على فيل : وأمر به فجعل
في قباء ديباج وقلنسوة سمور مدورة وهو وحده فقال محمد بن عبد الملك
الزيات (٦١) :

قد خضب الفيل كعادته
يحمل شيطان خراسان - ١٢٣٠
والفيل لا تخضب أعضاؤه
إلا لذي شأن من الشأن - ١٢٣٠

* * *

قال المسعودي (٦٢) - في التنبيه والاشراف - ليدن ، ١٨٩٣ ،
ولحق الأفشين بالمعصم فنزل معه على عمورية وفي ذلك يقول الحسين بن الضحاک
الخليع الباهلي في قصيدة طويلة يمدح أبا الحسن الأفشين :
أثبت المعصوم عزاً لأبي
خسن اثبت من ركن أضم
كل مجرد دون ما أثله
لبنى كاس أملاك العجم
لم يدع بالبس من ساكنه
غير أمثال كأمثال إرم
وقرى توفيل طعنا صادقاً
فض جمعيه جميعاً وهزم

ص ١٧٠

وقال الحسين بن الضحاك في كلمة له طويلة يخاطب المعتصم :
 لم يَبْقَ من أنقـــــرة نقـــــرة
 واجتـــــحت عمـــــورية الكبرى
 إن يشك توفـــــيل بتأريخـــــه
 فحـــــق أن يُعـــــذر بالشكوى
 وقال :

تفنى بنو العـــــيص وأيامـــــهم
 وذكـــــر أيامك لا تفنى
 يا رب قـــــدد أملكـــــت من بابك
 فأجـــــعل لتوفـــــيلهم العقبى
 ص ١٧٠

* * *

ذكر ابن اسفنديار ، محمد بن الحسن في كتابه (تاريخ طبرستان) (١٢) قصيدة لم يذكر قائلها (١٤) :

- ١ - وقايلة جـــــرتم غداة يســـــوكم
 أسارى إلى اللفـــــور قلف الأساور - ١٥٣
- ٢ - لعمرك لو شئنا امتنعنا وأصبحت
 بنو قـــــارن فـــــينا طحين الدوائر - ١٥٣
- ٨ - أيرضى أمـــــير المؤمنين بما نرى
 وليس أمـــــير المؤمنين بجائر - ١٥٣
- ٩ - أيجـــــعلنا نهب المجوس وما نرى
 اليهم ســـــوى دين الهدى من جرائم - ١٥٣
- فـــــان ينج مـــــثل المازيار ولم يذق
 سلافة موت من كؤوس البواتر - ١٥٣

وانسي ألقى المازيار كــــــأنني
أرى رأسه تاجاً لرمح بن طاهر - ١٥٣

* * *

٣- الشاعر أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي ، يذكر بأنه ولد ١٨٠ هـ ، ٧٩٦ م
أو ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م والراجح ١٩٠ هـ / ٨٠٦ م ، وتوفي ٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م ، وهو أكثر
الشعراء ذكراً للانتفاضة ومواقعها ومعاركها .

قال يمدح أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي (١٥) :

- ١- على مـثـلـها من أرـثـع ومـلـاعـب
أذيلت مصونات الدموع السواكب - ٢٠٥
- ٣١- وقد عَلِمَ الأفـشـيـنُ وهو الذي به
يُصـان رداءُ الملكِ عن كلِّ جـاذب - ٢١٧
- ٣٢- بـأنـك لما اسـحـنـكـ الأـمـرُ واكـتـسـى
أهابي تـسـنـفي في وُجـوه التجارب - ٢١٨
- ٣٣- تجلَّـتـه بالرأي حـتـى أرـيـتـه
به ملء عينيه مكانَ العواقب - ٢١٨
- ٣٤- بأرشق إذ سالت عليهم غـمـامـةً
جـرّت بالعوالي والعـتـاق الشواذب - ٢١٨

* * *

يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف ويذكر وقعته مع الخرمية (١٦) :

- ١- أبـى فـلا شـنـبـاً يهـوى ولا فـلـجـا
ولا احـوراراً يـرـاعـيه ولا دـعـجـا - ٣٣٣
- ٢- كـفـى فـقـد فـرـجـتُ عـنـه عـزـيـمـةً
ذاك الـوُـلـوعُ وذاك الشـوق فـانـفـرجـا (١٧) - ٣٣٣
- ٣- كـانـت حـواـثـثُ في مـوقـانٍ ما تـرـكـتُ
للخـرمـيـة لا رَأْساً ولا ثَبَجاً (١٨) - ٣٣٣

- ٥- أبلغ محمد الملقى كلاكه
 بأرض خش أمام القوم قد لبجا - ٣٣٤
 ١٢- ويوم أرشق والآمال مُرَشِقَةٌ^(٦٩)
 إليك لا تتبغي عنك مُنْعَرَجًا - ٣٣٥
 ١٤- لله أيامك اللاتي أغررت بها
 صفر الهدى وقديماً كان قد مرجا^(٧٠) - ٣٣٦
 ١٥- كانت على الدين كالساعات من قِصر
 وعدّها بابك من طولها جَجْجًا^(٧١) - ٣٣٦
 ٢٨- إن ينج منك أبو نصر فعن قِدر
 تنجوا الرجال ولكن سلّه كيف نجا^(٧٢) - ٣٣٩
 ٢٩- قد حل في صخرة صماء مُعْنِقَةٌ^(*)
 فأنجت برأيك في أوعارها درجا - ٣٣٩

* * *

- قال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري^(٧٣) ،
 ١- حَمَثُهُ فاحتَمَى طعمَ الهجود
 غداة رمثته بالطرف الصيود - ٨١
 ٢٤- أليس بأرشق كنت المحامي
 عن الإسلام ذا بأسٍ شديد - ٨٢
 ٢٥- رآك الخُرْمِيَّ عليه ناراً
 تلهب غير خامدة الوقود - ٨٢
 ٢٦- دَلَفْتُ لَهُم بِأَبْنَاءِ الْمَنَايَا
 على العُقْبَانِ في خلقِ الأسود - ٨٢
 ٢٧- رجاً صيَداً فَرَدَّتْهُ الْمَنَايَا
 إلى أنياب مُقْتَنَصِ الصيود - ٨٢

(*) معنقة مرتفعة وأصل ذلك في طول العنق .

- ٢٨- وقد كان الجليدُ ففادرتَه
رماحك غيرَ مصطبرٍ جليدٍ-٨٣
- ٢٩- وفي مُوقانَ كنتَ غداةَ ماقوا
أشدَّ قُوى من الحجرِ الصُّلودِ-٨٣
- ٣٤- ويومَ البَـلِّدَا لما يبقَى حَقْدُ
على الأعْداءِ في قلبٍ حَقْدودِ-٨٣
- ٣٥- حططتَ ببـابِكِ فـانحطَّ لما
رأى أجلَ الشَّقِي مع السَّعِيدِ-٨٣
- ٣٦- وما إن زِلْتَ تَأْسُـهُ بوعْدِ
وتُوحِشُـهُ بِإِذَارِ الوَعِيدِ-٨٣
- ٣٧- فطوراً تَجْلُبُ الدُّنْيَا عَلِيْـهِ
بخيلٍ في السَّـرُوجِ وفي اللُّبُودِ-٨٣
- ٣٨- وطوراً تَسْتَثِيرُ عَلِيْـهِ رَأْيَا
كحدِّ السَّيْفِ فِي حَبْلِ الوَرِيدِ-٨٣
- ٣٩- تَمَثَّلُ نَضْبَ عَيْنِيْـهِ المَنَايَا
فَيَرْغَبُ فِي القِيَامِ فِي القَعُودِ-٨٣
- ٤٠- وما شيءٌ منَ الأَشْيَاءِ أَقْضَى
على المَهْـجَاتِ منَ رَأْيِ سَدِيدِ-٨٣
- ٤١- فما ندري أَحَدُكَ كَانَ أَمْضَى
غداةَ البَـلِّدَا أَمْ حَدُّ الحَدِيدِ-٨٣
- ٤٢- لَئِنْ طَلَعْتَ نَجْمُومُـهُمُ بَنَحْسِ
لقد طَلَعْتَ نَجْمُومُكَ بِالسُّعُودِ-٨٤

* * *

وقال يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي (٧٤) :

- ١- سرتُ تستجيرُ الدمعَ خوفاً نوى غد
وعادَ قَتَاداً عندها كلُّ مَرَقْدِ-٢٢

- ١١- رمى الله منه بابكاً وولاته
 بقصامة الأضلاب في كلٍّ مَشْهَدٍ (٧٥) - ٢٤
- ١٤- فتى يومَ بَدْ الخرمية لم يكن
 بهيَّابة نكسٍ ولا بمَعْرَدٍ (٧٦) - ٢٤
- ١٥- قِفَا سَنَدَبايا والرماحُ مشيحةً
 تُهْدِي إلى الروح الخفي فتَهْتَدِي (٧٧) - ٢٥
- ١٦- عدا الليلُ فيها عن معاوية الردى
 ومما شكَّ ريبُ الدهر في أنه ردي - ٢٥
- ١٩- وفي أرشق الهيجاءِ والخيلُ ترقى
 بأبطالها في جاحمٍ متوقِّدٍ - ٢٦
- ٢٠- عَطَطَتْ على رغم العدا عزمَ بابكٍ
 بصبرك عطاً الأثميِّ المَعْضَدِ (٧٨) - ٢٦
- ٢٢- وموقان كانت دار هجرته فقد
 تورَّدَتْها بالخييلِ أيَّ تورَّدٍ - ٢٦
- ٣١- وللكدجِ العليا سَمَتَ بكِ همةً
 طَمَوحٌ يَرُوحُ النصرُ فيها ويغْتَدِي (٧٩) - ٢٨
- ٣٤- وباللهَضْبِ من أبرشَتَّويم ودروذٍ
 علتْ بكِ أطرافُ القنأ فاعلٌ وازددٍ - ٢٨
- ٤٢- جلوتِ الدجى عن أذربيجان بعدما
 تَرَدَّتْ بلونٍ كالغمامة أريدٍ - ٢٩
- ٤٤- رأى بابكُ منك التي طلعت له
 بنَحْسٍ وللدِينِ الحنيفِ بأسُغْدٍ - ٣٠
- وقال يمدح أبا سعيد (٨٠) (محمد بن يوسف) :
- ١- داعٍ دَعَا بلسانِ هادي مُرْشِدٍ
 فأجابَ عَزَمُ هاجدٌ في مَرَقْدٍ - ١٠٢
- ٢١- إن الخِلافةَ لو جَزَتْكَ بموقفٍ
 جعلتْ مثالكَ قبلةً للمسجدِ - ١٠٣

- ٢٢- وسعت إليك جنودها حتى إذا
وافقتك خسر لديك كلُّ مُقَلَّد-١٠٣
٢٣- والله يشكرُ والخليفةُ موقفاً
لك شائعاً بالهدِّ صغْبُ المشهد-١٠٤
٢٤- في مَأزِقِ^(٨١) صَنكِ المِكْرِ مُقْصَصِ
أرزِ المجالِ من القنا المتقَصِّصِ-١٠٤
٢٧- يا فارسَ الإسلامِ أنتَ حَمِيئْتُهُ
وكَفِيئْتُهُ كَلْبَ العدوِّ المعتدي-١٠٤
٣٠- أدركتَ فيه دَمَ الشَّهيدِ وثأرَهُ
وقلَّجْتَ فيه بِشْكَرِ كُلِّ مَوْحِدِ-١٠٤
٣١- ضَحِكتَ له أَكْبَادُ مَكَّةَ ضِخْكَهَا
في يومِ بذْرِ والغُتَاةِ الشَّهْدِ-١٠٤
٣٢- أَحْيَيْتَ لِلإِسْلَامِ تَجْدَةَ خَالِدِ
وَفَسَّخْتَ فِيهِ لُثْهَمَ وَلُثْجِدِ-١٠٤

* * *

- وقال يمدح أبا سعيد ، محمد بن يوسف الطائي^(٨٢) ،
١- يَا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ الْعَيْنِ إِنَّ بُعْدُوا
هي الصَّبَابَةُ طُولُ الدَّهْرِ وَالسُّهُدُ-١٠
٣٤- تَرَكْتَ مِنْهُمْ سَبِيلَ النَّارِ سَابِلَةً^(*)
في كُلِّ يَوْمٍ إِلَيْهَا عَضْبَةً تَفِيدُ-١٨
٣٥- كَأَنَّ بَابَكَ بِالْبَذْنِ بَعْدَهُمْ
نُؤْيُ أَقْصَامِ خِلَافِ الْحَيِّ أَوْ وَتَدُ^(٨٣)-١٨
٤٣- وَأَهْلُ مُوَقَّانَ إِذْ مَاقُوا فَلَا وَزَرُ
أَنْجَاهُ مِنْكَ فِي الْهَيْجَا وَلَا سَنَدُ^(٨٤)-٢٠

(*) سَابِلَةٌ ، عامرة ، يقول تركت سبيل جهنم منهم عابرة ، لأنهم يصيرون إليها إذا قتلوا .

- ٤٤- لم تَبُقْ مُشْرَكَةً إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتَ
 إنْ لم تَتَّبِعْ أَنَّهُ لِلسَّيْفِ مَا تَلِدُ^(٨٥) - ٢٠
 ٤٥- وَالتَّبَرُّ^(٨٦) حِينَ أَطْلَحْتَ الْأَمْرَ صَبَّحَهُمْ
 قَطْرٌ مِنَ الْحَرْبِ لَمَّا جَاءَهُمْ خَمَدُوا - ٢٠

* * *

- وقال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي^(٨٧) ،
 ١- أَظُنُّ دُمُوعَهَا سَنَنْ الْفَرِيدِ
 وَهِيَ سَلَكَاهُ مِنْ نَخْرِ وَجِيدِ - ٣٢
 ٦- بَارِضِ الْبَذْ فِي خَيْشُومِ حَرْبِ
 عَقِيمٍ مِنْ وَشِيكِ رَدَى وَلُودِ - ٣٤
 ١٧- قَضَى مِنْ سَنْدَبَايَا كُلِّ نَخْبِ
 وَأَرْشَقَ وَالسَّيُوفُ مِنَ الشُّهُودِ^(٨٨) - ٣٦
 ١٨- وَأَرْسَلَهَا عَلَى مُوقِفَانِ رَهْوَ
 تَشْيِيرِ النَّفْعِ أَكْثَرُ بِالْكَدِيدِ^(٨٩) - ٣٧
 ٢٥- وَفِي أَبْرِشْتَوِيٍّ وَهَضْبَتَيْنِهَا
 طَلَعَتْ عَلَى الْخِلَافَةِ بِالسُّعُودِ^(٩٠) - ٣٨
 ٢٧- وَبَيَّتَ الْبِيَّاتَ بَعَقْدَ جَاشِ
 أَشَدَّ قُوًى مِنَ الْحَاجِرِ الصُّلُودِ - ٣٨
 ٣١- وَيَوْمَ التَّلِّ تَلَّ الْبَبْدُ أَبْنَا
 وَنَحْنُ قِصَارُ أَعْمَارِ الْحَقُودِ - ٣٩
 ٣٢- قَسَمْنَا مِنْهُمْ فَشَطَرُ الْعَوَالِي
 وَأَخْرَجْنَا فِي لُطَى حَرَقِ الْوَقُودِ - ٣٨
 ٣٤- وَيَوْمَ انْصَاعِ^(٩١) بَابِكَ مَسْتَمِرًّا
 مُبَاخِ الْعُقْرِ مُجْتَاحِ الْعَبِيدِ - ٤٠
 ٣٥- تَأَمَّلْ شَخْصَ دَوْلَتِهِ فَعِنْتُ
 بِجَسَمِ لَيْسَ بِالْجَسَمِ الْمَدِيدِ - ٤٠

- ٣٦- فَاذْمَعْ نَيْيَّةً هَرَبًا فَحَامَتْ
 حُشَّاشَتُهُ عَلَى أَجْلِ بَلِيدٍ^(٩٢) - ٤٠
 ٣٧- تَقْنَصُهُ بَنُو سِنْبَاطٍ أَخْذًا
 بِأَسْوَارِ الْمَوَاتِقِ وَالْعَهْهُودِ - ٤٠
 ٣٨- وَلَوْ لَا أَنَّ رِيحَكَ ذَرَبَتْهُمْ
 لِأَحْجَمْتَ الْكِلَابَ عَنِ الْأَسْوَدِ - ٤٠
 ٣٩- وَهَرَجَ أَمَّا^(٩٣) بَطَشَتْ بِهِ فَقَلْنَا
 خِيَارَ الْبَرِّ كَانَ عَلَى الْقَعُودِ - ٤٠
 ٤٠- وَقَانَعٌ قَدْ سَكَبَتْ^(٩٤) بِهَا سَوَادًا
 عَلَى مَا أَحْمَرَّ مِنْ رِيشِ الْبَرِيدِ - ٤١

* * *

- وقال أبو تمام يمدح المعتصم ويذكر أمر الافشين^(٩٥) وهو خيذر بن كاوس :
 ١- الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالسَّيِّفُ عَوَارٍ^(٩٦)
 فَحَذَارُ مِنْ أَسَدِ الْعَرِينِ حَذَارٍ - ١٩٨
 ١٩- مَا كَانَ لَوْ لَا فُخْشُ غَدْرَةِ خَيْذَرٍ
 لِيَكُونَ فِي الْإِسْلَامِ عَامٌ فِجَّارٍ - ٢٠٢
 ٢٠- مَا زَالَ سِرُّ الْكُفْرِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ
 حَتَّى اصْطَلَى سِرُّ الزَّنَادِ الْوَارِي - ٢٠٣
 ٢١- نَارًا يُسَاوِرُ جِسْمَهُ مِنْ حَرِّهَا
 لَهَبٌ كَمَا عَضَفَتْ شِقِّ إِزَارٍ - ٢٠٣
 ٢٢- طَارَتْ لَهَا شُعْلُ يَهْدَمُ لَفْخُهَا
 أَرْكَائُهُ هَدْمًا بَغِيرِ غُبَارٍ - ٢٠٣
 ٢٣- مَشْهُوبَةٌ رُفِعَتْ لِأَعْظَمِ مُشْرِكٍ
 مَا كَانَ يَرْفَعُ ضَوْءَهَا لِلْسَّارِي - ٢٠٣
 ٢٤- صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَانَ وَقُودُهَا
 مَيِّتًا وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْفُجَّارِ - ٢٠٣

- ٣٩- يا قابضاً يَدَ آلِ كَاوُسَ عادِلاً
 أثبَغَ يَمِينَا مِنْهُمْ بِيَسَارٍ ٢٠٦-
 ٤٤- ولقد شفى الأحشاءَ من بُرحانِها
 أن صار بابكُ جارٍ مازيارٍ^(٩٧) ٢٠٧-
 ٤٥- ثانيهِ في كَرِيدِ السَّمَاءِ ولم يَكُنْ
 لاثْنينِ ثانٍ إذ هَمَّا في الغارِ^(٩٨) ٢٠٧-
 ٤٦- وكأَنما انتبَذَا لَكَيْمًا يطوياً
 عن ناطسٍ^(٩٩) خَبِيراً من الأخبارِ ٢٠٧-
 ٤٧- سوَدُ الثِّيَابِ^(١٠٠) كأَنما نَسِجَتْ لَهُم
 أَيْدِي السَّمُومِ مَذَارِعاً من قَارٍ ٢٠٨-
 ٤٨- بَكُرُوا وَأَسْرُوا في مَتُونِ ضَوَامِرٍ
 قَيِّدَتْ لَهُم من مَرَبُطِ النَّجَارِ ٢٠٨-
 ٤٩- لَا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهُمْ
 أبدأً على سَفَرٍ من الأسفارِ ٢٠٨-
 ٥٠- كَادُوا النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى فَتَقَطَعَتْ
 أعناقُهم في ذَلِكَ المَضْمَارِ ٢٠٨-
 ٥١- جَاهَلُوا فلم يَسْتَكْثِرُوا من طَاعَةٍ
 مَعْرُوفَةٍ بِعِمَارَةِ الْأَعْمَارِ ٢٠٨-

* * *

- قال أبو تمام يمدح أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي^(١٠١) ،
 ١- أَمَا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرْنَ مَا سَلَفَا
 فَلَا تَكْفُرَنَّ عَنْ شَانِيكَ أَوْ يَكْفَا^(١٠٢) ٢٥٩-
 ٢٥- إِنْ الْخَلِيفَةُ وَالْأَفْشِينَ قَدْ عَلِمَا
 مِنْ أَشْتَقَى لَهُمَا مِنْ بَابِكَ وَشَفَى ٣٦٧-
 ٢٦- فِي يَوْمِ أَرْشَقَ وَالْهَيْجَاءِ قَدْ رَشَقَتْ
 مِنَ الْمَنِيَةِ رَشَقاً وَابلاً قَصِيفَا ٣٦٧-

- ٣٢- وَمَرَّ بِأَبْنِكَ مُرَّ الْعَيْشِ مُنْجَازاً^(١٠٢)
 محلّولياً ذمّه المغسول لو رشفا - ٣٦٩
- ٣٣- حيران يَحْسَبُ سَجَفَ النَّعْمِ مِنْ دَهْشِ
 طوداً يُحَاذِرُ أَنْ يَنْقُضَ أَوْ جُرْفَا - ٣٦٩
- ٣٤- ظَلَّ الْقَنَا يَسْتَتْقِي مِنْ صَقِّهِ مُهْجَا
 إمّا ثمّاداً وإمّا ثرة خُسُفَا - ٣٦٩
- ٣٩- وَرُبَّ يَوْمٍ كـ_____ أَيَّامِ تَرَكْتَ بِهِ
 مَثْنُ الْقَنَاةِ وَمَثْنُ الْقِرْنِ مِنْقُصَا - ٣٧١
- ٤٠- أَزْرَتْ^(١٠١) أَبْرَشَتِي وَيَا^(١٠٥) وَالْقَنَا قِصْدُ
 غِيَابَةِ الْمَوْتِ وَالْمَقْوَرَةِ الشُّسُفَا - ٣٧١
- ٥٢- وَظَلَّ بِالظَّفَرِ الْأَفْشَيْنِ مُرْتَدِيَا
 وَبَاتَ بِأَيْكُهَا بِالذِّلِّ مُلْتَحِفَا^(١٠٦) - ٣٧٤
- ٥٣- أَعْطَى بِكَلَّتَا يَدَيْهِ حِينَ قِيلَ لَهُ
 هَذَا أَبُو دَلْفَ الْعِجْلِيِّ قَدْ دَلَفَا
 ٥٤- تَرَكْتَ أَجْفَانَهُ مَغْضُوضَةً أَبَدَا
 ذَلَا تَمَكَّنَ مِنْ عَيْنَيْهِ ، لَا وَطَفَا - ٣٧٥

* * *

- وقال يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف^(١٠٧) ،
 ١- أَمَّا _____ إِنْهُ لَوْلَا الْخَلِيطُ الْمُوَدَّعُ
 وَرَبُّعُ عَفَا مِنْهُ مَصِيفٌ وَمَرْبُوعٌ - ١٤٢
- ٢٢- وَيَوْمَ يَظُلُّ الْعِزُّ يُخَفِّظُ وَسْطُهُ
 بِسُمْرِ الْعَوَالِي ، وَالنَّفُوسُ تُضَيِّعُ^(١٠٨) - ١٤٢
- ٣٦- شَقَقْتُ إِلَى جِبَارِهِ حَوْمَةَ الْوَعَى
 وَقَنَعَتُهُ بِالسَّيْفِ وَهُوَ مُقَنِّعٌ^(١٠٩) - ١٤٤
- ٣٧- لَدَى سَنْدَبَايَا وَالْهَضَابِ وَأَرْشَقِ
 وَمَوْقَانِ وَالسُّمْرِ اللَّدَانُ تَزْعُرُ^(١١٠) - ١٤٤

٢٨ - وَأَبْرَشْتَوِيْمَ وَالْكَذَاجِ وَمُلْتَقَى
سَنَابِكْهَا وَالْخَيْلِ تَرْدِي وَتَمْزَعُ^(١١١) - ١٤٤

* * *

وقال يمدح المعتصم ويذكر الأفشين^(١١٢) : وقال غير أبي بكر كان أبو تمام
بنيسابور على باب عبد الله بن طاهر (والي خراسان) فخرج أبو العميثل حاجبه برقعة
فيها بيتان من شعر قالهما عبد الله فقال لأبي تمام يقول لك الأمير قل في معنى هذين
البيتين ووزنهما وهما في الأفشين وكان يحارب بابك في مدينة أَرْشَقَ والبيتان هما :

لعمري لنعم السيفُ سيفُ بأَرْشَقِ
نضى الجفنَ عنه خيرُ حافي وناعل
تمنى به ضرباً دراكفاً أجفلت
نعامتُهم عن بيضِها المتقابل
فقال أبو تمام هذه القصيدة :

- ١ - غَدَا الْمَلِكُ مَغْمُورَ الْجَمَى وَالْمَنَازِلِ
مُنَوَّرَ وَخْفِ الرُّوضِ غَذَبِ الْمَنَاهِلِ - ١٨٦
- ٩ - لَقَدْ لَبِسَ الْأَفْشِينَ قَسْطَلَةَ الْوَعَى
مَحْشَأً بَنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرَ مَوَاكِيلِ - ١٨٦
- ١٢ - رَأَى بَابَكَ مِنْهُ الَّتِي لَا شَوَى لَهَا
فَتُرجى سَوَى نَزْعِ الشَّوَى وَالْمَفَاصِلِ - ١٨٧
- ١٧ - فَلَمَّا رَأَاهُ الْخُرَّمِيُّونَ وَالْقَنَا
يُوْبِلُ أَعَالِيهِ مُغِيثَ الْأَسَافِلِ - ١٨٧
- ١٩ - عَشِيَّةً صَدَّ الْبَابَكِيَّ عَنِ الْقَنَا
صُدُوذَ الْمُقَالِي لَا صُدُوذَ الْمُجَامِلِ - ١٨٧

* * *

- وقال يمدح المعتصم ويذكر أخذ بابك^(١١٣) :
- ١ - آلتْ أُمُورَ الشُّرْكِ شَرًّا مَالٍ
وَأَقْرَبُ بَعْدَ تَخْبُطٍ وَصِيَالٍ^(١١٤) - ١٩٦

- ٢- غَضِبَ الْخَلِيفَةُ لِلْخِلَافَةِ غَضَبَةً
رَخِصَتْ لَهَا الْمُهْجَاتُ وَهِيَ غَوَالِي - ١٩٦
- ٣- لَمَّا انْتَضَى جَهْلَ السَّيْفِ لِبَابِكَ
أَغْمَدَنَ عَنْهُ جَهَالَةُ الْجَهَّالِ - ١٩٦
- ٤- فَلَاذْرِيْجَانِ اخْتِيَالٌ بَعْدَمَا
كَانَتْ مُقَرَّرَنَ غَبُورَةً وَنِكَالٍ - ١٩٦
- ٢١- فَرَمَاهُ بِالْأَفْشَيْنِ بِالنَّجْمِ الَّذِي
صَدَعَ الدُّجَى صَدْعَ الرِّدَاءِ الْبَالِي - ١٩٧
- ٢٢- يَا يَوْمَ أَرَشَقَ كُنْتُ رَشَقَ مَنِيَّةٍ
لِلْخُرْمِيَّةِ صَائِبِ الْأَجَالِ - ١٩٧
- ٢٧- لَمَّا رَأَاهُمْ بِبَابِكَ دُونَ الْمُنَى
هَجَرَ الْعَوَايَةَ بَعْدَ طُولِ وَصَالٍ - ١٩٧
- ٢٨- تَخِذْ الْفِرَارَ أَخَاً وَأَيَقِنْ أَنَّهُ
صِرِّيْ عَزَمَ مِنْ أَبِي سَمَّالٍ - ١٩٧
- ٣١- وَوَرَدَنَ مُوقِفَانَا عَلَيْهِ شَوَازِيَاً
شُعْشُأً بِشُعْثٍ كَالْقَطَا الْأُرْسَالِ - ١٩٧
- ٣٥- وَانْصَاعَ عَنْ مُوقِفَانِ وَهِيَ لُجْنَدُ
وَلَهُ أَبٌ بَرٌّ وَأُمٌّ عِيَالٍ - ١٩٧
- ٤١- وَبِهِ ضَرْبَتِيْ أَبْرَشْتُ سَوِيْمَ وَدَرْوُذٍ
لَقِيحَتْ لِقَاحَ النَّصْرِ بَعْدَ حِيَالٍ - ١٩٨
- ٤٤- فَلْيَسْكُرُوا جُنْحَ الظَّلَامِ وَدَرْوُذاً
فَهُمْ لِدَرْوُذٍ وَالظَّلَامِ مَوَالٍ^(١١٥) - ١٩٨
- ٥٢- فَالْبَدُّ أَغْبَرُ دَارِسِ الْأَطْلَالِ
لِيَدِ الرَّدَى أَكْلُ مِنَ الْأَكْثَالِ - ١٩٨
- ٥٤- أَلَوْتُ بِهِ يَوْمَ الْخَمِيْسِ كِتَابُ
أَرْسَلَنَهُ مَثَلًا مِّنَ الْأَمْثَالِ - ١٩٨

* * *

وقال يمدح أبا سعيد (١١٦) :

- ١- عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ وَلَعَلَّما
وَأَنْ تُغْتَبَ الأَيَّامُ فِيهِمْ فَرُبَّما - ٢٢٢
١٨ - جَدَعْتَ لَهُمْ أَنْفَ الضَّلالِ بَوَقْعَةٍ
تَحَرَّمْتَ فِي غَمَائِهَا مِنْ تَحَرُّما - ٢٢٣
١٩ - لَيْتَ كَانَ أَمْسَى فِي عَقْرِ قُوسٍ أَجْدَعَا
لَيْتَ قَبْلَ مَا أَمْسَى بِمِمْذٍ أَخْرَمَا - ٢٢٣
٢١ - قَطَعْتَ بَنَانَ الْكُفْرِ مِنْهُمْ بِمِمْذٍ
وَأَتْبَعْتَهَا بِالرُّومِ كَفْأً وَمِغْصَما - ٢٢٣
٢٢ - وَكَمْ جَبَلٍ بِالْبَيْدِ مِنْهُمْ هَدَدَتْهُ
وَعَاوٍ غَوَى حَلْمَتُهُ لَوْ تَحَلَّما - ٢٢٣

* * *

وقال يمدح اسحاق بن ابراهيم المصعبي (١١٧) :

- ٤٠ - غَادَرْتَ بِالْجَبَلِ الْأَهْوَاءَ وَاجِدَةً
وَالشَّمْلَ مَجْتَمِعاً وَالشَّعْبَ مَلْتَمِما - ٢٣٠
وقال يمدح اسحاق بن ابراهيم المصعبي (١١٨) :
- ٢٢ - نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْجَبَالَ وَأَهْلُهَا
فِي طَرْمِ سَاءٍ مِنَ الْحُرُوبِ بَهِيمِ - ٢٣٢
٢٣ - بِالْدَاوُدِيِّهِ وَخَيْزَجٍ وَذَوَاتِهَا
عَهْدٌ لِسَيْفِكَ لَمْ يَكُنْ بِذَمِيمِ - ٢٣٢

* * *

وقال يمدح الافشين (١١٩) :

- ١- بَدَّ الْجَلَادُ الْبَيْدَ فَهَوَّ ذَفِينُ
مَا إِنَّ بِهِ إِلَّا الْوَحْشَ قَطِينُ (١٢٠) - ٢٤٧

- ٢ - لم يُقَرَّ هذا السيفُ هذا الصُّبْرُ في
هَيْجَاءٍ إِلَّا عَزَّ هذا الدِّينُ^(١٢١) - ٢٤٧
- ٣ - قد كان عُذْرَةٌ مَغْرِبٍ فَافْتَضَّهَا
بالسيفِ فحلَّ المشرقِ الأفشين^(١٢٢) - ٢٤٧
- ٤ - فأعادها تَغْوِي الثَّعَالِبُ وَسَطَّهَا
ولقد تُرَى بالأمس وهي عَرِينُ^(١٢٣) - ٢٤٧
- ٥ - جادتُ عليها من جماجمِ أهلها
دِيمُ أمارتِها طُلَى وشؤون^(١٢٤) - ٢٤٧
- ١٣ - قَادَ المنايا والجُيُوشَ فَأَصْبَحَتْ
ولها بأرشقَ قَسْطَلُ عُثْنُونُ - ٢٤٨
- ١٤ - فتركتُ أرشقَ وهي يُرْقَى بِاسْمِهَا
صُمُ الصَّفَا فتفويضُ منه عُيُونُ - ٢٤٨
- ١٦ - لاقاك بَابُكَ وهو يَزَارُ وانثنى
وزئيره قَدْ عَادَ وهو انينُ - ٢٤٨
- ٢٠ - أوقعتُ في أبرشتويمَ وقائعاً
أضْحَكُنَّ سِنَّ الدهرِ وهو خَزِينُ - ٢٤٨
- ٣٠ - وأخذتُ بِبَابِكَ حَانِراً دُونَ المُنَى
ومنى الضَّلَالِ مِيَاهُهُنَّ أُجُونُ - ٢٤٨
- ٣١ - طَعَنَ اللَهْفُ قَلْبَهُ فَفَوَّادُهُ
من غَيْرِ طَعْنَةٍ فَارِسٍ مَطْعُونُ - ٢٤٨
- ٣٢ - ورجا بلادَ الرُّومِ فاستعصى به
أَجَلٌ أَصَمُّ عَنِ النُّجْجَاءِ خَرُونُ - ٢٤٩
- ٣٣ - هيهاتَ لم يَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَوْ تَوَى
بالصينِ لم تَبْغُدْ عَلَيْكَ الصَّيْنُ - ٢٤٩
- ٣٤ - مَا نَالَ مَا قَدْ نَالَ فِرْعَوْنُ وَلَا
هَامَانَ فِي الدُّنْيَا وَلَا قَارُونَ - ٢٤٩

- ٣٥ - بلْ كَانَ كَالضَّحَاكِ فِي سَطَوَاتِهِ
بِالْعَالَمِينَ وَأَنْتَ أَفْرِيدُونَ^(١٢٥) - ٢٤٩
- ٣٦ - فَيَشْكُرُ الْإِسْلَامُ مَا أَوْلَيْتَهُ
وَاللَّهُ عَنْهُ بِالْوَفَاءِ خَتَمِينَ - ٢٤٩
- * * *

(١)

(الملحق د)

جدول مقابلة التاريخ الهجري بالميلادي
شهر رمضان لسنة ٢٢٢ هـ

٨٣٧ م	آب	٧	الثلاثاء	يصادف	رمضان	١
٨٣٧ م	آب	٨	الأربعاء	يصادف	رمضان	٢
٨٣٧ م	آب	٩	الخميس	يصادف	رمضان	٣
٨٣٧ م	آب	١٠	الجمعة	يصادف	رمضان	٤
٨٣٧ م	آب	١١	السبت	يصادف	رمضان	٥
٨٣٧ م	آب	١٢	الأحد	يصادف	رمضان	٦
٨٣٧ م	آب	١٣	الاثنين	يصادف	رمضان	٧
٨٣٧ م	آب	١٤	الثلاثاء	يصادف	رمضان	٨
٨٣٧ م	آب	١٥	الأربعاء	يصادف	رمضان	٩
٨٣٧ م	آب	١٦	الخميس	يصادف	رمضان	١٠
٨٣٧ م	آب	١٧	الجمعة	يصادف	رمضان	١١
٨٣٧ م	آب	١٨	السبت	يصادف	رمضان	١٢
٨٣٧ م	آب	١٩	الأحد	يصادف	رمضان	١٣
٨٣٧ م	آب	٢٠	الاثنين	يصادف	رمضان	١٤
٨٣٧ م	آب	٢١	الثلاثاء	يصادف	رمضان	١٥
٨٣٧ م	آب	٢٢	الأربعاء	يصادف	رمضان	١٦
٨٣٧ م	آب	٢٣	الخميس	يصادف	رمضان	١٧
٨٣٧ م	آب	٢٤	الجمعة	يصادف	رمضان	١٨
٨٣٧ م	آب	٢٥	السبت	يصادف	رمضان	١٩
٨٣٧ م	آب	٢٦	الأحد	يصادف	رمضان	٢٠
٨٣٧ م	آب	٢٧	الاثنين	يصادف	رمضان	٢١
٨٣٧ م	آب	٢٨	الثلاثاء	يصادف	رمضان	٢٢
٨٣٧ م	آب	٢٩	الأربعاء	يصادف	رمضان	٢٣
٨٣٧ م	آب	٣٠	الخميس	يصادف	رمضان	٢٤
٨٣٧ م	آب	٣١	الجمعة	يصادف	رمضان	٢٥
٨٣٧ م	أيلول	١	السبت	يصادف	رمضان	٢٦
٨٣٧ م	أيلول	٢	الأحد	يصادف	رمضان	٢٧
٨٣٧ م	أيلول	٣	الاثنين	يصادف	رمضان	٢٨
٨٣٧ م	أيلول	٤	الثلاثاء	يصادف	رمضان	٢٩
٨٣٧ م	أيلول	٥	الأربعاء	يصادف	رمضان	٣٠
٨٣٧ م	أيلول	٦	الخميس	يصادف	شوال	١

(ب)

تقويم شهر شوال سنة ٢٢٢ هـ / أيلول ٨٣٧ م

٣٠	رمضان	يصادف	الأربعاء	٥	أيلول	٨٣٧ م
١	شوال	يصادف	الخميس	٦	أيلول	٨٣٧ م
٢	شوال	يصادف	الجمعة	٧	أيلول	٨٣٧ م
٣	شوال	يصادف	السبت	٨	أيلول	٨٣٧ م
٤	شوال	يصادف	الأحد	٩	أيلول	٨٣٧ م
٥	شوال	يصادف	الاثنين	١٠	أيلول	٨٣٧ م
٦	شوال	يصادف	الثلاثاء	١١	أيلول	٨٣٧ م
٧	شوال	يصادف	الأربعاء	١٢	أيلول	٨٣٧ م
٨	شوال	يصادف	الخميس	١٣	أيلول	٨٣٧ م
٩	شوال	يصادف	الجمعة	١٤	أيلول	٨٣٧ م
١٠	شوال	يصادف	السبت	١٥	أيلول	٨٣٧ م (وصول بابك هرزد)
١١	شوال	يصادف	الأحد	١٦	أيلول	٨٣٧ م
١٢	شوال	يصادف	الاثنين	١٧	أيلول	٨٣٧ م
١٣	شوال	يصادف	الثلاثاء	١٨	أيلول	٨٣٧ م
١٤	شوال	يصادف	الأربعاء	١٩	أيلول	٨٣٧ م
١٥	شوال	يصادف	الخميس	٢٠	أيلول	٨٣٧ م
١٦	شوال	يصادف	الجمعة	٢١	أيلول	٨٣٧ م
١٧	شوال	يصادف	السبت	٢٢	أيلول	٨٣٧ م
١٨	شوال	يصادف	الأحد	٢٣	أيلول	٨٣٧ م
١٩	شوال	يصادف	الاثنين	٢٤	أيلول	٨٣٧ م
٢٠	شوال	يصادف	الثلاثاء	٢٥	أيلول	٨٣٧ م
٢١	شوال	يصادف	الأربعاء	٢٦	أيلول	٨٣٧ م
٢٢	شوال	يصادف	الخميس	٢٧	أيلول	٨٣٧ م
٢٣	شوال	يصادف	الجمعة	٢٨	أيلول	٨٣٧ م
٢٤	شوال	يصادف	السبت	٢٩	أيلول	٨٣٧ م
٢٥	شوال	يصادف	الأحد	٣٠	أيلول	٨٣٧ م
٢٦	شوال	يصادف	الاثنين	٣١	أيلول	٨٣٧ م
٢٧	شوال	يصادف	الثلاثاء	١	تشرين الأول	٨٣٧ م
٢٨	شوال	يصادف	الأربعاء	٢	تشرين الأول	٨٣٧ م
٢٩	شوال	يصادف	الخميس	٣	تشرين الأول	٨٣٧ م
٣٠	شوال	يصادف	الجمعة	٤	تشرين الأول	٨٣٧ م
١	ذي القعدة	يصادف	السبت	٥	تشرين الأول	٨٣٧ م

(جـ)

تقويم شهر صفر ٢٢٣ هـ / كانون الثاني ٨٣٨ م

٢٠	محرم	يصادف	الثلاثاء	١	كانون الثاني	٨٣٧ م
١	صفر	يصادف	الأربعاء	٢	كانون الثاني	٨٣٧ م
٢	صفر	يصادف	الخميس	٣	كانون الثاني	٨٣٧ م (وصول بابك سامراء)
٣	صفر	يصادف	الجمعة	٤	كانون الثاني	٨٣٧ م (إعدام بابك)
٤	صفر	يصادف	السبت	٥	كانون الثاني	٨٣٧ م
٥	صفر	يصادف	الأحد	٦	كانون الثاني	٨٣٧ م
٦	صفر	يصادف	الاثنين	٧	كانون الثاني	٨٣٧ م
٧	صفر	يصادف	الثلاثاء	٨	كانون الثاني	٨٣٧ م
٨	صفر	يصادف	الأربعاء	٩	كانون الثاني	٨٣٧ م
٩	صفر	يصادف	الخميس	١٠	كانون الثاني	٨٣٧ م
١٠	صفر	يصادف	الجمعة	١١	كانون الثاني	٨٣٧ م
١١	صفر	يصادف	السبت	١٢	كانون الثاني	٨٣٧ م
١٢	صفر	يصادف	الأحد	١٣	كانون الثاني	٨٣٧ م
١٣	صفر	يصادف	الاثنين	١٤	كانون الثاني	٨٣٧ م
١٤	صفر	يصادف	الثلاثاء	١٥	كانون الثاني	٨٣٧ م
١٥	صفر	يصادف	الأربعاء	١٦	كانون الثاني	٨٣٧ م
١٦	صفر	يصادف	الخميس	١٧	كانون الثاني	٨٣٧ م
١٧	صفر	يصادف	الجمعة	١٨	كانون الثاني	٨٣٧ م
١٨	صفر	يصادف	السبت	١٩	كانون الثاني	٨٣٧ م
١٩	صفر	يصادف	الأحد	٢٠	كانون الثاني	٨٣٧ م
٢٠	صفر	يصادف	الاثنين	٢١	كانون الثاني	٨٣٧ م
٢١	صفر	يصادف	الثلاثاء	٢٢	كانون الثاني	٨٣٧ م
٢٢	صفر	يصادف	الأربعاء	٢٣	كانون الثاني	٨٣٧ م
٢٣	صفر	يصادف	الخميس	٢٤	كانون الثاني	٨٣٧ م
٢٤	صفر	يصادف	الجمعة	٢٥	كانون الثاني	٨٣٧ م
٢٥	صفر	يصادف	السبت	٢٦	كانون الثاني	٨٣٧ م
٢٦	صفر	يصادف	الأحد	٢٧	كانون الثاني	٨٣٧ م
٢٧	صفر	يصادف	الاثنين	٢٨	كانون الثاني	٨٣٧ م
٢٨	صفر	يصادف	الثلاثاء	٢٩	كانون الثاني	٨٣٧ م
٢٩	صفر	يصادف	الأربعاء	٣٠	كانون الثاني	٨٣٧ م
١	ربيع الأول	يصادف	الخميس	٣١	كانون الثاني	٨٣٧ م

1

2

3

هوامش الملاحق

- (١) ذكر الجهشيارى ، وجدت في كتاب عمله أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب ، في أخبار خلفاء بني العباس ، بخط أبي الفضل ، يقول : أنفذ الي أبو القاسم جعفر ابن حفص رقعة ، انتسخها من دواوين الخراج الكاتب ، ذكر فيها أن أبا الوزير عمر بن مطرف من أهل مرو وأنه كان يتقلد ديوان المشرق للمهدي ، وهو ولي للعهد ، ثم كتب له في خلافته ، ولموسى ولهارون . وأنه عمل في أيام الرشيد تقديراً عرضه على يحيى بن خالد ، لما يُختمَل إلى بيت المال من جميع النواحي من المال والأمتعة نسخته .
- (٢) الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .
- (٣) طبعة ليدن ، ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م .
- (٤) خراج خراسان والأعمال المضمونة لأبي العباس عبد الله بن طاهر لستى ٢١١ هـ و ٢١٢ هـ ، ص ٣٩ .
- (٥) العلي ، صالح أحمد ، بغداد ، ١٩٥٣ م .
- (٦) ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة باسم ، نذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لأبي الفرج قدامة ابن جعفر الكاتب البغدادي ، ليدن ، ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م .
- (٧) لا بد أن العلي نقل هذا الرقم عن وارد خراسان وظن أن هذه قائمة ابن خرداذبة - انظر القائمة رقم ٣ .
- (٨) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ١ ، القاهرة ١٢٨٤ هـ ، ص ١٥٠ - ١ ، وطبع القاهرة ١٩٥٥ م ، ص ١٧٩ - ١٨١ . ذكر ابن خلدون في ص ١٥٠ ... وكذلك وجد بخط أحمد ابن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع النواحي نقلته من جراب الدولة . ولا بد أن ابن خلدون قد نقل هذه القائمة عن الجهشيارى . ولكنه وقع في أخطاء كثيرة ولهذا أوردنا ما جاء لدى الجهشيارى مع العلم أن الجهشيارى اعتبر القائمة مقدمة أيام الرشيد ، وابن خلدون قد ظننها أيام المأمون . ولقد نقل زيدان ، جرجي عن قائمة ابن خلدون (التمندن الاسلامي ، ج ٢ ، مصر ، ١٩٠٢ ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥) واعتبرها برغم اخطائها ممثلة لعهد المأمون ، وكذلك اعتبرها حتي ، فيليب (تاريخ العرب ، مطول ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٢٩٦) - بالرغم من اعترافه بعدم جلائها وضبطها - ممثلة لعهد المأمون . والملاحظ على قائمة ابن خلدون ذكره كلمة مرتين ولاندرى ما المقصود بها هل المبلغ مضاعف أم يُدفع على وجبتين بالسنة ؟ ومن أين جاء بهذه الكلمة ؟
- (٩) بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ١٧٧ .
- (١٠) العقيدة والشريعة في الإسلام ، ص ٢٧٩ .
- (١١) محفوظ ، حسين علي ، رسالة في تحقيق لفظ الزنديق لابن كمال باشا (متوفى ٩٤٠ هـ) ، بغداد ،

١٩٦٢ . وفي هذه الكراسة بحث لمختلف آراء العلماء والفقهاء والمؤرخين المسلمين حول كلمة زنديق ، وخاصة في الصفحة الأولى من الكراسة حيث نقلنا رأي ابن كمال باشا .

(١٢) م . ن . ، هامش الصفحة الأولى .

(١٣) حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٥ هـ ، ج ٣ ، ص ٥٠٤ .

(١٤) محفوظ ، رسالة في تحقيق لفظ زنديق لابن كمال باشا ، هامش ص ١ .

(١٥) بغداد ، ١٩٤٥ .

(١٦) بيروت ، ١٩٦٢ .

(١٧) بغداد ، ١٩٤٩ .

(١٨) بوسطن ، ١٩٦٢ .

(١٩) طبع القاهرة (٤) .

(٢٠) القاهرة ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .

(٢١) القاهرة ، ٤ أجزاء ، ١٩٥٨ م .

(٢٢) القاهرة (٤) .

(٢٣) القاهرة ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

(٢٤) بيروت ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .

(٢٥) بيروت ، دار الكشف ، ١٩٦١ م .

(٢٦) ترجمة حمزة طاهر ، القاهرة .

(٢٧) القاهرة ، ١٩٥٤ .

(٢٨) طبع القاهرة . (٤) .

(٢٩) طبع القاهرة ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

(٣٠) ليبزك ، ١٨٧٨ م .

(٣١) ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

(٣٢) م . ن .

(٣٣) الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، ص ١١ - ٢ .

(٣٤) م . ن . ، ص ١١ - ٢ .

(٣٥) بغداد ١٩٤٥ م ، ص ١١٢ .

(٣٦) ترجمة فارس ، د . نبيه امين ، وعلبيكي ، منير . ج ١ ، ط ٢ ، بيروت ١٩٥٣ ، ص ١٠٨ .

(٣٧) ديوان علي بن الجهم ، عني بتحقيقه خليل مردم بك ، دمشق ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م . والمعتصم بالله ، الخليفة العباسي .

(٣٨) في الأصل (ولم) والفاء في هذا الموضع أحكم .

(٣٩) السحوق - الطويل ، ويريد بالنصارى هنا الروم والذي صلب منهم ناطس (وسماه الطبري باطس) .

- (٤٠) حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، لبنان ، ١٩٥١ م ، ص ٥٠٦ .
- (٤١) ديوان البحري ، ط التسليطية ، جزءان ، سنة ١٣٠٠ ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ ، م ٢ .
- (٤٢) يقصد القائد محمد بن حميد الطوسي .
- (٤٣) المجلد الثاني ، ص ١٨٧ - ٨ . واسحاق بن إبراهيم بن مصعب هو القائد الذي انتصر على الخرمية في معركة همذان ٢١٨ هـ - ٨٣٣ م .
- (٤٤) المجلد الأول ص ١٦٧ - ٨ .
- (٤٥) ذكر ياقوت الحموي هذا البيت من القصيدة محركاً كلمة درك ، معجم البلدان ، م ١ ، كراسة ٣ ، ص ٣٦١ .
- (٤٦) ذكره ياقوت محركاً للذل ، معجم البلدان ، م ١ ، كراسة ٣ ، ص ٣٦١ .
- (٤٧) المجلد الثاني ، ص ٥٥ .
- (٤٨) تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ج ٢ ، ص ١٧٥٨ - ١٧٦٥ ، (هذه الأبيات لم تدرج سابقاً في هذا الملحق وإنما أضيفت فيما بعد) .
- (٤٩) القاهرة ، ج ٥ ، ١٩٢١ - ١٩٤٠ م ، ص ٢٢٣ .
- (٥٠) م . ن . هامش ص ٢٢٣ ، وكذلك الطبري ، م ٣ ، ج ٣ ، ص ١١٦٩ - ٧٠ .
- (٥١) في الطبري ، علائقها .
- (٥٢) في الطبري ص ١٦٩ .
- (٥٣) في الطبري ، ص ١١٧٠ .
- (٥٤) في الطبري ، ص ١١٧٠ .
- (٥٥) القاهرة (٤) ، ص ٣٤١ .
- (٥٦) م . ن . ص ٣٤١ .
- (٥٧) م . ن . ص ٣٣٩ .
- (٥٨) الجزء الرابع ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م ، ص ٥٨ - ٥٩ . ورد في كتاب بابك لمؤلفه سعيد نفيسي المترجم عن الفارسية إلى الأذربيجانية ذكر هذا الشعر محرفاً ، يا أمير المؤمنين بدلاً من يا أمين الله ، طهيراً بدلاً من ظهيراً ، ص ٨٠ . وهنأ الله بدلاً من هيا الله ، وهو فتح بدلاً من فهو فتح ، نظيراً بدلاً من نظيراً ، قهطريراً بدلاً من قمطريراً ، السيك بدلاً من السيف ، والبيت الأخير على هذه الصورة ،
- ضربة أبقت على الد هر في الوجه نورا
- ص ٨١ ، ونعتقد أن لجهل الطباع الباكوي أثراً في هذا التحريف .
- (٥٩) ليدن ، ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م ، ص ٢٢٠ .
- (٦٠) طهران ، ج ٦ ، ١٩٦٢ م ، ص ١١٧ .
- (٦١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ليدن ، ٨٨١ م ، ص ١٢٣٠ .
- (٦٢) (لم تدرج أبيات الحسين بن الضحاك التي أوردها المسعودي في التنبيه والاشراف ، فالملحق سابق وأضيفت فيما بعد) .

- (٦٣) ترجمة براون إلى الانكليزية ، ليدن ، لندن ١٩٠٥ م .
- (٦٤) م . ن . ص ١٥٣ .
- (٦٥) ديوان أبي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، مصر ، ١٩٥١ م ، ١ م ، ص ٢٠٥
- ٢١٨ ، وأيضاً ديوان أبي تمام ، القاهرة ، ١٩٤٢ م ، ص ٣٥ . أرشق قال ياقوت الحموي ، جبل بأرض موقان من نواحي أذربيجان عند البذ مدينة بابك الخرمي ، معجم البلدان ، م ١ ، كراسة ٢ ، ص ٦٥٢ (طبعة بيروت ، ١٩٥٧) .
- (٦٦) ديوان أبي تمام ، مصر ١٩٥١ م ، ١ ص ٣٣٢ ، ص ٣٣٩ ، وطبعة القاهرة ١٩٤٢ ، ص ٥٥٠-٥٤٠-٥٣٠ .
- (٦٧) ط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٥٤ .
- (٦٨) الشيخ ، الظهر ، وثبج كل شيء ، معظمه .
- (٦٩) أرشقت المرأة والطبية إذا أدامت النظر .
- (٧٠) مرج الدين ، اضطرب .
- (٧١) طبعة ١٩٤٢ ، ص ٥٤ .
- (٧٢) (أبو النصر) ، قيل هو بابك ، وقيل من أصحابه ، أي نجا مسلوبا ، وطبعة القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٥٥ .
- (٧٣) ديوان أبي تمام ، ط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٨١ - ٨٤ .
- (٧٤) ديوان ط ١٩٥١ ، ص ٢٢ - ٣١ .
- (٧٥) طبعة ١٩٤٢ ، ص ٧٦-٧٩ وأورد ياقوت تسلسل ١١-١٤-١٥ ، معجم م ١١ ، ص ٢٦٧ ، وجاء في ديوان ١٩٤٢ بابكا وجيوشه ، ص ٧٧ ، وورد في كتاب بابك لسعيد نفيسي المترجم إلى الأذربيجانية عن الفارسية بغاصمة بدلاً من بقاصمة ، ص ٦٩ وهذا خطأ مطبعي .
- (٧٦) المعرد الهارب ، ط ١٩٤٢ ، ص ٧٧ ، وفي ترجمة بابك للأذربيجانية بهياته بدلاً من بهيابة ، ص ٦٩ ، وهذا خطأ مطبعي ولا شك .
- (٧٧) ورد في ط ٤٢ والمنايا مشبحة ، ص ٧٧ .
- (٧٨) الفط الشق والأحمي ضرب من البرد والمعضد الذي فيه خطوط تخالف لونه ، ورد هذا البيت في ط ١٩٤٢ ، ص ٧٧ .
- (٧٩) الكذج بالفارسية البيت المسكون فكان هذا الموضع سمي بذلك . ورد هذا البيت في ط ١٩٤٢ ، ص ٧٨ . وورد في معجم البلدان ، م ١٦ ، ص ٤٤٢ ، وأورد ديوان ط ١٩٤٢ بيتا (حططت بها المروبة عزه - وكان مقيماً بين نسر وفرقد) بيت ٢٤ ص ٧٧ .
- (٨٠) ديوان أبي تمام ، ط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ١٠٢ - ١٠٥ .
- (٨١) مازق كمجلس المضييق .
- (٨٢) ديوان أبي تمام ، ط ١٩٥١ م ، ٢ ص ، ١٠ ، وط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، وقد ورد في ص ٧٥ تسلسل ٢٧ ما يلي ،
- ٢٧- أعيا عليه وما أعيا بمشكلة بسندبايا ويوم الروع محتشد - ٧٥
- (٨٣) أورد ياقوت هذا البيت في معجم ، م ٣ ، ص ٣٦٠ ، وفي ديوان أبي تمام ، ط ١٩٤٢ ، الأبيات تسلسل ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٣ ، في ص ٧٥
- (٨٤ ، ٨٥) تقابل ص ٧٥ . وقد وردت كلمة تنبت بدلاً من تنب ، تسلسل ٤٤ ، ط ١٩٤٢ ، ص ٧٥ .

- (٨٦) ص ٧٦ ، والبير جنس من العجم .
- (٨٧) ديوان ط ١٩٥١ ، م ٢ ص ٣٢ - ٤١ ، وط ١٩٤٢ ، ص ٧٩ - ٨١ .
- (٨٨) طبعة ١٩٤٢ ، ص ٨٠ ومعجم ، م ٢ ، ص ١٥٢ ، والنحب النذر .
- (٨٩) ط ١٩٤٢ ، ص ٨٠ ومعجم ، م ٢ ، ص ١٥٢ ، ورد فيه - إلى موقان . وبالكديد ، بالكسر .
- (٩٠) ط ١٩٤٢ ص ٨٠ ومعجم م ١ ، ص ٦٥ .
- (٩١) ط ١٩٤٢ ص ٨١ وأنصاع ذهب في ناحية .
- (٩٢) ط ١٩٤٢ ، ص ٨١ ، والبلد المتباطى ، المتحير أي حامت نفسه على أجله البليد حتى لم يقتل يومئذ .
- (٩٣) هرجام اسم رئيس ، وفي ط ١٩٤٢ ، كان على القعود . وهرجام ملك الصيادنة ولقد روى هذا البيت بعد... وقائع قد سبكت بها ، ص ٨١ .
- (٩٤) اشار في الهامش (كان البريد إذا جاء وعليه السواد كان ذلك دليل الظفر وإذا كان عليه الحمرة كان ذلك خلاف الظفر) ، وفي ط ١٩٤٢ ، وقائع قد سبكت ، ص ٨١ .
- (٩٥) ط ١٩٥١ ، م ٢ ، ص ١٩٨ - ٢٠٨ ، وط ١٩٤٢ ، ص ١١٣ - ١١٦ ، والافشين هو حيدر بن كاوس .
- (٩٦) أورد البيهقي هذا البيت وفيه (والسيوف عواري) ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ .
- (٩٧ ، ٩٨) أوردهما البيهقي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ ، ديوان ط ١٩٤٢ ، ص ١١٥ .
- (٩٩) جاء في شرح هذا البيت (عن العبيدي) - (ناطس) بطريق عمورية ، وفي نسخة (ياطس) بالياء ، ملك . وفي الهامش قال المرزوقي : يعني بابك والمازيار ، وكانا لما صلبا قرب احدهما من الآخر وتنحى عنهما ناطس الرومي فقال كأنما تنحيا عن ناطس ليكتما عنه سرا ويطويا دونه خبرا ولا يريدان وقوفه عليه ، ورواية الصولي (ناطس) وجاء في حاشية الخارزنجي أبو يحيى : حكى أن جذعي مازيار وافشين كانا فوق جذع باطس وكلا الجذعين مائل وفي أصل الخارزنجي (ياطس) بالياء آخر الحروف... هامش ص ٢٠٧ ، وفي طبعة ١٩٤٢ ورد هذا البيت :
- وكأنما ابتدرا لكيما يطويا
عن باطس خبرا من الأخبار - ١١٥
- (١٠٠) المقصود... الافشين وبابك والمازيار . وأراد بسواد ثيابهم اسوداد جلودهم بالشمس والرياح . وورد هذا البيت في ط ١٩٤٢ سود اللباس بدلا من سود الثياب - ١١٥ .
- (١٠١) ديوان ط ١٩٥١ ، م ٢ ، ص ٣٥٩ - ٣٨٥ ، وط ١٩٤٢ ، ص ١٥٠ - ١٥٣ .
- (١٠٢) شأنيك تثنية شأن وهي مجاري الدمع ، ويروى عن (شانيك) ، ورد في ط ١٩٤٢ ، ص ١٥٢ .
- (١٠٣) ورد في ط ١٩٣٢ - ومر بابك مر الريح منجذبا - ص ١٥٢ .
- (١٠٤) (ازرت) من الزيارة وازرت بتشديد الزاي أي جعلت لها كالأزار (الغياطة) كالغمامة (والمقورة) الخيل الضامرة وتكون من صفات السمين وهو من الأضداد (الشسف) من قولهم شسف الفرس إذا غمر غمراً شديداً . وورد في ط ٤٢ والمقورة الشفا - ص ١٥٢ .
- (١٠٥) جاء في معجم البلدان ابرشتوم . وهو جبل بالبذ من أرض موقان من نواحي اذربيجان ، كان يأوي إليه بابك الخرمي .
- (١٠٦) ورد في ط ١٩٤٢ (فلفل بالظفر الافشين...) ، ص ١٥٣ .
- (١٠٧) ديوان ط ١٩٤٢ ، ص ١٤٢ - ١٤٤ والابيات غير محركة ، واعتمدنا تحريكها على ياقوت الحموي .
- (١٠٨) ذكره ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ٦٥ .

- (١٠٩) ذكره ياقوت (شفقت إلى جباره) ، معجم ، م ١ ، ص ٦٥ .
- (١١٠) ذكره ياقوت (يزعزع) ، معجم ، م ١ ، ص ٦٥ .
- (١١١) ذكره ياقوت (والكذاج) ، معجم ، م ١ ، ص ٦٥ .
- (١١٢) ديوان ط ١٩٤٢ ص ١٨٦ - ١٨٨ .
- (١١٣) ديوان ط ١٩٤٢ ص ١٩٦ - ٢٠٠ .
- (١١٤) نقل هذا البيت في شرح تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ .
- (١١٥) جاء في شرح تاريخ اليعقوبي ، ط النجف ص ٢٠٠
- لولا الظلام وقلعة علقوا بها باتت رقابهم بغير قتال
- فليشكروا جنح الظلام ودروذا فهم لدروز والظلام موال
- وورد في كتاب بابك لسميد نفيسي المترجم إلى الأذربيجانية عن الفارسية هذا البيت ،
- فهم لدروز والظلام موال
- ص ٦٩ وسببه كما نظن جهل الطباع الباكوي باللغة العربية .
- (١١٦) ديوان ط ١٩٤٢ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٥ .
- (١١٧) م . ن . ص ٢٢٨ - ٢٣١ .
- (١١٨) م . ن . ص ٢٣١ - ٢٣٤ .
- (١١٩) م . ن . ص ٢٤٧ - ٢٤٩ .
- (١٢٠ - ١٢١) الطبري ، م ٣٠ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٣ . وقد كتب الطبري هذا البيت وذكر المعجز : ما أن بها... بدلاً من (به) .
- (١٢٢) ذكره الطبري قد كان عذرة سؤدد فاقتضها ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٣ - ٤ .
- (١٢٣) الطبري ، ص ١٢٣٤ .
- (١٢٤) رواه الطبري - هطلت عليها من جماجم أهلها ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٤ .
- (١٢٥) رواه الجاحظ : وكأنه الضحاك في فتكاته بالعالمين وأنت أفريدون ، المحاسن والأضداد طبع القاهرة ، ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م ، ص ٢٧٤ .

ثبت بأسماء المصادر والمراجع

- ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري ،
الكامل في التاريخ ، ٩ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٣١ - ١٩٤٠ .
أحمد امين ، (الدكتور) ،
فجر الإسلام ، القاهرة ، ١٩٥٠ . ضحى الإسلام ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
ظهر الإسلام ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٣ - ١٩٥٨ . يوم الإسلام ،
القاهرة ، ١٩٥٨ .
أحمد ، محمد حلمي محمد ،
الخلافة والدولة في العصر العباسي ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
أربري ، أ . ج ،
تراث فارس ، نقله إلى العربية محمد كفاي وجماعته ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
الاسفرائيني ، أبو المظفر محمد بن طاهر ،
التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الهالكين ، القاهرة ، ١٩٤٠ .
الاشعري ، أبو الحسن علي بن اسماعيل ،
مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، باعتناء هلموت ريتير ، الطبعة
الثانية ، ويستبادن ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
الأصفهاني ، أبو عبد الله حمزة بن الحسن ،
كتاب تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، برلين ، ١٣٤٠ هـ ،
ليبزك ، ١٨٤٤ م .

- الاصفهانى . ، أبو الفرج علي بن الحسين
 الأغاني ، ٢١ جزءاً ، القاهرة ، ١٩٠٤ م .
 الأصفهاني : أبو نعيم أحمد بن عبد الله
 ذكر أخبار أصبهان ، مجلدان ، ليدن ، ١٩٣١ م ، ١٩٣٤ م .
 الاصطخري ، أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي
 مسالك الممالك ، ليدن ، ١٨٧٠ م .
 الألوسي ، محمود شكري
 بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، باعتناء الأثري ، المطبعة الرحمانية ،
 القاهرة ، ١٩٢٣ .
 بارتولد ، فاسيلي فلاديميروفيتش (المستشرق)
 تاريخ الحضارة الإسلامية ، نقله من التركية إلى العربية حمزة طاهر ،
 القاهرة .
 تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد العيد سلمان ،
 القاهرة ، ١٩٥٨ .
 المؤلفات ، مجلدات (باللغة الروسية) .
 البحتري ، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى ، (الشاعر)
 ديوان البحتري ، الطبعة الأولى ، القسطنطينية ، ١٣٠٠ هـ ، وتحقيق حسن كامل
 الصيرفي ، القاهرة ١٩٦٣ - ٤ .
 براون ، ادوارد جرانفيل
 تاريخ الأدب في إيران ، (من الفردوسي إلى سعدي) ، ترجمة د . ابراهيم ايمن
 الشواربي ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
 بروكلمان ، كارل
 تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة د . نبيه أمين فارس ومخير البعلبكي ،
 بيروت ، ١٩٥٣ .
 البستاني ، بطرس
 دائرة المعارف الإسلامية ، ٩ أجزاء ، بيروت ١٨٧٦ - ١٨٨٧ م .

- البغدادي ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله الاسفرائيني ،
الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة .
- البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ،
فتوح البلدان ، ليدن ، ١٨٦٦ م .
- أنساب الأشراف ، الجزء الأول ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف بمصر ،
١٩٥٩ .
- ٤ أجزاء ، القدس ، ١٩٣٨ .
- الجزء الحادي عشر ، باعتناء اهلوارت ، ليدن ، ١٨٨٣ .
- البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي ،
الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ليبزك ، ١٨٧٨ .
- ترتون ، ا ، س ،
- أهل الذمة في الإسلام ، ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الاتابكي ،
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ جزءا ، القاهرة ، ١٩٢٩ - ١٩٥٦ .
- أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي ،
ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، مجلدان ،
مصر ١٩٥١ .
- ديوان أبي تمام ، قدم له الاستاذان عبد الحميد يونس وعبد الفتاح مصطفى ،
القاهرة ، ١٩٤٢ .
- ديوان الحماسة ، مختصر شرح العلامة التبريزي ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
- التنوكي ، أبو علي المحسن بن علي بن محمد ، القاضي ،
جامع التواريخ ، مصر ١٩٢١ .
- الفرج بن الشدة ، جزءان ، مصر ١٩٠٣ - ١٩٠٤ .
- توما ، أميل ،
- العرب والتطور التاريخي ، ترجمة جبر نقولا ، حيفا ، ١٩٦٢ .
- الشعالبي . أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ،
غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، طهران ، ١٩٦٣ .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ،
البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، وإلى الروسية ، ترجمة
بارانوف ، موسكو ، ١٩٦٥ .

البيان والتبيين ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٨ - ١٩٥٠ .
ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ،
المنتظم من تاريخ الملوك والأمم ، الأجزاء ٥ - ١٠ ، حيدر آباد ، ١٣٥٩ هـ ،
تلييس ابليس ، القاهرة .

جوزي ، بندلي صليبة ،
من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ، دار الروائع ، بيروت .
الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري ،
الوزراء والكتاب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨ م .
حتي ، فيليب ، وجرجي ، ادورد ، وجبور ، جبرائيل (الدكاترة) ،
تاريخ العرب (مطول) ، جزءان ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦١ .
حتي ، فيليب (الدكتور) ،
العرب (تاريخ موجز) الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٥٤ .
حسن ، حسن ابراهيم (الدكتور) ،
تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ٣ أجزاء ، القاهرة ،
١٩٥٣ .

حمزة ، عبد اللطيف ،
ابن المقفع ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٤٠ .
ابن حوقل ، أبو القاسم محمد الحوقلي ،
المسالك والممالك ، ليدن ، ١٨٧٣ .
خدابخش ، المؤرخ الهندي ،
الحضارة الإسلامية ، ترجمة الخربوطلي ، علي حسني ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ،
المسالك والممالك ، ليدن ، ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م .

الخربوطلي ، د . علي حسني ،
تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
الدولة العربية الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
الخزرجي ، أبو دلف مسعر بن المهلهل ،
الرسالة الثانية ، تحقيق بولغاكوف ، بطرس وخالدوف ، انس ، موسكو ،
١٩٦٠ .

الحضري ، الشيخ محمد
الدولة العباسية ، الطبعة التاسعة ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد المغربي ،
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٧ أجزاء ، القاهرة ، ١٢٨٤ هـ ، ١٩٥٦ . المقدمة ،
بيروت .

خليلي ، عباس ،
ايران واسلام ، طهران ، ١٣٣٦ ش (باللغة الايرانية) .
دنت ، دانيل ،
الجزية والإسلام ، ترجمة جاد الله . فوزي فهميم (الدكتور) ، بيروت ، ١٩٦٠ .
الدوري ، عبد العزيز (الدكتور) ،

العصر العباسي الأول ، بغداد ، ١٩٤٥ .
دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، بغداد ، ١٩٤٥ .
مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، بغداد ، ١٩٤٩ .
الجدور التاريخية للقومية العربية ، بيروت ، ١٩٦٠ .
الجدور التاريخية للشعبوية ، بيروت ، ١٩٦٢ .
تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، بغداد ، ١٩٤٨ .
بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ، ١٩٦٠ .
الجدور التاريخية للاشتراكية العربية ، مجلة الآداب ، العدد الثالث (آذار) ،
١٩٦٥ .

- الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود ،
الأخبار الطوال ، تحقيق جرجاس ، ليدن ، ١٨٨٨ ، وطبعة القاهرة .
الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ،
دول الإسلام ، جزءان ، الطبعة الثانية ، حيدر اباد ، ١٣٦٥ هـ .
تاريخ الاسلام ، ٥ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٨ - ١٩٥٠ .
المختصر المحتاج إليه من (تاريخ الحافظ ابي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد
بن الدبشي) ، وهو بانتقاء الذهبي ، تحقيق مصطفى جواد (الدكتور) ، جزءان ،
بغداد ، ١٩٥١ م ، ١٩٦٣ م .
الرازي ، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين ،
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .
رستم ، أسد ،
الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، جزءان ،
بيروت ، ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .
ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمران ،
الأعلاق النفيسة ، المجلد السابع ، ليدن ، ١٨٩١ .
زيدان ، جرجي ،
تاريخ التمدن الإسلامي ، ٥ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٠٢ - ١٩٠٦ .
زيدان ، د . عبد الكريم ،
أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، بغداد ، ١٩٦٣ .
ابن الساعي ، تاج الدين أبو طالب علي بن النجب ،
نساء الخلفاء ، تحقيق وتعليق د . مصطفى جواد ، دار المعارف بمصر .
مختصر أخبار الخلفاء (منسوب اليه ، يقول مصطفى جواد في كتاب نساء الخلفاء -
وأما هذا المطبوع المسمى (مختصر أخبار الخلفاء) فهو مذكوس عليه ، نحله إياه بعض
المزورين الذين اعتادوا التزوير في كل أمورهم وشؤونهم - ص ٢٤) ، بولاق ،
القاهرة ، ١٣٠٩ هـ .
السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد ،
كتاب المعمرين ، ليدن ، ١٨٩٩ .

ابن أبي السرور (*)

عيون الأخبار (ونزهة الأبصار) - مخطوط - المتحف البريطاني ، الرقم ٥٦٢٣ ، الشرق ، لندن .

السمعاني ، عبد الكريم بن محمد :

الأنساب ، نشره مرغليوث ، ليدن ، ١٩١٢ .

شاكر ، مصطفى :

في التاريخ العباسي ، الجزء الأول ، دمشق ، ١٩٥٧ .

شريف ، محمد بدیع (الدكتور) :

الصراع بين الموالى والعرب ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

شليبي ، أحمد جاب الله (الدكتور) :

في قصور الخلفاء العباسيين ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم :

الملل والنحل ، جزءان ، تحقيق محمد سيد كيلاي ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ -

١٩٦١ م .

الصولي ، محمد بن يحيى :

ادب الكتاب ، تحقيق محمد بهجت الاثري ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير :

تاريخ الرسل والملوك ، طبعة دي غويه ، ليدن - بريل ١٨٧٩ - ١٨٨٥ ، طبعة

القاهرة ، بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ١٩٦٠ .

اختلاف الفقهاء - نشره شاخ ، ليدن ، ١٩٣٣ م .

ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا :

الفخري في الآداب السلطانية ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

(*) ورد اسمه في مخطوطة لندن (ابن ابو السرور) ، فقط ، وذكره الدكتور مصطفى جواد ، ممتدداً على مخطوطة دار الكتب الوطنية بهاريس (رقم ١٥٦٠) ، الشيخ محمد بن محمد بن أبي السرور التيمي البكري الصديقي المتوفى ١٠٢٨ هـ . مجلة سومر ، م ١٤ ، ج ١ ، ٢٢ بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ٢٤ . وعلى هذا الأساس لا يمكن افتراض اسم المؤلف بـ (الروحي) ، محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن . صاحب كتاب بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء - القاهرة (١٩٠٩) .

- ابن طيفور ، ابو الفضل أحمد بن طاهر ،
كتاب بغداد ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
- طه حسين ، (الدكتور) ،
مرآة الإسلام ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
- الشيخان ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- الفتنة الكبرى ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .
- ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد ،
العقد الفريد ، ٨ أجزاء ، بتحقيق محمد سعيد العريان ، ط ٢ ، القاهرة ،
١٩٥٣ .
- عبد العال ، محمد جابر (الدكتور) ،
حركات الشيعة المتطرفين ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- ابن العبري ، ابو الفرج غريغوريوس بن هارون (الاب القديس) ،
تاريخ مختصر الدول ، طبعة اوكونيا ، ١٦٦٣ ، بيروت ، ١٨٩٠ .
- أبو عبيد ، القاسم بن سلام ،
الأموال ، تحقيق محمد حامد الفقي ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
- العدوي ، د . ابراهيم أحمد ،
الدولة الإسلامية و امبراطورية الروم ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- العزیز ، حسين قاسم ،
الشعبوية ، مجلة الغد ، العدد الثالث ، براغ (تموز) ١٩٦٤ .
- العلي ، د . صالح أحمد ،
التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، بغداد ،
١٩٥٣ .
- علي بن الجهم ، أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود ،
ديوان علي بن الجهم ، بتحقيق خليل مردم بك ، دمشق ، ١٩٤٦ .
- العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، الجزء الثالث ، (خلافة المعتصم) ، المؤلف
مجهول) ، باعثناء ماتهسين ، ليدن ، ١٨٤٩ .

- الغزالي ، أبو حامد محمد •
 فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م .
 الفاخوري ، حنا •
 تاريخ الأدب العربي ، لبنان ، حريصا ، ١٩٥١ .
 ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل بن علي •
 المختصر في أخبار البشر ، ليبزك ، ١٨٣١ ، بيروت ، ١٩٥٦ - ١٩٦٠ .
 أبو الفداء ، عماد الدين ، اسماعيل بن عمر •
 البداية والنهاية ، ١٤ جزء ، القاهرة ، ١٩٣١ م .
 فروخ ، عمر (الدكتور) •
 ابن المقفع ، بيروت ، ١٣٦٠ هـ .
 ابن فضالان ، أحمد بن فضالان بن العباس بن راشد بن حماد •
 رسالة ابن فضالان ، بتحقيق الدهان ، سامي (الدكتور) ، المطبعة الهاشمية
 دمشق ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
 ابن الفقيه ، أحمد بن محمد الهمداني •
 مختصر كتاب البلدان ، باعتناء دي خويه ، ليدن ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٥ م .
 ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري •
 عيون الأخبار ، ٤ أجزاء ، طبعة كوتنكن ، ١٨٩٩ ، وطبعة القاهرة ، ١٩٢٥ -
 ١٩٣٠ .
 المعارف ، ط كوتنكن ، ١٨٥٠ م والقاهرة ، ١٩٦٠ .
 انساب العرب في كتاب المغرب وملوك الشام والحيرة ، كوتا ، ١٧٧٥ .
 أدب الكاتب ، ليدن ، ١٩٠٠ ، مصر ، ١٣٠٠ هـ .
 الإمامة والسياسة (منسوب إليه) ، الطبعة الثالثة ، مصر ١٩٦٣ م .
 فضل العرب ، نشره كرد علي ، محمد ضمن كتاب رسائل البلغاء .
 قدامة بن جعفر الكاتب ، أبو الفرج •
 كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، نشر دي خويه نبذة منه والحقه بكتاب المسالك
 والممالك لابن خرداذبة ، ليدن ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م .

- القلقشندي ، أبو العباس أحمد ،
 صبح الأعشى ، ١٢ جزء ، القاهرة ، ١٩١٣ - ١٩١٨ .
 كرد علي ، محمد ،
 الإسلام والحضارة العربية ، جزءان ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ١٩٥٩ .
 رسائل البلغاء ، القاهرة ، ١٩١٣ .
 كريستنسن ، آرثر ،
 إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
 كريم ، فون ،
 الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية ، ترجمه من الألمانية
 خدابخش إلى الانكليزية ، وعربه الدكتور مصطفى طه بدر ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
 كولدتسهير ، إجناس ،
 العقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة الدكتور يوسف موسى وجماعته ، الطبعة
 الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
 لوبون ، غوستاف (الدكتور) ،
 حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
 لويس ، برنارد (الدكتور) ،
 أصول الاسماعيلية ، ترجمة جلو ، خليل أحمد والرجب ، جاسم محمد ،
 القاهرة ، ١٩٤٧ .
 العرب في التاريخ ، ترجمة فارس ، نبيه امين وزايد ، محمد يوسف ، بيروت ،
 ١٩٥٤ .
 ليستراخ ، كي ،
 بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير فرنسيس ، بغداد ، ١٩٣٦ م .
 ماجد ، عبد المنعم (الدكتور) ،
 التاريخ السياسي للدولة العربية ، جزءان ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
 مارغيليوث ، د . س . ،
 دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة حسين نصار (الدكتور) بيروت .

المافروخي ، مفضل بن سعد بن الحسين المافروخي الاصفهاني ،
 محاسن أصفهان ، طهران ١٣١٢ شمسي ، ١٩٣٣ م .
 الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ،
 الأحكام السلطانية ، مخطوط في قسم الكتب النادرة بمكتبة علي شير نوائي ،
 طاشقند ، رقم PB63 والطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
 المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ،
 الكامل في اللغة والأدب ، ليبزك ، ١٨٦٤ م ، والقاهرة ، ١٩٥٦ ، بتحقيق محمد
 أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة .
 محفوظ ، حسين علي (الدكتور) ،
 حمزة بن الحسن الاصفهاني ، مجلة سومر العراقية ، المجلد التاسع عشر ، الجزء
 الأول والثاني ، بغداد ، ١٩٦٣ .
 رسالة في تحقيق لفظ الزنديق ، كمال باشا (متوفى سنة ٩٤٠ هـ) ، بغداد ،
 ١٩٦٢ .

المدور ، جميل نخلة ،
 حضارة الإسلام في دار السلام ، بولاق ، القاهرة ، ١٩٣٦ .
 المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ،
 مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، وطبعة ١٩٥٨ .
 التنبيه والاشراف ، ليدن ، ١٨٩٣ .
 اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان ، القاهرة ، ١٩٣٨ .
 مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب ،
 تجارب الامم ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٩١٤ - ١٩١٥ .
 ومخطوط في مكتبة الاستشراف في طقشند ، رقم ٤١ .
 المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد ،
 أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ، ١٨٧٧ .
 المقدسي ، المطهر بن طاهر ،
 البدء والتاريخ ، طهران ، ١٩٦٢ م .

- المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ،
 اغاثة الأمة بكشف الغمة ، القاهرة ، ١٩٤٠ .
 كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، القاهرة ، ١٩٠٦ - ١٩٠٨ و
 ١٩١٣ م .
- الملطي ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ،
 التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، استانبول ، ١٩٣٦ م .
 المودودي ، أبو الأعلى ،
 مسألة ملكية الأرض في الإسلام ، ترجمة محمد عاصم الحداد ، دمشق ،
 ١٩٥٧ .
- الانتخابات البهية من الكتب العربية والفارسية والتركية فيما يتعلق بتواريخ
 طبرستان وكيلان وجغرافية تلك النواحي ، جمعها ونقحها ايرنهارد دارن ،
 بطرسبورغ ، ١٢٧٤ هـ .
- النجار ، محمد الطيب ،
 الموالي في العصر الأموي ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
 ابن النديم ، محمد بن اسحق ،
 الفهرست ، باعثناء فلوكل ، ليبزك ، ١٨٧١ - ١٨٧٢ . وطبعة القاهرة .
 أبو النصر ، عمر ،
 الخوارج في الإسلام ، بيروت ، ١٩٥٦ .
 نظام الملك ، أبو علي حسن الطوسي (الوزير) ،
 سياست نامه (بالفارسية) باهتمام هيوبرت دارك ، طهران ، ١٩٦٢ .
 نفيسي ، د . سعيد ،
 اذريجان قهرماني بابك خرم دين (بالاذريجانية) ، باكو ، ١٩٦٠ .
 ولهاوزن ، يوليوس ،
 الدولة العربية وسقوطها ، تعريب العش ، يوسف (الدكتور) ، دمشق ، ١٩٥٦ .
 ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ،
 معجم البلدان ، خمس مجلدات ، دار صادر - بيروت ، ١٩٥٥ - ١٩٥٧ .

يحيى بن آدم بن سليمان القرشي الأموي :

الخراج ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ .

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر :

تاريخ اليعقوبي ، جزآن ، ليدن ، ١٨٨٣ م ، ٣ أجزاء ، النجف ، ١٣٥٨ هـ .

أبو علي الخنيلي ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء :

الأحكام السلطانية ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ .

أبو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (القاضي) :

الخراج ، القاهرة ، بولاق ١٣٠٢ هـ ، والسلفية ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) ،

والطبعة الثالثة ١٣٨٢ هـ .

130	(١) الديانة الايرانية
131	(٢) الفرق المناهضة للديانة الايرانية : المانوية ، والمزدكية
146	ج - الخرمية :
155	الفعاليات والانتفاضات الخرمية :
156	١ - حركة سنباذ
157	٢ - حركة استاذسيس
157	٣ - حركة يوسف بن ابراهيم البرم
157	٤ - انتفاضة المقنع
158	٥ - انتفاضة جرجان
159	٦ - انتفاضة خرمية اذربيجان
159	د - أهم التهم التي الصقت بالمبادي، والحركة الخرمية
163	٢ - التنظيمات البابكية
163	أ - المشكلة الفلاحية ومعالجة قضية الأراضي
165	ب - وضع المرأة في المجتمع وتحريرها
167	ج - أمور عامة :
167	(١) الحريات العامة
169	(٢) العبادة
170	٣ - القاعدة الاجتماعية والسياسية للحركة البابكية :
172	أ - التركيب الطبقي للمنتفضين
174	ب - مساهمة شعوب مختلفة أخرى : العرب ، الأكراد ، الايرانيون ، الديالمة ، الأرمن .
201	الفصل الرابع : الانتفاضة البابكية المسلحة ضد الخلافة العباسية :
203	العوامل التي ساعدت على قيام ونجاح الانتفاضة المسلحة
203	أ - ضعف جيش الخلافة
204	الحرب الأهلية ، فتنة الأمين والمأمون وعصيان ابراهيم ابن المهدي
205	انتفاضات الفلاحين في مصر

- 206 انتفاضة الزط في العراق
207 حروب الروم
209 انتفاضات خرمية ايران
209 اضطرابات متعددة
210 ب - الموقع الجغرافي وطبيعة البلاد وحسن الاستفادة منها
212 ج - أساليب القتال :
216 د - الحلفاء الذين ساندوا الانتفاضة
216 ٢ - أسباب اندحار الانتفاضة المسلحة في الدور الثاني :
216 أ - العوامل العسكرية :
216 عزل خرمية الجبال عن منتفضي اذربيجان
219 استخدام جماعات متمرسة بقتال الجبال
220 طول الحصار
221 استمالة جواسيس بابك
221 شدة اهتمام الخليفة المعتصم بأمر الخرمية وحسن تجهيزه للجيش .
223 ب - موقف الاقطاعيين المعادي للانتفاضة
223 هروب الاقطاعيين من صفوف الانتفاضة والتجاؤهم إلى صفوف جيش الخلافة
224 ج - العناصر الانتهازية ودورها التخريبي في سير الحركة
225 المترددون والطامعون
225 عدم مساهمة جميع فلاحي مناطق الانتفاضة
226 تباطؤ الروم في مساعدتهم للمنتفضين
228 ٣ - فترة النضال المسلح تحت قيادة بابك ومجريات الحوادث (الفترة بين ٢٠١ هـ - ٢١٨ هـ / ٨١٦ م - ٨٣٣ م) .
229 ١ - معركة هشتادسر الأولى
231 الفترة بين ٢١٨ - ٢٢٢ هـ / ٨٣٣ - ٨٣٧ م
231 معركة همذان ٢١٨ / ٨٣٣

- 232 جبهة اذربيجان ٢١٨ - ٢٢٠ هـ
- 232 (١) هزيمة القائد معاوية . (٢) اسر عصمت الكردي
- 233 ٢ - الفترة ٢٢٠ - ٢٢٢ هـ / ٨٣٥ م - ٨٣٧ م
- 233 (١) معارك سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م
- 233 معركة ارشق
- 235 مهاجمة قوافل المسلمين
- 236 (٢) معارك سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م
- 236 معركة هشتادسر الثانية
- 239 مصرع طرخان
- 239 (٣) معارك سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م
- 240 معركة نهر كلان روز
- 241 حصار قلعة البذ والهجوم عليها
- 241 الحركات التمهيدية
- 245 احتلال البذ
- 245 الزحف الأول
- 246 الزحف النهائي
- 267 الفصل الخامس : حياة بابك وآثار الانتفاضة
- 273 اتصال بابك بالقادة الخرميين
- 275 زوجات بابك
- 276 هروب بابك
- 285 علاقة المازيارية بالبابية
- 290 علاقة منكجور الفرغاني اخال ولد الافشين بالبابية
- 291 نهاية الافشين
- 294 آثار الانتفاضة في النظام الاجتماعي والسياسي للخلافة
- 295 انشوء وتوطد الامارات القطاعية وتطور الاقطاع
- 296 تسلط الاتراك على الخلفاء

297	انقسام الامبراطورية الاسلامية العظيمة
298	سقوط هيبة الخلافة
299	بقايا الخرمية
303	الخاتمة
319	الملاحق
321	أ - قوائم الخراج
332	ب - الزنادقة والغنوص
338	ج - القصائد
361	د - جداول أيام شهري رمضان ٢٢٢ هـ - وصفر ٢٢٣ هـ
371	ثبت بأسماء المصادر .

فهرس الخرائط

- ١ - أراضى الخلافة
- ٢ - مناطق الانتفاضة
- ٣ - خارطة ولايات الجبال وجيلان
- ٤ - خارطة ولايات الشمال الغربى
- ٥ - خارطة معركة هشتادسر الثانية
- ٦ - خارطة حروب بابك

1910, 1911, 1912

1913, 1914

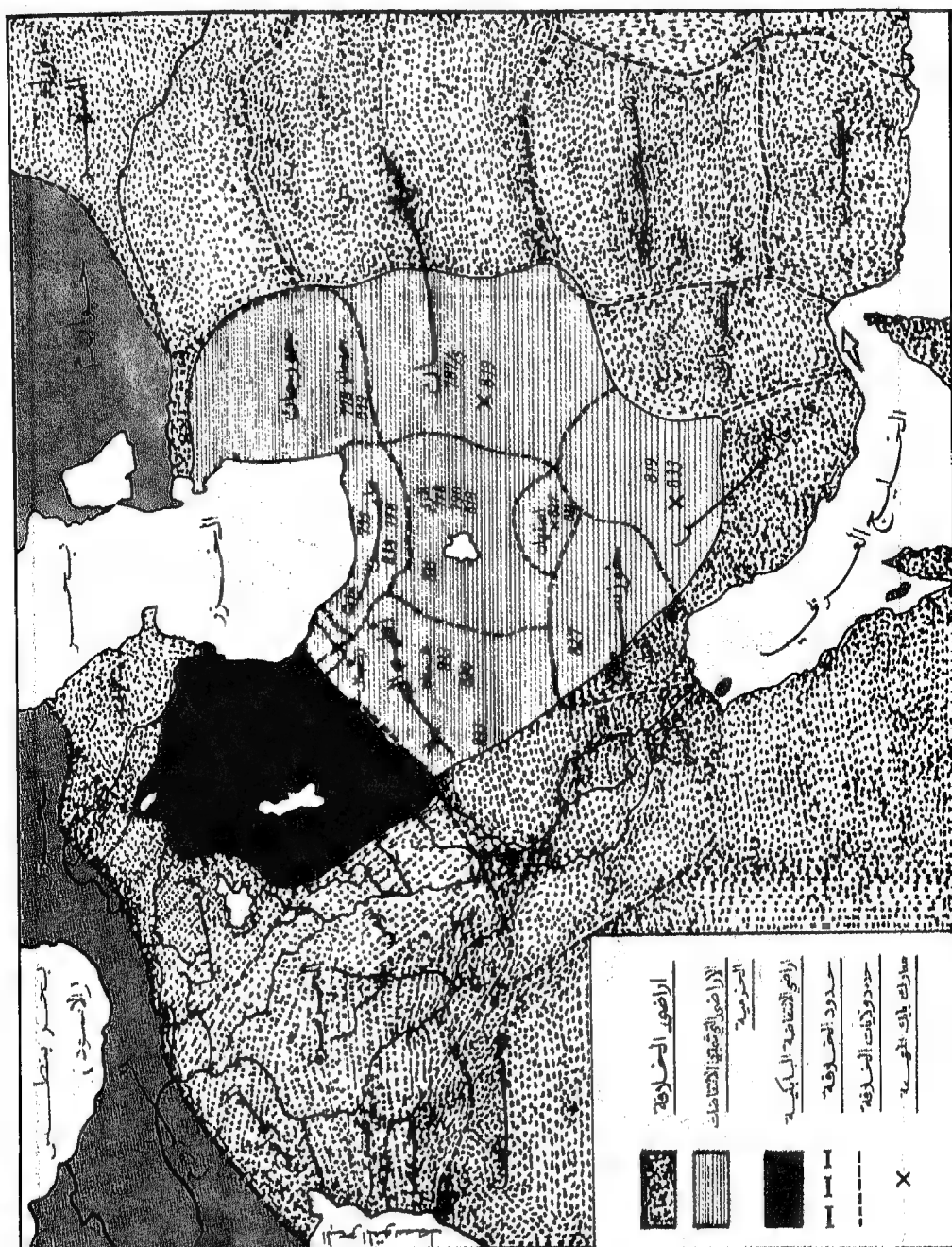
1915, 1916

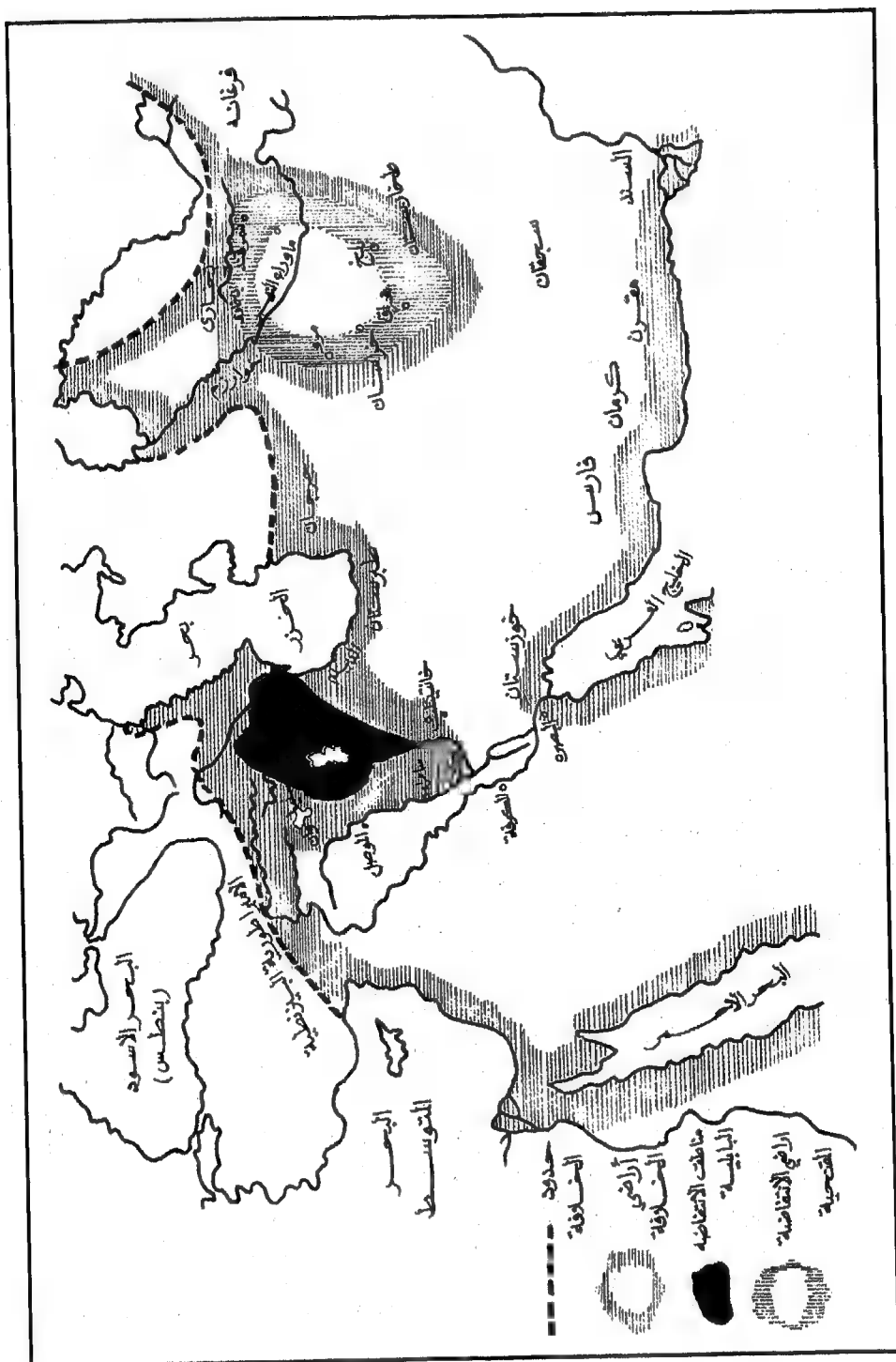
1917, 1918, 1919, 1920

1921, 1922, 1923, 1924

1925, 1926, 1927, 1928

1929, 1930





خارطة

ولايات الجبال

وجيلان

ومازندران (البرستان)

وقومس

وجرجان

(عن كتاب أراضي الخلافة

الشرقية لفرقة في

ليسترايغ بين صنفقي

١٨٤ - ١٨٥)

The Lands of The

Eastern Caliphate

by G. le Strange

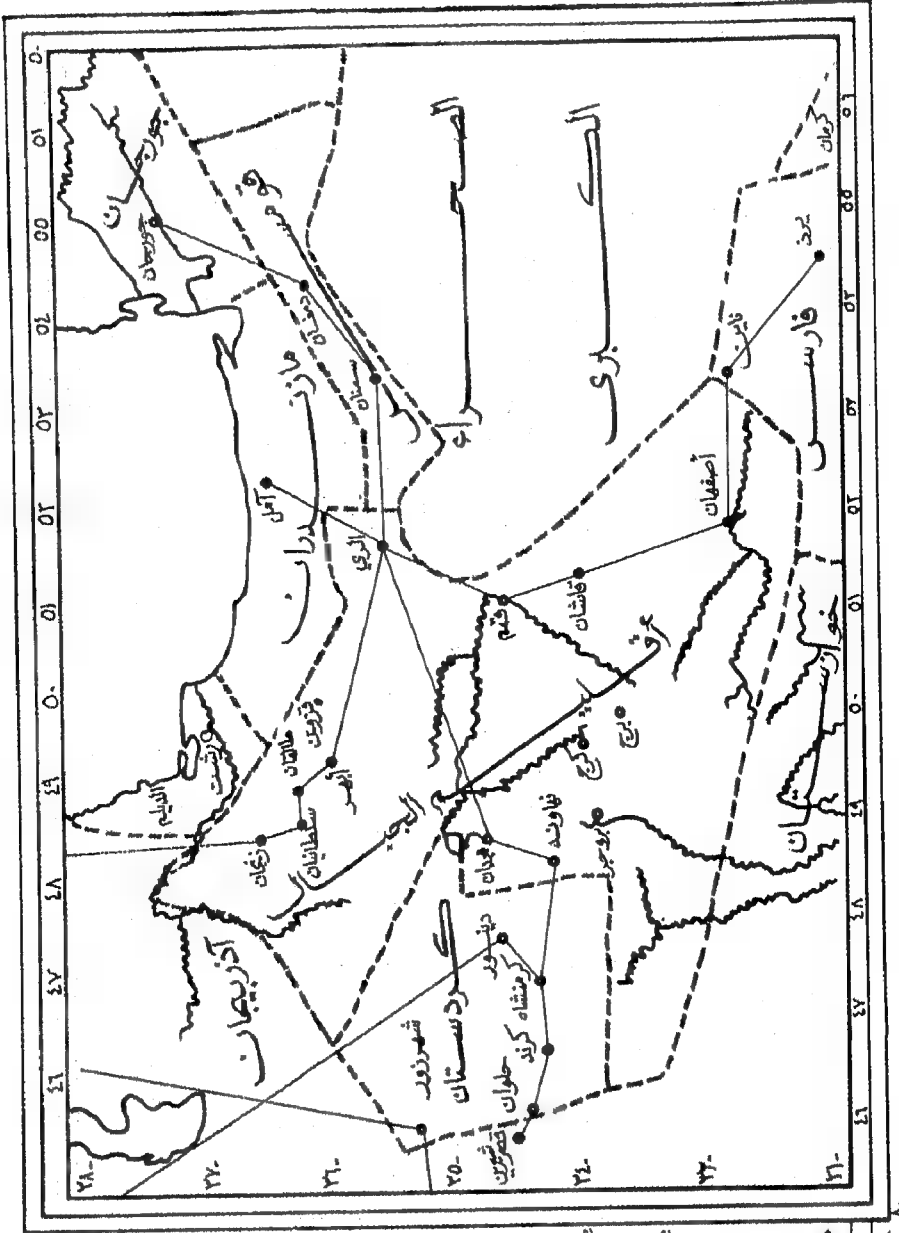
Cambridge at the

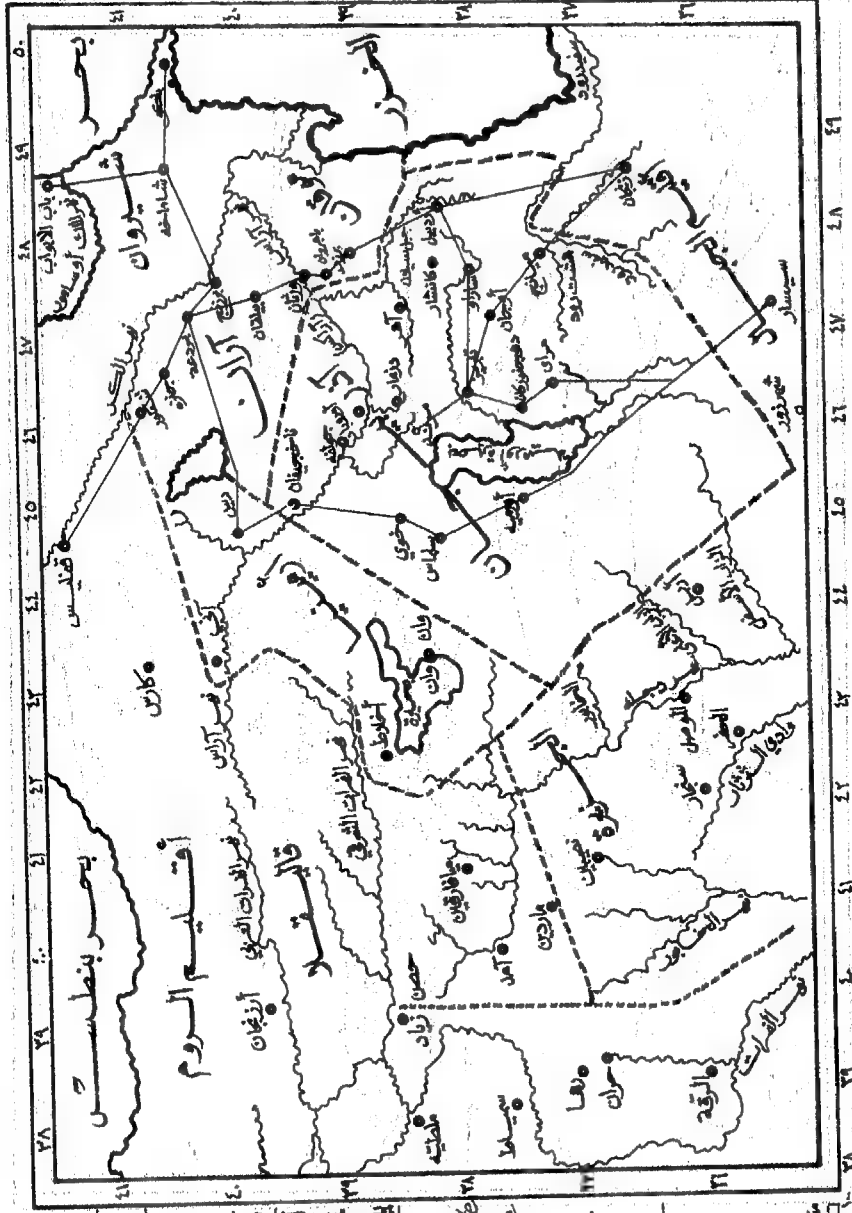
University press

1905 P 184-185

مقياس الميل الانكليزي

١. ٢. ٣. ٤. ٥. ٦. ٧.





خارطة ولايات

الشمال الغربي

مع الجزيرة

وادي يبرس

منقولة عن كتاب

أراضي الخليفة الشريف

لؤلؤه في لسترا

بلاك صفتي ٨٧-٨٦

The Lands of the

Eastern Caliphate

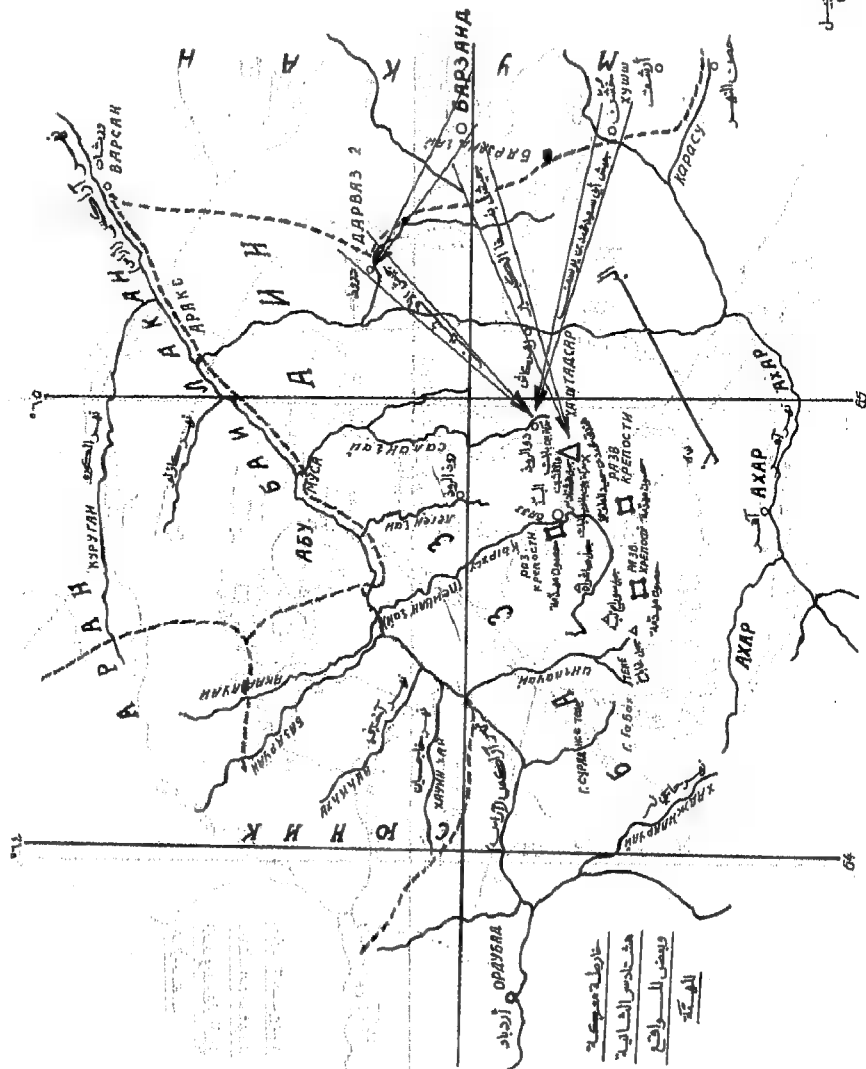
by G. Le strange

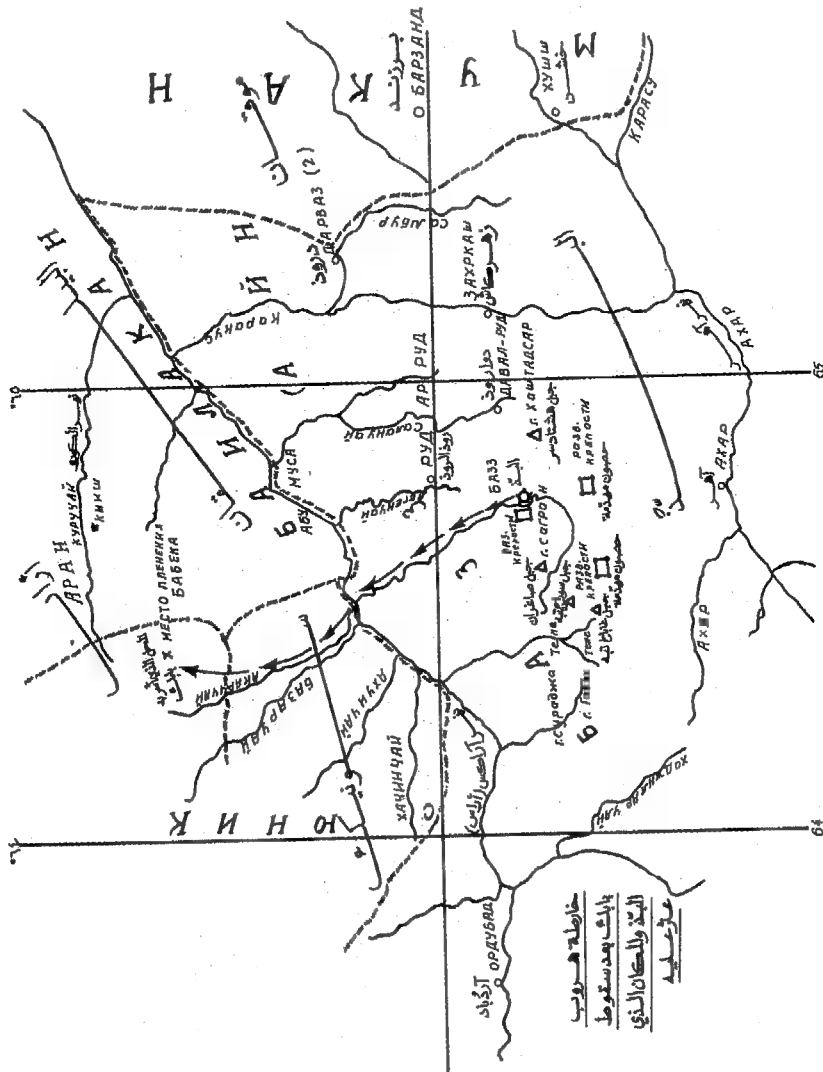
Cambridge the

University press

1906 P. 86-87

مطبعة المطبعة







البابكية

لقد كان بابك، العراقي الأصل الأذربيجاني الأم والمولد والمنشأ المسلم في حدثته، رئيساً روحياً وفكرياً وقائداً سياسياً وعسكرياً لفرقة الحرمية ولم يصبح ملكاً أو أميراً إقطاعياً ولم يباشر تعدد الزوجات، ولم يعتد على الأمنين المسالمين، وإنما حارب المستغلين والسلطة ومن تعاون بها من اقطاعيي أذربيجان وأرمينيا وإيران، فهو لم يحارب الإسلام أو العروبة ولم يسع لإعادة مجد الأكاسرة أو دين المجوس، وإنما حارب الخلافة وحارب الاستغلال والتسلط. ففي صفوف الانتفاضة كان العرب والديلمة والإيرانيون والأكراد والأرمن، كما أنه لم يتهاون مع القائد الطامع الأمير التركي الأفشين ولم يتفق معه سراً ولا علانية حيث لم ترد في محاكمة الأفشين الاثروسنى أية اشارة الى ذلك، ولكن المؤرخين دسوا ذلك ليبرروا إعدام القائد الطموح. لا يمكن قبول افتراض تفاهم بابك مع الأفشين لأن بابك قاوم الاقطاع والسلطة المثلثة لمصلحه والأفشين خير ممثل وأداة لمصالح الارستقراطية